سلسلة آل المغبغب في التاريخ

المجلد الرابع

نعيم المغبغب رافع علم الاستقلال

الأحداث السياسية من ١٩٢٠ إلى ١٩٦٠

المؤلف

د. نعيم مغبغب

سلسلة آل المغبغب في التاريخ

المجلد الرابع

نعيم المغبغب رافع علم الاستقلال

الأحداث السياسيّة من ١٩٢٠ إلى ١٩٦٠



المؤلف

د. نعيم مغبغب



نعيم مغبغب

للمؤلف

أولاً ـ في القانون

١ ـ أطروحة دكتوراه دولة بعنوان Elements du droit comparé pour renforcer le secret bancaire مقدمة في الجامعة الكاثوليكية لوفان لانوف، ١٩٨٢ (غير منشورة).

٢ ـ تهريب الأموال والسرية المصرفية أمام القضاء الجزائي، دراسة مقارنة بين ثماني دول: اللوغشتنشتين، اللوكسمبورغ، النمسا، فرنسا، الولايات المتحدة الأميركية، بلجيكا ولبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦.

٣ ـ عقود البناء والأشغال الخاصة والعامة، دراسة في القانون المقارن، الطبعة الأولى ١٩٩٥، الطبعة الثانية ١٩٩٧، الطبعة الثالثة ٢٠٠١.

٤ ـ قانون الصناعة، الطبعة الأولى ١٩٩٧.

٥ ـ السرية المصرفية، دراسة في القانون المقارن، بلجيكا، فرنسا، سويسرا ولبنان ١٩٩٧.

٦ ـ Le secret bancaire, Etude du droit comparé, Belgique, France, Suisse et Liban 1997.

٧ ـ مخاطر المعلوماتية والانترنت، المخاطر على الحياة الخاصة وحمايتها، الطبعة الأولى ١٩٩٨، الطبعة الثانية منقّحة ومزادة، توزيع الحلبي، ٢٠٠٨.

٨ ـ قانون الأعمال، الطبعة الأولى ٢٠٠٠.

٩ ـ الملكية الأدبية والفنية والحقوق المجاورة، دراسة في القانون المقارن الطبعة الأولى ٢٠٠٠، الطبعة الثانية منقّحة ومزادة، توزيع الحلبي، ٢٠٠٩.

١٠ ـ رجل الأعمال والقانون، الطبعة الأولى ٢٠٠٣.

١١ ـ براءة الاختراع، ملكية صناعية وتجارية، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، الطبعة الثانية ٢٠٠٩.

١٢ ـ تهريب وتبييض الأموال، دراسة في القانون المقارن، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، الطبعة الثانية ٢٠٠٨، توزيع الحلبي.

١٣ ـ حماية برامج الكومبيوتر، دراسة في القانون المقارن، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، توزيع الحلبي.

١٤ ـ الفرنشايز، دراسة في القانون المقارن، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، توزيع الحلبي.

١٥ ـ الجديد في الترخيص الصناعي والبيئي (المواصفات القياسية LIBNOR)، ٢٠٠٦، توزيع الحلبي.

١٦ ـ نظريات في القوانين المصرفية والإدارية والمدنية، توزيع الحلبي ٢٠٠٨.

١٧ ـ الملكية المشتركة في الشقق والشاليهات والمحلات التجارية ٢٠٠٨.

١٨ ـ مبدأ عدم مسؤولية المصرف موزع الاعتمادات واستثناءاته، الطبعة الأولى ٢٠٠٩.

١٩ ـ مقالات البناء الخاصة، الطبعة الرابعة، مزيدة ٢٠٠٩.

٢٠ ـ الماركة التجارية، علامة فارقة أم مميزة، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

ثانياً ـ في التاريخ: سلسلة آل المغبغب في التاريخ من الجاهلية حتى العصر الحديث

ـ المجلد الأول: «تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي»، نشره نعوم المغبغب في مصر عام ١٩٠٠، ووضعنا الطبعة الثانية الأصلية عام ٢٠٠٠ (من العصر الجاهلي حتى عام ١٨٥٢). وأضفنا إليه عشرة آلاف إحالة بالأعلام والجغرافيا.

ـ المجلد الثاني: تحقيق مخطوطة نعوم المغبغب «تنهدات سورية» ١٨٦٠ (قيد الطبع) اسباب الفتنة.

ـ المجلد الثالث: البطريرك كيرللس المغبغب «دوره كمطران في إنشاء دولة لبنان الكبير (الأحداث السياسية من ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠) (سيصدر قريباً).

ـ المجلد الرابع: «نعيم فؤاد المغبغب، رافع علم الاستقلال»، الأحداث السياسية من ١٩٢٠ إلى ١٩٦٠، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٢.

ـ المجلد الخامس: جوزيف المغبغب «تصورات وتحذيرات»، الأحداث السياسية من ١٩٦٠ ـ ١٩٨٠ (سيصدر لاحقاً).

ـ المجلد السادس: مقارنة فتنة ١٨٦٠ مع أحداث ١٩٧٥ (سيصدر لاحقاً).

سيصدر لاحقاً:

ـ المربّية أسمى غريشي مغبغب، (دار المعلمين العليا ١٩٣٧)، لوحات أدبية محفوظات من الأعوام ١٩٠٠ و١٩٠٥ و١٩٤٨ إلى ١٩٥٤.

ـ التجارة الإلكترونية.

توطئة

من هو نعيم مغبغب

لا نقدم هذه الدراسة على سبيل تثبيت الوقائع في ذهن الأجيال القادمة، إنما بصورة أدقّ لأخذ العبرة، لعلنا نتعظ منها.

إن نعيم مغبغب المحامي والوزير والصحافي صاحب جريدة «الإقدام» التي تحولت إلى «علامة استفهام» (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨؟): هو قائد الحرس الوطني في حكومة بشامون (١٩٤٣) ورافع علم الاستقلال على قبة البرلمان (١٩٤٤). حاز على كتاب تقدير لمشاركته الفعالة في حرب فلسطين (١٩٤٨). انتخب نائباً عن المقعد الكاثوليكي في الشوف في دورتي (١٩٥٣ و١٩٥٧)، تولى وزارة الأشغال (١٩٥٤ ـ ١٩٥٥) وكان خير معين لمواطنيه حتى لقب «عهد المغبغب عهد تعمير الشوف». استشهد ببشاعة عام ١٩٥٩.

مقدمة

يُخطِئ من يتباهى بأن الآثار المنقوشة على صخور نهر الكلب واقعات حصلت في التاريخ ومر عليها الزمن، فكل مَن مرّ مِن هناك لا يزال حياً يرزق، يسرح ويمرح، مع تبديلٍ في الأسماء والتوقيت. فالكلدانيون والحثيون والآشوريون والآراميون أصبحوا العراقيون والسوريون، والفرس أصبحوا الإيرانيون، والأقباط أصبحوا المصريون، والبيزنطيون أصبحوا الفرنسيون والبريطانيون والأميركيون... ومرد ذلك يعود إلى موقع لبنان الاستراتيجي، هذا البلد الصغير على خارطة العالم، الذي شكل ولا يزال نقطة مركزية متوسطة بين القارات الثلاث الأوروبية والآسيوية والإفريقية، فإذا به الباب والممر لكل منها.

وبقدر ما نأى شعبه، في بعض الأحيان، من ظلم الفاتحين، غدا انفتاحه منارة للشرق يُهتدى بها.

وبقدر ما كانت الغزوات والتعديات، تتمحور حول القضايا الاقتصادية، كانت تتلبس بالمظاهر والشعائر الدينية والطائفية، ثم تنتقل إلى الآراء والمبادئ العقائدية من اشتراكية وشيوعية ورأسمالية، وإلى الدعوات الأممية، التي لاقت بمجملها أرضاً خصبة في لبنان بمكوناته وشرائحه الاجتماعية.

استناداً إلى المعطيات العملية، كان من الأنسب القيام بهذه الدراسة منذ عشرين سنة خلت، حين كان بمقدورنا الاستماع إلى الشهود العيان الذي عاصروا

الحقبة واختبروها. حاولنا جاهدين نبش هذه المعلومات علّنا نقف على حقيقة ما جرى في الحقبة التي عاش أثناءها نعيم مغبغب. واجهتنا صعاب جمة، بعدم توفر المراجع الأكيدة والكافية. مع ذلك، أملنا كبير بأن نكون قد سلطنا الأضواء على تلك الحقبة وأوفيناها حقها في التحليل والتمحيص.

بعد مرور السنوات المديدة بين بدء الانتداب الفرنسي والاستقلال الناجز، تبقى ذكرى أحداث تلك الفترة حاضرة في ذهن اللبنانيين، بمبادئها العريضة وأفكارها الشاملة، دون تخطي العموميات، مما يخلق شوقاً لمعرفة المزيد من التفاصيل والدقة في المواقف، وسرد الأحداث المتلاحقة بصورة مختصرة. فالمرحلة المعنية غاية في الأهمية كونها ركيزة تأسيس الدولة اللبنانية، فهل إن ولادتها انطلقت من تلك الفترة أم أن الإعلان عنها صادف في تلك اللحظة التاريخية؟ انطلاقاً من توسيع حدود جبل لبنان ليشمل المناطق التي ضُمت إليه فهل كان سهلاً الترتيب الهرمي الجديد، أم أنه كرس ما كان قائماً ومقبولاً منذ القدم؟ وكيف انطلقت عمليات الاستقلال عن فرنسا! هناك مراجع متعددة عالجت هذه المسائل مما دفعنا، إلى محاولة سرد بعض تفاصيلها والتركيز على دور نعيم مغبغب أثنائها مع تأكيد شكرنا للأستاذ حبيب الياس الخوري الذي تكرّم مشكوراً بمديد العون عند الحاجة، كما نقدم خالص شكرنا للعلامة الدكتور حسن حمادة الذي تكرم بقراءة مسودة هذا الكتاب وزودنا بملاحظاته القيمة، آملين من القارئ الكريم النظر إلى المضمون وليس إلى الشكل. والشكر أيضاً لمكتبة الآداب الفرع الثاني - ومكتبة يافث، الجامعة الأميركية.

مخطط الدراسة

القسم الأول - أهم الأحداث السياسية والأمنية التي حصلت بين عامي ١٩٢٠ و١٩٦٠.

القسم الثاني - دور نعيم مغبغب السياسي في تلك الحقبة.

القسم الأول

أهم التطورات السياسية والأمنية بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٦٠

الفصل الأول

مرحلة الانتداب

نتناول في هذا الفصل، باقتضاب، إعلان دولة لبنان الكبير ومن ثم الجمهورية اللبنانية، في ظل السلطة المنتدبة وطريقة ممارسة الحكم فيها مع العلم بأن لبنان عرف صيغة استقلالية ذاتية ضمن الأمبراطورية العثمانية، أولاً عبر نظام الإمارة (١٥١٦ ـ ١٨٤٢) وثانياً عبر نظام المتصرفية (١٨٦١ ـ ١٩١٥).

الفرع الأول ـ الجذور التاريخية لنشوء الدولة اللبنانية[1]

الفقرة الأولى ـ لمحة تاريخية

إن المؤلفات التاريخية، دينية كانت أم غير دينية، تعطي لوحدها صورة واضحة عما تكتنزه من معلومات يمكن الركون إليها، كونها المرجع الأصلح والوحيد الشاهد

١ ـ د. حكمت البير حداد، لبنان الكبير، الطبعة الثالثة ١٩٩٦، ص ١٩.
ـ يوسف السمعاني، المكتبة الشرقية، المجلد الثالث، ترجمة الأباتي بطرس فهد في نشرة كتاب الشرح المختصر في أهل الموارنة ١٩٧٤، الجزء الأول. ـ جواد بولس، لبنان والبلدان المجاورة، طبعة ثانية ١٩٧٣؛ ـ كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، طبعة رابعة ١٩٧٨؛ ـ الأب ريمون هاشم، الانتداب الفرنسي على لبنان، ظروفه، إقراره، دولة لبنان الكبير وإعلان الدستور، منشورات الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٧؛ ـ د. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، الجزء الأول (٨٣٢ صفحة).

على الحقبات الغابرة، فلبنان، ذُكر اسمه أكثر من ٧٦ مرة في الكتاب المقدس، وحافظ على استقلالية ذاتية خاصة. كان لكل مدينة على الساحل اللبناني كيانها الخاص في العهد الفينيقي، وبقيت حرية التحرك مضمونة أيام الغزوات المتعاقبة.

إبان الفتوحات الإسلامية، برزت الإمارة التنوخية التي استمرت من أوائل العهد العباسي إلى نهاية العهد المملوكي أي ما يقارب ثمانية قرون من الزمن وكانت تتمتع بحرية داخلية[١].

بعد سقوط دولة المماليك، وقيام الدولة العثمانية واستقرارها في بلاد الشام، ظهرت بعض ملامح تلك الحرية منها[٢]:

- تكريس الإقطاع الوراثي، بحيث يعتمد عليه بكثير من القضايا، ضمن الإطار المرسوم من الحكام العثمانيين، وذلك بسبب بُعد العاصمة الآستانة عن المناطق، وصعوبة الاتصال المباشر بها.

- انحلال أوضاع المقدمين الموارنة في الشمال بسبب تسلطهم وطغيانهم، وبروز الدور الفعال لرجال الدين الموارنة في خدمة المجتمع الماروني.

- زوال إمارة بنو بشارة في الجنوب (أو جبل عامل)، بعد حكمهم الاقطاعي للبلاد لأكثر من قرن، وظهور العائلة الوائلية التي منها بنو علي الصغير.

- ضعف الحزبية اليمنية، بعد محاولة سيطرتها على لبنان بزعامة الأمير ناصر الدين محمد بن الحنش، وبدت الظروف مؤاتية أمام الحزبية القيسية بزعامة المعنيين للسيطرة، فظهرت الإمارة المعنية.

---

١ - لحد خاطر، عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١ ـ ١٩١٨، بيروت ١٩٨٢. ـ ابراهيم أسود « تنوير الأذهان في تاريخ لبنان » دليل لبنان ١٩٠٦. ـ نعوم المغبغب تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي ١٩٠٠. (وقد تم تقليد هذا الكتاب بحذف اسم نعوم المغبغب واضعه وإبداله باسم الدكتور مارون رعد، لذلك أعدنا طبع النسخة الأصلية عام ٢٠٠٠). ـ د. أسد رستم ود. فؤاد أفرام البستاني، لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، طبعة ثانية ١٩٨٥، منشورات المكتبة البوليسية. ـ د. أنطوان لبس، توجهات الإكليروس الماروني السياسي في جبل لبنان، ١٨٤٢ ـ ١٨٦٧، (وثائق بكركي)، بيروت ١٩٩١.

٢ - محمد علي مكي، لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦، دار النهار، ص ٢٧٣.

- انفتاح الأمبراطورية العثمانية على الغرب وعلى فرنسا بصورة خاصة، مما شجع انفتاح اللبنانيين للانخراط في السياسة العامة، بتمثيل المسيحيين في الحكم المعني، بعكس ما كانوا عليه في العهد المملوكي.

- العثمانيون يفرضون لغتهم رسمياً[١].

فبعد مرور تسعة قرون من الزمن، منذ الفتح العربي الإسلامي إلى الفتح العثماني (٦٣٥ ـ ١٥١٦) تكونت خلالها الطوائف المعروفة حالياً في لبنان، والتي كانت طيلة هذه الفترة تنتقل من الازدهار إلى الركود ومن الاضطهاد إلى التسلح، لا تزال التناقضات الطائفية، وتاريخ لبنان الوسيط هو تاريخ طوائفه المختلفة «ولعل عمق الطائفية في لبنان، مرتبط ليس بقوة المذاهب الدينية فحسب، بل بمفاهيم قومية خفية ومختلفة مختبئة خلف المذاهب المذكورة، وكذلك فإن انحصار الطوائف في مناطق جغرافية خاصة بها، ساعد على تكوين مجتمعات خاصة كانوا يسمونها سابقاً بالشعوب كالقول بالشعب الدرزي والشعب الماروني، وتاريخ هذا التجاوز الطائفي بتقاربه وبتباعده عبر التسعة قرون من الزمن كوَّن تاريخ لبنان الوسيط»[٢]. كما أنه في عهد المتصرفية ١٨٦١[٣] أنشئ مجلس الإدارة الكبير، وهو أول تجربة ديمقراطية في المشرق العربي[٤].

الفقرة الثانية ـ تجذر الطوائف في لبنان

شكَّل لبنان منذ فجر التاريخ مركزاً للطوائف المرتكزة على المعتقدات الدينية، فغدت الطائفية من مستلزمات وجود الفئات المنتمية إليها، وهي سابقة لوجود المسيحية

---

١ - كان العثمانيون يتمهلون بإصلاحات لا معنى لها. أما جنسية الحاكم ومسؤولية النواب وسلطة المجلس وقيام وزارة مسؤولة، فهي أمور تافهة مع أنها أساسية لاستقلال لبنان، أنظر يوسف مزهر، المرجع المذكور، ص ٨٢٦.

٢ـ محمد علي مكي، المرجع ذاته، ص ٢٨١.

٣ - د. علي معطي، العلاقات اللبنانية ـ التركية في عهد المتصرفية (١٨٦١ ـ ١٩١٨) ملحق بأسماء المدن والقرى التابعة لمتصرفية جبل لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ دار المنهل اللبناني؛ كذلك Mounir Ismail, Le Regime de la Mutassarrifiya du Mont Liban 1861 - 1915, ed. 2002.

٤ - د. منير إسماعيل، مجلس الإدارة الكبير في عهد المتصرفية، أول تجربة ديمقراطية في المشرق العربي، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ٣٥.

والإسلام. فحين أنذر الاسكندر المقدوني باحتلال مدينة صور، لم يعارض أهلها، لكنهم رفضوا شرطه بتقديم ذبيحة لإلههم، فإذا بهم يختارون حرق أنفسهم وموتهم جماعياً، على السماح لغريب بتدنيس مذبح الههم، ولاعتقادهم بأن من يقدم الذبيحة، يستعبد الشعب. وإذا بالأحداث التاريخية تتوالى متمحورة حول الطائفية كسبب لحث الجموع للتصارع والتقاتل، لكن فترات النزاع لا تقاس بفترات السلام والأمان بينها، التي بدت كأنها تسعى دوماً للعيش سوية في مناخ ملائم من الأمن والاستقرار.

كانت الدولة البيزنطية مسيطرة على هذه البلاد، وقد اعتنقت المسيحية أيام الملك قسطنطين وأمه هيلانة عام ٣٩٧م، فإذا بالشعب يتبع دين ملكه. انقسمت شعوب هذه البلاد بين الطائفتين البيزنطية والسريانية، وكان للأولى امتدادات أوسع وأشمل، خاصة في لبنان، وآثار الكنائس البيزنطية المنتشرة في طول البلاد وعرضها يؤكد ذلك، ونشير إلى جواب غبطة بطريرك الروم الأرثوذكس عند سؤاله عن أصول طائفته، فإذا كانت الطائفة الدرزية أتت من حوران، والإسلام من مكة والموارنة من حلب فمن أين أتيتم؟ «إننا كنا هنا نستقبلهم» مع الإشارة بأن التعايش الدرزي الماروني في الشوف إنما يعود إلى أوائل القرن الثاني عشر وليس إلى القرن الخامس عشر، لقد دخل الدروز إلى الشوف عام ١١١٩م وتبعهم الموارنة عام ١١٤٤م، بعدما احتدم الخلاف بين موارنة كسروان حول طبيعة السيد المسيح، فنزح قسماً منهم إلى الشوف بعدما أقدم الملك الظاهر برقوق على تدمير كسروان ولم يبق مكاناً عامراً لمدة سبع سنوات[١].

النبذة الأولى - دخول الدروز إلى الشوف عام ١١١٩[٢]

«في هذه السنة نهض الأمير معن من البقاع بعشيرته وبرهطه ونزل في جبل الشوف، الذي كان في ذلك العصر قفراً خالياً من السكان، وكانت له مودة مع آل تنوخ أمراء عرب جبل لبنان المحاذي لبيروت... وكان منهم حينئذٍ الأمير بحتر جد الأمير زاهر الدين (ظهر الدين) التنوخي فمال الأمير معن إليه واتخذه حليفاً وعضداً على الافرنج وظن به الخير، فأرسل له زهر الدين أناساً بنوا له ولخاصته منازل جدارية متينة فسكنها الأمير معن واعتزل

١ - نعوم المغبغب، تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي، الطبعة الثانية، ص ٤٠٦.
٢ - نعوم المغبغب، المرجع ذاته، ص ٣٨٨.

المضارب وأخذ بعد ذلك يحث أصحابه وقومه على البناء والعمائر، فكثر البناء في الشوف وشاع، فكان يقصده أهل كل ديار استولت عليها الافرنج من حوران وديار الشام وحلب ومن جوار جبل لبنان وأطرافه وغير ذلك فسكن فيه خلق كثير، وبقي الأمير معن أميراً فيه نحو ثلاثين سنة وهو من أصل الأمراء آل معن وإليه ينتمون وصار الجبل ينسب إليهم».

النبذة الثانية ـ قدوم الموارنة إلى الشوف عام ١١٤٤[١] ومعايير تعايشهم مع الدروز

يقول نعوم مغبغب في مؤلفه «تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي» الطبعة الثانية، الجزء الأول، المجلد الأول، ص ٤٠٦ ما يلي:

«وفي هذه السنة (أي سنة ٥٢٩ هـ ـ ١١٤٤ م) ظهرت البدعة في بلاد جبيل وكسروان من رجلين كانا يقولان أن الله تعالى لم تكن له روح مخلوقة وطبيعة غير قابلة للأوجاع والآلام ووقع الانشقاق والاختلاف بين نصارى تلك البلاد. وحين بلغ الخلاف مسامع الملك الظاهر برقوق جهز العساكر وغزا نواحي كسروان وأقام الحرب عليها سبع سنين، وأحرقت عساكر المسلمين تلك القرايا التي في بلاد جبيل وكسروان وقطعت الأشجار إلى أن تولى الملك صلاح الدين يوسف أول ملوك الأيوبيين، ولم يبق مكاناً عامراً سوى حصن معراب وهربت نصارى كسروان وبلاد جبيل إلى نواحي بلاد الشوف وصارت بلاد كسروان برية مقفرة أما بلاد جبيل والبترون فكانت آهلة برجالها في نواحي نهر إبراهيم». ويضيف «أن البلاغة التي حصلت بتلك الأزمان من وجود قوم أنكروا أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين وقالوا إن له طبيعتين ومشيئة واحدة أي أنكروا الناسوت فيه وهي تشبه بدعة اليعاقبة»[٢].

ويضيف نعوم في الحاشية، «قبل هذه السنة لم يوجد من النصارى الموارنة في بلاد الشوف، ولا عائلة لأن جميع الموارنة فيه أتوا إليه من بلاد جبيل وكسروان»، بالفعل من مراجعة أصول العائلات المارونية يتبين بأن معظمها أتى من الشمال، أما النصارى من الطوائف البيزنطية فكانوا مترسخين فيه منذ انتشار المسيحية.

١ - نعوم المغبغب، المرجع ذاته، ص ٤٠٧.
٢ - مقالنا تحت عنوان، تاريخ العيش المشترك الدرزي ـ الماروني، النهار العدد ٦٣٢٤٢ تاريخ ٢٠١١/١/١٦.

أما معايير التعايش بين هاتين الطائفتين فكانت تدور حول ثلاثة أمور مهمة جداً، تعني «الاستقلالية التامة في أوضاعهما وهي الدين، والعرض والدم، فإذا كان الدين يعني حرية المعتقد، فبالتأكيد يفرض احترام عقيدة الآخر. أما العرض فيعني الطهارة وعدم الفسق وأخيراً الدم يعني صيانة أرواح العباد».

الفقرة الثالثة ـ إطلاق فكرة القومية بدلاً من الطائفية[1]

إن جذور هذه التناقضات تعود إلى ما يسمى بالمسألة المشرقية[2]، أي وجود الأقليات في الشرق العربي، ذات الأغلبية من المسلمين السنّة، بعدما كان بمجمله من المسيحيين، فمن تبقى من هؤلاء، أخذ يشعر في قرارة نفسه، بأن هناك خطراً ما يتربص به[3]، والتاريخ شاهد على الزلازل السياسية والأمنية التي عصفت بالمنطقة والتي أدت إلى دفعه الثمن، حتى في الحالات التي لم يكن له دور فيها، مما زاده قلقاً وريبة فأخذ يتوجس شراً، كل ذلك شكل أرضية دافعة تلاصقت بها شتى الاعتبارات، ما يفسر، لجوء المثقفين المسيحيين، بشكل خاص، إلى إنشاء الأحزاب اللاطائفية، والابتعاد عن الشريعة الإسلامية التي كانت سائدة لفترات طويلة من الزمن، فإذا بالقومية العربية تنطلق على يد نخبة من المسيحيين، لمواجهة التتريك، والتخلص من سيطرة الأحزاب الإسلامية المتطرفة بهدف خلق قومية ينصهر فيها الأشخاص دون النظر إلى الديانة، كعنصر مفرّق، وفي هذا الاتجاه، أتت الأحزاب كالحزب القومي

١ - جورج أنطونيوس، يقظة العرب، عن الإنكليزية دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٦؛ ـ نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ـ البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩، دار النهار، بيروت ١٩٧٧ ـ زين زين، نشوء القومية العربية، «دار النهار» ١٩٦٨.

٢ - إيف ترنون، من مآسي «المسألة الشرقية» المجازر التي وقعت بالأرمن، دراسة تحليلية لإبادة عام ١٩١٥، دار نعمان للثقافة.

٣ - المونسنيور لويس الهاشم، تاريخ العاقورة، الطبعة الأولى ١٩٣٠ والثانية ١٩٧٣، يسرد فيه بعض الحروب والمظالم التي كانت تحصل، خاصة أيام المماليك، وكيف وقف الإمام الأوزاعي الشهير، يعترض على تلك المظالم، كما ذكرها الأب هنري لامنس، في مؤلفه مختصر تاريخ سوريا، مجلد ١، ص ١٣٢.

السوري، وحزب البعث والحزب الشيوعي، في محاولة للحد من تدخل السلطات الدينية في سياسة الدولة.

الفقرة الرابعة ـ إلغاء امتيازات جبل لبنان (١٩١٥ ـ ١٩١٦)

شدّدت السلطات التركية بعد استقلال اليونان عنها، على مركزية القرار السياسي، وفي قمع أية انتفاضة استقلالية.

"This meant the Turkish sale might very enormously in severity from one district to another: for the most part, however, it was light, but inefficient and corrupt, and punctuated by periods of savage repression when ever there were signs of revolts"[1]

فوضعت جبل لبنان تحت حكمها المباشر، لاغية امتيازاته. فنشط اللبنانيون بكل شرائحهم لمواجهة الدولة العثمانية، وأخذ القوميون اللبنانيون يتعاونون مع القوميين العرب، واتصل كل قسم بحلفائه لتعزيز موقفه، فأقدمت الدولة العثمانية على البطش بيد من حديد على كل المشاكسين، فأعدمت ٣٣ منهم في بيروت ودمشق بتهمة الخيانة العظمى؛ وقد التبس الأمر في أول المطاف حول المفاهيم التي كان كل من القوميين العرب والقوميين اللبنانيين يناضلون من أجلها، وسرعان ما تبدل الأمر، وإذا بالنوايا على طرفي نقيض، فالأولين يناضلون لأجل إنشاء أمبراطورية عربية تضم الجزيرة العربية والولايات السورية والعراق، وكان هذا المسار على الأقل ظاهرياً، مدعوماً من بريطانيا التي وعدت الشريف حسين بتنفيذ هذا المخطط؛ بينما الآخرين والموارنة بشكل خاص، يناضلون في سبيل استقلال لبنان بمعزل عن الوحدة العربية، مطالبين الفرنسيين بتنفيذ هذا الهدف.

مقابل التحرك البريطاني في دعم القوميين العرب للاستيلاء على لبنان، عملت فرنسا جهدها لتركيز دورها المميز في لبنان، الأمر الذي اتفقت عليه مع بريطانيا عام ١٩١٥م[2].

١ - Denis Richards, Modern Europe 1789 - 1945 - p. 187, longman, Green and Co London-NewYork-Toronto 1951, London.

٢ ـ كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، الطبعة السابعة ١٩٩١، دار النهار للنشر، ص ٢٠٧.

لكن أشد المآسي وأخطرها على اللبنانيين، في تلك الحقبة، ظهرت عندما استغل جمال باشا القائد التركي، الحرب العالمية لتنفيذ سياسته الاستبدادية ضدهم، بعد هزيمته في السويس، فأعلن الأحكام العرفية، وخنق الحريات، وشدد الحصار، فانتشرت المجاعة وازدادت بعدما غزى الجراد هذه البلاد وشدّد الحصار البحري على الجبل، ومنع نقل المواد الغذائية إليه إلا بكميات محدودة، وحتى من صيد السمك، وحالَ دون وصول المساعدات المالية من المغتربين، وصادر الأطباء للعمل لدى الدولة العثمانية مما أدى إلى تفشي الأمراض. في أثنائها وضع البطريرك الماروني أملاك الأديرة بتصرف الشعب وأنشأ نظام الإعاشة. ازداد تشدد العثمانيون بالتسلط والمراقبة، وبعد إعلان الأحكام العرفية، سقط الشهداء على أعواد المشانق نذكر منهم، الخوري يوسف الحويك ٢٢ آذار ١٩١٥ ومن القافلة الأولى: عبد الكريم الخليل، محمود حمود المحمصاني، وصالح الخير... ويوسف الخازن، ومن القافلة الثانية ٦ آذار ١٩١٦، عبد الغني العريس، وعارف شهاب وجورج الحداد، والشيخ أحمد طبارة وسعيد عقل وأمين الحافظ وفيليب وفريد الخازن في ٥ حزيران ١٩١٦، واعتمد السادس من أيار لتخليد ذكراهم.

كان التزاحم قائماً بين فرنسا وكل من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية، فإذا بها تتراجع لتحلا محلها بالتتابع، وقد حرصت منذ الحرب العالمية الأولى، على إظهار امتعاضها من مواقفهما، وفي هذا الصدد يقول الجنرال ديغول تعليقاً على اتفاق يالطا، بأنه لم يكن إطلاقاً لصالح فرنسا:

... Puisque les décisions de YALTA étaient prises, elles pourraient, au contraire, donner à croire que j'entérimais tout ce qu'on y avait réglé. Or nous n'approuverons pas le sort arbitrairement imposé non seulement à la Hongrie, à la Roumanie, à la Bulgarie qui étaient jointes à l'Allemagne, mais aussi à la Pologne et à la Yougoslavie qui étaient nos alliées. Encore soupçonnais-je que, sur certaines questions: Syrie, Liban, Indochine intéressent directement la France, "Les trois" avaient conclu entre eux quelques arrangements incompatibles avec nos intérêts.(١)

١ - Charles de Gaulle, Mémoires de Gaulle, 1944 - 1946, p. 88.
ويعبر ديغول عن تباعده عن روزفلت، رئيس الولايات المتحدة الأميركية بالقول:
"les propos amers de Roosvelte pouvaient, certes, m'offenser, mais j'étais persuadé qu'ils manifestaient une mauvaise humeur plutôt que le sentiment profond qui l'animait à mon égard".

الفقرة الخامسة - انهيار السلطنة العثمانية (١٨ أيلول ١٩١٨)(١)

في ١٨ أيلول ١٩١٨ أعلنت السلطنة العثمانية انسحابها من بيروت، فسلم الحاكم التركي ممتاز بك مقاليد الحكم إلى عمر الداعوق، أحد وجهاء المسلمين في المدينة، الذي حاول السير مع الشريف الحسين، بالوحدة القومية العربية، مدعوماً من بريطانيا. بتاريخ ٧ تشرين الأول ١٩١٨ وصلت قوات من الجيش الفرنسي، بقيادة الجنرال اللنبي الذي دخل بيروت على رأس جيشه ومصدراً أوامره إلى شكري باشا الأيوبي الذي وصل إلى بيروت مرسلاً من الشريف الحسين، بمغادرة المدينة، والزم عمر الداعوق بتسليم سلطته إلى الكولونيل دي بيبات، الفرنسي الذي أصبح الحاكم العسكري للبلاد، وبقي خاضعاً للمفوض السامي جورج بيكو، الحاكم الفعلي في المنطقة الفرنسية في الشرق والتي تضم لبنان والساحل السوري، بمقابل المنطقة البريطانية التي كانت تضم فلسطين والعراق. وتعليقاً على هذا التقسيم، ما جاء على لسان لويد جورج، الذي كان مشهوراً أنه لا يفكر إلا بصوت عالٍ حيث ذكر: نحن أخذنا الموصل المليء بالنفط وفلسطين مهبط الديانات، أما سوريا ولبنان فهما غير نافعين(٢).

الفرع الثاني - انطلاق «دولة لبنان الكبير» أول أيلول ١٩٢٠(٣)

بتاريخ أول أيلول ١٩٢٠ بعدما حلَّ مجلس إدارة متصرفية جبل لبنان، أصدر الجنرال هنري غورو مندوب فرنسا، وقائد قواتها في لبنان وسوريا، قراراً بتوسيع حدود لبنان المتصرفية وأعلن إنشاء دولة لبنان الكبير المشتملة على جبل لبنان ومدن بيروت وطرابلس وصيدا والأقضية الأربعة (راشيا، حاصبيا، بعلبك ومعلقة زحلة)(٤)، وجعلها دولة مستقلة في ظل الانتداب الفرنسي «اتسعت المساحة من ٣٥٠٠ كلم مربع إلى ١٠٤٥٢ كلم مربع، وازداد السكان من ٤١٤ ألف نسمة إلى ٦٢٨ ألفاً». هذا الإعلان

١ - د. علي معطي، المرجع ذاته.
٢ - كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ١٤٥ وما يليها.
٣ - د. حكمت ألبير حداد، المرجع ذاته، ص ٣٨.
٤ - أشار زين إلى الاتفاقات السرية التي حصلت وأفرد لها الفصل الرابع بكامله في مؤلفه. وكانت حكومات الحلفاء أثناء سنوات الحرب، يحوكون سياسة الشرق في الظلام؛ د. برجيس فارس الجميل، حزب الاتحاد اللبناني ولبنان الكبير، ١٩٩٦.

جاء نتيجة مطالبة اللبنانيين بإنشاء كيان خاص بهم يجسد نزعتهم الاستقلالية. وغداة هذا الإعلان، اعترض عليه المسلمون بأكثريتهم فأقدموا في البقاع وطرابلس وصيدا على التظاهر يعاونهم بعض الروم الأرثوذكس وبعض المسيحيين المؤيدين للقومية العربية بالمفهوم العلماني، وبالتالي، أنهت معركة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠، المملكة العربية في سوريا. تجدر الإشارة أنه في ١٧ آذار ١٩٢٠ حصلت الاضطرابات نتيجة إعلان فيصل ملكاً على سوريا، وبالمقابل كانت ردة فعل أنصار لبنان الكبير عنيفة، فأرسل البطريرك الحويك برقيات إلى وزارة الخارجية الفرنسية وإلى مؤتمر السلام مذكراً بموقفه، وأدانت الصحف المسيحية من جهتها، تصاريح فيصل، كما نظمت تظاهرة في ٢٢ آذار في بعبدا للمطالبة بالاستقلال[١]. وفي إطار المطالبة بإنشاء دولة لبنان الكبير لعب المطران كيرللس المغبغب (البطريرك لاحقاً) دوراً بارزاً في الملاحقة، وتميز نشاطه في الوفد الثاني بإرسال خمس مذكرات لرؤساء العالم تطالب بضم الأقضية الأربعة.

من الخطأ الاعتقاد أنه عند إنشاء دولة لبنان الكبير[٢]، ضمت إلى جبل لبنان الأقضية الأربعة، إنما الأصح، أنه أعيدت إليه، ففي أيام الإمارة المعنية ثم الشهابية، كانت الحدود تمتد من عكا جنوباً، وتضم بلاد بشارة، إلى جبل النصيرية في الشمال، وهي داخلة الآن في سوريا، بحيث، عندما كان هذا الجبل قوياً، تمكن من توحيد الشعب حول أميره الذي استطاع فرض سلطته وسطوته حيث يحكم، فإذا بالأمير المعني الكبير يشكل خطراً محدقاً بالسلطة العثمانية، وأتى بعده الأمير بشير الشهابي الكبير، الذي دق أبواب الأناضول. صحيح أن المداخلات العسكرية الأمنية في كلا الحالتين، أوقفت كل تمدد وأسقطت الحكام، إنما الصحيح أيضاً، أنه عندما يتوحد هذا الشعب ويناضل سوية من أجل قضية فلا بد من إحرازه النصر.

---

١ ـ فارس ساسين، سليم تقلا، من بناء الدولة إلى معارك الاستقلال ٢٠٠٦، ص ١٢٨؛ ـ د. جورج أديب كرم، قضية لبنان، (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) الوفود إلى مؤتمر الصلح، ١٩٨٥، دار المنهل للنشر؛ ـ د. أنطوان الحكيم، الإطار الدولي لولادة لبنان الكبير، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦، ص ٤١؛ علماً بأن ألمانيا وقعت الهدنة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ وانعقد مؤتمر الصلح في ١٨ كانون الثاني ١٩١٩.

٢ ـ MEIR ZAMIR, The Formation of Modern Lebanon, 1985.

عُرف الجنوب باسم جبل عامل، وكغيره من المناطق خضع للنظام الاقطاعي الطائفي، وتوزع على ثلاث عائلات إقطاعية بلقب مشايخ وهم: أولاً بنو منكر من عشيرة قيس بن عامر المنقري، في إقليم الشومر والتفاح، ثانياً بنو صعب في منطقة الشقيف، وقيل إن نسبهم يرجع إلى بعض أكابر الأكراد وكان لهم نفوذ في دولة بني أيوب، وثالثاً بنو علي الصغير، وكان جدهم انتقل إلى بلاد عامل أيام صلاح الدين وتولى السلطة فيها، بعد انتصاره على أميرها بشارة بن مقبل القحطاني، وكان كل شيخ يدير شؤون مقاطعته وله الحصانة الكاملة داخلها، ويلتزم بجمع الضرائب المترتبة على مقاطعته ويدفعها لشيخ المشايخ، وعليه أن يؤمن الطرف ويحفظ الأمن ويؤدي الخدمة العسكرية للدولة، وكان شيخ المشايخ يلتزم بدوره بدفع الضرائب المستحقة للدولة من المناطق التي يحكمها بنفسه أو بواسطة أتباعه من الاقطاعيين.

أما دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠،[١] فجسدت التوافق بين الطائفتين المارونية والسنية، وهدف الدولة في إيجاد القواسم المشتركة بينهما. من البديهي القول بأن هناك اختلاف كبير عن التجربة المارونية ـ الدرزية، اللذين تعاونا وتحابا وتجاورا منذ مئات السنين، وتقاتلا وتنازعا وتنافرا بشدّة وقسوة بلا رحمة في بعض الأحيان. أما التجربة بين السنة والموارنة، اللذين لم يكن بينهما تعاون وتفاهم سابق، ولم يحصل حروب ونزاع بينهما، وإن كانت السلطة العائدة للدولة، مارستها السنة. أما التعاون الذي استجد بينهما فدار حول ممارسة السلطة السياسية

---

١ ـ صعوبة ترسيم الحدود بين لبنان وسوريا، بعد انهيار السلطة العثمانية ١٩١٨ وانعقاد مؤتمر الصلح ١٩١٩، تقدم الرئيس الأميركي ولسن باقتراح انتداب فرنسا على سوريا ولبنان وبريطانيا العظمى على فلسطين والعراق. وبعد اتفاق سان ريمو ١٩٢٠، أصبحا سوريا ولبنان دولتان مستقلتان، وكانت أولى مهام الجنرال غورو ترسيم الحدود بينهما، وتم الاتفاق على الحدود في المعاهدة الموقعة بين فرنسا وبريطانيا التي تمثل فلسطين، ومعاهدة أخرى بين فرنسا وتركيا رسمت الحدود في شمالي سوريا، ومعاهدات أخرى رسمت حدود العراق والأردن وفلسطين لكن عندما وصل دور لبنان، كان من الـ ـث أن تقوم فرنسا المنتدبة على هاتين الدولتين، بتوقيع معاهدة مع نفسها لرسم تلك الحدود.

ولم يدخلا بأي نزاع طائفي، إلا مؤخراً أي اعتباراً من عام ١٩٦٧، وما يليها، وبقيت عشرات السنين[١].

وفي ظل دولة لبنان الكبير تم الاعتراف للمرة الأولى بالطائفة الشيعية، بعدما كانت مضطهدة أيام العثمانيين، وقد لجأ أفرادها إلى الجبال أسوة بالموارنة والدروز هرباً من الاضطهاد.

اعترض السنة على إنشاء «دولة لبنان الكبير»، لرفضهم الانفصال عن سوريا، بدعم من البريطانيين. أما الموارنة، فكانوا ينشطون لإنشاء هذا الكيان، باعتباره يقف حاجزاً أمام «العثمنة» و«العروبة» ويضمن استقلالهم في المحيط الإسلامي، مما كان لزاماً إيجاد أرضية سياسية مشتركة بين هاتين الطائفتين[٢].

ذهب رياض الصلح وعددٌ من المواطنين اللبنانيين الذين كانوا على صلة بالانكليز إلى سوريا، فأبلغهم المسؤولون السوريون بتفضيلهم بشارة الخوري على إميل اده القريب من الفرنسيين. وبالنسبة لانضمام الأقضية الأربعة إلى لبنان الكبير، فقد عارض فارس الخوري، تلك الخطوة، لكن سعد الله الجابري وافق عليها[٣].

وكان غورو قد عين لجنة إدارية لمعاونته وفي عام ١٩٢٢ عين مجلساً استشارياً، ونظم شؤون الدولة، ووضع قانوناً للانتخابات، ونظم الدرك والشرطة، وأعطى الامتيازات للشركات الفرنسية، ومسك النقد اللبناني السوري، ورسم حدود لبنان الكبير وأكد استقلال لبنان عن سوريا[٤].

١ ـ د. فريد الخازن، تفكك أوصال الدولة اللبنانية، ص٦٠ و٦١؛ المطران عبد الله خوري مفكرة يومياته إبان المفاضات من أجل لبنان الكبير، باريس ١٩٢٠، الطبعة الأولى ٢٠٠١؛ ـ د. أنطوان لبس، توجهات الإكليروس الماروني السياسية في جبل لبنان ١٨٤٢ ـ ١٨٦٧ (وثائق بكركي)، ١٩٩١؛ أما شكيب أرسلان القومي العربي فقال، إن البطريرك هو رأس الحربة الذي أخذ يبني ويدير المستقبل السياسي لشعبه، د. فيفيان العلم «البطريرك الياس الحويك وإعلان دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، اليوبيل الذهبي للاستقلال، الجامعة اللبنانية، ص ١٩١».

٢ ـ د. فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ٦٠.

٣ ـ باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، ص ١٠٦.

٤ ـ د. حكمت ألبير حداد، المرجع ذاته، ص ٤٥.

الفقرة الأولى ـ الحكام الفرنسيون في دولة لبنان الكبير[١]

النبذة الأولى ـ المفوضون الساميون

١ ـ جورج بيكو، مدني ١٩١٨ ـ ١٩١٩

٢ ـ هنري غورو، عسكري ١٩١٩ ـ ١٩٢٣

٣ ـ مكسيم ويغان، عسكري ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤

٤ ـ موريس ساراي، عسكري ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥

٥ ـ هنري دي جوفنيل، مدني ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦

٦ ـ هنري بونسو، مدني ١٩٢٦ ـ ١٩٣٣

٧ ـ داميان دو مارتيل، مدني ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩

٨ ـ غبريال بيو، مدني ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠

٩ ـ جان كباب، عسكري ١٩٤٠ توفي عندما سقطت طائرته في البحر قبل وصوله إلى لبنان

١٠ ـ هنري دانتز، عسكري ١٩٤٠ ـ ١٩٤١

١١ ـ جورج كاترو، عسكري ١٩٤١ ـ ١٩٤٣

١٢ ـ جان هللو، عسكري ١٩٤٣

النبذة الثانية ـ الحكام المعينون من المفوض السامي

بعدما أعلن غورو دولة لبنان الكبير في ٣١ آب ١٩٢٠ كدولة مستقلة بظل الانتداب الفرنسي، تولى الحكم على التوالي أربعة حكام فرنسيين عينهم المفوض السامي وهم:

ـ الكابتن جورج ترابو (١٩٢٠ ـ ١٩٢٣)

ـ بريفار أوبوار (١٩٢٣ ـ ١٩٢٤)

١ ـ د. دعد بو ملهب عطاالله، المجال اللبناني من إعلان غورو إلى القرار ٤٢٥، قراءة جيوسياسية في دولة لبنان الكبير، الجامعة اللبنانية، ص ٤٩.

- الجنرال فاندنبرغ (١٩٢٤ ـ ١٩٢٥)
- ليون كايلا (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦)[١]

وقد ساعد في الحكم مجلس استشاري من سبعة عشر عضواً عينهم الجنرال غورو لتمثيل مختلف الطوائف في البلاد[٢].

الفقرة الثانية ـ الاقتراع الشعبي الأول (مجلس استشاري)

ما إن دخلت فرنسا إلى الشرق العربي حتى وجدت نفسها أمام تيارين متناقضين، الأول مرحباً بوجودها معلقاً الآمال على تطلعاته وضماناته المستقبلية، ويرى فيها الدولة الصديقة، والثاني متحفظاً، ساخطاً، رافضاً لهذا الوجود، ويرى فيها دولة أجنبية محتلة.

لكن من العبث، النظر إلى تلك التناقضات بصورة سطحية، وإلقاء التهم على هواهنها، فالأمر في حقيقته أكثر تعقيداً وأشد خطورة مما يتصوره البعض، عن خفة أو جهل، أو لتسجيل موقف، ضمن قناعاته أو تحفظاته.

فكان لزاماً على السلطات الفرنسية شرعنة وجودها بالحصول على موافقة الشعب اللبناني.

النبذة الأولى ـ رئيس المجلس الاستشاري الأول (حبيب باشا السعد)

حصل أول اقتراع شعبي في آذار عام ١٩٢٢، بعدما أنشأ غورو مجلساً تمثيلياً للبنان الكبير انتخب أعضاؤه بالاقتراع الشعبي، وكانت المقاعد مقسمة حسب الطوائف.

---

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٠٩.

٢ ـ علي شعيب، تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء ١٩١٨ ـ ١٩٤٦، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٤؛ ـ تجدر الملاحظة بأن علاقة فرنسا بالمسيحيين في لبنان قديمة العهد، ومما يدعو للاستغراب أن الجمعية التأسيسية التي أعلنت الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر وبينما كانت ترسل الكهنة إلى المشانق في فرنسا، أمرت قناصلها في الشرق للعمل على حماية المسيحيين باستمرار، أنظر د. فيفيان العلم، «البطريرك الياس الحويك وإعلان دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، ص ١٩١.

اجتمع المجلس بتاريخ ٢٥ أيار ١٩٢٢، وكان مؤلفاً من ٣٠ عضواً فانتخب بدوره حبيب باشا السعد رئيساً له، لمدة سنتين. ثم تعاقب على الرئاسة مارونيان هما نعوم لبكي وإميل اده وتمتع بحق مناقشة قرارات المفوض السامي[١].

النبذة الثانية ـ ويغان يعد بمزيد من ممارسات استقلالية (١٩٢٣)[٢]

ما إن وصل ويغان إلى لبنان حتى اندلعت فتنة ارتدت في الشوف وعاليه طائفية بغيضة، وحصل عدة جرائم قتل استهدفت إحداها يهودية في مصيف بحمدون، وكمين قتل فيه سبعة مكاريين موارنة في محلة عين اللجة في خراج عين زحلتا، وهم في طريقهم إلى البقاع، ومقتل مكاريين دروز على طريق الدامور وعلى مقربة من معاصر بيت الدين، ومقتل مدير البريد والبرق السني في دير القمر ومقتل عائلة قضى أفرادها الستة في جوار البترون، وهذه الجريمة لم تكن طائفية بل انتقامية محضة بين أبناء طائفة واحدة، وجرائم أخرى كثيرة.

أراد ويغان الإسراع في أصول المحاكمات ليكون المجرمون عبرة للغير، طلب من الحكومة أن تحيل إلى المجلس النيابي مشروع قانون بتشكيل مجلس عدلي من كبار القضاة تكون أحكامه مبرمة غير قابلة لأي طريق من طرق المراجعة. أول مجلس عدلي كان على الشكل التالي: الرئيس نجيب أبو صوان الرئيس الأول للتمييز، والأعضاء القضاة نجيب القباني، رئيس غرفة في التمييز، وسعيد زين الدين، رئيس محكمة الاستئناف والشيخ بشارة الخوري (كان قد عين قاضياً) وأعضاء محاكم التمييز والاستئناف يتناوبون على الجلوس، منهم شكري القرداحي وحبيب لطف الله، وتولى النيابة العامة، سامي الصلح، المدعي العام التمييزي، وقد أحيلت الدعاوى إليه.

تشدد ويغان في تطبيق القوانين، وأصدر تعميماً عن المفوضية العليا يعتبر جرم الشريك أو المتدخل كجرم الفاعل الأصلي، وأعطاه مفعولاً رجعياً ليطبق على الجرائم التي وقعت قبل صدوره والتي كانت قيد النظر، على أن يطبق حالاً. لكن القضاء اللبناني

---

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٠٩.

٢ ـ الأب ريمون هاشم، المرجع ذاته، ص ٣٣٥.

نظر بحذر لهذا التشريع الخطير، فحكم على القاتل بالإعدام وعلى الشريك بالأشغال الشاقة المؤبدة، بالاستناد إلى القانون المعمول به يوم ارتكاب الجريمة، ولم يطبق قرار المفوض السامي إلا على الجرائم التي ارتكبت بعد صدوره.

وعد ويغان اللبنانيين عام ١٩٢٤، بمزيد من الإجراءات التي تعزز الاستقلال في البلاد، بإدخال بعض التعديلات الدستورية الجديدة. كان يناهض الحركات الاستقلالية، أقدم على إلغاء الامتيازات الأجنبية والمحاكم القنصلية، إلا أنه استدعي إلى باريس قبل نهاية السنة.

النبذة الثالثة ـ ساراي يزعزع المجتمع بأسره (١٩٢٤ ـ ١٩٢٥)(١)

حل المفوض السامي الجنرال ساراي المجلس التمثيلي بتاريخ كانون الثاني ١٩٢٥، ودعا إلى انتخابات جديدة في تموز، وقد تعهد المجلس التمثيلي الجديد، بولادة الجمهورية اللبنانية عام ١٩٢٦، وبذلك تحول إلى أول مجلس نيابي في لبنان(٢). لكن ساراي أخذ يستهتر بالإكليروس، ويواجه المعارضة، ويعامل الدروز معاملة خشنة، مما أطلق شرارة الثورة عليه فبدأت من حوران في سوريا منتقلة إلى لبنان، فاستدعي دون إبطاء إلى فرنسا. وكان حلّ المجلس التمثيلي ودعا لإجراء انتخابات جديدة، كما أنه ألغى الأحكام العرفية التي كانت سائدة في البلاد منذ عام ١٩٢٠(٣).

---

١ ـ الأب ريمون هاشم، المرجع ذاته، ص ٣٣٩.
ـ د. فيفيان العلم، المجالس التمثيلية في دولة لبنان الكبير ١٩٢٠ ـ ١٩٢٦ تركيبتها، أدوارها والتوازنات، في دولة لبنان الكبير، الجامعة اللبنانية، ص ٧٣؛ ـ د. أنطوان الحكيم، المحاولة الأولى لإلغاء الطائفية السياسية في لبنان، الجنرال ساراي انتخابات ١٩٢٥، في التمثيل الشعبي والانتخابات في لبنان، الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٥، ص ٢٥١.

٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٠٩.

٣ ـ في ١٣ كانون الثاني عام ١٩٢٥، أصدر الجنرال ساراي القرار رقم ٧ حل بموجبه المجلس التمثيلي الأول، نتيجة الخلاف الذي نشأ مع أعضاء ذلك المجلس عندما أبلغهم أن حاكماً لبنانياً سيحل مكان فاندنبرغ. أصر النواب معرفته، استغل ساراي الفرصة وحل المجلس، أنظر: أنطوان حكيم، التمثيل الشعبي، المرجع ذاته، ص ٣٠٩.

في أيار ١٩٢٤، انتصر اليسار الفرنسي في الانتخابات التشريعية مما قاد إلى تعديلات جذرية في الشرق، ومنها استدعاء الجنرال ويغان ليحل الجنرال ساراي مكانه، الذي كان شرس الأخلاق ومناهضاً للإكليروس.

“Le Général Sarrail, républicain extrémiste, avait un for mauvais caractère” .(١)

الفرع الثالث ـ إعلان «الجمهورية اللبنانية» ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦

عُين هنري دي جوفنيل الصحافي بدلاً من ساراي وكان أحد الأعضاء البارزين في مجلس الشيوخ الفرنسي. فور وصوله إلى بيروت عام ١٩٢٥ عالج الوضع وانصرف إلى إقامة نظام دستوري، كبرهان عن حسن النوايا الفرنسية كدولة منتدبة، تجاه لبنان. في عهده وضع الدستور اللبناني وأنشأت الجمهورية اللبنانية وانتخب أول رئيس لها(٢).

الفقرة الأولى ـ نشأة وتطور الحياة البرلمانية

النبذة الأولى ـ مجلس إدارة جبل لبنان

تعود نشأة الحياة البرلمانية في جبل لبنان إلى مجلس الإدارة في نظام المتصرفية وقد شكل هذا المجلس أول نظام برلماني في الشرق. تألّف من ١٢ عضواً وأصبح ١٣ عام ١٩١٣، حلّه جمال باشا عام ١٩١٥. عاد للانعقاد بعد الحرب العالمية الأولى، وأرسل وفوداً ثلاثة إلى مؤتمر الصلح المنعقد في باريس للمطالبة بالاستقلال.

بعد دخول الجنود الفرنسيين إلى لبنان، لاحقت السلطات الفرنسية سبعة من أعضائه وهم الياس الشويري، محمد الحاج محسن، سعد الله الحويك، خليل عقل، سليمان كنعان، محمود جنبلاط، فؤاد عبد الملك.

---

١ ـ أنظر: Béchara Khalil El-Khoury, Réalités Libanaises 1960, p. 121.

٢ ـ الأب ريمون الهاشم، المرجع ذاته، ص ٣٤٢؛ ـ كرس دستور ٢٣ أيار ١٩٢٦ ولادة الجمهورية اللبنانية لكنه لم يضع حداً للانتداب، أنظر فارس ساسين، سليم تقلا، من بناء الدولة إلى معارك الاستقلال ٢٠٠٦، ص ٤٣٢.

النبذة الثانية ـ مجلس استشاري

بعدما ألغى الجنرال غورو المجلس الإداري في أيلول ١٩٢٠، عين مجلساً استشارياً مؤلفاً من ١٧ عضواً برئاسة داود عمون وحلّه بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٢٢.

الفقرة الثانية ـ المجلس النيابي الأول يعلن ولادة «الجمهورية اللبنانية»

بعد انتخابات ١٩٢٦، دعي المجلس النيابي للانعقاد بهدف سن دستور للبلاد، وبذلك تحول إلى جمعية تأسيسية. اختيرت لجنة من أعضائها لدرس المشروع وتحضيره، وبتاريخ ٢٣ أيار ١٩٢٦ وافقت الجمعية على النص الدستوري محولاً «دولة لبنان الكبير» إلى «الجمهورية اللبنانية»[١].

لعب ميشال شيحا، الآشوري الأصل، المتمول والمفكر الكاثوليكي دوراً بارزاً في تحضير مسودة الدستور، تاركاً المجال واسعاً للتقاليد والعادات اللبنانية كي تأخذ مجراها في الحياة السياسية، وملزماً رئيس الجمهورية بقسم يمين الولاء لـ «الأمة اللبنانية». لكن العلاقات الخارجية بقيت مقيّدة بالسياسة الفرنسية، ومنح المفوض السامي حق نقض جميع القوانين التشريعية الأساسية التي لا يوافق عليها، وحل مجلس النواب وتعليق العمل بالدستور[٢].

مارس المفوض السامي سلطة واسعة، أكثر مما حدد له الدستور، فعين مستشارين فرنسيين في مختلف دوائر الحكومة ومارس رقابة فعلية على الإدارة وفرض اللغة الفرنسية كلغة رسمية، إلى جانب اللغة العربية، وكان العلم اللبناني، عبارة عن العلم الفرنسي، المثلث الألوان، وفي وسطه الأرزة، رمزاً للوصاية الفرنسية على لبنان[٣].

---

١ ـ الأب ريمون الهاشم، المرجع ذاته، ص ٣٥٠ إلى ٣٩٠.
٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢١١.
٣ ـ بعدما ازدادت النقمة على الجنرال ساراي، استدعته الحكومة الفرنسية في أيلول ١٩٢٥، وعينت مكانه هنري دو جوفنيل عضو مجلس الشيوخ، ولم يكن يسمح له بالتغيب أكثر من ٦ أشهر وعليه العودة في أيار ١٩٢٦، استدعى دو جوفنيل، بول سوشييه، الاختصاصي في القانون الدستوري، لوضع الدستور اللبناني: أنظر، د. أنطوان الحكيم، ولادة دستور لبنان عام ١٩٢٦ في دولة لبنان الكبير، المرجع ذاته، ص ٣٢ و٣٦.

قُسمت السلطة التشريعية إلى مجلسين: مجلس نواب ينتخبه الشعب لمدة أربع سنوات، ومجلس شيوخ، يعين رئيس الجمهورية سبعة من أعضائه الستة عشر، وتكون مدته ست سنوات. وكان يتم انتخاب رئيس الجمهورية من قبل المجلسين، لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

الفقرة الثالثة ـ شارل دباس رئيس الجمهورية الأول ١٩٢٦

بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٢٦، عقد مجلسي النواب والشيوخ، جلسة مشتركة، انتخب فيها شارل دباس، المحامي والصحافي الأرثوذكسي، أول رئيس للجمهورية. كان اقتراح فرنسا، بترشيحه، موفقاً إلى حد كبير، كونه ساهم في تخفيف حدة المعارضة، وهو مقبول من الطوائف الإسلامية، ولم يكن من أعضاء لجنة باريس، أعيد انتخابه لولاية ثانية عام ١٩٢٩[١].

أنيطت السلطة الإجرائية برئيس الجمهورية، وهذه لم تكن كلها مستوحاة من دستور الجمهورية الثالثة الفرنسية، إنما أيضاً من دساتير أخرى كالدستور المصري لعام ١٩١٣، والبلجيكي لعام ١٨٣١ والفرنسي لعام ١٨٣٠ (أيام الملك لويس فيليب دورليان)، بالإضافة، هناك لمسة أخرى من الدستور المصري، حول فكرة «الله العلي» فالمادة المتعلقة بحرية الاعتقاد مطلقة والدولة بتأديتها فروض الإجلال للّه تعالى، تحترم جميع الأديان والمذاهب.

الفقرة الرابعة ـ البدء بتنظيم الجمهورية[٢]

بعد ولادة الجمهورية اللبنانية عام ١٩٢٦، لعب روبير دي كيه، دوراً بارزاً في إرساء بعض القواعد في محاولة لبدء تنظيم الإدارة اللبنانية ومنها:

أولاً ـ إعادة تنظيم الدرك اللبناني الذي أنشئ في عهد المتصرفية.

---

١ ـ الأب ريمون الهاشم، المرجع ذاته، ص ٣٥٣.
٢ ـ د. أنطوان الحكيم، ولادة دستور لبنان عام ١٩٢٦، في دولة لبنان الكبير، الجامعة اللبنانية، ص ٢٦؛ كذلك مقالة «المحاولة الأولى لإلغاء الطائفية السياسية في لبنان: الجنرال ساراي وانتخابات ١٩٢٥، في التمثيل الشعبي والانتخابات في لبنان، مجموعة مؤلفين، الجامعة اللبنانية ٢٠٠٥.

ثانياً ـ إعادة تنظيم الشرطة في بيروت وهي من مخلفات العهد العثماني.

ثالثاً ـ إعادة الاستقرار إلى البلاد، بعد الفوضى والشغب اللذين عمَّا آنذاك، وملاحقة المجرمين في جميع المناطق.

رابعاً ـ ربما هو الذي اقترح على الجنرال غورو في آذار ١٩٢٠ إيجاد نقد خاص لسوريا ولبنان وترك أمر إصداره لفرع من البنك العثماني يسمى «بنك سوريا ولبنان» واستمرت هذه المؤسسة تصدر النقد اللبناني إلى تاريخ إنشاء «مصرف لبنان» عام ١٩٦٤.

خامساً ـ وضع قانون انتخابي جديد عُمِلَ به حتى عهد الاستقلال.

سادساً ـ تنظيم القوانين العقارية في البلاد.

سابعاً ـ اختيار لجنة من مبرمجي المعاهد الفرنسية في لبنان للقيام بإدارة الدولة اللبنانية.

الفقرة الخامسة ـ الدستور وتعديلاته ١٩٢٧ و١٩٢٩ و١٩٣٤

أقر الدستور عام ١٩٢٦ لكنه خضع لعدد من التعديلات منها:

ـ التعديل الأول تم عام ١٩٢٧، لاغياً مجلس الشيوخ، مستبدلاً كلمة «برلمان» من كل النصوص بعبارة مجلس النواب، والقصد منه، عدم الافتراق فيما ذهب إليه الوضع في فرنسا، باعتماد النظام البرلماني، فحاول آباء الدستور اللبناني عدم التسليم صراحة بالنظام البرلماني التقليدي، وتعزيز مركز رئاسة الجمهورية، ليس من باب تقوية طائفة على أخرى حيث كان أول رئيس جمهورية أرثوذكسياً هو شارل دباس، والشيخ محمد الجسر الذي ترشح فيما بعد للرئاسة لكنه تراجع قبل موعد الانتخابات، في وقت لم تكن فيه واضحة بعد القوى السياسية والأحزاب وعدم رسوخ التقليد البرلماني[1].

ـ أما التعديل الثاني فحصل في أيار ١٩٢٩، رافعاً مدة ولاية رئيس الجمهورية من ثلاث إلى ست سنوات مانحاً إياه حق حل مجلس النواب. وبتاريخ لاحق عين رئيس الجمهورية إميل اده، خير الدين الأحدب رئيساً للوزارة، وبعد سريان هذا

١ ـ داود الصايغ، النظام اللبناني وتحولاته، ص ٢٣.

التقليد أصبحت رئاسة الوزارة من حق المسلمين السنة، فتناوب عليها على التوالي خالد شهاب، وعبد الله اليافي، وأحمد الداعوق، وسامي الصلح، مما قاد إلى ولادة الميثاق الوطني عام ١٩٤٣.

كان مجلس النواب يتألف من نواب منتخبين، وآخرين معينين بمرسوم من رئيس الجمهورية، يُتخذ في مجلس الوزراء، حرصاً على تمثيل الطوائف والمناطق، وكان عدد النواب المعينين يوازي نصف عدد النواب المنتخبين.

استهدف هذا التعديل تعزيز السلطة التنفيذية بعد إلغاء مجلس الشيوخ[1] الذي لم يُعمل به إلا ١٨ شهراً (من أيار ١٩٢٦ حتى تشرين الأول ١٩٢٧).

ـ وفي تعديل ٢ كانون الثاني ١٩٣٤ الذي ورد في المادة الرابعة من قرار المفوض السامي دومارتيل فقد ألغى الانتخابات غير المباشرة وأصبح معه مجلس النواب مؤلفاً من نواب منتخبين، على أساس نائب عن كل خمسين ألفاً، ومن سبعة نواب يعينون بمرسوم من رئيس الجمهورية يتخذ بموافقة مجلس الوزراء ويكونون من الطبقات التالية:

أ ـ من محامين وأطباء وأساتذة التعليم العالي ومهندسين ومديري الجرائد أو رؤساء تحريرها، شرط أن يكونوا قد مارسوا حرفتهم مدة عشر سنوات على الأقل.

ب ـ من تجار وصناعيين ومزارعين تولوا إدارة محل تجاري أو مؤسسة طباعية أو زراعية مدة عشر سنوات على الأقل.

ج ـ من موظفين حاليين أو قدامى من السلك الإداري أو القضائي أو شغلوا وظائف تعادل وظيفة مدير دائرة أو رئيس غرفة في محكمة الاستئناف أو تفوقهما».

الفقرة السادسة ـ أزمة مصيرية تهدد الجمهورية الأولى[2]

انطلقت الجمهورية الأولى، في ١٣ أيار ١٩٢٦ وهي جمهورية دستورية تتمتع بهيئتيها التشريعية والتنفيذية. وجهت الدعوة لانتخاب مجلس نيابي جديد. في عام

١ ـ الأب ريمون هاشم، المرجع ذاته، ص ٣٥١.
٢ ـ لحد خاطر، آل السعد، تاريخ لبنان ١٩٦٩، ص ٢٩٥.

١٩٣٢ نشأت أزمة مصيرية حاسمة، عندما قاربت ولاية الرئيس شارل دباس لنهايتها، وقد تنافس على المقعد كل من إميل اده وبشارة الخوري، وكانت المعركة بينهما عنيفة جداً. وعندما أحس الأول بضعف مركزه لجاء إلى خطوة غير مألوفة واعداً رئيس مجلس النواب الشيخ محمد الجسر بمساندته في معركة الرئاسة إذا اتفق وأنصاره على سحب تأييدهم للشيخ بشارة الخوري الذي يتمتع بعلاقات حسنة مع المسلمين بعكس اده. لاقى ترشيح الشيخ محمد الجسر معارضة شديدة من فئات متعددة، لكن تبين لاحقاً بأن هذا الترشيح لم يكن جدياً، فالبطريركية المارونية اعتبرته مناورة[١]. أما الشيخ بشارة الخوري، فيقول أن بعض نواب الموارنة شجعوا الجسر للترشح، أمثال إميل اده، وحبيب باشا السعد وجورج تابت، وروكز أبو ناضر ويوسف الخازن وسامي كنعان[٢].

أصدر المفوض السامي بونسو، قراراً في ٨ أيار ١٩٣٢، علّق بموجبه العمل بالدستور، وكانت الحكومة قد استمرت لأكثر من سنتين، وهي أطول مدة لأي حكومة عرفها الانتداب، ثم كلف رئيس الجمهورية شارل دباس، تولي رئاسة الحكومة شخصياً، يعاونه المديرون العامون ولم يكن في ذلك الحين لا مجلس نواب، ولا وزراء ولا من يوزّرون[٣].

إن إقدام الفرنسيين على تلك الخطوة، مردها تخوفهم من مطالبة اللبنانيين بالاستقلال، لأن النواب منذ انتخابهم عام ١٩٢٦، كانوا يطالبون بذلك، وزاد الأمر صعوبة، الضائقة الاقتصادية التي حلت عام ١٩٢٩، بالإضافة إلى النزاعات السياسية والطائفية والحزبية العنيفة بين أنصار الشيخ بشارة الخوري والسيد إميل اده، مما دفع إلى تعليق العمل بالدستور[٤].

شكّلت حادثة ترشيح الشيخ محمد الجسر لرئاسة الجمهورية السبب الظاهر لإقدام المفوض السامي هنري بونسو (١٩٢٦ ـ ١٩٣٣) إلى التدخل مستدعياً إياه بصفته رئيساً لمجلس النواب، إلى دار المفوضية وإبلاغه قراره تعليق العمل بالدستور،

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٢٢ وما يليها.
٢ ـ بشارة خليل الخوري، حقائق لبنانية، ص ١٧٦.
٢ ـ جبران تويني ٢٥ سنة، ١٩٧٣، ص ٦٨.
٤ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته؛ ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، ص ١٧٩.

وبالتالي حل المجلس وتأجيل انتخاب رئيس الجمهورية إلى أجل غير مسمى[١]. وقد بلغت معركة الحريات الصحافية آنذاك أوجها، ولم يكن للسلطات سوى اختيار التعطيل الإداري.

أقدم الرئيس شارل دباس على تطهير الإدارة فأوقف بعض الموظفين الكبار في الأشغال العامة والزراعة والصحة العامة، لكن هذه التدابير خلقت سلبيات، وظهر بمظهر الدكتاتور، مما اضطره إلى تعليق التدابير القضائية، ومع ذلك أعطى لبنان إدارة نظيفة وثابتة[٢].

الفقرة السابعة ـ الكونت دو مارتيل، يرفض توطين اليهود في الجنوب

عام ١٩٣٣، عُين الكونت دومارتيل مفوضاً سامياً، وكان مشهوراً بحبه للديموقراطية والميل إلى التفكير الواقعي. وكان يتجه إلى اعتماد الانتخابات النيابية بدرجة واحدة مباشرة من الشعب. وفي بداية عام ١٩٣٤، أعلن عن الدستور الجديد الذي سيبدأ تنفيذه في كانون الثاني ١٩٣٤، وقد نصّ على إنشاء سلطة تنفيذية تتكون من رئيس الجمهورية يساعده أمين سر عام مسؤول أمامه، ومن مجلس نواب يضم ٢٥ عضواً بينهم ١٨ ينتخبهم الشعب مباشرة و٧ تعينهم السلطة الفرنسية واللبنانية (من الذكور البالغين). ومن مآثر دو مارتيل، رفضه مشروع نقل اليهود وتوطينهم ما بين صيدا وصور، بالرغم من موافقة بعض السياسيين اللبنانيين عليه (منهم رئيس جمهورية ورئيس وزارة).

قام دو مارتيل بمشاريع عمرانية، فأنشأ المطار في بئر حسن، ونقل الرمل رادماً فيه البحر وأنشأ الحوض الثاني. وفي أيامه تقلصت سلطة الانتداب المطلقة، بعقد المعاهدتين السورية واللبنانية (لم تعقدا). يعود له الفضل في ري أراضي واسعة من مياه بحيرة حمص[٣].

١ ـ كمال صليبي، المرجع ذاته، ص ٢٢٤ وما يليها.
٢ ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، «كان المطران مبارك من أشد المعارضين للدباس إلى حد أنه أعلن العصيان المدني عليه».
٣ ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، ص ١٨٣.

وعين حبيب السعد، رئيساً للجمهورية وعبدالله بيهم سكرتيراً عاماً. وأصبح المدراء العامون مرتبطون بالسكرتير العام، وفصلت الإدارة العامة إلى حد كبير عن السياسة.

النبذة الأولى ـ رئاسة الوزارة إلى الموارنة

١ ـ أوكل شارل دباس رئيس الجمهورية، تأليف الوزارة إلى أوغست باشا أديب، الأمين العام الماروني، وكان متمرساً في الإدارة المالية، دامت الوزارة أقل من سنة.

٢ ـ تسلم رئاسة الوزارة ما بين عامي ١٩٢٧ و١٩٣٠ كل من حبيب باشا السعد ونسيبه بشارة الخوري، وإميل اده، العضو في المجلس التمثيلي، الذي شكل وزارته عام ١٩٢٩[١] وبقيت خمسة أشهر، أما بشارة الخوري، فكان الأكثر توفيقاً إذ شكل ثلاثة وزارات بين عامي (١٩٢٧ ـ ١٩٢٩) وبقي رئيساً للوزارة نحو سنتين.

النبذة الثانية ـ مستشار الوزارة الفرنسي بمثابة مراقب للوزير

عيَّنت السلطات الفرنسية مستشاراً فرنسياً لكل وزارة وكان يعتبر بمثابة مراقب للوزير، يعد ويحصي كل تحركاته، ولا أحد يتجرأ على إقفال الباب الذي يصل بين مكتب الوزير ومكتب المستشار، وقد لحظ جبران التويني، أنه عندما كان وزيراً للتربية قرر إقفال الباب وأمر بوصول البريد إليه مباشرة، على الرغم من اعتراض المستشار آنذاك.

١ ـ عُرف عن إميل إده نظافة الكف والالتزام بالكلمة والحس الوطني. وعندما رأس الحكومة، زار إحدى المدارس الحكومية، فرأى الفوضى عارمة، والمعلم غير موجود، مفوضاً أحد أكبر الطلاب سناً ليحل محله، وما إن نالت حكومته الثقة على أساس الصلاحيات الاستثنائية، حتى أصدر مرسومان يقضيان بإلغاء المدارس الحكومية ريثما يوضع تنظيم جديد، وتنظيم المحاكم الشرعية، فيكون للمسيحيين محاكم روحية، وللمسلمين محاكم شرعية. أنظر د. معكرون، الرئيس اده والاستقلال، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ٢٨١.

النبذة الثالثة ـ الفرنسيون المنتدبون لا يعيرون وزناً للسلطات اللبنانية

كان الفرنسيون المنتدبون في لبنان يمارسون سلطاتهم بصورة فوقية متعالية، وكانت الفرنسية اللغة الرسمية، وخير دليل على تلك المعاملة ما ذكره جبران التويني وزير التربية عام ١٩٣٠، حين رفض الرسائل المحالة إليه بالفرنسية، طالباً وضعها بالعربية، وكان يحرص كثيراً على تحرير اللغة «الدواوينية» الموروثة عن اللغة العثمانية ويطلب تصحيح الأخطاء اللغوية، ومما يروى أنه التقى في السرايا المسيو روكلو نائب مندوب المفوض السامي، الحاكم العام المسيو سولونياك، الذي لم يرفع قبعته، كما هي العادة عند الفرنسيين، فما كان من جبران التويني إلا أن رفع طربوشه بشكل ظاهر، مع أن الطربوش لا يرفع، مما دفع روكلو إلى الاعتراض لدى رئيس الجمهورية شارل دباس، فأجاب جبران التويني أن الفرنسيين مهذبون في فرنسا، فلماذا لا يتهذبون في لبنان[١].

الفرع الرابع ـ تعليق العمل بالدستور (١٩٣٢ ـ ١٩٤٣)

أثار تعطيل الدستور عام ١٩٣٢ بلبلة في الأوساط السياسية إذ دام إحدى عشر سنة. في عام ١٩٣٣ قدم الرئيس شارل دباس استقالته فأصدر المفوض السامي أمراً بتعيين حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية سنة واحدة تبدأ من آخر كانون الثاني سنة ١٩٣٤.

الفقرة الأولى ـ الشيخ الجسر، رئيساً لمجلس الشيوخ ثم لمجلس النواب

نجح رئيس الجمهورية شارل دباس بإقناع الوجيه الطرابلسي الشيخ محمد الجسر في المشاركة في إدارة شؤون البلاد، فترأس مجلس الشيوخ ثم مجلس النواب من العام ١٩٢٦ إلى ١٩٣٢، بالرغم من الانتقادات القاسية التي أطلقت عليه من الزعماء المسلمين استمر بالقول بأن الأمور تسير بوتيرة طبيعية، وأنه لا خير من المعارضة، بل الأوفق السير بإدارة البلاد بصورة أفضل، ومع ذلك بقيت أغلبية المسلمين معارضة.

١ ـ جبران تويني، المرجع ذاته، ص ٦٦.

وعليه، فإن طالب عبد الحميد كرامي من طرابلس وصائب سلام من بيروت بالاتحاد مع سوريا، فإن غيرهم من أمثال الصحافي الطرابلسي الأصل خير الدين الأحدب، وصديقه رياض الصلح وسواهما، من شباب آل الصلح، كانوا يطالبون بالوحدة العربية الشاملة[١].

هذه الانقسامات أفادت الشيخ محمد الجسر سياسياً وأصبح الممثل الأوحد للطائفة السنية، طيلة عهد الرئيس دباس أي حتى عام ١٩٣٢[٢].

كان النقاش في لبنان، يدور دوماً حول ما إذا كان اللبنانيون بحاجة إلى نفوذ خارجي لتوطيد الأمن، أم إنهم قادرون على حكم بلادهم بأنفسهم. فإذا ظهرت مرجعية ما، فإن قسماً من اللبنانيين يطمئنون إليها ويأخذون بالتصرف على أساس أن تلك المرجعية ستكون لهم في الوطن النهائي[٣]، لكن إذا ما تغيرت، وجاءت مرجعية خارجية مغايرة، يقوم القسم الآخر من اللبنانيين على بذل قصارى جهده، لاستغلال النفوذ، لتعزيز أوضاعه الداخلية، الأمر الذي ظهر كأنه «يوم لك ويوم عليك» فيتأرجح هذا الوطن بأمنه واستقراره تبعاً للأهواء والظروف والمناسبات.

التجربة اللبنانية مغايرة تقريباً لما حصل في العالم، فإذا كانت بعض الدول قد نشأت أو زالت أو توحدت أو تقسمت بفعل الحروب عبر التاريخ، فإن لبنان كان فريداً[٤]، فمنذ ما يزيد عن المائة وخمسين سنة أي منذ ١٨٦١ إلى اليوم توالت أنظمة الحكم، من المتصرفية، وانفجار الوضع فيها وبعدها إلى الحكم العثماني المباشر إلى الانتداب ثم إلى الاستقلال، حقبات عنف، وإن بدت متلاحقة في الزمن، فهي تعتمد في جوهرها، على الأسس والأساليب نفسها، تغذية النعرات الطائفية التي للأسف، تلقى الرواج بسرعة مذهلة لدى جميع اللبنانيين.

١ ـ الأب ريمون هاشم، المرجع ذاته، ص ٣٦٩.
٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ٢١٩.
٣ ـ داود الصايغ، لبنان والعالم، ص ٢٦.
٤ ـ داود الصايغ، المرجع ذاته، ص ٣٨.

فإذا كان لبعضهم، وطن نهائي، يجب المحافظة عليه بكل الوسائل والطرق فللبعض الآخر آمال وأحلام بتأسيس الوطن العربي الواحد الموحد، علماً بأن الاختلافات الطائفية اللبنانية، ليست بحد ذاتها الدافع أو المسبب للنزاع، إنما المداخلات والتدخلات الخارجية التي كانت تغذي هذه التفرقة، بغية سيطرتها بسهولة على الواقع. استمرت المعارضة من العام ١٩٢٠ إلى ١٩٤٣ حين استقلت الدولة اللبنانية. بعد عام ١٩٢٠ شعر السنة بأنهم انفصلوا عن الساحل السوري، مما عرض مصالحهم للخطر، وما إن برزت الدعوة الهاشمية حتى انطلقوا لمناصرتها، تحت شعار القومية العربية.

كان الفرنسيون يعارضون الحركة الهاشمية لأنهم رأوا فيها قوة تمنعهم من التصرف بالمنطقة على هواهم، بعكس البريطانيون الذين دعموا تلك الحركة، ورأوا فيها إمكانية بسط امتدادهم من خلالها في الشرق الأدنى[١].

الفقرة الثانية ـ أوبوار يحل مكان شارل دباس (٢ كانون الثاني ١٩٣٣)

استقال شارل دباس في ٢ كانون الثاني ١٩٣٣ فعُين بريفار أوبوار أحد أركان المفوضية الفرنسية، وحاكم لبنان الكبير سابقاً، رئيساً للدولة[٢].

الفقرة الثالثة ـ بيهم رئيس مجلس المديرين: أمين سر الدولة

في هذه الأثناء بقي مجلس المديرين، يمارس مهمته برئاسة عبد الله بيهم، أحد وجهاء المسلمين في بيروت وذلك كأمين سر الدولة.

الفقرة الرابعة ـ السعد رئيساً للجمهورية (٣١ كانون الثاني ١٩٣٣)

أصدر المفوض السامي بتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩٣٣ قراراً بتعيين حبيب باشا السعد، رئيساً للجمهورية، والبالغ من العمر آنذاك الخمسة والسبعين سنة، وذلك لمدة سنة، مددت سنة أخرى، وكان بريفار أوبوار، قد دعى إلى انتخاب مجلس نيابي جديد.

١ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص٦٢.
٢ ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، ص ١٨٤.

الفقرة الخامسة ـ انتخابات نيابية ثم رئاسية (١٩٣٥)

جرت انتخابات نيابية لـ ١٥ عضواً، عيَّن المفوض السامي سبعة منهم. ثم دعى بتاريخ كانون الأول ١٩٣٥ مجلس النواب إلى انتخاب رئيس للجمهورية، خلفاً لحبيب باشا السعد، لمدة ثلاث سنوات غير قابلة التجديد وحدد كانون الثاني ١٩٣٦ موعداً لها. وإذ بالخصمان اللدودان، اده والخوري، وجهاً لوجه من جديد.

النبذة الأولى ـ اده رئيساً للجمهورية (١٩٣٦)

جرت الانتخابات الرئاسية بتاريخ ٢ كانون الثاني ١٩٣٦ فاز فيها إميل اده بفارق صوت واحد. أقدم اده على تعيين أيوب ثابت، أمين سر الدولة، محل عمر بيهم، فكان لهذا التعيين وقع سيء لدى المسلمين، الذين اعتادوا أن يكون هذا المنصب من نصيبهم.

يقول بشارة الخوري أن الانتخابات الرئاسية جرت بتوجيه من السيد دو مارتيل. ففي الدورة الأولى نال إميل اده ١٣ صوتاً وبشارة الخوري ١٢ صوتاً. وأعيد الاقتراع لعدم توفر الثلثين، فنال إميل اده ١٤ صوتاً وبشارة الخوري ١١ صوتاً، والصوت الإضافي كان لكميل شمعون[1].

النبذة الثانية ـ الأحدب رئيساً للحكومة (١٩٣٧)

بتاريخ ٢٤ تشرين الأول ١٩٣٧، جرت انتخابات نيابية لعلها فريدة من نوعها، ائتلافية، بين ممثلي الكتلة الدستورية والكتلة الوطنية، على أثرها أعلن دو مارتيل، في ٤ كانون الثاني ١٩٣٧، عودة الحياة الدستورية إلى لبنان[2]، وفي اليوم ذاته، طلب الرئيس اده، من خير الدين الأحدب، تأليف حكومة تحل محل مجلس المديرين، فتسلم الأحدب الذي كان يطالب بالوحدة العربية، السلطة الإجرائية حسب الدستور، بعدما اقتنع بأن التمسك بالكيان اللبناني أمر ضروري، من الواجب تدعيمه[3].

١ ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، ص ١٩٧.
٢ ـ جبران تويني، المرجع ذاته، بيروت ١٩٧٣، ص ١٣٢.
٣ ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، ص ٣٠٥؛ في عام ١٩٣٦ وضعت معاهدة لبنانية ـ فرنسية واستبدل المفوض السامي، بسفير لفرنسا، لكن هذه المعاهدة لم توافق عليها السلطات الفرنسية، أنظر فارس ساسين، سليم تقلا، المرجع السابق، ص ٣٤٤.

النبذة الثالثة ـ تكريس رئاسة الحكومة للطائفة السنية

أول من تولى رئاسة الحكومة من الطائفة السنية كان الرئيس خير الدين الأحدب، الذي رغم الانتقادات العاصفة ضده، استمر في ممارسة مهامه، وأعاد النظر في حكومته خمس مرات ليرضي أنصاره وأنصار اده والخوري، وترك الحكم في آذار ١٩٣٨. خلفه الأمير خالد شهاب من حاصبيا، وبعده عبد الله بيهم من بيروت، الذي ترأس الوزارة عند نشوب الحرب العالمية الثانية[1].

النبذة الرابعة ـ مجلس الخمسة وعشرين نائباً

كان مجلس الخمسة وعشرين نائباً، أفضل مجلس عرفه لبنان. فالعدد كان كافياً لمعالجة شؤون البلاد ومشكلاته، ووفر مناقشات طويلة، متشعبة، عميقة. أضف إلى ذلك أن أمين السر لم يكن مسؤولاً أمامه. لذلك حجبت المناصب الوزارية عن النواب الذين لم يجدوا أية ضرورة آنذاك لارضاء كبار المسؤولين، ومسايرتهم بغية الظفر بمقعد وزاري ورغم ذلك يصبح الحكم تائهاً غير قادر على الثبات وعاجزاً عن التمادي مع آمال رجالات السياسة، خاصة لتوفير الحريات العامة[2].

الفرع الخامس ـ تداعيات الحرب العالمية الثانية على الوضع اللبناني

في سوريا، أعلن الإضراب احتجاجاً على مواقف السلطة المنتدبة، وأخذ السياسيون يطالبون بإلغاء الانتداب وبانسحاب فرنسا الكامل، مما أدى للّجوء إلى معاهدة لضبط العلاقات الفرنسية السورية، مما دفع اللبنانين للمطالبة بخطوة مماثلة لمتابعة المبادرات الآيلة إلى استقلال البلاد. قام كل من كميل شمعون وميشال زكور وفريد الخازن، بمقابلة دو مارتيل وكان الجو عاصفاً بينهم في البداية ثم ما لبث أن

١ ـ بعد توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية في تشرين الثاني ١٩٣٦، انحسرت بشكل قوي الدعوة للوحدة السورية. اندفع القادة المسلمون في بيروت وبدعم من دمشق لتولي المناصب السياسية. كذلك في الجنوب اندفعت العائلات مثل العبد الله، الخليل، بيضون، الأسعد، وراحت تتنافس على الزعامة، أنظر: أنطوان الحكيم، التمثيل الشعبي، المرجع ذاته، ص ٢٩٣.
٢ ـ كميل شمعون، مذكراتي، الجزء الأول، ١٩٨٨.

همد، وقد تقدموا بمذكرة تناولت:

- عودة لبنان إلى الحياة السياسية والنيابية
- إنهاء الانتداب
- الاعتراف بسيادة لبنان واستبدال الانتداب بمعاهدة صداقة

كانوا ثلاثتهم ينتسبون إلى الكتلة الدستورية التي ما لبثت أن أخذت بالتوسع فانضم إليها في بادئ الأمر مجيد أرسلان، وحميد فرنجية وصبري حمادة وسليم تقلا، وبعد ستة أسابيع بشارة الخوري.

سنة ١٩٣٧ وضع قانون جديد للانتخابات في لبنان، رفع عدد النواب إلى ستة وستين إذ زعم كثيرون بأن الخمسة والعشرين عدد غير كاف لتعزيز الديموقراطية البرلمانية، وإذا فازت الحكومة بأغلبية بسيطة تصبح رهن غالبية مائعة، وكان إميل اده رئيساً للجمهورية الذي فاز وقتئذٍ على منافسه بشارة الخوري[١].

الفقرة الأولى ـ إقالة الحكومة وتعليق العمل بالدستور مجدداً (١٩٣٩)[٢]

أقدم المفوض السامي بيو لدى نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ على حل المجلس النيابي في أيلول وإقالة الحكومة، وتعليق العمل بالدستور، وعين عبد الله بيهم أمين سر للدولة يعاونه مستشار فرنسي، ثم عين اده رئيساً للجمهورية ورئيساً للدولة، لكن تلك الرئاسة كانت خاوية خالية من الصلاحيات، ففضل اده التزام منزله[٣].

الفقرة الثانية ـ مواقف حربية وأمنية متقدمة

أخفقت القوات الفرنسية بالتصدي لقوات المحور، وإذ بقوات فيشي تحرز تقدماً، مما دفع كبار موظفي الانتداب الفرنسي في لبنان لإعلان التمرد على سلطة فيشي، لكن

١ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، ص ٢٠٩.

٢ - Béchara El Khoury, Réalités Libanaises, p. 220 et s.

٣ - توالى على منصب المكلف بالشؤون الخارجية، كل من الوزراء سليم تقلا، خليل كسيب، حميد فرنجية، حبيب أبو شهلا، لكن هذا المنصب كان معدم الصلاحية، أنظر فارس ساسين، سليم تقلا، المرجع ذاته، ص ٣٤٥.

ما لبثوا أن جهروا بالطاعة. غير أن اللبنانيين لم يكونوا مقتنعين بما يحصل، خاصة وأن السلطات الفرنسية كانت بالنسبة لهم رمز الديمقراطيات، لا يمكن قهرها!

بقيت بريطانيا، بعد استسلام فرنسا، بمفردها مما فتح المجال أمامها في منطقة الشرق الأدنى لتكريس نفسها كمنقذ للمنطقة، وبعد انعقاد اتفاق الهدنة مع إيطاليا، تم الافراج عن بعض العملاء الألمان الذين كانت السلطات الفرنسية قد اعتقلتهم مع بعض العملاء اللبنانيين الذين كانوا يؤلبون الرأي العام اللبناني ضد بريطانيا التي خشيت من تحرك ألماني تجاه لبنان وسوريا والعراق، حيث الكنوز الطبيعية مجمدة، وحيث بدأت تظهر ثورة رشيد علي الكيلاني، فقررت بريطانيا خلافاً لرأي الجنرال ديغول الذي أصرّ على أن تتولى قوات فرنسا الحرة، تحرير لبنان وسوريا، تنفيذ مشروع يرتكز على أمرين:

١ ـ اسناد المهمة إلى القوات البريطانية باحتلال لبنان وسوريا، بمؤازرة قوات فرنسا الحرة.

٢ ـ التشديد على أن الحلفاء يأتون كمحررين، تجاوباً مع الروح الوطنية التي بدأت تظهر عند اللبنانيين والسوريين.

النبذة الأولى ـ الوعد بالاستقلال

في هذا الإطار وجه ونستون تشرشل في ٦ حزيران ١٩٤١ برقية إلى الجنرال ديغول يقول فيها[١]:

«أسعدتني موافقتكم على إعطاء لبنان وسوريا وعداً بالاستقلال، وأعتقد أن من الضرورة دعم هذا الوعد بكل طاقاتنا. يجب أن لا نعرض الاستقرار والتوازن في الشرق الأوسط لأي خطر من خلال أي حل مرتقب للقضية السورية. لكن علينا، بصرف النظر عن هذه القضية، أن نفعل كل ما نستطيع لإرضاء أماني العرب وعدم إثارة شكوكهم وإني أثق بأنك تقدر أهمية ذلك».

١ ـ كميل شمعون، مذكراتي، الجزء الأول ١٩٨٨، ص ١٥.

النبذة الثانية ـ الاعتراف بالاستقلال

في ٨ حزيران ١٩٤١، بدأت قوات الحلفاء الزحف، بعدما أعلن كل من وزير الدولة البريطاني في القاهرة البيان الأول الذي يعترف باستقلال لبنان وسوريا، والجنرال كاترو البيان الثاني، باسم الجنرال ديغول، الذي كان يمارس سلطات حكومة فرنسا ما قبل الحرب عام ١٩٣٩ وصلاحياتها، وبهذه الصفة ألغى الانتداب، وأعلن استقلال لبنان وسوريا، على أن يتوصل الفريقان فيما بعد، إلى معاهدة تضمن هذا الاستقلال وتحدد العلاقات الثنائية. تجدر الإشارة إلى خطاب غورو عند إعلان دولة لبنان الكبير فرأى فيه البعض «عبارات تنم عن كذب ومغالطة» فعندما كان يشير غورو إلى الاستقلال، لم يقصد السيادة الوطنية، بل استقلال لبنان عن سوريا جارته فقط، لكن الاستقلال يجب أن يكون عن كل الدول، وخاصة الدولة الفرنسية المنتدبة[1]. كذلك عام ١٩٢٦، عند وضع الدستور، وضع مقطعاً بعنوان الدستور والاستقلال، يؤكد أن الاستقلال خاتمة للحكم الفرنسي وبداية الحكم الوطني، وتم توقيعه بين الرئيس إميل اده والمفوض السامي دو مارتيل، تعترف بموجبه فرنسا باستقلال لبنان وتتعهد بمعاونته على الانضمام إلى عصبة الأمم بوصفه دولة مستقلة[2].

النبذة الثالثة ـ إعلان الاستقلال

جاء في بيان الجنرال كاترو ما يلي:

«أيها اللبنانيون، أيها السوريون

في هذه الساعة وبعدما دخلت قوات فرنسا الحرة مع قوات بريطانيا العظمى، حليفتها، الأراضي اللبنانية، أعلن أني تسلمت جميع السلطات والمسؤوليات التي يمارسها ممثل فرنسا في الشرق، وذلك باسم فرنسا الحرة وباسم قائدها الجنرال ديغول.

وإني بصفتي هذه الغي الانتداب وأعلن لبنان حراً ومستقلاً.

١ ـ د. وهيب أبي فاضل، استقلال لبنان من خلال كتاب التاريخ المدرسي، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ٨١٠.

٢ ـ د. وهيب أبي فاضل، المرجع ذاته، ص ٨١٠ و٨١١.

أيها اللبنانيون والسوريون.

هذه الفترة المجيدة من تاريخكم وباسم فرنسا، التي تناضل من أجل حريتها وحرية العالم أعلن استقلالكم»[1].

أعلن الجنرال كاترو هذا النداء في صبيحة ٨ حزيران ١٩٤١، في سياق حملة الحلفاء على لبنان وسوريا عام ١٩٤١، فقد أعلن استقلال لبنان وحريته، وقد جدد السفير البريطاني هذا النداء، فهناك أربع نداءات أعلنت الاستقلال، الأول كان يوم إعلان دولة لبنان الكبير ١٩٢٠، والثاني يوم إعلان الدستور ١٩٢٦ والثالث يوم توقيع معاهدة ١٩٣٦، والرابع بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤١، وتم الاعتراف بلبنان من بعض الدول، وأصبح للدولة اللبنانية تمثيل خارجي[2]. أما بموجب الاستقلال الذي أعلن عام ١٩٤٣، أصبح لبنان سيداً مستقلاً، يتمتع بمفاهيم جديدة للحكم.

في حزيران ١٩٤٠، انكسرت فرنسا أمام الحلفاء مما أوقع مؤيدوها في لبنان في خيبة أمل بالنظر للصداقة التي تربطهم بها، كانت القيادة العليا الفرنسية فاشية، ومتعاونة مع النازيين، وكانت تستقبل الطائرات الألمانية المرسلة لوضع حد للثورة التي قادها رشيد علي الكيلاني في العراق عام ١٩٤١. وبذلك كانت الوحدات الفرنسية التابعة لحكومة فيشي تقاوم البريطانيين، أي الاشتراكيون والهنود والذين هم من شمالي أفريقيا، المأمورون من الضباط البريطانيين، بالإضافة إلى الوحدة الفرنسية الصغيرة التابعة لفرنسا الحرة، وهي بقيادة الجنرال كاترو، «ذات الميول الصهيونية والمتزوج من الملكة مارغريت الاشكينازية» وهنا أيضاً كان الدم الفرنسي يراق على أيادي فرنسية.

١ ـ د. جوزيف الياس، دور الصحافة في الاستقلال (١٩٤١ ـ ١٩٤٦) اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، ص ٥٢٥؛ ـ أعلن الجنرال كاترو في تشرين الثاني ١٩٤١ استقلال لبنان لكن رد عليه الرئيس الفرد نقاش، إنه يجب عقد معاهدة تحدد العلائق بين لبنان وفرنسا، ونقل الصلاحيات إلى الدولة اللبنانية فإن «شئتم من اليوم أن تعطوا اللبنانيين الدلائل الملموسة على هذه السيادة، أعني التمثيل الخارجي والقوة العسكرية الوطنية»، أنظر فارس ساسين، سليم تقلا، المرجع ذاته، ص ٣٥٤ و٣٥٥؛ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ١٢٤.

٢ ـ د. وهيب أبي فاضل، المرجع ذاته، ص ٨١٠ و٨١١.

النبذة الرابعة ـ محادثات ما بعد إعلان الاستقلال

وجه وزير الدولة البريطاني في القاهرة إلى الجنرال كاترو الكتاب التالي:

«إني أعلق أهمية كبيرة كما تعلمون، على أن يكون القائد البريطاني في سوريا متفقاً معكم، بصورة تامة، لما تتمخض به المنطقة من أحداث، ونظراً لاقتناعي بأن المحادثات الجارية مع الحكومتين السورية واللبنانية، تبدو أكثر إلحاحاً، أطلب بإصرار، بأن يسمح للجنرال سبيرس، الذي يتزعم بعثتها، بالاشتراك في المحادثات».

«نغتنم هذه المناسبة لنؤكد لكم بأننا نعترف بمصالح فرنسا التاريخية في الشرق، إن هدف بريطانيا الوحيد من اهتمامها بلبنان وسوريا هو الانتصار في الحرب، وليس لها أية رغبة في الحد من مكانة فرنسا في هذين البلدين. وقد تعاهدت فرنسا الحرة وبريطانيا العظمى على تحقيق استقلال لبنان وسوريا، ونحن على استعداد للاعتراف بدور فرنسا المميز بالنسبة إلى الدول الأوروبية الأخرى فيها بعدما نجتاز المرحلة الحالية المهمة».

وبالتالي ظهر الصراع البريطاني الفرنسي على أشده، فالسلطات الفرنسية رفضت طلب السلطات البريطانية السماح لممثلها الجنرال سبيرس الاشتراك في المحادثات التي ستجري مع لبنان وسوريا حول معاهدة الاستقلال.

وبالفعل رفض الجنرال كاترو العرض البريطاني، وأجاب في أول آب ١٩٤١ بما يلي:

«يؤسفني القول بأنني لا أستطيع الموافقة على السماح للجنرال سبيرز، بالاشتراك في محادثات المعاهدة مع الحكومتين اللبنانية والسورية، ولا بد أن تدركوا أسباب الرفض عندما توقنون أن المحادثات ستجرى بين فرنسا ودول تخضع لانتدابها، وليس بين الحلفاء ودول كانت مستقلة.

إن حكومة فرنسا الحرة التي تمثل فرنسا أخذت المبادرة في إنهاء الانتداب وتسوية علاقاتها المقبلة بدول الشرق، من هنا يتضح أن المحادثات الحالية يجب ألا تضم شخصاً ثالثاً»[1].

١ ـ غسان تويني، كتاب الاستقلال L'indépendance، ص ٣٤ باللغتين العربية والفرنسية.

اجتماع الجنرال ديغول ووزير الدولة البريطاني في بيروت (٧ آب ١٩٤١)[1]

ظهر تياران متناقضان: فرنسا الحرة من جهة وبريطانيا من جهة ثانية، مما دفع إلى عقد اجتماع في بيروت بين الجنرال ديغول ووزير الدولة البريطاني وتم تبادل رسالتين في ٧ آب ١٩٤١، حيث قال وزير الدولة البريطاني في إحديهما، «بأن بريطانيا العظمى لا تهدف في لبنان وسوريا، سوى الانتصار في الحرب، وهو لا يسعى أبداً لتجاوز أوضاع فرنسا، وقد تعاهدت فرنسا وبريطانيا العظمى على منح لبنان وسوريا استقلالهما، وهو حريص على الإقرار بمحض إرادته واختياره، على الاعتراف بمكانة فرنسا المفضلة في لبنان وسوريا»[2].

أما الجنرال ديغول فقد رد عليه في الرسالة الثانية كما يلي:

«يسعدني أن آخذ علماً بالتأكيدات التي عرضتها مجدداً، والتي تتعلق بعدم اهتمام بريطانيا العظمى بلبنان وسوريا، وبأن بريطانيا العظمى تعترف مسبقاً بمكانة فرنسا المفضلة والمميزة عندما ينال البلدان استقلالهما وفقاً للتعهد الذي أعطته فرنسا الحرة...».

ومما لا شك فيه أن للحرب العالمية فضلاً على لبنان وسورية، فالحرب التي خاضها الحلفاء على أرضه ضد فرنسا فيشي، ساهمت في استمالت اللبنانيين والسوريين، وعجلت في إعلان الاستقلال ولو نظرياً[3].

النبذة الخامسة ـ سقوط «دانتز» وانتصار فرنسا «ديغول» في لبنان

في ١٢ تموز ١٩٤١ تحركت القوات العسكرية البريطانية، بهدف الوصول إلى بيروت ورياق ودمشق. دارت معارك قصيرة ودامية، قاتل فيها الأخ أخاه، ووقع فيها

١ ـ د. جوزيف الياس، دور الصحافة في الاستقلال (١٩٤١ ـ ١٩٤٦) اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، ص ٥٢٦ وما يليها.

٢ ـ بقيت هذه الشعارات حبراً على ورق، فالنظم التمثيلية التي أوجدتها السلطات الفرنسية، لم ترم قط إلى إعطاء اللبنانيين ممارسة حقوقهم الدستورية، لأن النية لم تكن موجودة لديها، أنظر: أنطوان الحكيم، التمثيل الشعبي، المرجع السابق، ص ٢٤٨.

٣ ـ د. جوزيف الياس، المرجع ذاته، ص ٥٣٥.

مئات الجنود بين قتلى وجرحى. ونجح الهجوم على ضواحي الدامور في فتح طريق بيروت. مما دفع الجنرال دانتز، قائد قوات حكومة فيشي، إلى طلب عقد معاهدة هدنة، وأرسل إلى سان جان داكر St. Jean D'Acre، بعثة لتناقش شروط المعاهدة والتوقيع عليها.

وبالتالي انتهت معركة احتلال لبنان وسوريا، وانجلت عن سقوط بعض الضحايا وعن تدمير جزئي حل ببعض المناطق وخصوصاً في مرجعيون وجزين والدامور، وتعرّض بيروت لغارات جوية. وكان لقرار رئيس الجمهورية آنذاك الفرد نقاش، جعل بيروت مدينة مفتوحة، وقعاً صحيحاً على الوضع العام وتجنيب الاصطدامات الدامية في الشارع.

النبذة السادسة - زوال جامعة الأمم، وزوال الانتداب بالتوازي

زالت جامعة الأمم، مع كل الهيئات المنبثقة عنها عند اندلاع الحرب، حيث كان الانتداب يتعلق بإحدى هيئاتها، وبالتالي أصبح الانتداب غير شرعي.

وحتى أوائل عام ١٩٤٣، لم يصدر عن البعثة العامة لفرنسا الحرة، أية مبادرة تنبئ بموقف حيال التعهدات باستقلال لبنان.

أخذت الاجتماعات تتوالى بين السياسيين لمعرفة ما يجبّ فعله، فاقترح البعض تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة سليم تقلا، تدعو مجلس النواب المنحل للانعقاد، وتوافق على تحكيم ممثل فرنسا الحرة في اختيار رئيس الجمهورية.

عارض كميل شمعون بشدة هذا الاقتراح المقدم في مكتب الشيخ بشارة الخوري، معللاً بأن ذلك سيؤدي إلى مساوئ لا تحمد عقباها، فوافق الجميع بمن فيهم سليم تقلا الذي تفهم الوضع[١].

١ - كميل شمعون، مذكراتي، ١٩٨٨، ص ٣٠.

الفصل الثاني

المعطيات الممهدة للإستقلال التام

نود الإشارة، بادئ ذي بدء، بأن الاستقلال سيكون موضوعاً لدراسة مسهبة في الجزء الثاني من هذا المؤلف ونكتفي هنا بالإشارة إلى المواقف والآراء والمبادئ السياسية التي طرحت قبيل الاستقلال، وكيف تم الاستقلال، بصورة مقتضبة.

لم يباشر اللبنانيون بعد توقف الحرب، بالمطالبة بتنفيذ التعهدات باستقلال لبنان، فانقضى عام ١٩٤١ وانطلق العام التالي كذلك دون أية مطالبة، حتى أواخر ذلك العام حين أخذت المحادثات تتناول عملية الاستقلال.

أبدى البريطانيون استعدادهم لمساندة أي مطلب شرط عدم إساءته إلى الفرنسيين. أما لجنة الجزائر الفرنسية، فكانت تماطل ولم تأخذ موقفاً واضحاً من موضوع الاستقلال.

ومما زاد الأمر صعوبة، أن فرنسا الحرة استعادت سلطات المفوض السامي للجمهورية في الخارج، وبدأ الفرنسيون الأحرار يعززون أوضاعهم العسكرية والسياسية أينما وجدوا، فقد تسلم الممثل العام منصب المفوض السامي، مع كل الصلاحيات، فاتخذ القرارات وأصدر القوانين وعين رؤساء الجمهورية وعزلهم وكان الرئيس ألفرد نقاش آخر ضحية هذه القرارات.

عندما دخلت القوات الحليفة لبنان، كان الدستور معلّقاً من قبل سلطة الانتداب ومجلس النواب محلولاً بسبب الحرب. عيّن المندوب السامي دانتز قائد قوات حكومة فيشي الأستاذ ألفرد نقاش رئيساً للدولة بتاريخ ٩ نيسان ١٩٤١.

الفرع الأول ـ الأجواء السياسية السائدة في تلك الأثناء

لا بد من استعراض ما سبق هذه المرحلة وما رافقها على الصعيدين الداخلي والدولي، والتي تنصب على النقاط التالية:

- التظاهرات قبل عام ١٩٤٣.
- الميثاق الوطني.
- الأحزاب اللبنانية.
- القرارات والمواقف الأجنبية الداعمة للاستقلال.

الفقرة الأولى ـ تظاهرات لأسباب عقائدية وسياسية قبل عام ١٩٤٣

لعب رجال الاستقلال دوراً هاماً داعمين كل خطوة أو مظاهرة أو جريدة في هذا المجال. كانت التيارات السياسية لدى اللبنانيين ترتكز على مبادئ وأفكار متباعدة لا بل متناقضة ومتضادة، فالمسلمون لهم مواقفهم وعقائدهم السياسية الثابتون فيها، ومؤداها الانضمام إلى وحدة عربية شاملة والمسيحيون لهم هواجسهم ومخاوفهم من هذه الطروحات ينادون باستقلالية تامة ضمن الأراضي اللبنانية. فإذا كانت المؤتمرات والمظاهرات في طرابلس وبيروت وصيدا، تنصب في تجاه الوحدة، فبالمقابل كان المسيحيون يحرصون داخل جبالهم وأوديتهم بالمحافظة على حريتهم واستقلالهم بعيداً عن أية علاقة قد تعرض وجودهم وكيانهم للخطر. في هذا الإطار جرت محاولات لتحصين الصحافة بصدور قانون خاص ضد التعطيل، وكان جبران تويني يقوم بهذه المحاولات لكنه لم يفلح[١].

١ ـ غسان تويني، بعد ٢٥ سنة، ص ١٣٣.

النبذة الأولى ـ مؤتمر الساحل عام ١٩٣٦

برزت في مؤتمر الساحل المنعقد عام ١٩٣٦ في بيروت عدة طروحات تقدم بها الساسة المسلمون دارت حول الوحدة العربية الشاملة، أو الوحدة مع سوريا[١]، مع ظهور بعض الأصوات «اللبنانية»، أما المطالب التي نادوا بها فهي:

- السيادة الوطنية في إطار الوحدة السورية التي هي في مرحلة نصف الطريق إلى الوحدة العربية.
- الحرص على أن تضمن المفاوضات الجارية مع فرنسا، التوزيع العادل للوظائف العامة بين مختلف الطوائف.

كانت الصبغة العامة لمؤتمر الساحل، إسلامية بالرغم من وجود بعض الساسة المسيحيين، فمن بين الذين حضروا هذا المؤتمر، سليم علي سلام، عمر بيهم، أحمد الداعوق، كاظم الصلح، عبد الحميد كرامي، عبد الله البيسار، عادل عسيران، ومن المسيحيين: صلاح لبكي، ممثلاً الحزب القومي السوري، فوزي بردويل ويوسف يزبك.

كانت مسألة توازن السلطات، خصوصاً التنفيذية منها، مدار جدال ونزاع بين شرائح المجتمع اللبناني، ومنذ نشوء الدولة اللبنانية، أخذ المسلمون يعبرون عن سخطهم وعدم رضاهم على التركيبة اللبنانية منذ مطلع العشرينات، الأمر الذي قاد أقطابهم في مرحلة الانتداب إلى عدم المشاركة في العمليات السياسية، خاصة قادة الطائفة السنية، لكن هذا الرفض القطعي أخذ يخف مع تقادم الزمن وأخذوا يتخبطون في السياسة الداخلية ويتداخلون مع الكيان الجديد، وقد انقسم قادتهم في نظرتهم إلى الكيان اللبناني، فالبعض رأى إمكانية تطبيق أهداف القومية العربية[٢] على لبنان ما بعد عام ١٩٢٠ وقد انضم إليهم بعض النصارى، والبعض الآخر، كان أكثر واقعية، في نظرته للداخل اللبناني، فأخذ ينخرط فيه، محاولاً إيجاد حد أدنى من التعامل الصحيح مع السلطات القائمة فإذا بالميثاق عام ١٩٤٣ يوحد النمط الجديد في العلاقات بين الطوائف، مما أعطى المسلمين فرصة كبيرة في ممارسة السلطة[٣].

١ ـ غسان تويني، كتاب الاستقلال بالصور والوثائق، ١٩٩٧، طبعة رابعة، ص ٤.
٢ ـ زين زين نشوء القومية العربية، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٦٨.
٣ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص٢٢١.

النبذة الثانية ـ المخاوف وموقف الرئيس اده

بالمقابل كانت مظاهرات المسيحيين تنصب ضد العروبة والوحدة العربية أو السورية، والمناداة بالاستقلال التام، مطالبين الدعم من فرنسا، المنتدبة آنذاك، حتى أن قسماً منهم راح يطالب بالإضافة إلى الاستقلال الفعلي، عقد معاهدة دفاع مشترك معها. والرئيس إميل اده أكد على الروابط التي تجمع بين فرنسا ولبنان والتي تعود لعدة قرون، وتمنى لو أن المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية تبقى بدون تحديد. إن «هذا التعلق بفرنسا من قبل المسيحيين، لم يكن إلا الانعكاس الشعوري الغريزي بضرورة الحماية من المحيط الإسلامي الذي يغرقون فيه»[١]. تكتل عدد من المسيحيين حول إميل اده وأسسوا «الكتلة الوطنية» مقابل تكتل آخر سمي «الكتلة الدستورية» التي سعت للانفتاح على المسلمين، وعلى الحركات الوطنية في سوريا والدول العربية.

النبذة الثالثة ـ المؤتمر العام للمطارنة الموارنة عام ١٩٣٧

في هذا المجال عقد المطارنة الموارنة عام ١٩٣٧ مؤتمراً عاماً صدر في ختامه بياناً أكد إرادتهم بأن يظلوا لبنانيين، رافضاً إنشاء اتحاد فدرالي عربي، معتبراً بأن القومية العربية تتنافى والقومية اللبنانية، وتهددها بالزوال ومطالباً بالاستقلال التام مما أزعج الفرنسيين. وبرزت دعوات تنادي «بالفينيقية» كحضارة بمواجهة الحضارة العربية، وإذا كانت القومية العربية دُعمت من بعض الدول العربية، فالقومية اللبنانية دعمت من دول أجنبية لاسيما من فرنسا. أعاد البطريرك الماروني المطالبة بالاستقلال والحرية في عيد الميلاد عام ١٩٤١[٢].

---

١ ـ باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، ص ٧٨.

٢ ـ بشأن تطور الكنيسة المارونية وكيف استطاعت التغلب على المقدمين، وبعدهم الإقطاعيين، وبروز دورها على الصعيد السياسي في القرن الثامن عشر، أنظر: إيليا حريق، التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢.
Béchara El Khoury, Réalités Libanaises, p. 226.

الفقرة الثانية ـ الأحزاب المتصارعة عام ١٩٤٣[١]

وجد عدد من الأحزاب ذات العقائد المتضادة والمتنافرة، تعمل بنشاط على الساحة اللبنانية، كل منها يحاول اجتذاب الناس والرأي العام لصالحه، مع التأكيد، بأنها وإن كانت مثالية من حيث العقيدة، كانت عاجزة عن اجتياز الحواجز المتأصلة بالتاريخ، فيكفي الإقامة في منطقة معينة، أو اتخاذ اسماً معيناً، لكي ينسب إليك الانتماء إلى إحداها، وكما يقول الدكتور الدستوري ادمون رباط، إن كل عمل أو حدث سياسي، مهما كان وصفه، إن شئت أم أبيت، ففي آخر المطاف سيتلبس اللباس الطائفي، طالما أن النظام الأساسي في البلد هو طائفي. ومن هذه الأحزاب نذكر:

النبذة الأولى ـ حزب الاستقلال الجمهوري ١٩٣١

تأسس عام ١٩٣١، برئاسة دعيبس المر، نقيب المحامين آنذاك، وكان عادل الصلح نائب الرئيس، ضمَّ عدداً من النقابيين والشيوعيين، واستلم الشيخ الهاشم الرئاسة بعد المؤسس وأقام علاقات متينة مع فرنسا ومع الحركات العربية الاستقلالية فيها، ومع الحزب الجمهوري الراديكالي، والحزب الاشتراكي الحاكم آنذاك.

النبذة الثانية ـ الحزب السوري القومي ١٩٣٢

تأسس الحزب السوري القومي عام ١٩٣٢، على يد أنطون سعادة، المسيحي الأورثوذكسي، وكان في أول انطلاقته منظمة سرية، وقد استوحى الفكرة من القوميين العرب الذين نادوا بها منذ القرن التاسع عشر، أمثال بطرس البستاني، فطالب بالوحدة مع سوريا، وناهض الطائفية، وكان معظم المنتسبين إليه من طائفة الروم الأورثوذكس والإنجيليين وبعض السنة والدروز. تناقضت أهدافه والأفكار التي ينادي بها المسلمون الداعية إلى الوحدة العربية الشاملة، فما كان من السلطة إلا ملاحقة أعضائه واعتقلت زعيمه وأنزلت به شتى أنواع الاضطهاد، وأعدمته بعد محاكمة سريعة وشكلية وهو حزب علماني[٢].

---

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٧٤. كذلك د. نقولا زيدان، مداخلة حول جذور الأحزاب السياسية في معركة الاستقلال، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ص ٥٠٥.

٢ ـ نقولا زيدان، المرجع ذاته، ص ٥١٦؛ د. إبراهيم محسن، الأحزاب اللبنانية بين الصحوة الوطنية والإيديولوجيات الطائفية، ١٩١٤ ـ ١٩٤٦، في دولة لبنان الكبير، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

النبذة الثالثة - حزب الكتائب اللبنانية ١٩٣٦

تخوف المسيحيون من التظاهرات والإضرابات والاجتماعات التي حدثت في البلاد التي كانت تدعو إلى الوحدة إما العربية أو السورية، مما دفع بزعمائهم للتنبه إلى ضرورة رص الصفوف والعمل بجد ونشاط ومواجهة ما يحدث، فأسسوا بتاريخ تشرين الثاني ١٩٣٦ منظمة باسم «الكتائب اللبنانية»، وانضمَّ إليها كل من يرى ضرورة التمسك بالكيان اللبناني، وقد نظمت على غرار المنظمات شبه العسكرية الرائجة في تلك الأيام، وترأسها الصيدلي الماروني بيار الجميل المولود عام ١٩٠٥ في المنصورة في مصر. كان قائداً لفريق كرة قدم ثم حكماً عام ١٩٢٦، بعدها أنشأ حزب الكتائب وبدأت المعارك الكبرى، وقد ترك بيار جميل أثره في لبنان[١].

النبذة الرابعة - حزب النجادة ١٩٣٧

كردة فعل على إنشاء حزب الكتائب، اندفع المسلمون فأنشأوا مجلساً استشارياً إسلامياً لتنسيق مطالب الطوائف الإسلامية في البلاد، ثم تأسس «حزب النجادة» عام ١٩٣٧، ليضم إليه الشباب لكي يكونوا صفاً واحداً في الدفاع عن حقوقهم[٢].

النبذة الخامسة - حزب الميثاق الوطني ١٩٣٨

بموازاة انطلاق فكرة «الميثاق الوطني» وإعلانها بموجب وثيقة بتاريخ ٦ آذار ١٩٣٨، تنادى الموقعون على وجوب إنشاء «حزب الميثاق الوطني» وفي هذه الوثيقة عينت لجنة سباعية عهد إليها القيام بهذا الدور.

لم تترك نشوب الحرب العالمية مجالاً لا لحزب الاستقلال الجمهوري ولا «لحزب الميثاق الوطني» ليلعبا دوراً مهماً، غير أن أعضاءهما كانوا في عداد الساعين للاستقلال عام ١٩٤٣[٣].

---

١ - نقولا زيدان، المرجع ذاته، ص ٥١٢.
٢ - نقولا زيدان، المرجع ذاته، ص ٥١٤؛ د. إبراهيم محسن، المرجع ذاته، ص ٢٧٣.
٣ - غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٨.

النبذة السادسة - حزب الكتلة الوطنية ١٩٤٣

انطلق حزب الكتلة الوطنية من تجمع كتلة نيابية، لكن بتاريخ ١٥ أيار ١٩٤٦، تقدم ثلاثة نواب هم جورج عقل وأسعد البستاني وأمين السعد من وزارة الداخلية بطلب الحصول على علم وخبر لتأسيس حزب سياسي جديد هو «حزب الكتلة الوطنية اللبنانية». وافق رئيس الحكومة آنذاك سامي الصلح وبعد فترة ترأس العميد ريمون اده المولود في مصر عام ١٩٠٥ الحزب وأقدم على تعديل نظامه مرات عدة[١].

النبذة السابعة - الحزب الشيوعي ١٩٣٣

في العقد الثالث من القرن العشرين ظهر «حزب الشعب» الذي تحول إلى الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان، متأثراً بالحزب الشيوعي الفرنسي وليس بالاتحاد السوفياتي، يضم بعض المثقفين العلمانيين، وازداد الالتفاف الجماهيري حوله بفضل نضاله المعادي للفاشية والنازية، فألب حوله بعض النقابات[٢].

النبذة الثامنة - التفسير العقائدي للاستقلال

يتمحور الجدل العقائدي الإيديولوجي لاستقلال لبنان، حول نقاط عدة تتخذ لها مواقع بحسب أولويات الناظر إليها، فإذا كانت بنظر البعض للمساواة والعدالة الاجتماعية، أو في تحديد الهوية الاجمالية العليا، فإنها بالنسبة للبعض الآخر، تدور حول شكل النظام وقيمة الاستقلال وعلاقته بالمحيط الجغرافي حضارياً وثقافياً واقتصادياً وأثر التغيرات التاريخية الفلسطينية على هذا الاستقلال، وبالتالي، كيفية النظر إلى النظام الاستعماري العالمي، وإذا كان الاستقلال يرتبط بالمدى الجغرافي التاريخي، لتحديد المدى السكاني، فإن التحديد التاريخي يدور حول العلاقة بين الاستقلال والمسألة الدينية[٣] الأكثر تأثراً في تلك المنظومة، والتي يتم إثارتها

---

١ - نقولا ناصيف، ريمون إده جمهورية الضمير، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢.
٢ - نقولا زيدان، المرجع ذاته، ص ٥١٦؛ د. إبراهيم محسن، المرجع ذاته، ص ٢٦٧.
٣ - د. سيمون عبد المسيح، التفسير العقائدي للاستقلال اللبناني، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ٧٢٣.

وبسهولة متناهية، لاستغلالها، في معظم الأحيان، لأسباب ومسببات غير التي أثيرت من أجلها[١].

الفرع الثاني ـ القرارات والمواقف الدولية المؤيدة للاستقلال

الفقرة الأولى ـ «فرنسا الحرة» وبريطانيا تعلنان استقلال لبنان وسوريا (٨ حزيران ١٩٤١)

لم يكن استقلال لبنان وليد ساعته، إنما ثمرة مخاض بدأ منذ فترة على الصعيد الدولي. أخذ اللبنانيون يطالبون بالاستقلال عن الدولة الفرنسية المنتدبة، لكن أية فرنسا! هل هي فرنسا فيشي، أم فرنسا ديغول؟ لقد كانت فرنسا في ظل الاحتلال الألماني، ولجأ ديغول إلى بريطانيا في محاولة لبدء العملية التحررية ضد هتلر في فرنسا، وتم إنشاء حكومة فرنسية مؤقتة في الجزائر، وسعت إلى كسب مواقف اللبنانيين والسوريين وتحريضهم ضد قوات فرنسا فيشي التي كانت مبدئياً مسيطرة على الساحة. بعد انهزام الجيش الفرنسي، أرسل ديغول مفوض سامي جديد ليحل محل المفوض السامي القديم، وبالتالي فالمقصود هنا أخذ موقف معاد لسلطة هتلر، الأمر الذي قاد بريطانيا «وفرنسا الحرة» كما أشرنا إلى إذاعة بيان بتاريخ ٨ حزيران ١٩٤١، أعلنا فيه: باسم «فرنسا الحرة» والحكومة البريطانية معاً، «استقلال سوريا ولبنان متحدين أو منفردين ـ بتوقيع معاهدة مع فرنسا تكفل السيادة وتوضح العلائق المتبادلة»، وقد وقع البيان الجنرال كاترو، وتم إلقاؤه من الطائرات فوق الأراضي السورية واللبنانية ورد فيه:

أيها السوريون واللبنانيون الكرام[٢]

---

١ ـ بالإضافة كان هناك أحزاب أخرى: حزب الاستقلال العربي، حزب الشعب اللبناني، الحزب الديمقراطي، حزب الاتحاد السوري، عصبة العمل القومي (العربي)، حزب الكتلة الوطنية (السورية)، حزب الاستقلال الجمهوري، أنظر: د. إبراهيم محسن، المرجع ذاته، ص ٢٥٦ وما يليها.

٢ ـ بيان الجنرال كاترو، بإعلان الاستقلال الذي ألقته الطائرات الحليفة صباح ٨ حزيران ١٩٤١، أنظر غسان تويني، كتاب الاستقلال بالصور والوثائق، ص ٩.

في الوقت الذي تدخل فيه قوات الفرنسيين الأحرار، بالاتحاد مع قوات حليفتهم الأمبراطورية البريطانية إلى بلادكم، أصرح بأنني قد توليت سلطات ممثل فرنسا في الشرق ومسؤولياته وواجباته، وذلك باسم فرنسا الحرة ذات التقاليد المجيدة، فرنسا الحليفة وباسم زعيمها الجنرال ديغول. وإني قادم إليكم بهذه الصفة لإنهاء عهد الانتداب ولإعلان حريتكم واستقلالكم. بناء على ذلك، ستصبحون من الآن فصاعداً شعباً حراً ذات سيادة، وستتمكنون من أن تؤلفوا لأنفسكم دولاً منفردة أو أن تتحدوا في دولة واحدة، وفي الحالتين سنضمن استقلالكم ونكفل مبادئكم بمعاهدة توضح بها العلائق المتبادلة بيننا. وستجري المفاوضات لعقد هذه المعاهدة بين ممثليكم في أقرب وقت ممكن. وريثما تعقد هذه المعاهدة سيكون موقف بعضنا تجاه بعض موقف الحليف من حليفه متحدين معاً كل الاتحاد في سبيل مثل أعلى واحد وأهداف مشتركة.

أيها السوريون واللبنانيون الكرام

ترون من هذا التصريح أن قوات فرنسا الحرة والقوات البريطانية تدخل بلادكم لا للتسلط على حريتكم بل لتأمينها، وهم يفعلون ذلك لطرد قوات هتلر من سوريا، وللحيلولة دون جعل الشرق الأدنى (سوريا ولبنان) مركزاً يستعمله العدو للهجوم على البريطانيين وعلينا. ونحن الذين نحارب في سبيل حرية الشعوب لا يمكننا أن نسمح للعدو بأن يطغى على بلادكم شيئاً فشيئاً وأن يفرض رقابته على أشخاصكم ويغتصب أموالكم ويجعل منكم عبيداً أرقاء، ولن نسلم الشعوب التي وعدت فرنسا بالدفاع عنها إلى أشد المتسلطين الذين عرفهم التاريخ، قسوة، ولن نسمح بأن نسلم للعدو ما لفرنسا من مصالح قديمة في الشرق.

أيها السوريون واللبنانيون الكرام

إذا استجبتم لندائي وانضممتم إلينا فاعلموا أن الحكومة البريطانية، بالاتفاق مع حكومة فرنسا الحرة، قد تعهدت بأن تبذل لكم كافة المزايا والفوائد التي تتمتع بها البلدان الحرة، المرتبطة معها، وهكذا سيرفع الحصار عن بلادكم، ويتاح لكم أن تنشئوا فوراً علائق مع البلدان الداخلة في نطاق الجينيه الاسترليني، وبذلك نفتح أمامكم أوسع الآمال في تجارة الوارد والصادر وتتمكنون من البيع والشراء بحرية مع جميع البلدان الحرة.

أيها السوريون واللبنانيون الكرام

"لقددقت ساعة عظمى من تاريخكم، إن فرنسا، بصوت أبنائها الذين يحاربون من أجل حياتها ومن أجل حرية العالم، نعلن استقلالكم.

الجنرال كاترو

في هذا البيان جملة من النقاط، تعهد بها الجنرال كاترو باسم فرنسا الحرة، وبالنيابة عن بريطانيا العظمى، فبمقابل إعلان الاستقلال بصورة فورية، يطلب من السوريين واللبنانيين، تأييدهما في حربهما ضد هتلر. فبالنسبة إلى فرنسا، يعتبر كاترو أنها غير مستعدة أبداً للتنازل عما تتمتع به من مصالح قديمة العهد في الشرق، وغير مستعدة لمنحها للعدو.

وبالنسبة إلى بريطانيا، فإنه يتعهد بأن تمنح إنكلترا سوريا ولبنان كل الفوائد والمزايا التي تتمتع بها البلدان الحرة المرتبطة بها، فهي سترفع الحصار عن هذه البلاد، ويتاح لها أن تنشئ فوراً علائق مع البلدان الداخلة في نطاق الجنيه الاسترليني، مما يشجع التجارة بشكل ملحوظ.

يلقي هذا البيان الضوء على المخاطر التي قد تحيق بهذه البلاد من احتلال هتلر، ويربأ بأن يسلم هذه الشعوب إلى الأشرار المتسلطين الذين عرفهم التاريخ ويحذر من أن يغصب العدو الأموال ويجعل الناس عبيداً أو أرقاء.

ومن الملفت أيضاً أنه يتوجه إلى السوريين واللبنانيين ، ويعلم ما يكنه كل من الدولتين إزاء بعضهما البعض، فبعد أن وعد بأنهما ستصبحان من الآن وصاعداً شعباً حراً ذات سيادة، يتوجه إليهم بالقول «ستتمكنون من أن تؤلفوا لأنفسكم دولاً منفردة أو أن تتحدوا في دولة واحدة، وفي كلتي الحالتين سيضمن استقلالكم، تاركاً المجال لسوريا ولبنان الاتجاه في الاستقلال في دولتين منفصلتين، أو أن يؤلفا اتحاداً فيما بينهما.

هذا قد يكون من التأثير البريطاني في صياغة هذا البيان، ومع ذلك فإن الاستقلال التام كان المعتمد، وقد رفضت شتى الاتحادات.

ويشير هذا البيان، بعد إعلان الاستقلال فوراً، أنه يضمن بوضع المعاهدات التي تتوضح بها العلائق المتبادلة وستجري المفاوضات لعقد هذه المعاهدة بين الممثلين، وسيكون موقفهما من بعضهما موقف الحليف من حليفه، متخذين لهذه الغاية مثلاً أعلى واحداً وأهدافاً مشتركة، أي أن الاستقلال الذي حصل بالفعل، إنما كان موعوداً به. والجديد مع الحكومة الصلحية وبيانها كان النقلة النوعية إلى حيز العمل الديموقراطي لأنه حقق الاستقلال فعلياً، وبدل المطالبة في الوصول إليه، وانتظار السلطات المنتدبة أن تمنحه لهم. فالمصالح الدولية هي التي قادت إلى دعم الاستقلال، فحرب الحلفاء ضد هتلر، وحرب فرنسا الحرة ضد فرنسا فيشي، والخوف من تسلط أحدهما على الآخر، قاد إلى الوعد بإعلان الاستقلال إذا قاومت هذه الشعوب غزو هتلر لها[١]".

لكن لا يجوز النظر كما لو كانت بريطانيا، هي التي طبخت الانتخابات التي قادت إلى الاستقلال، فهي كانت في الحرب، ولم يكن لبنان من أولوياتها، من المؤكد أنها كانت تريد تهميش الدور الفرنسي، لكن ليس بالضرورة بإعلان الحرب عليها، وكانت تفضل أن تؤجل المطالبة بالاستقلال إلى ما بعد الحرب، وبعدما يعود الأصدقاء التقليديون إلى لبنان.

وعليه دخل الجيش البريطاني وقوات فرنسا الحرة بيروت ودمشق يوم ١٥ تموز ١٩٤١ وأصدر الجنرال ديغول قائد قوات فرنسا الحرة، في اليوم نفسه مرسوماً عين بموجبه الجنرال كاترو[٢] مندوباً عاماً ومفوضاً في سوريا ولبنان. وبتاريخ ٢٥ تموز ١٩٤١، وصل الجنرال ديغول إلى بيروت فاستقبل بالجفاء والترحاب، وأعلن انتهاء الانتداب على لبنان، لكن بعد فترة أعلن اتفاق بريطانيا وفرنسا الحرة بشأن سورية ولبنان. علقت الصحف على ذلك وتساءلت النهار «علام اتفق الحلفاء، ألا يجوز أن نعرفه، وعندما وصل الجنرال ديغول إلى دمشق، نقلت الصحف: أن اتفاقات إدارية وسياسية وإقليمية تمت يوم الأحد (٢٧ تموز) مع ممثلي بريطانيا فيما يتعلق بمركز الحلفاء في لبنان وسوريا وتساءلت الصحف عن مغزى تلك الاتفاقات.

---

١ - غسان تويني، كتاب الاستقلال، ص ٩.

٢ - د. الياس القطار، دور الجنرال كاترو في استقلال لبنان، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، ص ٤٢٥.

الفقرة الثانية ـ مواقف البطريرك الماروني الثابتة

الأحداث التي مهدت إلى إجراء الانتخابات وقيام الاستقلال هو المؤتمر الوطني الذي انعقد في بكركي عام ١٩٤١، والذي بمضمونه يشبه الموقف الذي حصل عام ١٩٣٥، الذي دعى لإنهاء الانتداب الفرنسي.

ألقى البطريرك عريضة خطاباً لا يخلو من العنف وشكر كل من بريطانيا وأميركا لموقفهما الشريف في دعم الاستقلال، وقال بأننا «أصبحنا مديونين لهاتين الدولتين» وختم بالقول نريد استقلالاً مبنياً على التآلف والتضامن والغيرة في سبيل المصلحة الوطنية... نريد الإئتلاف مع المحاورين لنا في الشرق والغرب ومع كل الدول التي لها علاقة معنا[1].

الفقرة الثالثة ـ انتخاب مجلس نيابي يتوق للاستقلال

على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية، أعيد العمل بالدستور اللبناني وبتاريخ ٦ أيلول ١٩٤٣، تم انتخاب مجلس نيابي بحرية وتألّف من عناصر جديدة تتوق للاستقلال، ومن عناصر قديمة كانت ترمي دوماً لاستقلال البلاد، وذلك بالرغم من محاربة السلطات الفرنسية لمثل هذه العناصر، وجاءت النتيجة كما يلي:

محافظة بيروت: سامي الصلح، صائب سلام، الفرد نقاش، عبد الله اليافي، حبيب أبي شهلا، أيوب ثابت، محمد بيضون، هراتشيا شامليان، موسيس دركلوسيان.

محافظة لبنان الجنوبي: رياض الصلح، عادل عسيران، رشيد بيضون، محمد الفضل، مارون كنعان، علي العبد الله، أحمد الأسعد، كاظم الخليل، يوسف سالم، نسيب غبريل.

محافظة البقاع: صبري حمادة، يوسف الهراوي، رفعت قزعون، إبراهيم حيدر، نسيب الداود، أديب الفرزلي، هنري فرعون.

١ ـ غسان تويني، كتاب الاستقلال، ص ٦٧.

محافظة جبل لبنان: كميل شمعون، أمين السعد، جورج عقل، أسعد البستاني، جميل تلحوق، إميل اده، وديع نعيم، أحمد الحسيني، مجيد أرسلان، إميل لحود، وديع الأشقر، جبرائيل المر، سليم تقلا، جورج زوين، كمال جنبلاط، بشارة الخوريّ، عبد الغني الخطيب.

محافظة الشمال: حميد فرنجية، عبد الحميد كرامي، نقولا غصن، يعقوب الصراف، سعدي المنلا، حبيب جعجع، محمد العود، يوسف اسطفان، سليمان العلي، محمد المصطفى، يوسف ضو، بطرس الخوري.

الفقرة الرابعة ـ الميثاق الوطني

النبذة الأولى ـ صيغة كاظم الصلح ١٩٣٧[1]

التظاهرات السياسية لم تكن سوى ارتداد لما كانت الأقلام تحرره حول هذا الموضوع، فبرزت عدة طروحات حول الميثاق الوطني، أولها ما وصفه كاظم الصلح تحت عنوان «بين الاتصال والانفصال» وأورد بالنتيجة ملخصاً قال فيه:

١ ـ إن ولادة لبنان الكبير نشأت عن مصلحة مشتركة بين فرنسا وقسم كبير من المسيحيين الذي أرادوا قيام دولة لا يكونون فيها من الأقليات.

٢ ـ إن عبارة «الوحدة مع سوريا» أصبحت مرادفة لعبارة مسلم وعبارة «لبناني» مسيحي.

٣ ـ إن الوطنية الصحيحة المحررة، غير الطائفية، هي التي انتصرت، حينما اكتشف المسيحيون أهمية المصالح الاقتصادية التي تربطهم بسوريا، كما اقتنع المسلمون بضرورة إيجاد صيغة أو تسوية مع الذين يرفضون الوحدة، وما لقاء البطريرك الماروني مع ممثلي الحركة الوطنية في سوريا، سوى الدليل على رفض فكرة حماية فرنسا للمسيحيين.

١ ـ كاظم الصلح، ابن عم رياض الصلح، ترأس حزب النداء القومي، عين سفيراً في بغداد، وتولى رئاسة الوزارة مرات عدة، وضع بيانه «الاتصال والانفصال»، وقد وزع بشكل كثيف عام ١٩٣٧، ويعتبر رداً على «مؤتمر الساحل».

٤ ـ إن استقلال لبنان يؤدي إلى وحدة مصالح حقيقية، أفضل من قيام اتحاد بين ولاية بيروت وولاية دمشق وبقاء جبل لبنان خارجها.

وخلص متمنياً عقد اجتماعات ووضع صيغة وبرنامج سياسي يؤكد الوطنية اللبنانية بدل القضاء عليها[١].

وكان كاظم الصلح (سفير لبنان لاحقاً في بغداد)، يتولى تحرير جريدة «النداء» الأقرب إلى رياض الصلح (أسست عام ١٩٢٠) وكانت ملتقى الأدباء والمفكرين الذين لا ينتمون إلى أي تنظيم، مثل نصري المعلوف. ويعتبر رياض الصلح، أن استقلال الكيان اللبناني والعمل من ضمنه لا يتنامى مع الوحدة العربية. وأن الدعوة العربية تلزم العروبيين، وتجعل هذا الكيان عربي الوجه واللسان والاتجاه، وهو منتسب إلى «الأمة العربية» ناشطاً من أجل تنميتها وتحريرها في كل أقطارها، قبل البحث بوحدتها على أن يكون لبنان آخر المنضمين إلى الوحدة متى تمت» لكن مفهوم هذا الميثاق كان يفسر وفق مصالح واعتبارات آنية[٢].

النبذة الثانية ـ ميثاق يوسف السودا ١٩٣٩[٣]

يقول يوسف السودا في رسالته عام ١٩٣٩، أنه لم نتمكن من إقناع أخوتنا المسلمين للعمل من أجل الكيان اللبناني، غير أننا لم نيأس، وبعد سنتين من الاجتماعات والمناقشات توصلنا إلى الاتفاق على هذا الميثاق الوطني. فلأول مرة في التاريخ يناضل المسلمون والمسيحيون سياسياً في جانب واحد تحت رمز الأرز وفي إطار الكيان اللبناني، لقد توصلنا إلى هذه النتيجة بفضل نفر من الوجهاء المسلمين منهم الدكتور سليم إدريس، وكاظم وتقي الدين الصلح، وأنيس نجا وعمر منينمة وصلاح بيهم.

---

١ ـ باسم الجسر، المرجع ذاته، ص ٨٣.

٢ ـ د. فريد الخازن، «الميثاق الوطني في أبعاده الداخلية والخارجية، وفي ميزان التفسير والتطبيق»، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ص ٦١٧.

٣ ـ باسم الجسر، المرجع ذاته، ص ٨٤.

وبعد الاجتماعات التي عقدت بين العاشر من آذار والسادس من أيار ١٩٣٨ في منزل الأستاذ يوسف السودا وافق المجتمعون على مبادئ عامة أطلق عليها اسم «الميثاق الوطني اللبناني» ويتضمن ٩ نقاط:

١ ـ استقلال لبنان في حدوده الراهنة وكيانه الجمهوري وحكومته الوطنية.

٢ ـ تعزيز علاقات لبنان بالدول العربية المجاورة، تمهيداً لعقد تحالف يضمن للبنان ولهذه البلاد الاستقلال التام، والإنماء الاقتصادي والكرامة الوطنية، على أن يبقى كل في إطار كيانه الخاص.

٣ ـ تأمين المساواة بين اللبنانيين على أساس العدالة والكفاءة لا على أساس الطائفية.

٤ ـ توحيد الثقافة الوطنية بتعميم التعليم الابتدائي المجاني والإلزامي ووضع برنامج تعليمي تسعى الحكومة لتطبيقه في كل المؤسسات التعليمية.

٥ ـ اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة.

٦ ـ تأمين حرية الصحافة والاجتماعات والجمعيات والأحزاب السياسية.

٧ ـ إلغاء كل الامتيازات الأجنبية، والمحاكم المختلطة، وتطبيق مبدأ مساواة الجميع أمام العدالة.

٨ ـ تنمية الاقتصاد وتشجيع الصناعة الوطنية وحماية الآثار التاريخية.

٩ ـ الاهتمام بالمهاجرين والعاطلين عن العمل والشباب والعمال والفلاحين والتجار والموظفين وقوى الأمن.

لم ينحصر هذا البيان على الأفكار السياسية والزامية التعاون بين المسلمين والمسيحيين، إنما تعداه لوضع مبادئ وأسس واجب معالجتها تطال مختلف الأوجه الاجتماعية.

النبذة الثالثة ـ بيان بكركي عام ١٩٤١[١]

في عظة الميلاد عام ١٩٤١، أمام الوفود المهنئة بالمناسبة. ألقى البطريرك عريضة خطاباً عنيفاً انتقد فيه «الاستقلال الممنوح» من الجنرال كاترو وطالب بالاستقلال الفعلي القائم على السيادة والحرية والمساواة.

---

١ ـ الأب الدكتور بولس صفير، دور البطريرك أنطوان عريضة في استقلال لبنان، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، ص ٢٩٧ك ـ باسم الجسر، المرجع ذاته، ص ٨٦ و٨٧.

وبعد الخطاب، عقد اجتماع عفوي بين الحاضرين، وانتهى إلى وضع برنامج وطني يتضمن ست نقاط:

١ ـ استقلال لبنان، استقلالاً فعلياً مؤهلاً له تقرير مصيره بحرية.

٢ ـ حرية لبنان في عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية.

٣ ـ وضع قوانين دستورية، تضمن الحريات الخاصة والعامة، والفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، على أن تعهد السلطة التشريعية إلى جمعية سياسية منتخبة عن طريق انتخابات حرة تؤمن التمثيل الصحيح والعادل للطوائف والمناطق.

٤ ـ انتقال السلطة فعلياً إلى أبناء البلاد الذين يتحملون مسؤولياتهم ويقومون بأعبائها.

٥ ـ اعتبار كل عمل تقوم به الحكومة الحالية غير ذي مفعول، إذا كان من شأنه تقييد البلاد سياسياً أو اقتصادياً لأنه ليس من الممكن ربط البلاد إلا عن طريق حكومة تمثل لبنان تمثيلاً حقيقياً، وتتمتع بثقة مجلس نواب منتخب من قبل الشعب بشكل حر.

٦ ـ منح البطريرك الماروني، الثقة لتنفيذ هذه الأهداف بالتعاون مع الشخصيات الحاضرة الممثلة لكل الطوائف والمناطق اللبنانية.

النبذة الرابعة ـ الميثاق الوطني كمفهوم جديد ١٩٤٣[1]

الميثاق الوطني كمفهوم جديد[2] هو الصيغة التي اتفق حولها اللبنانيون لإدارة شؤون البلاد، وكانوا منقسمون فيما بينهم، وعدة آراء سياسية تتنازعهم، فمن الوحدويين العروبيين، إلى الانضمام لسوريا الكبرى، إلى الاستقلال ضمن لبنان

١ ـ د. جورج شرف، التحول في مفهوم الدولة بين لبنان الكبير وميثاق ١٩٤٣، في اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦ ص ٦٨٣؛ كمال الحاج، «١٩٤٣ ـ تاريخ ـ مفترق» بيروت الندوة اللبنانية ١٩٦٧، ص ٣٤، وكذلك كمال يوسف الحاج، الطائفية البناءة أو فلسفة الميثاق الوطني، بيروت مطبعة الرهبنة اللبنانية، ١٩٦١، وفي هذا المؤلف حاول الحاج إعطاء الميثاق الوطني بالإضافة إلى البعد السياسي مبدأً فلسفياً في كتاباته عن التعايش المسيحي ـ الإسلامي؛ كذلك أنظر ناصيف نصار في كتابه «نحو مجتمع جديد، مقدمة أساسية في نقد المجتمع الطائفي»، وهو يرد على أفكار كمال الحاج، دار الطليعة، ١٩٨١، ص ٥٢ ـ ٧٣.

٢ ـ د. طانيوس فارس نجيم، مفهوم الاستقلال ومضامينه في لبنان، اليوبيل الذهبي، ص ٨٤٥ إلى ٨٦١.

الكبير، تلك هي المفاصل التي تجمهر حولها الشعب، فبدا متناقضاً، متباعداً، متخاصماً، لكن إذا كانت تلك هي الصورة الممكن استنباطها من استعراض تلك الآراء، ففي الواقع كان هناك تعاملاً شاملاً تاماً قد لا يُظهر بوضوح تلك التناقضات، فالشعب سواء كان قاطناً في جبل لبنان القديم، أم في الأقضية الأربعة التي ضمت إليه، لم تكن تهمه كثيراً تلك التباينات وكان يسعى للقمة العيش، متعاملاً متكاملاً لا فرق عنده بين منشأ هذا أو ذاك من اللبنانيين، وكأن تاريخه علّمه بألا يكترث طويلاً لتلك التباينات، فالعيش المشترك أجدى وأنفع، لكن إذا كانت هذه الحالة في الأوقات السلمية، فإن الأمر يتغير ويتبدل كثيراً عندما يندفع السياسيون ويعبئون الصدور وينهضون الهمم للتجمهر والتجمع، فإذا بالمذابح والاقتتال تنتشر دون حسيب ولا رقيب، وكان ما يحصل هو وقائع مقبولة تاريخية عن هذا الشعب المسكين، والأشد استغراباً، أنَّه ما أن يجف الدم البريء حتى يصحى الشعب، ويعود للتلاقي والتصافح عاملاً على تضميد الجراح. هذه النظرة، مع ما يكتنفها من مآسي، قادرة على إعطائه الأمل، مهما قسى الدهر عليه، وعلى لملمة أنفاسه والتحضير لنمط حياة سليمة، مهما قست الظروف.

كيف نشأ الميثاق الوطني عام ١٩٤٣، وما هي الظروف التي أدت إلى ولادته؟ بالطبع، لم ينشأ من العدم، إنما حصيلة أحداث أدت إلى بروز فكرة التوافق بين الشعب المنقسم على ذاته. تعددت الروايات في تقديم مفهوم «الميثاق الوطني» لكنها أجمعت على أنه المرتكز الذي وافق عليه اللبنانيون المنقسمون، لقيام صيغة يمكن من خلالها العيش سوياً في بلد موحد[1].

اتفاق بشارة الخوري ورياض الصلح خلال صيف ١٩٤٣، أدى إلى انبثاق صيغة الميثاق الوطني[2] ولفهم هذا التفاهم الحاصل بينهما لا بد من إلقاء نظرة سريعة على الظروف التي قادتهما إليه.

١ ـ د. فريد الخازن، الميثاق الوطني في أبعاده الداخلية والخارجية، وفي ميزان التفسير والتطبيق، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ص ٦١٧ إلى ٦٨١.

٢ ـ مجلة الصياد، العدد ٤٢٤، تاريخ ١٢/١٠/١٩٥٢ حديث مع هنري فرعون.

أولاً ـ لم يقم هذا الاتفاق فقط بين بشارة الخوري ورياض الصلح، بمعزل عن المحيط العربي، لا بل إن اتفاق الأول مع الزعماء السوريين والعرب هو الذي سهل انتخابه لرئاسة الجمهورية، وتولي رياض الصلح رئاسة الحكومة[١].

فإذا بلبنان يلبس «الوجه العربي» ويتعهد بعدم الانضمام إلى أي معسكر، فتعريب المسيحيين ولبننة المسلمين كانت الغاية والهاجس، لدى الطائفتان المسيحية والمسلمة، الآتيتان من خلفيات سياسية واجتماعية ودينية وجغرافية (الساحل والجبل) مختلفة[٢].

لا بل ذهب البعض للقول، أن انتخاب بشارة الخوري، رئيساً للجمهورية، جاء ثمرة للاتفاقات التي تمت مع الزعماء السوريين والعرب، وليس نتيجة لاتفاقه مع الزعماء المسلمين اللبنانيين[٣].

ولولادة الميثاق يقول يوسف إبراهيم يزبك، أن اللقاءات تمت في عاليه في نزل صديق مشترك، صيف ١٩٤٣، وبعدما تبين أن أفكارهما قريبة من بعضهما، قام رياض الصلح بنقل الحديث الذي جرى مع بشارة الخوري إلى بعض أصدقائه المسلمين اللبنانيين وآخرين من رجال الحركة الوطنية السورية، فاستقبلوا الأفكار المتبادلة بكثير من الارتياح مما شجعه على مواصلة الحديث، وبالفعل تم الاجتماع الثاني في منزل الشيخ بشارة الخوري في عاليه، إثر ظهور نتائج الانتخابات، حين جرى الاتفاق على المبادئ الأساسية للميثاق الوطني[٤].

١ ـ ولد رياض الصلح عام ١٨٨٤ في مدينة صيدا. درس في مرحلة أولى في إحدى مدارس الإرساليات الأجنبية، وتابع دراسته العالية في اسطنبول حيث ترعرع، وكان والده قد تولى مناصب عالية في دوائر السلطنة العثمانية، وكان رياض الفتى الساعد الأيمن لوالده رضا الصلح في الحركة العربية القومية. أصدر المجلس العرفي في عاليه عدة أحكام أصاب رياض ووالده منها الحكم بالإعدام، إلا أن صغر سنه شفع به فاستبدل الإعدام بالمنفى المؤبد واعتقل مع والده في إحدى مناطق الأناضول، ولم يفرج عنه إلا سنة ١٩١٧.
ـ بالنسبة للمطالبة بالوحدة أنظر سعيد مراد، الوحدوية في لبنان ١٩١٤ ـ ١٩٤٦، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٠.

٢ ـ فريد الخازن، تفكك أوصال الدولة اللبنانية، ص ٦٣؛ ويضيف الخازن أنه بعد عام ١٩٦٧ وظهور القوات السلفية المسلمة على الأرض اللبنانية، تحولت جمهورية العيش المشترك إلى جمهورية الخوف.

٣ ـ كتاب الجنرال كاترو في معركة المتوسط باريس، ١٩٤٩، ص ٢٥٩.

٤ ـ يوسف إبراهيم يزبك، مجلة الأسبوع العربي، بيروت ١٩٥٨، ومجلة Magazine ١٩٥٨ بالفرنسية.

بدأ بعض المسيحيين أمثال ميشال زكور وأسعد عقل من ذوي النزعة القومية العربية، منذ عام ١٩٢٩، يهاجمون الانتداب الفرنسي وينتقدون تجاوزاته، ويطالبون بالاستقلال، مما فتح لهم المجال واسعاً لاستيعابهم لدى القوميين العرب، بحيث أن لبنانيتهم كانت تتناسب معهم ومع الوطنيين السوريين، فهم غير طائفيين هذا من جهة، ومن جهة ثانية إن الإسلاميين اللبنانيين، الذين ثاروا على العثمانيين، لم يفعلوا ذلك ليؤيدوا الانتداب الفرنسي. من هنا ولدت فكرة قيام لبنان المستقل، هذه الفكرة التي أخذ الوطنيون السوريون يقبلونها، ابتداء من الثلاثين[١].

ويقول حنا غصن أن رياض الصلح طلب منه مقالاً تحت عنوان «لماذا نحن مع الانكليز؟». بعد انتخاب ١٩٤٣ ذهب الصلح إلى دمشق واجتمع بالزعماء السوريين كسعد الله الجابري، وفارس الخوري، وجميل مردم الذين أبلغوه تفضيلهم للشيخ بشارة الخوري كمرشح لرئاسة الجمهورية، لأن إده كان منحازاً للافرنسيين بالإضافة طالب الصلح، رفاقه المسلمين التخلي عن المطالبة بالأقضية الأربعة، مما ساعد على بلورة فكرة الصيغة الوطنية تحت تسمية «الميثاق الوطني».

فبالنسبة إلى كاظم الصلح، في الكتاب الذي وضعه «الاتصال والانفصال» عرض جملة من الأفكار حول العروبة، إن استقلال الكيان اللبناني والعمل من ضمنه لا يتنافى مع الدعوة العربية، إنما الدعوة العربية تلزم العروبيين، بجعل هذا الكيان عربي الوجه واللسان والاتحاد، منتسباً إلى الأمة العربية ناشطاً من أجل قضاياها، وتحريرها في كل أقطارها، قبل البحث بوحدتها على أن يكون لبنان آخر المنضمين إليها متى تمت[٢].

يقول بيار الجميل: سألنا رياض الصلح عما يجب علينا فعله لطمأنة الذين ما زالوا خائفين؟ فأجابه، فلندع التعاون يمهد للثقة المتبادلة، فالمسألة ليست مسألة كلمات أو وعود أو مواثيق مكتوبة، بل مسألة ثقة وطمأنينة[٣].

١ ـ حنا غصن، الأسبوع العربي، بيروت العدد الصادر في ٢/١١/١٩٧٤ وكان غصن صحافياً مقرباً كثيراً من رياض الصلح.

٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٧٤.

٣ ـ تصريح في جريدة العمل العدد الخاص بالذكرى الثلاثين لتأسيس الكتائب ١٩٦٧.

في غمرة هذه الأحداث، ولد الميثاق الوطني الجديد، ليوحد اللبنانيين على اختلاف ميولهم ونزاعاتهم، لم تكن وثيقة خطية أعدت سلفاً، إنما تعبيراً جامعاً، شاملاً، للإرادة الوطنية التي أكدت الوضع الجديد، المنبثق عن انتخابات ١٩٤٣، والأحداث التي تلتها: رئاسة الجمهورية حصرية بالمسيحيين، ورئاسة الحكومة (والمجلس) للمسلمين، ووافق الجميع على توزيع عدد النواب بنسبة ستة مقاعد للمسيحيين إلى خمسة للمسلمين... ووافق لبنان على أن ينضم في نطاق سيادته المطلقة إلى مجموعة الدول العربية يساندها ويتعاون معها بنشاط وإخلاص إلى أقصى حد»[١].

ويقول شمعون «بعد ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٣، ولدت دولة تتمتع بسيادة حقيقية لها ما للدول الكبرى من حقوق وامتيازات. ولم تنجح في المعركة إلا بعدما دفعنا الثمن مرتين: الدم اللبناني الذي أريق والذي كان في المستطاع صيانته، وتدهور علاقتنا بفرنسا، ومن العسير أن يتصور الإنسان كيف تقاتل اللبنانيون والفرنسيون وتناصبوا العداء من أجل قضية حيوية كقضية الاستقلال بعد روابط الصداقة والتفاهم التي جمعتهم»[٢].

وتابع قائلاً: إن الأسابيع التي انقضت حفلت بالأمجاد وكانت نتائجها فريدة في تاريخنا، فلم يعرف لبنان، منذ الفينيقيين، مرحلة من السيادة التامة والاستقلال الناجز كالذي يتمتع به اليوم. لقد نعم بالحرية في أجيال غابرة لكنه ظل خاضعاً للأمبراطورية البيزنطية، وللغزاة العرب، وللصليبيين، وللمماليك، وللأمبراطورية العثمانية. حتى حروب فخر الدين الكبير التي وسعت رقعة حدوده، لم تتمكن من إنقاذه، بصورة تامة، من السيطرة العثمانية»[٣].

«ولعل لبنان البلد الوحيد الذي تلتقي فيه الحضارتين الشرقية والغربية، فلا تتضادان بل تنسجمان في قالب واحد يجمع صفات كلتيهما، وينطلق منه إلى عالم الفكر البشري شعاع زاهي الألوان متوهج الأنوار»[٤].

---

١ ـ كميل شمعون، مذكراتي، ص ٣٣.
٢ ـ كميل شمعون المرجع ذاته، ولكن ما إن وقعت الحرب ١٩٧٥، حتى صرح شمعون بأن الميثاق هو «كذبة كبيرة».
٣ ـ كميل شمعون، المرجع ذاته، ص ٣٣.
٤ ـ د. جورج شرف، التحول في مفهوم الدولة بين لبنان الكبير وميثاق ١٩٤٣، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ص ٦٨٣ إلى ٧٢١؛ مع التذكير بأن جميع هذه الأفكار والمبادئ تدور حول ما يسمى بالمسألة الشرقية، التي استأثرت باهتمام الدول الأوروبية، أنظر زين زين، المرجع ذاته، ص ٣٨ (حيث عنون الفصل الثالث من مؤلفه، المسألة الشرقية).

إن جميع الطروحات السياسية التي كانت تتناول منطقة الشرق الأدنى، كانت تلحظ لجبل لبنان وضعاً خاصاً، انطلاقاً من عام ١٨٦١ إلى ١٩٢٠، واستمر الصراع بعد هذا التاريخ ٢٣ سنة بين الطوائف المسيحية والإسلامية، والسنة بوجه خاص إلى حين المطالبة بالاستقلال، فإذا بالميثاق الوطني يوحّد الجميع تحت ظل الدولة الواحدة الموحدة[١].

بعد نزول الحلفاء في النورماندي، وتعزيز وضع الحلفاء في الشرق، أصبحت الحكومة الفرنسية المؤقتة، هي مركز الثقل، وهي فرنسا بذاتها، مما جعل ديغول ورقة ضغط بيد البريطانيين، بعدم تسليمه بقضية استقلال لبنان وسوريا، وإذا بالجنرال السير ادوارد سبيرس، يتولى في أول تموز ١٩٤٤، أعماله في لبنان، وإذا به ينصح اللبنانيين والسوريين، بوجوب الاتفاق مع فرنسا، على أساس معاهدة بينهما[٢]. واعتبر البعض بأن الصيغة والميثاق يعكسان تداخلاً بين المصالح الطائفية والاقتصادية[٣].

الفقرة الخامسة ـ المثقفون يتولون القيادة

تولى الكتاب والصحافيون الحكم في فترة الانتداب، وصولاً إلى المطالبة بالاستقلال، وكانت الصحافة تدعم رجال الاستقلال وتشد أزرهم، سواء الصحافة العلنية أم السرية وكان من هؤلاء الساسة بالإضافة إلى بشارة الخوري ورياض الصلح، وسامي الصلح، تقي الدين الصلح الذي لعب دوراً بارزاً في تولية رئاسة الحكومة[٤].

---

١ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ٦٢.
٢ ـ الإعلان الرسمي جاء على لسان فرنسا الحرة (فرنسا الديغولية) والحكومة البريطانية، حيث أعلنا فيه «استقلال سوريا ولبنان (متحدين أو منفردين) بضمانة معاهدة مع فرنسا تكفل السيادة وتوضح العلاقة المتبادلة، أنظر، غسان تويني كتاب الاستقلال في صور، المرجع ذاته، ص ٩.
٣ ـ مسعود ضاهر، لبنان الاستقلال، بيروت، دار المطبوعات الشرقية، ١٩٨٤.
٤ ـ منح الصلح، جريدة الرياض اليومية، تعليق على كتاب بعنوان «تقي الدين الصلح، سيرة حياة وكفاح»، للمؤلف المحامي عمر الزين .http:www.alriyaadh:com/2008/01/16article309382nshtml ؛ ـ د. سيمون عبد المسيح، التفسير العقائدي للاستقلال اللبناني، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ص ٧٢٣ إلى ٧٥٢؛ د. فريد الخازن، الميثاق الوطني في أبعاده الداخلية والخارجية وفي التفسير والتطبيق، ص ٦٣٩.

النبذة الأولى ـ التقارب بين الخوري والصلح[١]

يقول نصري المعلوف: كنا مجتمعين للوصول إلى شيء اسمه الاستقلال، وكانت المسألة المطروحة: من يستطيع إيصال البلد إلى الاستقلال غير بشارة الخوري؟ ومن هو المسلم الذي سيتحالف معه؟ كانت تحيط بشارة الخوري حلقة واسعة كأنها من النخبة، وعلى رأسها سليم تقلا الملقب يومها بدماغ الكتلة الدستورية، ومن أعضائها ميشال شيحا وكميل شمعون ومجيد أرسلان وميشال زكور. لكن المسلم الوحيد الذي يعتمد عليه بشارة الخوري لم يكن له تأثير على المسلمين، وهو خالد شهاب، الذي كان أديباً وشريفاً. لكن استخدام الفرنسيون له استهلكه سياسياً إضافة إلى أنه لم يكن من المجاهدين في سبيل الاستقلال، بل من مناصري هذا التيار ومحبيه. وكان رياض الصلح صديقاً لإميل اده وثمة برودة تباعد بينه وبين بشارة الخوري، ولا تفاهم بينهما، وكان الصلح يسعى لأن يكون لإميل اده دور كبير دون أن يماشيه طبعاً في قضية استبقاء فرنسا في لبنان. فالمطلوب كان إذن كيفية جمع بشارة الخوري ورياض الصلح، والعقدة الصعبة كانت عند هذا الأخير، فتعاون بعيداً عن الأنظار كل من سليم تقلا وكميل شمعون مع تقي الدين الصلح وكاظم الصلح، وتم الاجتماع وسارت الأمور كما هي محددة، وبقي رياض الصلح وفياً لإميل إده. وبعد عودته من راشيا، رفض توجيه تهمة الخيانة العظمى له واكتفى بفصله من البرلمان، وقد دعمه في هذا الاتجاه كل من يوسف سالم وحبيب أبي شهلا، وعدد كبير غيرهما[٢].

النبذة الثانية ـ انتخاب الخوري رئيساً للجمهورية

في ٢١ أيلول ١٩٤٣، عقد مجلس النواب جلسة لانتخاب رئيس للجمهورية، ترأس الجلسة أكبر الأعضاء سناً، النائب جورج زوين، وحضر النواب، إميل اده، أسعد البستاني، جورج عقل، أحمد الحسيني، أيوب ثابت، كمال جنبلاط، وجميل تلحوق.

---

١ ـ علي شعيب، رياض الصلح واستقلال لبنان، اليوبيل الذهبي للاستقلال، الجامعة اللبنانية، ص ٣٠٩؛ كانت شعارات الاستقلاليون في انتخابات عام ١٩٤٣ تدور حول النضال العربي وأنه يتقرر على ضوء الانتخابات، أنطوان الحكيم، التمثيل... المرجع ذاته، ص ٣٣٥.

٢ ـ فارس ساسين، سليم تقلا، المرجع نفسه، ص ٤١٠ و٤١١؛ ـ د. وهيب أبي فاضل، استقلال لبنان من خلال التاريخ المدرسي، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ص ٧٨١ إلى ٨١٨؛ ـ د. نزيه كبارة، التربية والتعليم في ظل الاستقلال ١٩٤٣ ـ ١٩٩٣، اليوبيل الذهبي، ص ٨١٨ إلى ٨٤٤.

كان في مقاعد الحكومة، عبد الله بيهم، أمين سر الدولة، وتوفيق لطف الله وعواد معلولي وبترو طراد.

ترشّح للرئاسة بشارة الخوري وإميل اده، فكانت الغلبة للأول، مع الإشارة، بأنه توفرت لكميل نمر شمعون حظوظ الوصول، لكن الفرنسيين حالوا دون ذلك، وفضلوا بشارة الخوري، اعتقاداً منهم، بأنه أقل خطراً.

النبذة الثالثة ـ خطاب القسم

بعد انتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيساً، بدا واضحاً من خطابه في جلسة قسم اليمين، بتاريخ ٢١ أيلول ١٩٤٣، بأن هناك صفحة جديدة ستفتح في لبنان، من السيادة والحرية، ويؤكد التزام لبنان بميثاق «الاطلنطي» الذي يشكل ضمانة لكل شعب يتوق إلى الحرية والاستقلال[١].

كان رياض الصلح يردد دوماً، أن هذا البلد لن يستقل ما لم يتفق «مسيحيوه ومسلموه». عمل كثيراً في هذا الاتجاه، حتى أصبح الجو مؤاتياً. في تلك الأثناء حضر وفد من الكتلة الوطنية الشامية إلى البطريرك عريضة، في فصل الصيف، فقرعت له الأجراس. جن جنون الفرنسيين، بعد ذلك جاء فخري البارودي إلى بكركي، وصار رياض يقول:

«القنطرة مؤلفة من قوسين، وطالما الواحد بإزاء الآخر ومساو له لا شيء يقوى عليها أما إذا وقع أحد هذين القوسين أو زاح من مكانه، فالثاني ساقط حتماً[٢]».

---

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٧؛ ـ وقف زعماء البلاد، صفاً واحداً للمطالبة بالاستقلال مسلمين ومسيحيين، فإلى جانب بشارة الخوري، وكميل شمعون، وتقي الدين الصلح، وغيرهم، لعب حميد فرنجية دوراً رائداً في الاستقلال، أنظر د. هلا سليمان حول دور حميد فرنجية، الرائد في الاستقلال، في اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ٣٣٩.

٢ ـ فارس ساسين، سليم تقلا، من بناء الدولة إلى معارك الاستقلال، الطبعة الأولى حزيران ٢٠٠٤، ص ٤٠٩؛ ـ لهذين القوسين، إمدادات جغرافية حتمية لا يمكن الاستغناء عنها، وفي هذا الإطار أنظر: مهيب حمادة: تاريخ علاقات البقاعيون بالسوريين واستراتيجية البقاع في المواجهة السورية الإسرائيلية المجلد الأول (بيروت ١٩٨٣) ص ٢٨٠ و٢٨١.

النبذة الرابعة ـ الصلح رئيساً للحكومة (١٩٤٣)

تمّ تأليف الحكومة بسرعة فائقة، برئاسة رياض الصلح، وعضوية حبيب أبو شهلا، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير المالية ووزير العدلية، سليم تقلا وزير الخارجية والأشغال العامة، كميل شمعون، وزير الداخلية والبريد، مجيد أرسلان، وزير الدفاع والزراعة والصحة، عادل عسيران، وزير التموين والتجارة والصناعة.

النبذة الخامسة ـ تسريع الخطى نحو الحرية

سعت الحكومات والمجتمع اللبناني، بشكل دائم إلى وضع صيغ وحلول تتماشى مع الوضع الداخلي، فيما يسمى بالعيش المشترك، لكن ما هو ملفت للنظر، أن الجيش يكون في أحسن حال، طالما لم يتدخل الزعماء في محاولة تجيير مقوماته لحسابهم الخاص، ويبقى الميزان الحقيقي لنجاح تجاربهم، إمكانية إيجاد صيغة ترضي إلى حد ما كل شرائح المجتمع اللبناني، فالشرعية في هذا البلد إنما تستند فقط وبصورة حصرية على صيغة التوافق والعيش المشترك، أكثر من الاعتماد على صيغ الأكثرية أو ما يسمى بالديموقراطيات بحسب المفاهيم العربية.

فالنظام اللبناني لا يعتبر نظام حزب أو عائلة أو دين أو طائفة، مما أضفى عليه صفة مبتكرة قادرة على التأقلم بصورة واسعة مع المعطيات المستجدة لكن طالما بقيت التدخلات الأجنبية محصورة ضمن الأطر الآيلة للمحافظة على هذا النظام، وهو همّ المسؤولون فيه فكانت تجربة الاستقلال المنفصلة عن العروبة وعن التعلق بالغرب مما حضن في أعماقه المسلمين والمسيحيين على السواء. مما حتم خلق مواصفات لا بد من ظهورها وممارستها بشكل متزن، وهي ترتكز على الاعتدال والحكمة والتبصر واليقظة والفطنة، وعدم السير بالمغامرات الممنوعة ودعم مجاراة التيارات المرفوضة ولو بقسم من شعب هذا البلد، ولا يجوز السير في أي مخطط انقلابي، والمطلوب من الناقمين على هذا النظام محاولة تغييره من الداخل، دون المس بالأسس والمبادئ التي ارتضى اللبنانيون العيش في كنفها[١].

١ ـ داود الصايغ، النظام اللبناني، ٢٠٠٠، ص ٦.

فالتجربة الدستورية اللبنانية قديمة العهد، وهي ترقى إلى زمن بعيد، وتستند دوماً إلى الشرعية الدستورية التي لم تنقطع أبداً، خلافاً لأنظمة بعض الدول المجاورة (ما عدا حالات تعليق الدستور عامي ١٩٣٢ و١٩٣٩)، فالنظام الاستقلالي يعود بحدوده إلى نظام المتصرفية (١٨٦١ ـ ١٩١٥)[١].

فرنسا نفسها، التي كان لبنان يناهضها، كانت محتلة من قبل ألمانيا الهتلرية، وقواتها المسلحة كانت تقاتل باسم «فرنسا الحرة»، وزاد نشاطها في الخارج خاصة في أفريقيا، تحت قيادة التحالف الذي كان يحارب ألمانيا خارج القارة الأوروبية، وحليفتها إيطاليا، وقوى المحور والمعارك الضارية كانت تشتد على الأرض الروسية.

خلال هذه الفوضى الدولية، تحركت المقاومة اللبنانية ضد القوى المنتدبة وأخذ لبنان توجهاته السياسية والاجتماعية والعسكرية يرسم وجه الإدارة وظهر للعيان وبالتزامن، مع التحركات السياسية، المنبثقة من البرلمان، القياديون الشعبيون الذين انطلقوا من كل حدث، وتجمعوا وتوحدوا في مسيرة التعبير عن غضبهم.

الفرع الثالث ـ بدء الأزمة بين الحكومة اللبنانية والسلطة الفرنسية

بعد تشكيل الحكومة اللبنانية تصاعدت الأزمة بين لبنان والسلطة الفرنسية، وتجلت في المواقف التالية:[٢]

١ ـ رفض الحكومة زيارة المندوب الفرنسي، كما جرت العادة حتى تاريخه، معتبرة أنه كغيره من السفراء، وزاد الطين بلة أن سورية لم تخرج عن تلك التقاليد.

٢ ـ أصدرت الحكومة اللبنانية مذكرة باعتماد اللغة العربية لغة رسمية مكان اللغة الفرنسية، وبعد يومين جاء الاعتراض من السفير الفرنسي، معتبراً ذلك مخالفاً لصك الانتداب، ولا يحق لها التعديل بصورة منفردة، فردت الحكومة معتبرة بأن الانتداب غير قائم.

١ ـ داود الصايغ، المرجع ذاته، ص ١٩.

٢ ـ في ١٠ أيار قاطعت الدولة اللبنانية القداس القنصلي على شرف فرنسا في كنيسة الكبوشيين بمناسبة عيد جان دارك، وقرر الرئيس الخوري إلغاء هذا التقليد الذي يحمل مدلولاً سياسياً؛ أنظر فارس ساسين، سليم تقلا، المرجع ذاته، ص ٣٨٨.

٣ ـ أما النقطة الأهم التي أدت إلى انفجار الأوضاع بين الدولتين، تركزت على قضية تعديل الدستور التي شغلت بال السلطة الفرنسية، التي عملت جاهدة على عدم إقرار أي تعديل[١].

الفقرة الأولى ـ هللو يستحث الصلح لإرجاء طرح التعديل الدستوري

أرسل هللو، من مركز الحكومة الفرنسية المؤقتة في الجزائر، برقية إلى رئيس الحكومة مطالباً إياه إرجاء جلسة تعديل الدستور، لحين رجوعه إلى لبنان. وقد وصل إلى لبنان بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٢. واستفحل الخلاف بينه وبين بشارة الخوري[٢].

الفقرة الثانية ـ تحذير الصحف من نشر التعديل الدستوري

تخوفت السلطات الفرنسية، من إقدام المجلس النيابي على تعديل الدستور بصورة مستعجلة، فطلبت التريث في اتخاذ مثل هذه الخطوة، ولم تتوقف، عند إيصال هذا البلاغ إلى الحكومة، بل أقدمت على تسليمه إلى الصحف وأطلعت وزير الخارجية عليه تلفونيا[٣].

الفقرة الثالثة ـ الحكومة تسارع بالتعديل الدستوري

كانت المشاورات بين المفوضية الفرنسية والسلطات السورية، قائمة كي تتسلم حكومتي بيروت ودمشق، المصالح المشتركة مثل الإدارات المالية والجمركية والاقتصادية ومنها المرافئ والهاتف والسكك الحديدية، إلخ... التي كانت بيد السلطات الفرنسية. في هذه الأجواء، سارعت السلطات اللبنانية لتبني التعديل الدستوري، بعدما رفضت البلاغ الفرنسي، الذي اعتبرته افتئاتاً على سيادة دولة كان قد جرى إعلان استقلالها من قبلهم.

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٣٦.
٢ ـ لحد خاطر، آل السعد، ص ٣٦٥.
٣ ـ غسان تويني، كتاب الاستقلال بالصور والوثائق، ص ١٠.

الفقرة الرابعة ـ هللو يقسم «بشرفه» على عدم القيام بأي عمل عنفي

بعد أن وقَّع رئيس الجمهورية قانون تعديل الدستور، وتمّ نشره، ساد البلاد جو محموم «مشحون بالإشاعات» بحيث أن اعتقال رئيس الجمهورية وحكومته كاد لا يكون مفاجأة لو لم تسبقه «خدعة دبلوماسية»، ففي «عشاء سري نسي التاريخ أمره» وهو الذي أقامه رئيس البعثة البريطانية سبيرز مساء ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣، لتكريم ملك يوغوسلافيا أثناء زيارته لبيروت وخلال العشاء سأل سبيرز المندوب الفرنسي، المسيو هللو الجالس إلى يساره، إذا ما كان سيقدم على أية خطوة تصعيدية عنيفة ضد السلطات اللبنانية التي عدلت الدستور رغم التحذير الفرنسي؛ أكد هللو للجنرال سبيرز، أنه لن يقدم على أي عمل عنفي، وقيل إنه أقسم بشرفه على ذلك مع أنه أنكر القسم عندما أثارت بريطانيا الأمر بعد انفجار الأزمة»[١].

الفقرة الخامسة ـ تقلا ينقل الطمأنة إلى رئيس الجمهورية

بعد انتهاء المأدبة، اختلى الجنرال سبيرز بوزير الخارجية اللبنانية سليم تقلا، الذي كان حاضراً وأعلمه بالحديث الذي أجراه مع المفوض السامي الفرنسي. توجه سليم تقلا على الأثر إلى رئيس الجمهورية وأبلغه ما دار من حديث، الذي أطلع بدوره الرئيس رياض الصلح، فنام الجميع مطمئنين على الأقل إلى سلامتهم[٢].

الفقرة السادسة ـ الرئيس اده يحضر مسرحية في الجامعة الأميركية

رغم الأجواء المتشنجة كان الرئيس إميل اده يحضر مسرحية بالفرنسية في الوست هول في الجامعة الأميركية، وكما سجل ذلك أحد المراقبين الأميركيين، كان الرئيس «بادي الشحوب كأنه مريض»[٣].

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ١١.
٢ ـ في ٢٩ آب بمناسبة تحرير العاصمة الفرنسية أقام المفوض السامي حفل استقبال، وألقى سليم تقلا خطاباً أكد فيها صداقته لفرنسا لكن نريد استقلالنا وجلاء القوات المسلحة عن بلادنا، فارس ساسين، سليم تقلا، المرجع ذاته، ص ٣٩١.
٣ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ١٣.

الفقرة السابعة ـ اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وبعض الوزراء

وجد هللو التعديلات الدستورية قد تمت، فأرسل أمره إلى فرق من البحارة الفرنسيين والجنود السنغاليين في الصباح الباكر في ١١ تشرين الثاني لاعتقال[١] رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، ورئيس الوزراء رياض الصلح، والوزراء كميل شمعون، وحبيب أبي شهلا وعادل عسيران وسليم تقلا بالإضافة إلى نائب طرابلس عبد الحميد كرامي، مع الإشارة بأن هذا الأخير لم يكن عضواً في الحكومة لكنه زعيم طرابلس بلا منازع، فقد فازت لائحته في انتخابات ١٩٤٣، وكان مناضلاً شرساً، فرضت عليه السلطات الفرنسية، الإقامة الجبرية، مرات عدة. وما أن بدأ الخبر ينتشر في بيروت ويعم لبنان، حتى تفجرت التظاهرات الصاخبة، التي لا سابقة لها في تاريخه. تم نقلهم بحراسة عسكرية فرنسية مشددة، إلى مكان لم يفصح عنه بعد معاملتهم بصورة مهينة والتطاول على عائلاتهم. لم يطلع اللبنانيون على أجواء الاعتقالات إلا من خلال الإذاعات الأجنبية، لأن الصحف المعارضة منعت من الصدور، والصحف الموالية لفرنسا، حال المتظاهرون دون صدورها[٢]. وفي الوقت نفسه أصدر هللو جملة قرارات وهي أولاً: تعليق العمل بالدستور، ثانياً: حل مجلس النواب، ثالثاً: تعيين إميل اده رئيساً للدولة[٣].

الفقرة الثامنة ـ هللو يتخوف من الوحدة العربية

كان لموقف هللو، ردات فعل عنيفة عالمياً وداخلياً، لكن على ما يظهر كانت هناك خلفيات تخوف منها هللو، بإقدام بريطانيا على إنشاء وحدة عربية تحت مظلتها، خاصة وأن البريطانيين كانوا يقفون مع اليهود ويتبنون مطالبهم فاعتباراً من تشرين الثاني ١٩١٩، بعد انتهاء الحرب العالمية، اقترح أحد المسؤولين البريطانيين أن تكون الحدود بين

---

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٣٧.

٢ ـ د. جوزيف الياس، دور الصحافة اللبنانية في الاستقلال (١٩٤١ ـ ١٩٤٦) اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٦٩، ص ٥٣٠.

٣ ـ De Gaulle Charles, Mémoires, le salut 1944-1946. كذلك د. حبيب أبي فاضل، المرجع ذاته، ص ٨١٥.

لبنان والدولة العبرية على نهر الليطاني، لكن فرنسا رفضت وأصر كليمنصو على لويد جورج بوجوب اعتماد الحدود التي رسماها سايكس وبيكو، ولم يستطع حاييم وايزمن من إقناع اللورد كيرزون في الرسالة التي بعث له بها في ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٠ بحق اليهود في مياه الليطاني كون لبنان غني بالمياه وقلما يستفيد منها، كذلك اتصل وايزمن بالجنرال غورو لكن بدون جدوى. فجميع هذه المواقف السياسية عبر التاريخ كانت تدين السياسة البريطانية، وتدعم السياسة الفرنسية، بما في ذلك إميل إده. لكن المواقف البريطانية المتقدمة التي كانت تحاول إيجاد كيان عربي موحد، خوفت الجنرال هللو من تنفيذ مثل هذا المشروع الذي سيكون تحت المظلة البريطانية، «ولعل المندوب السامي جان هللو أسر إليه بوجود محاولة لإنشاء وحدة عربية بمباركة إنكليزية، بعد زوال النفوذ الفرنسي، وما طلب الاستقلال من البعض إلا وسيلة إلى مثل هذه الغاية»[١].

أشرنا سابقاً إلى السياسة التي انتهجها كاترو والمتماشية مع السياسة البريطانية وكيف تلقى مؤيدو فرنسا صدمة كبيرة بانكسار الجيش الفرنسي، وكيف اندفعت الطائرات البريطانية لمهاجمة رشيد علي الكيلاني في العراق، وكيف أخذت القوات البريطانية عام ١٩٤١، المؤلفة من الفرق الاسترالية والهندية وجنوبي أفريقيا، وبعض من قوات فرنسا الحرة، بقيادة بريطانيا، تطلق النار على الفرنسيين الفيشيين وإذا بتشرشل، الذي كان متحالفاً مع السياسة العبرية، يزهق دم الفرنسيين، بأيدي فرنسية، مع لفت النظر إلى المصالح الاقتصادية التي كانت نقطة خلاف بين فرنسا وبريطانيا، ويجب التذكير بأن البترول الفرنسي في كركوك، كان يتم تصفيته فقط في حيفا بعدما يكون قد قطع مسافات طويلة وشائكة، في حين أن الفرع المباشر الذي كان في طرابلس، بقي بدون التجهيزات اللازمة، وذلك بالطبع سنداً للسياسة الخارجية، لقد كانت الأوامر النهائية الفاصلة تعود لبريطانيا.

الفقرة التاسعة ـ الكتائب تحرس منزل اده

الخلاف بين بيار الجميل وإميل اده قديم العهد فكلاهما ولدا في مصر الأول عام ١٩٠٥ في المنصورة والثاني ١٩١٣ في الاسكندرية، ودرسا لدى اليسوعيين، وكان يتهم

---

١ ـ د. إميل معكرون، الرئيس إميل إده والاستقلال، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، ص ٣٠٠.

كل واحد الآخر بأنه «جيزويتي» وكانا على خلاف سياسي مستديم. لكن الجميل، بالرغم من قربه من الكتلة الدستورية، عارض بشدة إنزال العقوبات بإميل اده عام ١٩٤٣ والداعية لتجريده من جنسيته اللبنانية، وأرسل بعض الكتائبيين لحراسة منزله في الصنائع لمنع المضايقات التي كان يمارسها عليه الدستوريون.

ويذكر الجميل أنه عارض موقف إده عام ١٩٤٣، وطلب من إبنه ريمون، بحضور الياس ربابي، عند لقائه في سيارته في الأشرفية الساعة التاسعة مساء في ١١ تشرين الثاني، إبلاغ والده أن عليه قبول المنصب شرط حمل الفرنسيين على إطلاق الزعماء المعتقلين، ثم يسلم، فور عودتهم، السلطة إلى أصحابها الشرعيين لكن لم يتم الاتفاق[١].

الفقرة العاشرة ـ البطريرك عريضة يقود معركة الاستقلال[٢]

إذا قام البطريرك الياس الحويك، عام ١٩١٩ بالدور الرئيسي، بعدما اجتمع اللبنانيون حوله، للمطالبة بدولة لبنان الكبير، وإعادة الأقضية الأربعة التي كانت قد سلخت عنه، وإقرار حدوده الجغرافية الطبيعية والتاريخية، وهو القرار الدولي الذي أعلنه الجنرال غورو في أول أيلول سنة ١٩٢٠، فإن خلفه البطريرك عريضة[٣] قام بدور بارز في قيادة معركة الاستقلال. فبعدما انتخب على السدة البطريركية عام ١٩٢٣، أخذت الأوضاع الاقتصادية تزداد سوءاً من جراء الاحتكارات الفرنسية، وتبين أن الرأسمال الاحتكاري له الموقع الأول، وليس الصداقة التاريخية. فرفع صوته عالياً مطالباً التوقف عن الاستبداد بالحكم خلافاً للوعود ولصك الانتداب، وللتقاليد، وعدم امتهان كرامة البلاد، شاكياً من الانتداب الفرنسي ودوره المفسد، داعياً إلى صيغة التعايش الإسلامي ـ المسيحي، رافضاً تصغير البلاد وجعله وطناً قومياً مسيحياً، وكانت مواقفه الداعمة لاستقلال البلاد، بدون شرط، خير دليل على ذلك.

١ ـ نقولا ناصيف، ريمون اده، ص ٤٨١ و٤٨٢.
٢ ـ الأب الدكتور بولس صفير، المرجع ذاته، ص ٢٩٧.
٣ ـ د. ناصيف نصار، من المتصرفية إلى لبنان الكبير، مدخل إلى دراسة اتجاهات الفكر السياسي عند الموارنة في المائة سنة الأخيرة، مجلة الشرق، السنة الخامسة الجزءان الأول والثاني ١٩٩١، ص ١٦٧.

شكّل الاستقلال اللبناني مطلباً للبطريركية المارونية، لأنها كانت تعتبر بأنه لن يأتي كاملاً ما لم يرافقه استقلال سوريا، وهذا الموقف قرَّب بكركي من الكتلة الوطنية في سوريا، وتجدر الإشارة بأن المواثيق والمعاهدات قد تبرم وتصلح لبلد معين، شرط العودة إليها دوماً وتطويرها بما يتلاءم وواقع الحال[١].

اعتباراً من العام ١٩٣٥ حصل تململ لبناني واسع، ضد قوات الانتداب واندلعت الإضرابات الواسعة في المدن اللبنانية، وأطلقت الدعوات لمقاطعة منتوجات شركة الريجي للتبغ والتنباك، مما قاد الشعب والإكليروس وفي طليعتهم البطريرك عريضة لمخاصمة الانتداب. لقد كانت التظاهرات في لبنان امتداداً لما كان يحصل في سوريا، فلدى خروج المتظاهرين من الجامع الأموي في دمشق، أخذوا يرددون «لا إله إلا الله والبطرك عريضة حبيب الله»[٢].

الفقرة الحادية عشرة ـ مواقف المطران مبارك في معركة الاستقلال

لم يقتصر النشاط المناهض على السياسيين والحزبيين، إنما تعداهم إلى رجال الدين، حيث قام المطران مبارك بدور هام، وأشاد منير تقي الدين في كتابه «ولادة استقلال» بمواقف المطران مبارك حين دخل في تمام الساعة السابعة منزل رياض الصلح، بعيد اعتقاله بتاريخ ١٢ تشرين الثاني، وألقى على أهل بيته كلماته المشجعة، وخطب في الشعب المحتشد الثائر، بكلمات وطنية ملهبة، وعاهد على أن لا يسكت حتى تتحقق إرادة الأمة[٣].

وقام بزيارة المفوض الإنكليزي، ومنزلي بشارة الخوري وسليم تقلا، ليعلن تعاضده مع المعتقلين، وكان برفقته الأب بطرس نصر الله. وبعد الافراج عن الزعماء

١ ـ د. جوزف أبو جوده، الرئيس بشارة الخوري والحزب الدستوري والاستقلالي في اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦، ص ٤٧.
٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٦٠.
٣ ـ منير تقي الدين، ولادة استقلال، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٣، ص ٦٥.

المعتقلين، أقدم هؤلاء على زيارته في المطرانية مرات عدة، خاصة وأنه فتح بهو الكاتدرائية المارونية في بيروت أمام النواب، فاجتمعوا هناك[١].

كذلك قام بعيادة الطلاب الجرحى في مستشفى الجامعة الأميركية من جرّاء الاعتداء الوحشي الذي قام به جنود الاحتلال، فشكره الطلاب على مبادرته مؤكدين له إصرارهم على المضي في جهادهم لوصول لبنان إلى استقلاله التام وسيادته.

ثم توجه بعد ذلك إلى مستشفى القناصة البريطاني حيث أجريت عملية جراحية للطالب الباسل هاني غندور، ولما شاهد هاني سيادته قال له، إنني يا سيادة المطران لم أعمل شيئاً بعد وإن الدماء التي سالت من جسمي النحيل ما هي إلا نقطة من بحر الدماء الذي يجب أن تروى به أرض وطني لبنان الحبيب، فتأثر سيادته ورغب إلى إدارة المستشفى أن تسمح لأهل الجريح بزيارة ابنهم يومياً، فنزلت عند رغبة سيادته[٢].

لقد عُرف بصداقته لفرنسا، لكنه لم يتوان عن مهاجمة مندوبيها السابقين عندما حصل ضرر على استقلال لبنان، فأخذ يطالب بعودة الشرعية، وكانت رسائله إلى الجنرال سبيرز والجنرال كاترو، خير شاهد على وطنيته[٣].

إن مصداقية المطران مبارك، لا حدود لها، فإذا كان قد وقف مدافعاً عن الاستقلال وبالخندق نفسه مع ابن بلدته رشميا، الشيخ بشارة الخوري، فلم يتردد بأن يثور بوجهه ويخالفه الرأي في توجهاته السياسية ويعارضه أشد المعارضة[٤].

---

١ ـ بشارة الخوري، حقائق لبنانية، الجزء الثاني، منشورات أوراق لبنانية، ١٩٦٠، ٣٨؛ ـ في عام ١٩٣٣ قاد رياض الصلح والمطران مبارك تظاهرة مشتركة تطالب بقيام حكومة دستورية. وفي عام ١٩٣٦ ارتفعت أصوات بكركي معارضة الأوضاع الاقتصادية فوصل ما يقارب ٥٠٠٠ شخص على رأسهم رياض الصلح، وشكري القوتلي، وفخري البارودي، ونسيب البكري، لدعم موقف البطريرك.

٢ ـ جريدة علامتي الاستفهام، السنة الأولى، ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣.

٣ ـ د. جان نخول، موقف المطران اغناطيوس مبارك من استقلال لبنان ١٩١٩ ـ ١٩٥٢، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ٣٦١.

٤ ـ إميل معكرون، الرئيس إميل اده والاستقلال، ص ٢٨١.

الفقرة الثانية عشرة ـ دور حميد فرنجية في الاستقلال[١]

إبان اعتقال زعماء البلاد في ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٣ اجتمع النواب الأحرار، وكان حميد فرنجية نائباً عن زغرتا، وأصغر النواب سناً، متولياً أمانة سر مجلس النواب، فتقدم باقتراح تناول وجوب إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل العاشر منه، فوافقوه على رأيه وشكلوا وفداً منهم برئاسة فرنجية للتوجه إلى دمشق والاتصال بمسؤوليها وبشعبها وبحكومتها لدعم الحركة الاستقلالية في لبنان والاحتجاج للرأي العام العالمي والعربي ضد التدابير التي اتخذتها السلطات الفرنسية.

الفقرة الثالثة عشرة ـ فصل الرئيس اده من النيابة

بعد العودة من الأسر، أثيرت مسألة مصير الرئيس إميل اده ووجوب اتخاذ قرار بشأنه، كونه خرق الدستور، ولما كانت المادة ٣٨ من القرار رقم ٣ الصادر في ٢ كانون الثاني ١٩٣٤ تنص على أن كل عضو من أعضاء المجلس النيابي يعين أو يرقى إلى وظيفة عامة يعدّ منفصلاً عن المجلس بمجرد قبوله لها ولما كان السيد إميل اده قَبِل تعيينه بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ في وظيفة عامة، وقد مارسها، لهذه الأسباب يقرر مجلس النواب اعتبار السيد إميل اده منفصلاً عن المجلس وإبلاغه هذا القرار. وجاء هذا الحل وسطاً حافظاً كرامة لبنان، دون ملاحقة إميل اده بالانتقام أو بالمحاكمة، أو بإسقاطه من الحقوق المدنية. اتخذ قرار الفصل بأكثرية ٣٥ صوتاً[٢].

---

١ ـ هلا سليمان، حميد فرنجية، رائد من رواد الاستقلال، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، ١٩٩٦، ص ٢٣٩.

٢ ـ قد يكون لموقف الرئيس الصلح، الأثر الكبير في اتخاذ هذا القرار، لأنه كما يقول جبران تويني، كان رياض الصلح «ينفتح على الجناح المعادي لحزبية الرئيس الخوري، ربما إحساساً منه بأن المعارضة دائماً أبقى من الأحزاب الحاكمة، وأن الحكومة قد لا تدوم رئاستها يوماً، بينما «المعارضة» كمعارضة تظل هي الأبقى له»، أنظر غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٧٣.
تابع بشارة الخوري قائلاً، أنه عندما «أيقن اده نجاحي بالانتخابات الرئاسية، راح يدعم سامي الصلح لرئاسة الجمهورية، كما فعل عام ١٩٣٢، بدعم الشيخ محمد الجسر. لكنه لم يفلح»، أنظر: Béchara El Khoury, L'Indépendance, Ibid, p. 247.

الفقرة الرابعة عشرة - رد التهم عن الرئيس اده

سبقت التهم الادعاء بالخروج على الصف الوطني وتحدي مشاعر فريق من اللبنانيين. اتهموه بالخيانة ولكن أبقوا على إشارة بنظافة كفه والتزام الكلمة والحس الوطني حتى حدود القضية[1].

حاول د. إميل معكرون، توضيح بعض النقاط التي تعزز رد التهم عن الرئيس إميل اده، وفيما أشار إليه:

أولاً - ترشح إميل اده لرئاسة الجمهورية عام ١٩٢٥، ولما كان ترشحه حصل بدون علم ومعرفة المفوض السامي ساراي المعروف بهرطقته ومقاطعته مقام البطريرك في بكركي، قام بالتنسيق مع أيوب ثابت وبترو طراد وشارل دباس بتأمين النصاب في جلسة كانون الثاني المتعلقة بانتخاب رئيس البلاد. وفقد اده أمل الوصول إلى رئاسة البلاد، بسبب انسحاب النواب المسلمين تحديداً. وأقدم ساراي بعد ذلك على مهزلة ثانية وهي حل مجلس النواب. توجه إده إلى مكتب المفوض السامي دون موعد، فدخل لعنده بعد خروج شارل دباس وجلس دون أن يصافحه فبادله ساراي بالقول، آسف لما حصل اليوم، فاتهمه اده بتعطيل الجلسة، فاستوضحه المفوض فيما إذا كان يدينه، على ما حدث، فرد عليه هذه هي الوقائع.

وأخذ ساراي يعاتبه لأنه رشح نفسه دون إعلامه، فأجابه اده بأنه لا يستأذن أحداً فيما يعتبره حقاً له. فرد ساراي بأنه القيم على القانون فأجابه «وأنا رئيس المجلس وأشرع القانون»، تجهم ساراي واتبع ذلك بقوله: «كان هذا بالأمس، أما اليوم فالمجلس ملغى، وستجرى انتخابات برلمانية جديدة» وهنا ثار اده قائلاً: «اسمع يا حضرة الجنرال إن عدم انتخابي رئيساً للدولة لا يلغيني بين الناس وكذلك حل المجلس، فقد أعود إلى مكتب المحاماة وإميل اده يبقى إميل اده، وأما أنت فسوف تضيع في زحمة النسيان بمجرد أن ينقلونك إلى باريس». وهمَّ بالانصراف فعاجله ساراي بقوله «اسمع يا سيد اده»، وهنا بلغ الصدام المزاجي أشده بين الرجلين، تذكر من الآن فصاعداً، إذا صادفك سوء الحظ، أنك أسأت اختيار خصومك وأصدقائك سواء بسواء»، فختم اده اللقاء بقوله «ولغيري أن يتذكر أيضاً».

١ - إميل معكرون، المرجع ذاته.

ثانياً - صحافي باللغة الفرنسية، نشر في جريدة (لوجور) خبراً موجزاً عن عودة إميل اده من فرنسا عام ١٩٤٦. استدعاه ميشال شيحا وهدده قائلاً: إن اسم إميل اده لا يمكن أن يذكر على صفحات هذه الجريدة أياً تكن الأسباب.

ثالثاً - وقع خلاف بين اده ومعظم المسؤولين الفرنسيين، لاسيما مساعد المفوض السامي جورج بيكو، والمفوضون دوجوفنيل، ودوميان ودومرتيل، وغبريال بيو، ونائب المفوض السامي سولوميل، ومع كولومباني، مدير أمن العام الفرنسي، والمفوض السامي هنري دانتز، الذي كان مع فيشي في حين إده كان مع ديغول.

رابعاً - يقول الوزير جوزف أبو خاطر بأن متتبعوا السياسة اللبنانية إبان الانتداب، يعرفون أن إميل اده صديق الفرنسيين قاوم مراراً بشجاعة طغيان السلطة المنتدبة وعاش معها أزمات شديدة.

خامساً - لعب إده دوراً كبيراً في نشوء لبنان الكبير، لارتباطه بصداقة قوية مع الرئيس الفرنسي ميلران.

سادساً - إنشاء حزب الترقي مع كل من بشارة الخوري ويوسف الجميل وميشال شيحا، وعهد برئاسته إلى المركيز دو فريج، وعندما طرحت مسألة تنصيب حاكم فرنسي في سدة الرئاسة، صوت إميل اده لرئيس لبناني، في حين فضل داود عمون إسنادها إلى فرنسي».

الفقرة الخامسة عشرة - المشاركة بتأسيس الجامعة العربية[1]

غادر لبنان وفداً مؤلفاً من حميد بك فرنجية، وزير الخارجية رئيساً، ومعالي سعدي بك المنلا وزير العدل، والأستاذ حبيب بك أبي شهلا، للاشتراك في المفاوضات الخاصة بتأسيس جامعة الدول العربية، وقد اتصل وزير الخارجية بالأستاذ فؤاد بك عمون، مدير الخارجية نحواً من ستة دقائق سأل فيها عن بعض المعاملات، ثم سأل عن فخامة الرئيس فقيل له إنّه في بعلبك، وعلى الأثر اتصل معالي الوزير بفخامة الرئيس

١ - جريدة الإقدام، السنة الثانية، العدد ٢٦٤، الأحد ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥؛ - محاضر جلسات المجلس في ٢١ أيلول ١٩٤٣ إلى ١٤ تشرين الأول ١٩٤٤ - ص ٧١٠ وما يليها.

وأدلى إلى فخامته نتائج محادثات جامعة الدول العربية، وكانت دلائل الانشراح بادية وطلب الاستعجال بإصدار قرار الجامعة العربية. وعندما عاد الرئيس رياض الصلح من القاهرة ألقى خطاباً عن المهمة التي قام بها، ودخول لبنان الجامعة العربية، وأنهى خطابه قائلاً أنها خطوة ستتبعها خطوات، فما كان من فرعون إلا أن أجابه، إنها الخطوة الأولى والأخيرة[١]، أيدت الدول العربية استقلال لبنان وسيادته، وقد اعتبر قراراً نهائياً قاطعاً[٢].

١ ـ لحد خاطر، آل السعد، ص ٣٧١.
٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٨٢.

الفصل الثالث

الجمهورية الاستقلالية الأولى[١]

سارت الجمهورية الاستقلالية الأولى، برئاسة الشيخ بشارة الخوري، ورئيس مجلس الوزراء، رياض بك الصلح، في خطى آمنة وواعدة في أول عهدها، وكانت البلاد في حالة لا تحسد عليها تحتاج للبنى التحتية الشاملة، في جميع المناطق دون استثناء، فعمدت الحكومات المتعاقبة بقدر استطاعتها على سد الحاجات المستجدة، لكن ما إن تعالت الأصوات لجلاء الجيوش الأجنبية عن لبنان، حتى انقسم اللبنانيون حول هذا الموضوع، كعادتهم، مما ألقى ثقلاً على الوضع السياسي العام في البلاد.

الفرع الأول ـ أهداف الرئيسين الخوري والصلح

تمحورت أهداف الرئيسين بشارة الخوري ورياض الصلح حول خمس نقاط[٢]:

١ ـ استقلال تام وناجز عن كل الدول العربية.

١ ـ لمزيد من التفاصيل حول هذه الجمهورية، أنظر:
بشارة الخوري، حقائق لبنانية، جزءان ١٩٦٠؛ فارس ساسين، سليم تقلا، من بناء الدولة إلى معارك الاستقلال، ٢٠٠٦؛ سامي الصلح، لبنان العبث السياسي والمصير المجهول، ٢٠٠٠.
٢ ـ الوزير السابق ميشال الخوري، قراءة في عهد الشيخ بشارة الخوري، في الرئاسة اللبنانية، ماضياً ومستقبلاً، دروس وتحديات، أعمال مؤتمر الجامعة الأنطونية الوطني للعام ٢٠٠٩، ص ٦٧.

٢ ـ استقلال تام وناجز عن الدول الغربية.

٣ ـ لا وصاية ولا حماية ولا امتياز لمصلحة أية دولة.

٤ ـ التعاون مع الدول العربية.

٥ ـ الصداقة مع الدول الأجنبية التي تعترف باستقلال لبنان.

الفقرة الأولى ـ التوازن بين الرؤساء السياسيين

نَعِمَ العهد الاستقلالي الأول، في لبنان، بتوازن بين الرؤساء السياسيين، تمكنت الدولة من خلاله، ليس فقط الحصول على الاستقلال، والانخراط كعضو في جامعة الدول العربية التي تأسست عام ١٩٤٥، وكان للبنان الدور البارز في تأسيسها، بل إلى جلاء القوات الفرنسية عام ١٩٤٦، وخاض لبنان الحرب في فلسطين عام ١٩٤٨، كما تم الانفصال الجمركي بين لبنان وسوريا، عام ١٩٥٠، وكانت هذه القضايا تتم عبر التفاهم الصريح بين المسؤولين، الذين اتخذوا الميثاق الوطني، الإطار الواجب عدم تجاوزه[١].

فإذا كانت الإمارة اللبنانية في الجبل، عبارة عن ملجأ للدروز والنصارى في وجه السلطة العثمانية، فإن جمهورية ميثاق عام ١٩٤٣، تجربة جديدة، قامت على تغيير جوهري في التركيبة الديمغرافية، إذ أصبح المسلم السني الشريك الأصلي في المعادلة إلى جانب المسيحي، مما طرح فلسفة جوهرية من حيث العلاقة بين الأكثرية والأقلية، ومما طرح كيفية تنظيم التحالف بين هذه الأقليات، وشروط وضمانات وجودها[٢].

الفقرة الثانية ـ الأولويات لدى الرئيس الخوري

كان لبنان في أول عهد الاستقلال يفتقر إلى حاجات كثيرة متنوعة، لكن الرئيس بشارة الخوري بالرغم من عمله الدؤوب لتلبية تلك الحاجات، انصبت الأولوية لديه على أربع نقاط:

---

١ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ٢٢٢.

٢ ـ جورج شرف، التحول في مفهوم الدولة بين لبنان الكبير وميثاق ١٩٤٣، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦، ص ٦٨٣.

أولاً ـ بأن يشعر اللبنانيون والمسيحيون بشكل خاص أن خياره كان صائباً وغير ضار بهم.

ثانياً ـ بتزويد البلاد بمؤسسات فعالة، باستصدار القوانين اللازمة.

ثالثاً ـ بتعزيز الروح الديمقراطية والتبادل الحر.

رابعاً ـ الاهتمام بصورة استثنائية، بالدبلوماسيين اللبنانيين لأنه كان يدرك أهمية الدور الفعال الذي يلعبه لبنان، من جهة، واهتمامه بالانتشار اللبناني من جهة ثانية[١].

اهتم رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، بترميم الآثار التاريخية في بيت الدين ودير القمر، ورصد من ميزانية الدولة ربع مليون ليرة للطرقات المؤدية إليهما.

الفقرة الثالثة ـ الاتفاق المالي مع الحكومتين البريطانية والفرنسية[٢]

كان النقد اللبناني مربوطاً بالفرنك الفرنسي بموجب الاتفاق الذي جدد في المجلس النيابي لمصلحة بنك سوريا ولبنان. اتفقت الحكومتان البريطانية والفرنسية على وضع اتفاق جديد يتناول عدة شؤون تتعلق بمعادلات الفرنك الفرنسي والليرة الاسترلينية، والعملة اللبنانية، وإمكان استبدال الليرة اللبنانية بالعملة الإنكليزية.

كما جرى اتفاق بين الحكومتين اللبنانية والفرنسية، بعدما تعهدت فرنسا لسوريا ولبنان على أن تضمن التنفيذ في حالة تدني الفرنك، وبالفعل انضم لبنان وسوريا إلى الاتفاق، وهو حَفِظَ الحقوق اللبنانية وتم التوقيع عليه في ٢٥ كانون الثاني. وقد أقر من المجلس بالإجماع، وقد سجل كلمة شكر للحكومة اللبنانية مدافعتها عن حقوق البلاد اللبنانية ومحافظتها على مستوى النقد اللبناني، باتفاقها مع دولتي فرنسا وبريطانيا، وهذه «مأثرة جديدة نضيفها إلى مآثرها الطيبة...»[٣]. وقد جنى لبنان فوائد جمة من الاتفاق المذكور، وكان المعدل بالنسبة إلى الاسترليني على أساس ٨٨٣ غرشاً لبنانياً و١٧٦ فرنكاً بدلاً من ٢٠٠ فرنك، وبتوفير ٣٤ فرنكاً في كل ليرة استرلينية. وبسبب الحرب العالمية تدنت قيمة العملة الفرنسية دون تأثير على العملة اللبنانية.

---

١ ـ الوزير السابق ميشال الخوري، قراءة في عهد الشيخ بشارة الخوري، ص ٦٤.

٢ ـ بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ص ٩٥.

٣ ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، ص ٧٩.

الفقرة الرابعة ـ عدم طرح المشاركة في عهد الرئيس الخوري

من الملفت أنه لم تطرح المشاركة في عهد الرئيس بشارة الخوري ولم تشكل نقطة خلافية في ممارسة السلطة، بالرغم من أن العلاقة بين الخوري والصلح، كانت تتأرجح بين الصعود والهبوط، والسبب في ذلك أنه كان رؤساء الحكومات أمثال رياض الصلح، وعبد الحميد كرامي، في الأربعينيات يشكلون ثقلاً في الميزان السياسي، مقابل رئاسة الجمهورية، فكانوا جميعهم متساوون في حنكتهم، ودهائهم وضلوعهم في مفاهيم وغياهب السياسة اللبنانية[١]. لكن في آخر عهد هذه الجمهورية حصل تجاوزات أدت إلى التشنج والمواقف المتصلبة.

الفرع الثاني ـ اعتراف الدول العربية والأجنبية باستقلال لبنان

الفقرة الأولى ـ مصر ـ العراق ـ المملكة العربية السعودية

مصر هي الدولة الأولى التي اعترفت رسمياً باستقلال لبنان، وذلك قبل تاريخ إعلان الاستقلال في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، كما أعلن ذلك رياض الصلح في بيانه الوزاري في ٧ تشرين الأول ١٩٤٣ وشكرها وطالب الدول العربية الأخرى السير على خطاها، وكما أكد ذلك جان هللو في برقية مؤرخة في ١٤ تشرين الأول ١٩٤٣[٢].

بعد انتخاب بشارة الخوري رئيساً، أرسل العراق تحسين القادري وزيراً مفوضاً إلى بيروت، مما يعني اعترافه بلبنان المستقل، وذلك قبل أحداث تشرين. قام القادري بتوجيه برقية من الحكومة العراقية إلى الجنرال هللو بعد توقيف رئيس الجمهورية والوزراء في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣، مؤكداً بأنه مستعد لتقديم أوراق اعتماده إلى رئيس الجمهورية بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، ولعب تحسين قادري دوراً مهماً في مساندة الاستقلالين، وكان أول ممثل أجنبي يقدم أوراق اعتماده إلى الرئيس بشارة الخوري.

---

١ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ٢٢٢.

٢ ـ فارس ساسين، سليم تقلا، المرجع ذاته، ص ٣٦٥.

دعم الملك عبد العزيز بن سعود، الحركة الاستقلالية في لبنان، دون أن يقيم معه علاقات دبلوماسية إلا بعد الزيارة التي قام بها وفد رسمي في ٩ نيسان ١٩٤٤ إلى الرياض، فأقدمت المملكة على تعيين قائم بالأعمال هو الشيخ عبد العزيز زيد ممثلها في لبنان وسوريا.

الفقرة الثانية ـ سوريا ودول مختلفة

اعترف بلبنان دولة مستقلة كل من اليمن في ٢٢ نيسان ١٩٤٤ وبولونيا في ١٤ آب ١٩٤٤، وإيران في ٢١ أيلول ١٩٤٤ والبرازيل ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٤، والصين في ٣ تشرين الثاني ١٩٤٤، أما العلاقة مع الفاتيكان فتأخرت، بسبب الدور السلبي للمندوب الفرنسي، لكن تمت تسوية الأمور اعتباراً من عام ١٩٤٦ وذلك بفضل جهود ميشال شيحا، بشكل خاص، وهو من المذهب اللاتيني[١]. وفي عام ١٩٤٧ تم تعيينه سفيراً مفوضاً لدى الكرسي الرسولي، وفي عام ١٩٥٣ تم افتتاح السفارة اللبنانية هناك.

لم تقم علاقة دبلوماسية إطلاقاً بين لبنان وسوريا حتى تاريخ حديث. حاول الرئيس بشارة الخوري في أول عهده دون جدوى. وسادت بين البلدين أوقات وئام وسلام وأوقات تنافر وخصام، بدءا بالعلاقات المشتركة بينهما، كالاتفاق الجمركي،[٢] وكان البلدان يجتمعان بصورة سوية من أجل تدبير المصالح المشتركة، وبالنسبة للعلاقات الخارجية كانا يتوافقان بالرسائل في أوقات الانسجام. لم تكتمل العلاقة الدبلوماسية إلا بعد مرور مدة طويلة، عندما توافق الرئيسان السوري بشار الأسد، واللبناني ميشال سليمان، عليها في أواخر عام ٢٠٠٨، وبالفعل أنشأت سفارتان في كل من دمشق وبيروت أوائل عام ٢٠٠٩.

على أثر الوعكة الصحية التي ألمت بالرئيس السوري شكري القوتلي ومعاينته من الأطباء اللبنانيين، والأطباء الإنكليز بناء لطلب الجنرال سبيرز، زار لبنان وأراد أن تكون زيارة ودية دون أية مراسيم ونزل عند رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري في صوفر[٣].

---

١ ـ فارس ساسين، سليم تقلا، المرجع ذاته، ص ٣٧٠.

٢ ـ بتاريخ الأول من تشرين الثاني ١٩٤٣، تم توقيع الوحدة الجمركية بين لبنان وسوريا، وتعالت الانتقادات، خاصة من البطريركية المارونية، فاضطر الرئيس بشارة الخوري أن يرسل يوسف السودا إلى بكركي لتطمينها عن سلامة هذا الموقف، بشارة الخوري، حقائق لبنانية، المرجع ذاته، ص ٩٩.

٣ ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، ص ٩٩.

الفقرة الثالثة ـ الولايات المتحدة الأميركية

كان للولايات المتحدة قنصل عام هو وودسورث، الذي كان أستاذاً في الجامعة الأميركية، وكان محبوباً من تلاميذه، فوضع جهده لحل المشاكل اللبنانية وشجع على تخطيها ووقف إلى جانب الحكومة يوم كانت في راشيا، وكان أول من ساعد على اعتراف الولايات المتحدة الأميركية باستقلال هذا البلد، وهو كما يقول الرئيس بشارة الخوري، أول من افتتح معه تقليد الغداء إلى مائدة القصر يوم تقديم أوراق اعتماده بصورة رسمية بوصفه وزيراً مفوضاً لبلاده بتاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٤.

الفقرة الرابعة ـ الاتحاد السوفياتي

حضر توفيكوف معتمد خاص عن الحكومة السوفياتية، وأنشأ علاقات دبلوماسية مع لبنان صيف ١٩٤٤. وفي أوائل تشرين الثاني ١٩٤٤ قدم سولود أوراق اعتماده كسفير لبلاده في لبنان.

الفقرة الخامسة ـ بلجيكا وبريطانيا

لعبت بلجيكا دوراً مهماً في مساعدة لبنان على نيل استقلاله وكانت تدعم الحكومة المعتقلة في راشيا، وقد أنشأت لها مفوضية في بيروت بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩٤٣ أي بعيد إنشأ المفوضية البريطانية التي ساندت الاستقلال بشدة.

الفرع الثالث ـ دور لبنان دولياً وعربياً

دخل لبنان الحياة الدولية دخولاً مجلياً بعد العودة من راشيا، وأصبح موجهاً في الميدانين العربي والغربي، وكان يسعى لإقامة أحسن العلاقات مع جميع الدول، وقد وفق بذلك إلى حد كبير[١].

١ ـ ورد في جريدة «العمل» إن هذا الاستقلال لن يعمر إلا إذا كان بعيداً عن الغموض. وكما أردنا استقلالنا طليقاً من قيود الغرب، كذلك أردناه مترفعاً عن مغامرة الشرق، أنظر د. جوزف الياس، دور الصحافة اللبنانية في الاستقلال، (١٩٤١ ـ ١٩٤٦) اليوبيل الذهبي، ص ٥٣٥.

الفقرة الأولى ـ البعثات اللبنانية في الخارج

لم يكن من السهل على الدولة اللبنانية، التي لم يكن لها الخبرة الكافية في العلاقات الخارجية ولا المقدرة المالية، في تعيين ممثلين لها في الخارج، لكن هذه الأمور على صوابيتها لم تكن السبب الأساس، فالدولة الفرنسية عملت جاهدة للحؤول دون ذلك لأنه بنظرها تصبح البداية الحقيقية التي تؤكد استقلال لبنان إلى حد تأخير أن تنظيم وزارة الخارجية كان له أهمية كبيرة عند الفرنسيين لعدم رضاهم على هذا الموضوع، لأنه في الواقع كانت المصالح اللبنانية والسورية والفرنسية مترابطة، وكانوا يتوقون للمحافظة على مركز مميز لهم في لبنان[١].

الفقرة الثانية ـ تأزم العلاقة مع فرنسا

أخذت الحكومة اللبنانية منذ آذار ١٩٤٤، تطالب هيئة الجزائر الفرنسية للتحرير الوطني، بالموافقة على تسمية أحمد الداعوق وزيراً مفوضاً مطلق الصلاحية لديها، فقد أجابت بأنها من حيث المبدأ لا شيء يمنع، لكن الوقت بنظرها لم يحن بعد، وحصل في تلك الفترة حوادث زادت الأمر تعقيداً منها الأحداث التي اندلعت في ٢٧ نيسان أمام البرلمان اللبناني والتي اعتبرت السلطات الفرنسية مسؤولة عنها مباشرة، مما دفع المندوب العام الفرنسي، بينيه، لمقابلة رئيس الجمهورية، وقدم له مذكرة تنفي أي تورط فرنسي في أعمال الشغب وتعترض على الانتقادات التي وجهت إلى فرنسا في المجلس النيابي، وقد أعدّ الرئيس جواباً مفصلاً واضحاً رداً على المذكرة وسلّمه إلى بيار بارت مندوب الحكومة الفرنسية لدى الحكومة اللبنانية.[٢]

النبذة الأولى ـ الدولة تقاطع القداس القنصلي

جرت العادة حضور أركان الدولة اللبنانية القداس القنصلي الذي يقام على شرف فرنسا في كنيسة الكبوشيين، والموافق في عيد القديسة جان دارك، لكن في

١ ـ فارس ساسين، سليم تقلا، المرجع ذاته، ص ٣٧٧.
٢ ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، الجزء الثاني، ص ٩٠.

العام ١٩٤٤ قرر رئيس الجمهورية إلغاء هذا التقليد كونه يحمل مدلولاً سياسياً. لم يرق ذلك كثيراً للسلطات الفرنسية، ومرت العلاقة بين الدولتين بأوقات دقيقة، ما لبثت أن تحسنت بعد موافقة الجنرال ديغول بتمثيل لبنان في الجزائر لدى حكومته المؤقتة، واستتبع ذلك الموافقة حول تسليم المصالح المشتركة وفقاً للاتفاق المعقود بتاريخ ٢٢ كانون الأول ١٩٤٤ وسلمت الحكومة الفرنسية، الحكومة اللبنانية (والسورية) جميع المصالح التي كانت تحت سلطتها باستثناء الأمن العام والجيش[١].

النبذة الثانية ـ فرنسا تعتبر الانتداب قائماً

ظلّت فرنسا تعتبر الانتداب قائماً، وأن إعلان الاستقلال من قبل كاترو في ١٩٤١/٦/٨ و١٩٤١/١١/٢٦ كان مرتبطاً بعقد معاهدة مع الحكومة اللبنانية.

الفرع الرابع ـ تردي الأوضاع

الفقرة الأولى ـ ثورة القوميين السوريين (١٩٤٩)

رأى الحزب السوري القومي بأن الفرصة سانحة من خلال الأجواء غير المرضية بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء. شنّت عناصر منه بقيادة زعيمه أنطون سعادة هجوماً مباغتاً على أحد مخافر الدرك، ووقعت معركة صغيرة سقط فيها ثلاثة دركيين قتلى برصاص القوميين، وحصلت في مناطق أخرى مناوشات أسفرت عن سقوط بعض الجرحى، لكن الثورة فشلت ولجأ أنطون سعادة إلى دمشق، وكان يحكمها حسني الزعيم، الذي أطاح بالحكومة السورية آنذاك، ولعل هذا ما شجع «الحزب القومي السوري» على محاولة القيام بانقلاب مماثل في لبنان لكنها باءت بالفشل، وانتهت بحل الحزب وإعدام سبعة من أعضائه[٢].

---

١ ـ فارس ساسين، سليم تقلا، المرجع ذاته، ص ٣٨٨.

٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص٢٤١.

طالبت الحكومة اللبنانية بتسلمه، وخشي حسني الزعيم من إقدام الحزب على إنشاء شبكات مقاومة لنظامه، فألقى القبض عليه وأعلم الرئيسين الخوري والصلح بذلك، وطلب إرسال قوة إلى الحدود لتسلمه. تم التسلم عند منتصف الليل.

أوصل سعادة إلى بيروت صباح ٨ تموز ١٩٤٩، وكانت القوة الموكلة بحراسته بأمرة الضابط أنور كرم. حوكم طوال يوم ٨ تموز محاكمة سرية، وصدر بحقه حكم بالإعدام ومثل النيابة العامة القاضي يوسف شربل. أحيل الحكم موقعاً من وزير العدل ورئيس الوزراء إلى رئيس الجمهورية الذي وقعه بدوره. نفّذ الحكم فجر ٩ تموز، أي خلال ٢٤ ساعة من تسلمه.

هذا الإعدام شكّل مخالفة فاضحة لأبسط قواعد العدالة، وترك انطباعاً سيئاً داخل لبنان وخارجه، أقسم أركان الحزب على الانتقام، فشددت الحراسة على الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح ويوسف شربل. استطاع القوميون ذات يوم إصابة يوسف شربل، وهو عائد إلى منزله، فاستقرت إحدى الرصاصات في فخذه، وبقي يشكو منها طيلة حياته.

الفقرة الثانية ـ اغتيال رياض الصلح

جرت محاولة اغتيال رياض الصلح في رأس بيروت في دار آل الغلاييني، حينما أطلق عليه النار أحد القوميين، فأخطأه. قبض على الشاب وحكم عليه بالإعدام. تدخل رياض الصلح لدى رئيس الجمهورية طالباً تحويل عقوبة الإعدام إلى السجن المؤبد، فاستجيب طلبه.

في عام ١٩٥١، غادر رياض الصلح إلى الأردن بناء لدعوة جلالة الملك للتباحث معه في الشؤون العربية، حاول التملص من الدعوة، لكن الملك أصر على استجابة طلبه. فذهب الصلح إلى عمان ممضياً ثلاثة أيام ضيفاً على الملك، وبينما هو في طريق الإياب، اعترضت موكبه، على طريق المطار سيارة فيها قوميون وقتلوه[١]، وذلك في ١٦ تموز

---

١ ـ يوسف سالم، ٥٠ سنة مع الناس، ص ٣٢٧ وما يليها. «أقدم أركان الحزب القومي على الانتقام من المسؤولين عن إعدام زعيمهم، فشددت الحراسة على منازل الشيخ بشارة ورياض الصلح ويوسف شربل» «إن هناك مؤامرة وصلة لا شك فيها بين اغتيال رياض الصلح واغتيال الملك»، و«سيظل الجواب سراً من أسرار التاريخ».

١٩٥١، وكان بن غوريون قرر اغتيال رياض الصلح، حينما رفض السير في مخططاته السرية، لكنه لم يقدم على ذلك[١].

بعد الحادثة ببضعة أيام، اغتيل الملك عبد الله في المسجد في القدس، ودفن معه سر مقتله! بالتأكيد هناك مؤامرة، وصلة لا شك فيها بين اغتيال رياض الصلح واغتيال الملك، ويقال بأن هناك مشروع اتحاد بين الأردن والعراق، لم ينجح! وهذا ما أغضب إسرائيل.

الفقرة الثالثة ـ النقمة تزداد

كانت الجمهورية الأولى للاستقلال ذات مداخيل محدودة، لتلبية كافة المشاريع حتى الأساسية منها، وزاد الأمر خطورة إساءة استعمال القيمين عليها لصلاحياتهم مما أدى إلى تزوير الانتخابات النيابية لعام ١٩٤٧ ومواجهة شرسة مع المعارضة.

الفقرة الرابعة ـ الاضراب ومطالبة الرئيس بالاستقالة

خاضت المعارضة الانتخابات في نيسان ١٩٥١، وفاز عدد كبير من أعضائها، وكان من بين الفائزين في الشوف وعاليه، كميل شمعون وكمال جنبلاط وإميل البستاني وغسان تويني وأنور الخطيب، أما الكتلة الدستورية المنافسة التي يدعمها العهد، فقد فاز فيها بهيج تقي الدين ومجيد أرسلان والسلطان سليم وفيليب تقلا. كانت المعارضة تتبع أساليب مختلفة لتتجنب مداورة السلطة، فكانت ترقب نشاطها وتصرفاتها في أقلام الاقتراع، وكانت تعمد بسرعة إلى جمع أصوات الناخبين وإعلان النتائج، قبل السلطة، لقطع أي طريق ملتوية قد تتبعها السلطة آنذاك، خاصة في دائرتي عاليه والشوف. وكان جنبلاط قد بدأ منذ عام ١٩٤٩ من خلال «الحزب التقدمي الاشتراكي» المطالبة بتغيير الأوضاع ويندد بالفساد السائد وسيطرة

١ ـ د. محمود محارب، لماذا قرر بن غوريون اغتيال رياض الصلح، جريدة السفير السبت ٢٩ كانون الثاني والأربعاء والخميس ٢ و٣ شباط ٢٠١١.

أصحاب المصالح الاقتصادية الكبرى على البلاد، فاجتمع وشمعون والنائب الكتائبي جوزف شادر، وبيار اده نجل الرئيس إميل اده، وأصبح هؤلاء الأربعة نواة للمعارضة[١].

في ٣٠ أيار ١٩٥٢، نشر كمال جنبلاط مقالاً في جريدته «الأنباء» تحت عنوان «جاء بهم الأجنبي فليذهب بهم الشعب» ضد رئيس الجمهورية بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح لآخر حكومة في عهد الخوري، فأصدرت الحكومة قراراً بمنع تداولها ومصادرتها في المطبعة، ومحاكمة جنبلاط شخصياً وليس رئيس التحرير إميل مكرزل. فاتفق جميع رؤساء تحرير الصحف المعارضة آنذاك على نشر افتتاحية جنبلاط مكان افتتاحيتهم، فردت الحكومة بإحالة هذه الصحف على المحاكمة دفعة واحدة وجرت المحاكمة في الرابع من حزيران مما أدى إلى تظاهرة شعبية اشترك فيها زعماء المعارضة كما أعلنت نقابة الصحافة الإضراب، ولم تتمكن السلطة من إدخال أي من الصحافيين السجن وانتهى الأمر باستقالة الحكومة[٢].

في صيف ١٩٥٢، تنادى خصوم الرئيس الخوري إلى اجتماع شعبي ضخم عقد في دير القمر في ١٧ آب، ومنهم كميل شمعون وكمال جنبلاط وريمون اده، وحميد فرنجية وعادل عسيران، ألقيت خطب عنيفة ضد الرئيس بشارة الخوري، وكان رئيس الحكومة سامي الصلح قد سمح بعقد الاجتماع ولم يحرك ساكناً للرد على الذين هاجموا الرئيس. انفجر الخلاف بين رئيس الجمهورية ورئيس حكومته، وراح الأول يوعز إلى الوزراء المقربين منه للاستقالة، حتى يشعر رئيس الوزراء فيستقيل.

راح سامي الصلح، عند استلامه استقالة أي وزير، يؤمن بديلاً عنه ويرسل المراسيم إلى قصر الرئاسة التي لم يوقعها الرئيس وبقي سامي الصلح في مكانه، فلا الاستقالة قبلت ولا عين بديلا[٣].

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٢.

٢ ـ http://www.mafhoum.com.press4/kadaa.1.htm.

٣ ـ تسلم سامي الصلح، رئاسة الوزارة، بعد استقالة عبد الله اليافي في شهر شباط ١٩٥٢، الذي خلف وزارة حسين العويني، ولم يكن الصلح مقرباً من رئيس الجمهورية، إنما كان محسوباً على المعارضة، أنظر: يوسف سالم، ٥٠ سنة مع الناس، ص ٣٣٥ وما يليها.

تقدم رئيس الجمهورية باقتراح برنامج لإصلاح الوضع القائم وتهدئة الرأي العام، وفي ٩ أيلول ١٩٥٢، تمت الدعوة لاجتماع مجلس الوزراء لدراسة الإصلاحات لكن ما إن وصل رئيس الوزراء حتى أخذ من جيبه خطاباً معداً سابقاً، قدَّم فيه استقالة الحكومة.

أصدر رئيس الجمهورية مرسوماً بقبول الاستقالة، وكلَّف ناظم عكاري تأليف الحكومة الجديدة، الذي استأذن لكي يسأل سامي الصلح.

اعتبرت المعارضة أنها انتصرت باستقالة سامي الصلح. أقفلت بيروت وسادت الفوضى وفلت زمام الأمر من يد الحكومة، حاول الرئيس الطلب من صائب سلام تأليف حكومة جديدة، مما يسمح بفتح الأسواق بعد يومين من الاجتماعات، تبين لصائب سلام استحالة تأليف الحكومة خاصة بعدما التقى عبد الله اليافي ورشيد كرامي، وسعدي المنلا وحسين العويني، وهم المرشحون التقليديون لترؤس الوزارات في لبنان، فقد تنادوا على عدم التعاون مع رئيس الجمهورية.

في اليوم التالي توجه صائب سلام إلى السراي واجتمع بناظم عكاري رئيس الوزراء والوزير موسى مبارك، وقال لهما إن الحالة لا تهدأ إلا باستقالة رئيس الجمهورية.

واتصل صائب سلام بالجنرال فؤاد شهاب قائد الجيش، وبعد مداولات معه، توجه إلى قصر الرئاسة، حيث بادره الرئيس فوراً، إنك ستطلب مني الاستقالة، وبعد اجتماع الرئيس والحاج حسين العويني والجنرال فؤاد شهاب، صرح الرئيس بأنه يأبى أن يريق دماً لبنانياً لفك الإضراب، وطلب من الجنرال شهاب أن يستلم مرسوم تعيينه رئيساً للوزارة، وطلب منه تعيين حكومة مصغرة، وتقدم بكتاب الاستقالة من رئيس المجلس النيابي في ١٨ أيلول ١٩٥٢.

تمت الانتخابات بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٥١ بين المؤيدين لبشارة الخوري وفي طليعتهم «السلطان» سليم شقيقه، والمعارضة وبصورة خاصة الجبهة الاشتراكية الوطنية، وكان التخوف من الحيل التي قد تقدم عليها السلطة لعرقلة مسيرة المعارضة

الانتخابية، كأن تضع يدها على البوسطات المكلفة بنقل الناخبين إلى صناديق الاقتراع، مما دفع إميل البستاني إلى تبني عامل المفاجأة، فاستقدم ١٥٠ بوسطة من سوريا وخبأها في مرآب شركة «الكات»، بحيث ظهرت المعارضة وكأن ليس لها أي وسائل نقل، وما إن كان يوم الاقتراع حتى ظهرت البوسطات السورية دفعة واحدة، وساهمت في نقل المقترعين المعارضين بصورة سهلة[١].

أقدم إميل البستاني على توزيع مناشير المعارضة بواسطة الطائرات العائدة له، التي كانت ترميها فوق القرى والمدن الجبلية، وكان يلتقطها الأولاد والشباب.

بعد تنحي الرئيس بشارة الخوري عن الرئاسة، كان لا بد من العودة إلى الميثاق الذي أرسى أسسه في مطلع عهده، فهذا الميثاق لم يكن مجرد تسوية بين طائفتين، بل صهر عقيدتين، فلا إزالة ولا حماية، بل إيمان وطني لبناني واحد، يتجلى في التعايش السلمي لكل الطوائف التي يضمها لبنان[٢] فإذا كان هذا الميثاق قد أطلق أول عهد بعد الاستقلال، فإنه ذاته سيطلق العهد الثاني.

الفقرة الخامسة ـ موقف ضباط الأركان

بتاريخ ١٨ أيلول، بعد الاجتماع الذي عقده قائد الجيش مع الأركان الكبار للتباحث حول موضوع اضطلاع الجيش في الصراع الدائر بين الرئيس ومعارضيه، اختلى قائد الجيش بالرئيس وأنبأه بعدم حماسة ضباط الأركان لتدخل الجيش وإنهاء الإضراب بالقوة والدخول في صدام مع المعارضة، في الوقت الذي كان يطلب منه شمعون تطبيق القانون والنظام والمحافظة على الأمن. لكن قائد الجيش كرر استعداده لمساندة الدرك إذا أخفق في قمع التظاهرات، شرط عدم إطلاق النار على التظاهرة، فبالنسبة إلى التظاهرات والاعتصامات إن الجيش ليس مقمعاً لها، فواجبه حماية الشرعية وحفظ الأمن والمحافظة على الاستقلال، وصون الوحدة الوطنية والانضباط المسلكي داخل الجيش[٣].

١ ـ نقولا ناصيف، ريمون اده، جمهورية الضمير، ص ٨٨.
٢ ـ الوزير السابق ميشال الخوري، المرجع ذاته، ص ٦٧.
٣ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ١٢٩.

أورد نقولا ناصيف في مؤلفه جمهورية فؤاد شهاب، صورة لصفحة عن محضر تنصت الشعبة الثانية على رئيس الجمهورية في العام ١٩٥٢ وهذا بعض ما جاء فيها: الطالب عالية، القصر الجمهوري، فخامة الرئيس، المطلوب البوليس، نور الدين الرفاعي، اتصل فخامة الرئيس بنور الدين، الذي أجاب احتراماتي فخامة الرئيس إن البلد تقريباً مقفلة، بما فيه سوق الطويلة، كما أن عبد الرحمن ابن سامي بك كان في سيارته عم يوزع مناشير، وهناك منشور باسم القوميين، والاشتراكيين بدورهم أذاعوا أنهم مكملين الأحزاب، والناس مترددين، أما الجميزة فقد تدخل بيار الجميل، لكنه لم يوقف. وأكمل التكلم على الهاتف صائب بك مع نور الدين الرفاعي، حيث أبلغه أن البلد كله مقفل الجميزة، المصيطبة، البسطة، المزرعة، برج أبو حيدر، حبيش وجوارهم، ومعدل الفتح هو ١٠٪ إلى ١٥٪[1].

الفقرة السادسة ـ استقالة الرئيس الخوري[2]

قبيل الاستقالة، وفي ساعة متقدمة من فجر ١٨ أيلول ١٩٥٢ اجتمع الرئيس مع قائد الجيش للتباحث في غرفة رئيس الجمهورية، وكانت أكثرية النواب الموالون يؤيدون بقاءه، بينما العريضة الموقعة من ١٤ نائباً، جلّهم زعماء مناطقهم، تطالب بالاستقالة، وكان لهذه العريضة الوقع الأكبر. وكان الخيار بين البقاء مع ما تسببه من هدر للدماء، في ظل جيش محايد، لا يريد الدخول في الصراع الداخلي، كما أكد قائد الجيش للرئيس، عندما قال[3] أنت تعلم أني أحترمك وأقدرك، لقد كنت دائماً وفياً لك وسأستمر كذلك، لكنني في مثل هذه الظروف المأساوية، لا بد من الصراحة، يمكن أن يوكل مجلس الوزراء الجيش بحفظ الأمن في البلاد. وهل هناك حكومة قادرة على اتخاذ القرارات بحكم البلاد. إن عديد الجيش صغير، وأفراده يأتون من كل المناطق الطائفية، فإذا وقع صدام بين الجيش والمعارضون، أي وقع سيكون على عناصر الجيش، وعلى شرائح الشعب اللبناني بمجمله، فإذا أبصر هؤلاء الجنود سقوط أقاربهم

---

١ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ١٣٠.

٢ ـ بشارة الخوري، حقائق لبنانية، الجزء الثالث، ص ٤٧٧.

٣ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ١٣٦.

في القتال، فأي دفع سيكون على هذا العنصر؟ إن جيشنا فتي ولم يتسنى له الابتعاد عن الطبقة الطائفية، وهو رمز الوحدة الوطنية، فلا يجوز تعريضه لأي هزة قد تؤثر سلباً على وضعه.

وكان الرئيس بشارة الخوري مقتنعاً بالاستقالة، لعدم تعاون الشارع السني معه، فوقّع مرسومين بهذا الخصوص وأعطاهما في الخامسة مساء إلى قائد الجيش، على أن يضعهما في جيبه ولا يعلنهما في انتظار تطور الوضع.

الفقرة السابعة ـ سبب الاستقالة الحقيقي

أما السبب الحقيقي للاستقالة، فبقدر ما كانت الصعوبة بالتعاون مع الشارع السني صحيحة، فإن رفض الشيخ بشارة دخول لبنان باتفاق الدفاع المشترك المعروض عليه من قبل فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الأميركية هو الذي وضع حداً لرئاسته، كان الأميرال روبيرتسون البريطاني قد قابل رئيس الجمهورية، لهذا الغرض، وبعدما استمزج رأي زعماء البلاد، وعلى رأسهم الأمير مجيد ارسلان، بلّغه عدم الموافقة، فإذا بالانكليز يحركون الشارع اللبناني ضده وإذا بالاستقالة، هي الطريق الوحيد، كثمن لرفضه الاتفاق.

الفصل الرابع

الجمهورية الثانية

الفرع الأول ـ شمعون رئيساً للجمهورية (١٩٥٢)

سيقتصر كلامنا على أهم الأزمات التي واجهت الرئيس شمعون، وهي تأميم قناة السويس، حلف بغداد، مشروع آيزنهاور، والوحدة بين مصر وسوريا، ولا بد قبل ذلك من التطرق إلى توليه سدة الرئاسة والخصائص التي تميز بها عهده.

الفقرة الأولى ـ خصائص عهد الرئيس شمعون[1]

بعد استقالة الرئيس بشارة الخوري، احتدمت المعركة بين كميل شمعون وحميد فرنجية، وكلاهما مدعومان شعبياً بصورة واسعة.

يذكر أنه قبل الاستقالة، أقدمت جهات مهمة على محاولة ترشيح شارل مالك لهذا المنصب، إلا أن الرئيس الخوري رفض ذلك لاعتبارات عدة ولم يتوقف أمام مقولة

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل حول هذا العهد يراجع: كميل شمعون مذكراتي، ومراحل الاستقلال ١٩٥٧؛ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة ١٩٨٨؛ سامي الصلح، لبنان، العيش السياسي والمصير المجهول، ٢٠٠٠؛ فارس ساسين، سليم تقلا، من بناء الدولة إلى معارك الاستقلال، ٢٠٠٦؛ سعيد تقي الدين، أنا والتنين، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩؛ عزت صافي، طريق المختارة زمن كمال جنبلاط، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

أن المجيء بشارل مالك، يقطع الطريق أمام خصمه كميل شمعون، وحجته بأن الضرورات الوطنية في تلك الحقبة كانت تفرض رئيساً مارونياً في سدة الرئاسة[١].

انحصرت المعركة إذن بين كميل شمعون وحميد فرنجية. اجتمع بيار اده مع كل من تقي الدين الصلح، وعلي البزري، وهما من مؤيدي حميد فرنجية، اللذين بحثا معه دعم فؤاد شهاب للرئاسة، فأجاب اده بأن شهاب لا يفكر مطلقاً بهذا الموضوع، وعلينا أن نوصل رئيساً بالإجماع، خصوصاً في هذه الفترة. وتولى اده، زيارة شمعون ليطلب منه زيارة شهاب والتفاهم معه حول هذا الموضوع.

وعندما عُرض الأمر على شمعون، تردد، لكنه قام بالخطوة بعدما تأكد له فوزه، فزار فؤاد شهاب في وزارة الدفاع، واتفق الاثنان على أنه في حال وصول شمعون إلى الرئاسة، عليه أن يصدر عفواً يطال بعض الملاحقين في البقاع[٢].

وتمهيداً للوصول إلى الاجماع، دعا يوسف سالم كميل شمعون وحميد فرنجية إلى الاجتماع في منزله، مع عدد من النواب للاتفاق على صيغة معينة، وكان شمعون قد ضمن نجاحه بفارق صوت أو صوتين. أصر سالم بأنه لا يجوز أن ينتخب رئيساً للجمهورية بأكثرية صوتين والكلمة لحميد بك، الذي اتخذ موقفاً جليلاً ومحترماً، سيذكره التاريخ، وهو الحريص على كرسي الرئاسة، والعامل دوماً على تقويتها، فما كان منه إلا أن تعانق مع شمعون خاصة وأنه وقف بقوة إلى جانب الفلسطينيين، وضد المشروع الصهيوني، حتى عندما كانت بريطانيا بزعامة تشرشل تحابي الوكالة اليهودية، وتعمل على تقوية مركزها وقدرتها العسكرية في فلسطين... هذه المواقف جعلت الكثيرين في لبنان يلقبونه «فتى العروبة الأغر» ودفعت مؤيدي الفكرة العربية إلى أن ينظموا له استقبالات فاقت التصور[٣].

كانت قيادة الجيش، قد أخذت تدبيراً بمنع التجول، وبتاريخ ٢٣ أيلول ١٩٥٢، انتخب كميل شمعون بأكثرية ٧٤ نائباً من أصل ٧٦، غاب نائب واحد هو سليم الخوري، وورقة بيضاء لعبد الله الحاج.

١ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٥٦.
٢ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ٥٦.
٣ ـ د. رغيد الصلح، قراءة في عهد الرئيس شمعون في الرئاسة اللبنانية، ماضياً ومستقبلاً، دروس وتحديات، أعمال مؤتمر الجامعة الأنطونية العام ٢٠٠٠، ص ٨٢.

بعد عملية الانتخاب الرئاسية، تمت الدعوة لانتخابات نيابية فرعية لملئ المركز الشاغر، فترشح إميل مكرزل، عضو الحزب التقدمي الاشتراكي والمدير المسؤول لجريدة «الأنباء»، وكان قد برز اسمه بعد مذكرة التوقيف التي صدرت بحقه بسبب نشر مقال كمال جنبلاط بعنوان: «جاء بهم الأجنبي، فليذهب بهم الشعب»، أما ريمون اده فقد رشح، جورج عقل، «عضو الكتلة الوطنية» من الدامور، وفاز مكرزل[١]، أدّت هذه الانتخابات إلى التباعد بين اده وجنبلاط، لأن اده اعترض على المكرزل، كونه من خارج منطقة الشوف.

أقدم الرئيس شمعون بعد أشهر قليلة من ولايته على استصدار مرسوم بحل المجلس النيابي، والدعوة لانتخابات نيابية جديدة، على أساس قانون انتخابي جديد، يختصر عدد النواب من ٧٧ إلى ٤٤، والحجة، ضرورة العودة إلى الشعب لاختيار ممثليه، خاصة وكان قد طعن بشرعية المجلس النيابي آنذاك.

اتسم عهد شمعون بالحرية وبالاستقرار، مما جلب رؤوس أموال من الخارج، العربية منها والأجنبية، لكن إذا كانت الأربع سنوات الأولى مليئة بالازدهار، فإن السنتين الأخيرتين لم تمضيا بسلام، نتيجة ظروف خارجية من جهة وانتهاج سياسة داخلية عنيفة أدت إلى قيام معارضة سياسية شديدة ضده. إضافة إلى معارضة رجال السياسة، ظهرت معارضة رجال الدين، ففي عام ١٩٦٦، على أثر وفاة البطريرك الماروني أنطوان عريضة، اتخذ الرئيس شمعون موقفاً سلبياً من ترشيح المعوشي للسدة البطريركية. فما كان من البطريرك الجديد، وقد كان من مؤيدي بشارة الخوري، إلا الابتعاد عن الرئيس شمعون والوقوف في صفوف المعارضة بما أحرج موقف الرئيس شمعون[٢].

الفقرة الثانية ـ ميزات العهد وإنجازاته[٣]

اتصف عهد الرئيس شمعون بخصائص مميزة منها:

ـ المحافظة على الحريات إلى أقصى الدرجات، فلم تحاول السلطات اللبنانية النيل من أية جريدة، أو أي حزب، طيلة فترة عهده، إلا عند المس بالنظام العام.

١ ـ عزت صافي، طريق المختارة زمن كمال جنبلاط، الطبعة الثانية، ص ١٧٣.
٢ ـ كمال صليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص ٢٤٤.
٣ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٦٤.

إنشاء مجلس شورى الدولة، تعديل قانون الانتخابات النيابية، منح المرأة حق الانتخاب، تأسيس ديوان المحاسبة، قانون المطبوعات، تنظيم وزارة الخارجية وتحديد مهماتها، قانون السير، قانون «من أين لك هذا؟» إنشاء مجالس منتخبة في المحافظات ذات صلاحيات استشارية، توسيع صلاحيات المحافظين، إنشاء المجلس النقابي للصحافة، وفصل نقابة الصحافة عن نقابة المحررين، إنشاء المعمل الحراري في ذوق مكايل، وضع قانون جديد للأحزاب والجمعيات في لبنان، تعديل قانون ضريبة الانتقال والإرث، وضع الحجر الأساس لساحة الشهداء، تكريس الأول من أيار عيداً رسمياً في لبنان، قانون التسليف الزراعي والصناعي والفندقي، وضع قانون للإيجارات، إنشاء الجامعة اللبنانية، استرداد امتياز الكهرباء، إنشاء المدينة الرياضية، وضع الحجر الأساس لإدارة حصر التبغ والتنبك اللبنانية (الريجي)، توسيع مطار بيروت، إنشاء المحطات الزراعية في تل عمارة، قانون السرية المصرفية، مصلحة التعمير، الهاتف الآلي، إطلاق مهرجانات بعلبك الدولية، تدشين أوتوستراد بيروت ـ المعاملتين، الحوض الثالث في مرفأ بيروت، جر مياه الشفة، إنشاء مرفأ طرابلس، مشروع الليطاني، إنشاء دار المعلمين ومدارس مهنية، شبكات طرق دولية وداخلية، مراكز التعليم والتدريب الزراعي ومراكز مراقبة الفاكهة المعدة للتصدير، إنشاء «كازينو لبنان» وضع الحجر الأساسي للإذاعة اللبنانية في الصنائع. شيد القصر الجمهوري في بعبدا بعيداً عن ضوضاء المدينة في صرح صنوبر، وتملكت الدولة امتياز شركة الجر والتنوير لتصبح مصلحة حكومية، بالإضافة إلى مشاريع ضخمة استجلبت أموالاً من الخارج ونشطت اليد العاملة وانتعش الاقتصاد[١].

الفقرة الثالثة ـ اختلال التوازن بين الرؤساء السياسيين

إذا كان العهد الأول الاستقلالي قد نعم بالتوازن بين المسؤولين السياسيين في حنكتهم وضلوعهم في السياسة اللبنانية، اختلف الأمر في عهد الاستقلال الثاني، فالرئيس شمعون لم يواجه أبناء جيله، كالرئيس عبد الحميد كرامي، لكن نجله رشيد كرامي، الذي حلَّ مكان والده، والرؤساء الستة الأكبر سناً، كسامي الصلح وعبد الله

١ ـ يوسف سالم، المرجع ذاته، ص ٣٧٥.

اليافي، اللذين لم يكونا بالمستوى الشعبي ذاته الذي كان لرياض الصلح أو لعبد الحميد كرامي، فإذا بالرئيس شمعون يمارس صلاحياته بعيداً عن أمثالهم. لكن ظهور عبد الناصر، خلط الأوراق اللبنانية داخلياً، وقاد الأوضاع السياسية من سيئ إلى أسوأ، وصولاً إلى النزاعات والمعارك الحربية[١].

الفقرة الرابعة ـ الحكومات المتعاقبة[٢]

ثانياً ـ تناوبت في عهد الرئيس شمعون الحكومات التالية:

١ ـ حكومة خالد شهاب من ٣٠ أيلول ١٩٥٢ إلى ٣٠ نيسان ١٩٥٣ وزراؤها: موسى مبارك (استقال لاحقاً) سليم حيدر وجورج حكيم.

٢ ـ حكومة صائب سلام من ٣٠ نيسان ١٩٥٣ إلى ١٦ آب ١٩٥٣، ووزراؤها: رشيد بيضون، بشير الأعور، جورج حكيم، بيار اده، جورج كرم، جان سكاف، محيي الدين النصولي.

٣ ـ حكومة عبد الله اليافي من ١٦ آب ١٩٥٣ إلى الأول من آذار ١٩٥٤، وزراؤها: الفرد نقاش، جبرائيل المر، بشير الأعور، رشيد كرامي، بيار اده، كاظم الخليل، نقولا سالم.

٤ ـ حكومة عبد الله اليافي من الأول من آذار ١٩٥٤ إلى ١٦ أيلول ١٩٥٤، وزراؤها: الفرد نقاش، مجيد أرسلان، جبرائيل المر، رشيد كرامي، كاظم الخليل، نقولا سالم، جورج الهراوي.

٥ ـ حكومة سامي الصلح من ١٦ أيلول ١٩٥٤ إلى ٩ تموز ١٩٥٥، وزراؤها: جبرائيل المر، الفرد نقاش، مجيد أرسلان، شارل حلو، رشيد كرامي، سليم حيدر، محي الدين النصولي، موريس زوين، نعيم مغبغب؛ شارل حلو استقال لاحقاً، عين بديلاً عنه جورج الهراوي.

١ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ٢٢٢.

٢ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ٦٤ و٦٥.

٦ ـ حكومة سامي الصلح من ٩ تموز ١٩٥٥ إلى ١٩ أيلول ١٩٥٥، وزراؤها: جبرائيل المر، مجيد ارسلان، حميد فرنجية (الذي استقال لاحقاً)، رشيد كرامي، بيار اده، محي الدين النصولي، نعيم مغبغب، سليم لحود.

٧ ـ حكومة رشيد كرامي من ١٩ أيلول ١٩٥٥ إلى ١٩ آذار ١٩٥٦، وزراؤها: فؤاد غصن، مجيد أرسلان، كاظم الخليل، سليم لحود، جورج عقل، جوزف سكاف، نزيه البزري، جميل شهاب، جميل مكاوي.

٨ ـ حكومة عبد الله اليافي من ١٩ آذار ١٩٥٦ إلى ٨ حزيران ١٩٥٦، وزراؤها: صائب سلام، مجيد أرسلان، جورج كرم، جورج حكيم، سليم لحود، جوزف سكاف، نزيه البزري، إميل البستاني، محمد صبرا.

٩ ـ حكومة عبد اللّه اليافي، من ٨ حزيران ١٩٥٦ إلى ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٦، وزراؤها: صائب سلام، مجيد أرسلان، الفرد نقاش، جورج كرم، فؤاد غصن، سليم لحود، جوزف سكاف، نزيه البزري، محمد صبرا.

١٠ ـ حكومة سامي الصلح، من ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٦ إلى ١٨ آب ١٩٥٧، وزراؤها: فؤاد شهاب، مجيد أرسلان، محمد صبرا، شارل مالك، نصري المعلوف، استقال لاحقاً، وعين بديلاً عنه إميل تيان، فؤاد شهاب.

١١ ـ حكومة سامي الصلح، من ١٨ آب ١٩٥٧ إلى ١٤ آذار ١٩٥٨، وزراؤها: مجيد أرسلان، كاظم الخليل، سليم لحود، جوزف سكاف، جميل مكاوي (الذي استقاله لاحقاً)، شارل مالك، فريد قزما.

١٢ ـ حكومة سامي الصلح، من ١٤ آذار ١٩٥٨ إلى ٢٤ أيلول ١٩٥٨، وزراؤها: مجيد أرسلان، رشيد بيضون، بشير الأعور، بيار اده، جوزف سكاف، شارل مالك، فريد قزما، جوزف شادر، بشير العثمان، كلوفيس الخازن، ألبير مخيبر،، رشيد بيضون، بشير عثمان ثم بشير الأعور، استقال لاحقاً رشيد بيضون وبشير عثمان «عين بديلاً عنهما كاظم الخليل واستقال أيضاً بشير الأعور».

فيكون عدد الحكومات ١٢، منها خمسة برئاسة سامي الصلح، وأربعة لعبد الله اليافي، وواحدة لكل من خالد شهاب وصائب سلام ورشيد كرامي.

الفقرة الخامسة ـ المجلس النيابي

أما المجلس النيابي فكان على دفعتين:

الأولى ـ من ١٣ آب ١٩٥٢ إلى ٣٠ آب ١٩٥٧، وتألف من ٤٤ عضواً.

الثانية ـ من ٣١ آب ١٩٥٧ إلى ١٨ تموز ١٩٦٠، وتألف من ٦٦ عضواً.

وقد تعاقب على رئاسته كل من أحمد الأسعد وعادل عسيران.

بدأ عهد الرئيس شمعون، ببحبوحة، وازدهار وانفتح لبنان على الخارج بالزيارات التي قام بها إلى بعض جمهوريات أميركا الجنوبية حيث تفقد المغتربين. فمنذ اللحظة الأولى تألفت وزارة من أربعة أعضاء برئاسة الأمير خالد شهاب، مهمتها وضع مشاريع القوانين للإصلاح الإداري، وتعديل النظام الانتخابي، والأنظمة القضائية، وفي عام ١٩٥٤، أعطيت المرأة اللبنانية، للمرة الأولى في الشرق، حق الانتخاب.

الفقرة السادسة ـ خلاف شمعون ـ جنبلاط في انطلاقة العهد

ما لبث جنبلاط أن طالب شمعون بضرورة القيام بأولويات يعتبرها أساسية في بدء ولايته، غير أن شمعون رفضها فانقلب جنبلاط معارضاً شرساً له. كذلك كان يصر على المشاركة بالحكم ووضع سياسة الدولة الجديدة، ويطالب بمحاكمة المسؤولين السابقين، بقانون من أين لك هذا؟ لكن هذه المطالب، وإن كانت مقبولة نظرياً من وجهة نظر شمعون، إلا أن التعقيدات الطائفية اللبنانية، تحول دون تطبيقها بسهولة، لذلك اضطر شمعون إلى تجاهل مطالب جنبلاط[1]. فبعد ثلاثة أيام على انتخاب رئيس الجمهورية في نهار الجمعة بتاريخ ٢٦ أيلول ١٩٥٢ بدأ الخلاف بين حلفاء الأمس[2].

الفرع الثاني ـ الأحلاف العربية والأجنبية

الفقرة الأولى ـ موقع لبنان الاستراتيجي، يستدرج الأحلاف

الموقع الاستراتيجي للبنان، حمل الدول الكبرى الهادفة للسيطرة وفرض إرادتها، السعي دوماً لتحالفها معه للاستفادة من موقعه المميز، كنقطة تلاقي بين القارات

١ ـ كمال صليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٣.
٢ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ٧٠.

الثلاث، وكأن ما نشهده من فتوحات في آثار نهر الكلب، يجسد التاريخ الحي الواجب أن نعيشه مدى الدهر.

منذ الاستقلال، تتوالى عروض الأحلاف الأجنبية متمنية عليه، الانضمام إليها، تحت أي ذريعة، ففرشت أمامه طرق المجد والعزة والكرامة، وإذا بأحلاف أخرى، تتنطح بدورها، عارضة عليه الزيادة والاستفاضة علّها تحوز على رضاه، وإذا بالشعب، ينقسم بدوره حول تلك العروض، فيصطف هنا وهناك، ويبدأ كل واحد يتهم الآخر بالخيانة والعمالة والاستزلام، حتى إنه، في معظم الأحيان، لا تتوقف الخصومات والانقسام بالرأي عند صفحات الجرائد والمجلات، إنما تمتد إلى السلاح والمجابهة، فهذا قدرنا!

النبذة الأولى ـ فرنسا تعرض إقامة علاقات مميزة

فور إعلان الاستقلال عام ١٩٤٣[١]، جهدت فرنسا لإقامة تحالف مع لبنان يوليها علاقات مميزة، كونه يرتبط بها بعلاقات تاريخية من الواجب المحافظة عليها، لقد كانت غير راغبة إطلاقاً بإلغاء الانتداب، فحاولت بكل قواها، مدعومة من بريطانيا، التمسك بهذا البلد وعدم تركه يفلت منها، وإذا بالسلطات اللبنانية، المتمثلة برئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري وبرئيس الوزراء، دولة رياض بك الصلح، تصد تلك الهجمات المتكررة إلى أن تمكنت من ذلك، لأن الدول العظمى وخاصة الولايات المتحدة الأميركية وضعت ثقلها في الميزان، حتى إنها دقت أبواب الأمم المتحدة لاستصدار قرار بوجوب سحب جميع القوات الأجنبية من لبنان، وجاء الجلاء متوجاً لتلك التناحرات الدولية.

النبذة الثانية ـ بريطانيا تعرض «الدفاع عن الشرق الأوسط»[٢]

ما كادت تمر سنوات عدة، حتى انبرت بريطانيا، بدورها لعرض إقامة حلف مع لبنان تحت تسمية «الدفاع عن الشرق الأوسط» فوصل الجنرال روبيرتسون، القائد

١ ـ غسان تويني، المرجع السابق، ص ٩؛ ـ لحد خاطر، آل السعد، ص ٣٦٣.
٢ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢١٤.

العام للقوات البريطانية المرابطة في الشرق الأوسط، إلى بيروت عام ١٩٥٠، عارضاً هذا التحالف، خوفاً من نشوب حرب عالمية ثالثة، تتعرض فيها دول أوروبا الغربية إلى هجوم سوفياتي. وكانت تلك المعاهدة تسمح باستعمال القواعد البحرية والبرية الخاصة بالدولة اللبنانية. لكن رئيس الجمهورية بشارة الخوري بفطنته، أدرك خطر الانضمام إلى أي من المعسكرين المتناحرين، فرفض الانضمام لأي تحالف مما أدى للإطاحة به كما سبق الإشارة.

النبذة الثالثة ـ حلف بغداد ١٩٥٥[١]

كانت الحرب الباردة على أشدها بين الجبارين: «الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي»، وكانت دول العالم منقسمة حولهما، إما بصورة مباشرة بموجب أحلاف ومعاهدات، وإما بصورة غير مباشرة، بإقامة علاقات صداقة وغيرها من الرموز التي توحي أنه لا يوجد في العالم مكان للحياد، ومن الطبيعي أن يكون لبنان مصب اهتمام كل منهما.

فبتاريخ ١٩٥٥/١/١٣، أرسلت الولايات المتحدة الأميركية، وزير خارجيتها جون فوستر دالاس إلى المنطقة، فقام بزيارة القاهرة، الرياض، بغداد، دمشق وعمان بهدف إنشاء حلف بين هذه الدول، لكنه لم يلق آذاناً صاغية عند معظمها، فوجّه اهتمامه نحو تركيا وباكستان. كانت خطواته، بالطبع، ضمن خطة رئيس الولايات المتحدة الجديد، «دوايت دافيد آيزنهاور» الذي كان يسعى إلى إعادة التوازن في العلاقات مع العالم العربي.

وافقت تركيا وباكستان على إقامة حلف مع الولايات المتحدة الأميركية خوفاً من الاتحاد السوفياتي، خاصة أنهما على حدود تلك الدولة العملاقة، وأخذ هذا الحلف يستقطب المؤيدين.

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٦؛ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢١٥.

بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٥٥، وقعت كلٌ من تركيا والعراق على معاهدة دفاع مشترك وتعاون اقتصادي[1]، وقد انضمت إليهما لاحقاً بريطانيا في ٤ نيسان ١٩٥٥، بإيحاء من الولايات المتحدة الأميركية، ثم باكستان في ٢٣ أيلول ١٩٥٥، وإيران في ١٢ تشرين الأول ١٩٥٥، ودعي هذا الحلف بـ «حلف بغداد»، وهو معاهدة لخمس سنوات قابلة للتجديد، وبقي هذا الحلف مفتوحاً أمام الدول العربية الراغبة في الانضمام إليه، شرط موافقة الدول الموقعة سابقاً. والملفت في هذا المجال تصريح الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض، الذي سارع للقول إن انضمام الولايات المتحدة إلى حلف بغداد ليس له أي مغزى سياسي، تجاه دول المنطقة، فالرئيس آيزنهاور لا يريد أن يتصف دور أميركا الجديد في الشرق الأوسط بالدعم لأعضاء الميثاق ضد أعوانه[2].

فإذا كان مشروع الحلف المقدم من سلطة الانتداب الفرنسي عام ١٩٤٣ أدى إلى حرب الاستقلال، وإذا كان حلف «الدفاع المشترك» عن الشرق الأوسط من قبل بريطانيا أدى إلى زعزعة الدولة والإطاحة بالرئيس بشارة الخوري، فإن حلف بغداد والدفاع المشترك، كانا كافيان لنشوب حرب عام ١٩٥٨، واستبدال الرئيس شمعون، بالرئيس الجنرال فؤاد شهاب.

النبذة الرابعة - زج العراق في حوادث لبنان

الهدف من الثورة، كما أعلن تكراراً على لسان المعارضة، إزاحة الرئيس شمعون عن كرسيه، حتى ولو لم يبقَ من مهلة ولايته إلا الوقت القصير. فلم تكن المدة المتبقية طويلة جداً، مما زاد من مخاوف المسيحيين، الذين اعتبروا بأن الأمر ليس فقط إزاحة شمعون، إنما هناك مطالب وحدوية، سيتم تنفيذها، لذا وقفوا يساندون شمعون بكل قوة، تجنباً من انتصار عبد الناصر، وضم لبنان إلى الوحدة التي كان قد بدأها مع الجارة سوريا، فتدفقت الأسلحة من بغداد لمواجهة الحرب التي تشنها مصر وسوريا مباشرة

١ - رأى عبد الناصر، منذ اللحظة الأولى، في الحلف، عملاً عدائياً موجهاً ضده، ومؤامرة عليه وعلى نظامه واستراتيجيته ومناداته بالحياد الإيجابي؛ أنظر يوسف سالم، ٥٠ سنة مع الناس، ص ٣٧٧.

٢ - ميشال أبو جودة، في ٢٠٧ مقالات وتاريخها، ص ٥٧.

وبواسطة المعارضة، مما زاد الخراب والدمار في البلاد[1]. لكن بعد ثورة العراق انقلبت المقاييس حتى أكثر من ذلك، فإن التحالفات الدولية والإقليمية التي كانت سائدة في عهد الرئيس شمعون، كان لها الأثر الكبير في إيصاله للزعامة، لكنها كانت وبالاً عليه في منتصف عهده، وبالرغم من ذلك بقي، داخلياً، يتمتع بشعبية واسعة، نتيجة تمتعه بمواصفات الزعامة، والإقدام، ومواجهة التحديات[2].

النبذة الخامسة - «الدفاع المشترك» بين مصر والدول الأخرى

سعت مصر إلى إقامة حلف دفاع مشترك بين الدول العربية نفسها، دون تدخل دول غير عربية، حاصراً الدفاع عن الشرق الأوسط فيها. فعقدت معاهدة الضمان العربي المشترك، من خلال جامعة الدول العربية، والفكرة المركزية العقائدية الأساسية كانت بأن الخطر يكمن في الكيان الصهيوني وليس في الشيوعية وقد وقعت هذه الاتفاقية بين مصر والسعودية بتاريخ ٢٧/١٠/١٩٥٥، انضمت إليها سوريا في ٢/١٠/١٩٥٥، واليمن في ١٠/٤/١٩٥٦[3].

ثم انضم عبد الناصر إلى «دول عدم الانحياز»، فحضر مؤتمر «باندونغ» في نيسان عام ١٩٥٥، وبعدها أقدم على تأسيس حلف ثلاثي عربي جمع مصر وسوريا والسعودية ثم انضم إليه اليمن.

في لبنان، أنشأ كميل شمعون رئيس الجمهورية، روابط صداقة متينة، مع كل من إيران وتركيا والعراق، والأردن، والمملكة العربية السعودية، وقام بزيارة تلك الدول، مع ميل عاطفي للحكام الهاشميين، لكنه لم ينضم إلى حلف بغداد، ولم يصدر عنه أي

١ - سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٧١.

٢ - د. رغيد الصلح، قراءة في عهد الرئيس شمعون في الرئاسة اللبنانية، ماضياً ومستقبلاً، أعمال مؤتمر الجامعة الأنطونية للعام ٢٠٠٠، ص ٨٥.

٣ - بتاريخ ١١/١١/١٩٥٤ أعلن وزير خارجية الولايات المتحدة، جون فوستر دالس تقليص إرسال السلاح إلى مصر، لعلة رفضها المشاركة في مشاريع الدفاع عن الشرق الأوسط ولمواقفها العدائية من إسرائيل، وبالمقابل قدمت مساعدات إلى إسرائيل بقيمة ٣٧٠ مليون دولار بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٥ في حين لم تتجاوز الـ ٣٠ مليون دولار لمصر.

تصريح رسمي أو علني ولم يتخذ أي موقف واضح قد يشير إلى انضمامه الحقيقي لهذا الحلف. إذا كان الخطر بحسب «الدفاع المشترك» الذي تتزعمه مصر، يأتي من الصهيونية وليس من الشيوعية، فالأمر بعكس ذلك كان في «حلف بغداد» الذي يعتبر بأن الخطر يتأتى من الاثنين معاً، الصهيونية والشيوعية وحيال هذا التناقض الواضح، انقسم الحلف العربي، فمن جهة هناك العراق وتركيا وإيران والأردن، مقابل مصر وسوريا والسعودية واليمن من جهة ثانية، يبقى لبنان معلقاً وسط هذين الاتجاهين فانقسم الجمهور اللبناني بين مؤيد ومعارض، تماماً كما لو أن ذلك مصيرهم مدى التاريخ، وكان كل واحد من الجبارين، يدعم قسماً من اللبنانيين، فالاتحاد السوفياتي، الداعم لعبد الناصر وللدول المتحالفة معه، لم يخف دعمه للمعارضة اللبنانية، كونها رأس الحربة في وجه الشرعية التي يتزعمها كميل شمعون، والتي تلقى التأييد من الولايات المتحدة الأميركية، الداعمة هي أيضاً لحلف بغداد، وللدول المنضمة إليه. فأخذ انقسام اللبنانيين يتعمق، إلى حد الانقسام الطائفي، مع الأسف، فالمسيحيون يؤيدون الرئيس شمعون، مع ما يمثل، والمسلمون يؤيدون عبد الناصر، مع ما يهدف، خاصة بعد انطلاقته الوحدوية الجبارة، إلى حد أن المجلس الإسلامي الأعلى قاطع عام ١٩٥٥، حفل إفطار رعاه الرئيس شمعون، احتجاجاً على سياسته الخارجية. حاول لبنان، بكل طاقته، إزاء الانقسام الخطير بين الدول العربية، تقريب وجهات النظر فيما بينها، فسافر حميد فرنجية وزير الخارجية إلى كل من دمشق والقاهرة وتكللت مساعيه بالنجاح إلى حد ما، لكن بقي التقارب نظرياً، وبقيت المواقف العملية بعيدة عن التطبيق.

الفقرة الثانية ـ اجتماع رؤساء الحكومات العربية في القاهرة (١٩٥٥)

عام ١٩٥٥، دعا عبد الناصر رؤساء الحكومات العربية للاجتماع في القاهرة، فلم يستجب العراق[1]، وكلف لبنان بأن يرسل دعوة إلى العراق، فاعتذر نوري السعيد، وكانت الانتقادات تنصب على كون السياسة العربية تستند إلى ميثاق الجامعة العربية والدفاع المشترك (١٩٥١) وأن تركيا ليست دولة عربية، وقد رفض نوري السعيد كل ما جاء في تلك الانتقادات. بالنسبة إليه إن الحجة بأن تركيا ليست دولة

١ ـ أرسلت الدعوة إلى العراق بالراديو وليس رسمياً فرفض تلبيتها.

عربية، غير مقبولة، لأن مصر كانت قد وقعت اتفاقاً مع بريطانيا، وأن الاتفاق مع تركيا لا يلحق ضرراً بالعرب، وهو يحارب الشيوعية والصهيونية، كما أن وضعه دقيق لقربه من الاتحاد السوفياتي فعليه التعاون مع تركيا.

ـ لبنان يقوم بالمساعي الحميدة

كلف رؤساء الحكومات المجتمعون في مصر بتاريخ ١٩٥٥/١/١٢ لبنان للتباحث مع العراق، وكان الوفد برئاسة سامي الصلح وعضوية صلاح سالم وزير الإرشاد القومي المصري، ووليد صلاح وزير الخارجية الأردني، ونور الدين الأتاسي وزير خارجية سوريا. وباء مسعاه بالفشل. في تلك الأثناء أرسل كميل شمعون برقية إلى سامي الصلح، ليعرض على الحكومة العراقية إرجاء توقيع الاتفاق مع تركيا لمدة أربعة أشهر وقد يحصل تقارب في هذه الأثناء مع مصر وسائر الدول العربية واقترح دعوة الرؤساء العرب إلى لبنان لتنقية الأجواء، لكن الاقتراحين سقطا.

الفقرة الثالثة ـ المؤتمر الوطني[1]

على أثر هذا الانقسام الحاد في البلاد، دعى بعض الوجهاء والسياسيين، إلى عقد مؤتمر وطني لتدارس السياسة المتبعة في لبنان، وحضر ما يزيد عن المئة شخصية أبرزها حسين العويني. وكمال جنبلاط، وعدنان الحكيم، ونسيب المتني، وأنيس صالح، وأنطوان ثابت، وجورج حنا، وحبيب ربيز، وغيرهم، وأعطيت الرئاسة للحاج حسين العويني، والأمانة العامة لنسيم مجدلاني، وتوافقت الآراء على بعض النقاط: هناك تباعد بين لبنان الرسمي ولبنان الشعبي، اتهام الحكومة بتعريض الوحدة الوطنية للهلاك، اعتبار حلف بغداد يهدف إلى السيطرة على المنطقة العربية، فحرّموا الانضمام إليه أو إلى أية أحلاف غربية. وطالبوا برفع عدد النواب إلى ١٢١ نائباً، وإلغاء الطائفية وتوزيع المقاعد النيابية توزيعا عادلاً، وعبروا عن دعمهم لعبد الناصر وطروحاته حتى أن بعضهم طالب بالانضمام إلى الوحدة العربية.

١ ـ في السنة الرابعة لرئاسة شمعون ظهرت معارضة شديدة، وأيدها البطريرك الماروني بولس المعوشي. مما أحرج موقف شمعون. أنظر: كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٤.

الفقرة الرابعة ـ كرامي رئيس حكومة للمرة الأولى عام ١٩٥٥

لتدارك الوضع القائم، ذهب الرئيس شمعون بتكليف أحد المقربين من مصر، رئيساً للحكومة. فكلف رشيد كرامي في ١٩ أيلول ١٩٥٥، لتشكيل الحكومة وأسندت وزارة الأشغال إلى جميل مكاوي الذي تسلمها من نعيم مغبغب. شددت الحكومة على وجوب تدعيم الجامعة العربية، وإنشاء ميثاق يضم سائر الدول المنضوية ويصون مصالح العرب، ويوحد كلمتهم، ويقف في وجه عدوهم إسرائيل، وأكّدت ضرورة تنظيم العلاقات مع سوريا الشقيقة، والعمل على التكامل الاقتصادي معها، على أن تبقى في حدود التعاون الصادق والمتبادل، ضمن ميثاق الأمم المتحدة، وعلى أن تبقى علاقات لبنان جيدة مع الدول الأجنبية.

في تلك الأثناء، سادت الأجواء في الدول العربية وفي لبنان بشكل خاص، هواجس التحالفات من كل شكل ونوع. فانطلقت الإشاعات حولها كالحلف الثلاثي بين مصر وسوريا واليمن، وجرى التكلم عن وحدة اقتصادية بين سوريا ولبنان، أو عن ميثاق لبناني ـ سوري، كما جرى التكلم عن اتفاق عسكري بينهما، لكن لم يحصل أي منها وكانت مجرد خطابات لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

تفاقمت الأزمة، غداة زيارة الرئيس رشيد كرامي دمشق، وكانت المفاجأة الكبرى، للوزراء اللبنانيين، لاسيما لوزير الخارجية سليم لحود، على أثر تصريح رئيس الحكومة السورية سعيد المغربي، الخاص بالاتفاق الثنائي بين لبنان وسوريا، فصرح لحود أن ذلك حصل دون علمه، وفي غيابه، مما حمل الرئيس شمعون إلى تجميد الاتفاق العسكري، وبعد خمسة أشهر استقال الرئيس رشيد كرامي وحكومته[1].

بتاريخ١/١٠/١٩٥٥، مقابل المساعدات الأميركية، تلقى لبنان عرضاً من موسكو، بتزويده بالعتاد العسكري، لكن حكومة الرئيس رشيد كرامي، أهملت العرض، وقد أكد سليم لحود، وزير الخارجية آنذاك أن لبنان بطبيعته ميال إلى الغرب، ولا يسير في الاتجاه المعاكس. علماً أنه في هذه السنة انطلق حلف بغداد بين تركيا وباكستان وإيران، ولكن إذا كان لبنان لم ينضم إليه فإنه انضم إلى مبدأ آيزنهاور،

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٣٧.

فتزايد ضغط المعارضة، خاصة بعد انضمام البطريرك الماروني أو أنصار بشارة الخوري إلى المعارضة[1].

الفقرة الخامسة ـ اليافي رئيساً للحكومة (١٩/١/١٩٥٦)[2]

بتاريخ ١٩/١/١٩٥٦ ألف عبد الله اليافي الحكومة الجديدة، وقد ضمَّ إليها أحد أهم الزعماء المسلمين المعارضين المقربين من مصر، صائب سلام كوزير دولة، واثنان من المقربين إلى التيار الناصري، مما جعل الأمور تهدأ نسبياً، إلى حد أن كلاً من لبنان ومصر استفاد من المساعدات الأميركية التي منحت عن طريق مشروع النقطة الرابعة.

لم تستمر هذه الحكومة أكثر من ثلاثة أشهر، تسلم خلالها وزارة الأشغال العامة والنقل إميل البستاني، حليف العهد في الشوف؛ وقد تضمن بيان الوزارة بعض المبادئ منها: عدم الانضمام إلى حلف بغداد، وعدم الدخول في الأحلاف الأجنبية، تحقيق أهداف ميثاق جامعة الدول العربية، ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي والعمل مع الدول العربية لخدمة المصالح العربية، واستعادة الحقوق الفلسطينية المشروعة، ووجوب اعتماد مبدأ التشاور مع الحكومات العربية في كل القضايا العربية المشتركة، ومعالجة العلاقة مع سوريا على أساس متين من روابط الأخوة، وعلى أساس الوحدة الاقتصادية، على أن تبقى وتترسخ علاقات الصداقة مع الدول العربية الأخرى، والتريث حول «مشروع جونسون» الرامي للاستفادة من نهر الأردن الذي ينبع من لبنان (نبعي الحاصباني والوزاني) وسوريا بانتظار معرفة التقارير الفنية من الدول العربية.

أعيد تكليف اليافي مجدداً في ٨ حزيران ١٩٥٦، استمرت حكومته حتى ١٨ تشرين الثاني من العام نفسه، وضمَّت كل الأسماء التي كانت في الحكومة الأولى، من اليافي وسلام ومجيد أرسلان، وجورج كرم، وسليم لحود، وجوزف سكاف، ونزيه البزري، ومحمد صبرا، وخرج منها إميل البستاني وجورج حكيم وحلَّ مكانهما، الفرد

١ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٨٠.
٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٥.

نقاش وفؤاد غصن، وتسلم محمد صبرا وزارة الأشغال العامة، ليكمل قضية التعمير وآثار الزلزال وتداعياته.

الفرع الثالث ـ الأزمات التي واجهت العهد

تمحورت الأزمات التي واجهت عهد الرئيس شمعون حول المواضيع الآتية: تأميم قناة السويس، ١٩٥٦، مشروع أيزنهاور، حلف بغداد، والوحدة العربية بين مصر وسوريا، سيتم الإشارة بصورة سريعة إلى البعض منها في هذا الجزء من الكتاب، والبعض الآخر في الجزء الثاني منه.

الفقرة الأولى ـ تأميم قناة السويس

النبذة الأولى ـ ردة الفعل في لبنان

بعد الهجوم على السويس، لم تتم الموافقة على قطع العلاقات مع فرنسا وبريطانيا، لأن بعض الدول العربية كانت مرتبطة بمعاهدات مثل الأردن مع بريطانيا (معاهدة ١٩٤٨) والعراق مع بريطانيا (معاهدة ١٩٥٥) والسودان في طور الاستقلال وكذلك ليبيا، وفرنسا لها ارتباط ثقافي مع لبنان. اشتد الخلاف بين القاهرة وبيروت. أقدم الرئيس شمعون على إرسال برقية تأييد إلى الرئيس عبد الناصر. كما أعلن في حفلة زفاف ابنه في دير القمر، موقفاً مؤيداً لمصر، لكن جرى التعتيم على هذه المواقف. أخذت الأحداث تتسارع، خاصة بعدما أعلن عبد الناصر تأميم القناة في ١٩٥٦/٧/٢٦، وبعد مضي ثلاثة أشهر أي بتاريخ ١٩٥٦/١٠/١٦ بدأ الهجوم الثلاثي على مصر. رفض كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي هذا العدوان وطالبا باللجوء إلى الحل السلمي. وفي ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦. توقفت القوات البريطانية في القنطرة وفي التاسع منه اضطر بن غوريون إلى سحب قواته من سيناء باستثناء غزة، ودخل البوليس الدولي إلى منطقة القناة[١].

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته؛ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٨.

النبذة الثانية ـ شمعون يدعو الملوك والرؤساء العرب للتضامن مع مصر

اجتمع كل من إيران وتركيا وباكستان في طهران مطالبين بالانسحاب دون قيد أو شرط، واستقبل الرئيس شمعون بصورة مفاجئة الصحافي المصري مصطفى أمين برفقة النائب إميل البستاني، طالباً منه الاستفسار من بريطانيا عن موعد وقف القتال، فأبلغه الرئيس موقف بريطانيا بعد الاتصال بها[١].

عقدت في القاهرة قمة رباعية ضمت الملكين سعود وحسين والرئيسين عبد الناصر والقوتلي، وطالبوا بالانسحاب، وتعهدت السعودية بدفع الالتزامات المالية عن الأردن والبالغة ١٢ مليون جينيه، لكنها تراجعت عن تعهدها بعدما دخل الأردن في الاتحاد العربي إلى جانب العراق عام ١٩٥٨.

أعلنت الولايات المتحدة الأميركية انسحاب الجيوش الفرنسية والبريطانية من بورسعيد، وعاد دولسيس ليظهر من جديد على المسرح السياسي، فتوجه إلى باريس بتاريخ ١٩٥٧/١/٩، مطالباً بالجلاء، وبتاريخ ١٩٥٧/١/١٢، فتحت الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا قرضاً بمليار وثمانماية مليون دولار، وأسدل الستار عن هذه القضية وانسحبت الجيوش المحتلة من مصر. في الوقت نفسه أخذت إسرائيل تتقرب من فرنسا، وتم إنشاء مفاعل ديمونا النووي، مما أدى إلى إختلال التوازن العسكري في المنطقة لصالح إسرائيل.

النبذة الثالثة ـ اليافي يلوح بالاستقالة وشمعون يعجلها[٢]

كانت قضية قطع العلاقات مع فرنسا وبريطانيا[٣]، إحدى أهم الأمور الساخنة ومدار البحث في الشارع اللبناني وحده، فلم يصدر عن الرؤساء المؤتمرين في بيروت، أي قرار بقطع العلاقات معهما، ولأنهم تفهموا الواقع اللبناني، والضرر الذي قد يصيب المغتربين اللبنانيين في أفريقيا، وكان في الوزارة صائب سلام كوزير دولة، أحد أنجال الوجيه البيروتي سليم سلام الذي ترأس «مؤتمر الساحل» في عامي ١٩٣٣ و١٩٣٦.

١ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٨١.

٢ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٤٤.

٣ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٦؛ أنظر البيان الصادر عن الملوك والرؤساء العرب، في مؤلف، نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٨٣ وما يليها.

أصر رئيس الوزراء عبد الله اليافي على تقديم استقالته، ثم علقها بعد وساطة الملك سعود والرئيس القوتلي الذين أبديا تفهماً للوضع اللبناني الدقيق، وكذلك بالنسبة إلى السفير عبد الحميد غالب. لكن الرئيس اليافي، عاد وعرض استقالته، إرضاء للشارع الإسلامي الذي كان يطالب بها. قام كل من حسين العويني وعادل عسيران بزيارة شمعون واقترحا تجاوز الأزمة التي أدت إلى استقالة اليافي، وبالتالي استمراره في الحكم، فاقترح شمعون بأن تمثل الحكومة أمام المجلس، دون إعطائه أية ضمانات كفيلة لنيل الثقة، مما دفع اليافي للاستقالة[١]. وإذا بشمعون، فتى العروبة أصبح المعارض الأول لعبد الناصر، وأصبح معظم المسلمين ضده[٢].

النبذة الرابعة ـ سامي الصلح مجدداً برئاسة الوزارة

لم يشكل قطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا عقدة هامة أمام الرئيس سامي الصلح، لأنه تفهم عمق جذورها، فلم يطرحها أحد من العرب، ولا الرئيس عبد الناصر الذي كان يسعى حتى في أوقاته الحرجة إلى إعادة أجواء الوئام مع هذين البلدين، وقد أكد هذا التوجه، سفير لبنان السابق في مصر نديم دمشقية، والسفير الفرنسي السابق في بيروت ثم في القاهرة، الكونت د، شايلا، وتألفت الحكومة من سامي الصلح رئيساً ووزيراً للداخلية وفؤاد شهاب وزيراً للدفاع، الدكتور شارل مالك وزيراً للخارجية، نصري المعلوف وزيراً للعدلية، محمد صبرا وزيراً للأشغال ومجيد أرسلان وزيراً للزراعة والصحة.

وأهم ما ورد في البيان الوزاري: تطبيق القانون ومواجهة كل ما من شأنه إثارة الشغب بحزم وقوة، ضرورة مساندة مصر دفاعاً عن سيادتها وحقوقها والتنسيق المستمر مع الأشقاء العرب، جلاء القوات المحتلة المتبقية عن القناة وقطاع غزة فوراً، دون قيد أو شرط. وبما أن الحكومة السابقة فرضت حالة الطوارئ على كافة الأراضي اللبنانية، رأت الحكومة الجديدة تعزيز الحريات، لاغية حالة الطوارئ ومعيدة الأمور إلى ما كانت عليه.

١ ـ تمت الاستقالة بعدما رفض الرئيس شمعون قطع العلاقات مع فرنسا وبريطانيا، أنظر: كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص ٢٤٦.
٢ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٨٣.

الفقرة الثانية ـ تبدل بالمواقف السياسية

النبذة الأولى ـ ناصر في موسكو وسعود في واشنطن

أخذ التسابق يشتد بين العملاقين على كسب ود الزعماء السياسيين في الشرق الأوسط، فما إن بادر الاتحاد السوفياتي بدعوة عبد الناصر إلى موسكو، حتى سارعت الولايات المتحدة الأميركية بدعوة سعود إلى واشنطن (شباط ١٩٥٧) وانقسمت المنطقة بحدة إلى هذين المعسكرين.

النبذة الثانية ـ الاتحاد السوفياتي يسلح مصر

توجه عبد الناصر إلى الاتحاد السوفياتي لشراء الأسلحة وتم له ما أراد فأحدثت تلك الصفقة دوياً هائلاً في العالم، لأن وصول الأسلحة التشيكية والروسية إلى مصر رافقها وصول الخبراء والفنيين، كما أنه للمرة الأولى استطاع الاتحاد السوفياتي الوصول إلى مياه البحر المتوسط، الدافئة، محققاً بذلك حلمه بكسر طوق الجليد الذي يحاصره[١].

النبذة الثالثة ـ محاولة انقلابية في الأردن ١٠ ـ ١٩٥٧/٤/١٢

في خضم هذه التطورات جرت محاولة انقلاب في الأردن بتاريخ ١٠ إلى ١٩٥٧/٤/١٢ لكنها باءت بالفشل، فتضامنت السعودية مع الأردن ضد سياسة مصر وسوريا، وسلك ملك السعودية طريق بغداد اعتباراً من ١٩٥٧/٥/١١[٢].

النبذة الرابعة ـ القوتلي تكراراً رئيساً لسوريا

عاد شكري القوتلي من منفاه في مصر واستلم زمام الحكم في سوريا، وذلك بفضل الجهود التي بذلها عبد الناصر، وكان خالد العظم منافساً له، وكذلك لطفي الحفار مرشح العراق لرئاسة سورية، فأدى القوتلي اليمين الدستورية، وعين سعيد الغزي رئيساً للوزارة.

١ ـ يوسف سالم، المرجع ذاته، ص ٣٨٢.
٢ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ١٩٧.

لم يكن الاتحاد السوفياتي متحمساً للقوتلي، كونه يجسد الأفكار التقليدية. إلا أنه أخذ يتعاون معه، كما فعل مع مصر، فدعاه لزيارته في تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٥٦ وصدر بيان مشترك سوفياتي ـ سوري، عقبه تدفق الأسلحة السوفياتية إلى سوريا.

النبذة الخامسة ـ سعود يزور لبنان دعماً لشمعون

بتاريخ ١١/١٠/١٩٥٧، وصل الملك سعود في زيارة رسمية إلى بيروت، وكان ضيف شرف في حفل افتتاح «مدينة كميل شمعون الرياضية»، لم يقاطع المعارضون هذه المناسبة، وكانت هناك فكرة قيام وحدة سورية ـ سعودية، لكن لم تنجح، ويقال إنها فكرة مزيفة، وعندما علمت بها انكلترا سارعت إلى وأدها في المهد، لأنها لا تحب التحالفات.

النبذة السادسة ـ لبنان منبراً للإيديولوجيات العربية

لم يقصر لبنان في مساندة كل القضايا العربية، فكانت بيروت تحتفل بانتصار العرب، وتحزن لحزنهم، وكانت تقدم كل ما تستطيع تقديمه، كانت الجماهير تتظاهر في بيروت، فالمعارضون وأصحاب الإيديولوجيات كانوا يعتبرونها مسرحاً لطرح آرائهم وتسويق أفكارهم وشعاراتهم. أما الدولة اللبنانية، فقد افتقرت إلى الوسائل التي تبعد عنها طروحات الإيديولوجيات الخارجية، ولم يكن باستطاعتها رفع شعارات قومية موازية لتلك التي كانت تعم الشوارع، ولم يكن لديها أية ثورة يمكن تصديرها إلى سواها[١] إنما كانت في موقف منفرد تتلقى الصدمات واللكمات الآتية من الخارج والتي كانت تلاقي لها مؤيدين في الداخل.

الفقرة الثالثة ـ مشروع آيزنهاور ١٩٥٧[٢]

النبذة الأولى ـ انقسام اللبنانيين حول المشروع

في آذار ١٩٥٧، أطلق الكونغرس الأميركي «مبدأ آيزنهاور»، وكان ذلك على أثر انتخاب آيزنهاور رئيساً جديداً للولايات المتحدة الأميركية والذي تعهد بتقديم جميع

١ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ١٥٥.
٢ ـ وزير الخارجية شارل مالك اختصر مبادئ مشروع أيزنهاور. أنظر نقولا ناصيف، كميل شمعون. آخر العمالقة، ص ٨٧.

قدراتها ووضعها بتصرف كل دولة في الشرق الأدنى تتعرض للاعتداء الشيوعي، سواء مباشرة أو غير مباشرة[١]، فإذا بالأموال تصرف، وحتى بدون مشروع مدروس ومحدد، فإذا كانت قد استطاعت من وراء دعمها مشروعاً لإعادة المحاور للدول الأوروبية المندثرة في الحرب، واعتبرت أن مثل هذه السياسة كانت ناجحة، فها هي اليوم تغدق الأموال في الشرق الأوسط، ففيما مضى كانت هذه الأموال تتسرب من خلال ما يسمى «بالنقطة الرابعة» التي لاقت أمرَّ الانتقادات من مناوئي حكم الرئيس شمعون بالرغم من أنها جاءت كمساعدات وليس كقروض، وبدون أي التزام سياسي مقابل.

كذلك انقسم اللبنانيون حول ما يسمى «مشروع آيزنهاور»، وبدا نعيم مغبغب المؤيد لسياسة الحكومة، يسير في خططها، بما سيحمله وزر مشاكلها المستقبلية، وإذا بمحاربة «مشروع آيزنهاور» يطلق كسلاح إعلامي من قبل المعارضة، لمحاربة السلطة، مع ما كان لذلك من انعكاسات في حرب ١٩٥٨ في الشوف.

وبالمقابل جاءت بعثة ريتشاردز، من الولايات المتحدة الأميركية إلى الدول المناوئة لحلف بغداد، وهي مصر وسوريا والسعودية في محاولة لتوضيح الموقف الأميركي، وبات شائعاً أن التعاون مع أميركا على أساس مشروع آيزنهاور[٢] سيكون معناه في النهاية دخول ميثاق بغداد، لكن هذا الافتراض بقي نظرياً فلم يصرح يوماً لبنان الرسمي، بنية دخول حلف بغداد. مشروع أيزنهاور يراد به ضمان المصالح الغربية في الشرق الأوسط وحماية الولايات المتحدة الأميركية، فتسبب بالحرب الأهلية عام ١٩٥٨، وفتح المجال للتدخل العسكري للدفاع عن النظام والدولة في إطار استراتيجية الدفاع عن الشرق الأوسط[٣].

النبذة الثانية ـ ريمون اده: إنه عبارة عن «نقطة رابعة»

أخذت المعارضة تتذرع بمشروع آيزنهاور للنيل من الحكومة، وأخذت الخطب والمقالات تتناول هذا المشروع كأنه سيزيل لبنان من الوجود، على الرغم من أنه في

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٦.
٢ ـ ميشال أبو جودة، المرجع ذاته، ص ٥٧ و٥٨.
٣ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٨٦.

الحقيقة لا يعدو كونه مساعدات مالية بهدف التصدي لبلشفة المنطقة، وقد أكد ريمون اده، أن مشروع ايزنهاور هو عبارة عن «نقطة رابعة» موسعة، وقد بلغت قيمة المساعدات المخصصة للمنطقة أي إلى مصر وإيران ما يعادل ١٢ مليون دولار أميركي.

النبذة الثالثة ـ اعتباره تحدياً لمصر

ما إن وافق لبنان على مشروع آيزنهاور، حتى بادرت مصر إلى الاعتراض، لأنها رأت فيه «تحدياً صريحاً لها، أضف إلى ذلك، إن الحكومة اللبنانية كانت، حتى ذلك التاريخ قد أثارت حفيظة الحكم القائم في مصر بطرق أخرى. فعند وقوع الاعتداء الثلاثي على مصر، لم يندفع لبنان في تأييده لموقفها الذي توخته، ثم إن العهد الشمعوني في لبنان لم يكتم عطفه للمملكة العراقية التي كانت تنافس مصر على الزعامة العربية(١)»، بالإضافة إلى أن العراق قد دخل في حلف بغداد، وبالتالي ما إن وافقت الحكومة اللبنانية على مشروع آيزنهاور حتى انهال عليها سخط الرئيس عبد الناصر.

النبذة الرابعة ـ حلوله كعنوان مكان «النقطة الرابعة»

وما أن تزعَّم مجدداً آيزنهاور حتى ألقى خطاباً بتاريخ كانون الثاني ١٩٥٧، أمام الكونغرس الأميركي تضمن السياسة التي ستتبعها حكومته في الشرق الأوسط. فالهدف هو التصدي لبلشفة الشرق الأوسط الذي يعتبر البوابة نحو آسيا وأفريقيا وأوروبا يضم ٢/٣ رصيد النفط المعروف في العالم، والذي تعتمد عليه الشعوب الأوروبية بشكل أساسي، والذي يشكل نقطة الارتكاز في النقل والانتاج. كان يستخرج عام ١٩٥٥، ربع إنتاج المنطقة بمعدل ١٧٠ طن تعادل قيمتها ٢٥٠٠ مليون دولار تقريباً، وكانت عائدات الدول المنتجة ٧٠٠ مليون دولار، فإذا وقعت دول المنطقة تحت سيطرة القوة المناهضة للديموقراطية سيكون ذلك كارثة لها ولعدد كبير من دول العالم، بحيث تتعرض كل من الدول الأوروبية والدول المناهضة للشيوعية للخطر.

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٦.

ويجب بالتالي معالجة أي عدوان شيوعي مباشر أو غير مباشر، أما إمكانية التدخل العسكري، فيجب أن تتوافق مع موجبات شرعة الأمم المتحدة ومقررات مجلس الأمن.

فإذا بمشروع آيزنهاور، يعتمد مخطط النقطة الرابعة نفسه، بتقديم المساعدات للدول، فأخذت الولايات المتحدة الأميركية تحل محل بريطانيا في الشرق، وأخذ الخبراء السوفيات يتوافدون إلى المنطقة ولدى زيارة الرئيس شكري القوتلي لموسكو، واجتماعه بخروتشوف وزكروف، طلب مد يد العون لمصر، فأجاب هذا الأخير ماذا تريدون مني أن أفعل بالضبط، فأجابه القوتلي بحدة، مارشال زكروف أنت تريدني أن أقول لك ماذا تفعل(١)

النبذة الخامسة ـ يزيد تفسخ اللبنانيين عمقاً

إذا كان اللبنانيون، كعادتهم إزاء أي طرح سياسي ينقسمون تلقائياً على أنفسهم بين معارض وموالي، فإن مبدأ «آيزنهاور» زاد انقسامهم عمقاً. لقد انقسموا حول حلف بغداد، وحول تأميم قناة السويس وقطع العلاقات مع فرنسا وبريطانيا، وها هم اليوم ينقسمون حول مشروع آيزنهاور الأمر الذي سيؤدي في آخر المطاف إلى التصادم في الشوارع(٢).

النبذة السادسة ـ التقارب مع «ميثاق بغداد»

على أثر ظهور ميثاق بغداد ازدادت الدول المعارضة له بالتهجم عليه وتفنيد خطورته. سارعت الولايات المتحدة الأميركية، بلسان الرئيس آيزنهاور للقول أنه لا يريد أن يتصف دور أميركا الجديد في الشرق الأوسط بالتحيز لأعضاء الميثاق ضد أعدائه.

لكن بعد قبول لبنان مبدأ آيزنهاور سيقال إن التعاون مع أميركا على هذا الأساس مؤداه أنه سيكون لأميركا حق التدخل بموجب هذا الميثاق. إن أميركا لم

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٤٥.
٢ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٨٥.

تنضم إلى ميثاق بغداد، وبالتالي لم ينضم لبنان إليه ولا ليبيا ولا الدول التي ستقبل بمشروع آيزنهاور، كل ما فعلته أميركا أنها وافقت على ملئ الفراغ العسكري في منطقة الميثاق بعد أن أصبح الوجود البريطاني فيها ضعيفاً أو حتى غير مرغوب فيه، بعد الجلاء عن قبرص والتجاذب القوي فيها، والجلاء عن قواعد العراق. لذلك بعد تقلص دور بريطانيا، سارعت الولايات المتحدة إلى ملء الفراغ ولعل الذين يعارضون هذا وذاك من المفاهيم السياسية الصادرة عن الولايات المتحدة الأميركية، إنما هم يعارضون أميركا، حتى ولو لم يكن هناك مشروع آيزنهاور[١].

النبذة السابعة ـ استقالة بعض النواب احتجاجاً شكّلت نذيراً ببدء أحداث ١٩٥٨

أكد «مبدأ آيزنهاور» في ما ذهب إليه، حرص الولايات المتحدة على استقلال بلدان الشرق الأدنى وسلامة أراضيها، فوجدت الحكومة اللبنانية فيه الضمان المنشود لاستقلال لبنان، وأعلنت قبولها إياه فور إقراره[٢].

كان لتصديق مجلس النواب على مشروع آيزنهاور، أثراً سلبياً، استقبله بعض أقطاب المعارضة بالرفض، فقدموا استقالتهم، ومنهم حميد فرنجية، وعبد الله اليافي ورشيد كرامي، وأحمد الأسعد، وصبري حمادة، أي جميع الزعماء التقليديين، وراحوا يطالبون برفع حالة الطوارئ، والرقابة على الصحف، وبالمقابل كانت الحكومة تتخوف من تعميم الفوضى في البلاد، بعدما أخذت أحداث الشغب تتوالى باضطراد.

لعب النائب هنري فرعون، دور الوسيط بين المعارضة والرئيس شمعون، بهدف إيجاد مخرج للأزمة، واقترح ما يلي:

١ ـ الإيعاز إلى رئيس البرلمان برفض استقالة النواب.

١ ـ ميشال أبو جودة، المرجع ذاته.
٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٦؛ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٨٩.

٢ ـ تعديل قانون الانتخاب من جديد بحيث يصبح عدد النواب ٨٨ بدلاً من ٦٦.

٣ ـ قبول المعارضة بمبدأ مشروع آيزنهاور إذا وافقت الحكومة على البندين المذكورين أعلاه.

لكن الرئيس شمعون رفض أن يكون الحوار مع المعارضة بالواسطة، مما جعل وساطة النائب فرعون بدون جدوى، فقبلت استقالة النواب، وسار المعارضون نحو دمشق.

بتاريخ ١٩٥٧/٤/١١ أعلنت المعارضة الإضراب، وبتاريخ ١٩٥٧/٥/١٢ أقامت مهرجاناً ضخماً، تناول الخطباء فيه التهجم على المسؤولين في لبنان، والإطراء والإشادة بحكام مصر وسوريا، رافعين أعلامهما.

كان أقطاب المعارضة يخشون الفشل في مساعيهم، ومرشحو «جبهة الاتحاد الوطني» فشلهم في الانتخابات في ظل القانون السائد، فراحوا يطالبون باستقالة الحكومة، وانصبت الهجمة على الرئيس شمعون، فإذا بالبرقيات تتوالى إليه، رافضة تعديل عدد النواب وتقسيم الدوائر الانتخابية، متهمين إياه بالسعي إلى التجديد لولايته[١].

النبذة الثامنة ـ غايته ضمان مصالح الولايات المتحدة الأميركية

ولعل قبول شمعون بمشروع آيزنهاور، اعتقاده أنه سوف يشكل أساساً لعلاقة قوية مع واشنطن، وسوف يؤمن للبنان شبكة أمان دولية وسط الحرب الباردة التي كانت سائدة، والتحديات العربية، لكن خاب ظنه، فالدولة الأميركية، كانت على نقيض ذلك، ولم تدعم لبنان إلا مؤقتاً بعد ثورة العراق[٢].

١ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ٨٦ وما يليها.
٢ ـ د. رعيد الصلح، المرجع ذاته، ص ٨٢.

في ١٦ آذار ١٩٥٧، وصل المساعد الخاص للرئيس الأميركي، السفير جانيس ريتشارد، وأجرى محادثات من ١٤ إلى ١٦ آذار مع الرئيس شمعون، تتعلق بكيفية تطبيق الاتفاق، وصدر بيان مشترك عن الطرفين، وكان أحد أكثر الوثائق الدبلوماسية خطورة(١).

بدأ لبنان يترنح بين العروض والعروض المضادة، فإذا كان قد تلطى من تداعيات حلف بغداد مباشرة، وإذا كان قد أسقط من حسابه قضية مقاطعة فرنسا وبريطانيا، إثر اعتدائهما على قناة السويس، فهو الآن كبش محرقة في تطبيق مبدأ آيزنهاور الذي يراد به ضمان المصالح الغربية في الشرق الأوسط، وحماية أهداف الولايات المتحدة الأميركية، الأمر الذي قاد إلى ثورة ١٩٥٨(٢).

الفقرة الرابعة ـ انتخابات عام ١٩٥٧ وتداعياتها

النبذة الأولى ـ فشل وسقوط المعارضة

أولاً ـ في بيروت

ساهمت التقسيمات الإدارية في توزيع المقاعد النيابية، بفوز الجماعة المؤيدة لشمعون، كالكتائب والحزب السوري القومي وحزب الكتلة الوطنية وخسرت المعارضة، فسقط اليافي وصائب سلام وزعماء الشارع البيروتي، ونجح سامي الصلح وجميل مكاوي وفوزي الحص وخليل الهراوي، بعد زيادة عدد نواب بيروت من ٧ إلى ١١، ونجح بيار الجميل وخاتشيك بابكيان ورشيد بيضون، وجوزف شادر وشفيق ناصيف وموريس دركالوسيان، وسقط غسان التويني في الأشرفية، ونجح عن المعارضة نسيم مجدلاني.

---

١ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ٨٧.
٢ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ٨٦.

ثانياً ـ في جبل لبنان

قُسم الجبل إلى ثماني دوائر، الشوف دائرتان وعاليه وبعبدا، والمتن، وبرج حمود، وكسروان، وجبيل(١).

---

١ ـ ـ في دائرة الشوف:
قُسم الشوف إلى دائرتين: (دير القمر ـ شحيم) و(بعقلين ـ جون): ففي دائرة دير القمر شحيم، نجح المواليان إميل البستاني ١١٥٢٠ صوتاً وأنور الخطيب ١١٦٠٥ صوتاً، وسقط مرشحا المعارضة، فؤاد عمون ٣٥٥٧ صوتاً، وعلي سعد ٣٧٨٣ صوتاً، أما المرشح المنفرد أحمد البرجاوي فنال ٦٧٦ صوتاً. وفي دائرة بعقلين ـ جون التي كانت تضم ثلاثة نواب، درزي وماروني وروم كاثوليك، فاز الموالون، قحطان حمادة ٩٠٧٤ صوتاً، هنري طرابلسي ١٠٠٨٠ صوتاً، ونعيم مغبغب ١٠١٥٢ صوتاً، وبالمقابل خسرت المعارضة فنال كمال جنبلاط ٧١٢٠ صوتاً وأمين السعد ٦٠٥٦ صوتاً، وسالم عبد النور ٦٠٥٦ صوتاً (مقابل نعيم مغبغب).
ـ في دائرة عاليه
سلخت الدامور من الشوف وضمت إلى عاليه. كانت تضم هذه الدائرة ثلاثة نواب: درزي، ماروني، أرثوذكسي ونجح الموالون، مجيد أرسلان ١٦٠٠٤ صوتاً، وجورج عقل ١٣٦٧٥ صوتاً، ومنير أبو فاضل ١٥١٣٣ صوتاً، وفشلت المعارضة، بعدما نال فضل الله تلحوق ٨٩٤٣ صوتاً، وعزيز عون ٩٢٩٤ صوتاً، وعبد الله الهبر ٩٧٦٩ صوتاً، ونال المرشح المنفرد سليم حتي ١٩٦٠ صوتاً.
ـ في دائرة بعبدا
كانت دائرة بعبدا تضم مارونيان وشيعي ودرزي، ففاز الموالون بالمقاعد الأربعة وهم ادوار حنين ١٦٠٦٣ صوتاً، إيليا أبو جودة ١٣٧٧٩ صوتاً، ومحمود عمار ١٥٦٣٧ صوتاً، وبشير الأعور ١٦٠٠٥ أصوات، أما المعارضة فخسرت، ونال كل من الياس الخوري ١٣٦٧٢ صوتاً، وإدمون نعيم ١١٩٧٧ صوتاً، وحسن فرحات ١٣٥٥٨ صوتاً، وكما يظهر كانت المعركة حادة في هذه الدائرة.
ـ في دائرة المتن
في المتن الجنوبي: أربعة نواب مارونيان ودرزي وشيعي نجيب صالحة، إيليا أبو جوده، إدوار حنين ومحمود عماد.
في المتن الشمالي: ثلاثة نواب مارونيان وأرثوذكسي، سليم لحود وأسد الأشقر والدكتور ألبير مخيبر.
ـ في دائرة برج حمود
كان في دائرة برج حمود نائب واحد أرمني أرثوذكسي، فنجح بالتزكية وهو دكران توسباط الموالي، بعد انسحاب منافسه المعارض توخونيان. =

النبذة الثانية ـ جنبلاط ينتقد مهزلة الانتخابات

بعد سقوطه بالانتخابات سلط جنبلاط النار على مهزلة الانتخابات التي حصلت وأخذ يفند أسبابها بتقسيم الدوائر الانتخابية، والتدخل الشمعوني مع رجال السلطة، وسخطه على إميل البستاني، الذي قال بأنه هو الذي طلب من عائلة آل البستاني، القبول بترشحه للنيابة، ولولاه لما قبلت ذلك العائلة، لأن البستاني ذات ميول غير محبذة للعروبة، بالرغم من أن أعماله، في شركة «كات» كانت عبر الدول العربية وخصوصاً العراق، وقال بأنه كان يفضل ترشيح فيليب البستاني الذي حصل في

= ـ في دائرة كسروان
تضم هذه الدائرة ثلاثة نواب موارنة، وفازت الموالاة، ونال كل من موريس زوين ١٦٢٧٥ صوتاً، ونهاد بويز ١٦٣٨٨ صوتاً، وكلوفيس الخازن ١٦١١٩ صوتاً، وخسر المنافسون، سليم الخازن ٦١١٦ صوتاً، وفؤاد نفاع ٨٨١٢ صوتاً، وفؤاد البون ٩٠٩٩ صوتاً، أما المرشح المنفرد، إميل الخازن فنال ١٢٨٣ صوتاً، والمرشح ميشال ريشا، ٢٧٤ صوتاً.

ـ في دائرة جبيل
كانت دائرة جبيل تضم ماروني واحد، ففاز ريمون إده الموالي، ضد منصور لحود المعارض (وكان من مرافقي الشيخ بشارة الخوري).

ـ في الجنوب
سقط أحمد الأسعد المعارض، ونجح ابنه كامل إلى جانب معروف سعد المعارض، ونجح من الموالاة كاظم الخليل وعادل عسيران ورضا وحيد ويوسف الزين، ومحمد الفضل، وعلي بزي ونقولا سالم وفريد قوزما وجان عزيز.

ـ في الشمال
تمكنت المعارضة من المحافظة على مواقعها، ففاز رشيد كرامي في طربلس، وحميد فرنجية في زغرتا، ونجح رينه معوض لأول مرة في زغرتا، وفي البترون نجح جان حرب، وفي بشري قبلان عيسى الخوري، وفي الكورة شارل مالك، وزير الخارجية، بالتزكية بعدما تنازل له فؤاد غصن وعبد الله سعاده، القومي السوري الاجتماعي، أما في الضنية فنجح نصوح الفاضل، وفي عكار، بشير العثمان ورؤوف حسن وعبد الكريم القدور وميشال الضاهر.

ـ في البقاع
تمكنت المعارضة من المحافظة على قواعدها، فنجح صبري حمادة عن دائرة بعلبك الهرمل، وشفيق مرتضى، وابراهيم حيدر، وفيليب تقلا الذي ترشح هناك بدلاً من بيروت، وفي راشيا نجح ناظم القادري وسليم الداود، وفي زحلة نجح جوزف سكاف وأديب الفرزلي وجورج الهراوي وتقي الدين الصلح، الذي ترشح في زحلة بدلاً من بيروت أو صيدا.

انتخابات عام ١٩٥٣ على ٣٥٪ من الأصوات بالرغم من تدخلات السلطة آنذاك ضده. وكونه يرأس مصلحة التعمير، كانت توجهاته للناخبين بالاقتراع لصالح قحطان حمادة ونعيم مغبغب وهنري طرابلسي.

النبذة الثالثة ـ تقسيم الدوائر تمَّ في عهد حكومة اليافي

في عهد الرئيس عبد الله اليافي تمت الموافقة على تعديل قانون الانتخاب وجعل عدد النواب ٦٦. فإذا به يقود المعارضة ويطالب بتعديل ذلك القانون الذي وافق على إصداره، والحلحلة تكمن، بنظرهم أن هذا القانون يجعل الناخبين المسلمين، تحت رحمة الناخبين المسيحيين، مع العلم، كما أشرنا، بأن هذا القانون وضعه أحد أقطاب المعارضة. أخذت المعارضة تتهم الحكومة بالتدخل في الانتخابات النيابية، وتعتبرها سبباً لفشلها، أما الحقيقة فإن تقسيم المناطق جعل أغلبية الأصوات تصب في خانة بعيدة عن مصالح المعارضة ولاسيما في الشوف، (فإذا كان شمعون قد قسم المنطقة على قياسه، فإن جنبلاط أعاد تقسيمها على قياسه مع بداية عهد الرئيس شهاب).

ارتفعت الأصوات مطالبة بتعديل تقسيم الدوائر الانتخابية، كما دعت الزعامات التقليدية بالانكفاء عن الترشح. فقد طالب الدكتور محمد خالد تعديل تقسيم بيروت انتخابياً، مقابل التيار المسيحي الذي كان خائفاً من المد الناصري.

بدأ زعماء المعارضة يترددون على دمشق، لملاقاة عبد الحميد السراج، رئيس الشعبة الثانية، وعلى القاهرة أو على سفارتها في بيروت لملاقاة السفير اللواء عبد الحميد غالب.

النبذة الرابعة ـ المجابهة بين شمعون وجنبلاط[1]

كانت تحصل أزمات في لبنان وكان السياسيون يتمحورون بين هذه أو تلك من الكتل النيابية، فإذا بالمعارضة تفوز تارة والموالاة توراً، فالمجابهة بين جنبلاط وشمعون بدأت مع بداية العهد ولم تنته بنهايته، فإذا تعاضدا لإسقاط بشارة الخوري

١ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، المرجع ذاته، ص ٧٠.

في ٢٢ أيلول ١٩٥٢، فما كادت تمضي ثلاثة أيام على الانتخابات الرئاسية، حتى بدأت الأزمة بينهما، فيوم الجمعة ٢٦ أيلول، كلف شمعون عبد الله اليافي تأليف حكومة العهد الأولى، فاعتذر حيال تشدد «الجبهة» في مطالبها، ثم كلف سعدي المنلا، فاعتذر أيضاً للأسباب نفسها، ثم كلف رشيد كرامي، فإذا به يصل إلى المأزق نفسه، إلى أن كلف خالد شهاب الذي نجح، لكن موقف «الجبهة» المتشدد أدى إلى خروج بيار اده، حيال إصرار جنبلاط على مطالبته بوجوب التقيد بمشروعه، وقد نالت الحكومة الثقة بأغلبية ٦٥ صوتاً ضد صوت واحد، ومنحت حق الاشتراع في قضايا الإصلاح، وكانت حكومة إدارية أكثر منها سياسية، وكانت تضم موسى مبارك، سليم حيدر وجورج حكيم.

هكذا ابتدأ العهد بمجابهة بين حلفاء الأمس في الجبهة الاشتراكية الوطنية، دامت وتطورت من سيء إلى أسوأ، حتى وصلت إلى القضايا الجوهرية، فاحتدمت المجابهة وإذا بالمظاهرات وقطع الطرق وحرق المحلات ونسف الجسور وإلقاء القنابل، وإطلاق المدافع، وأزيز الطيران، يجسد الصراع بينهما بشكل دموي، لم يشهد مثله من قبل.

النبذة الخامسة ـ معركة تحديات

فإذا كانت المعارضة تطالب باستقالة رئيسي الجمهورية والحكومة، وإذا حملت السلاح لإخراج رئيس الجمهورية من الحكم، حتى ولو لم يبقى سوى أشهر قليلة لانتهاء ولايته، فإن الرئيس بالمقابل، أحس بالطريقة التصاعدية التي تمارس ضده، من الداخل والخارج، بدعم من الرئيس عبد الناصر، فإذا به يصر على البقاء في مركزه لآخر يوم إلى حد أنه، رداً على تحديات المعارضة والثورة التي رفعت بوجهه لتقديم استقالته، كان يفتخر بالقول أنه أمضى في رئاسة الجمهورية يوماً إضافياً على مدته الدستورية ولم يقسم خلفه قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب اليمين الدستورية إلا في ٢٤ أيلول ١٩٥٨.

النبذة السادسة ـ مجلس الـ ٦٦ ولد في الدم وانتهى في الدم[١]

ولد مجلس الـ ٦٦ في الدم، ففي بدايته تمت مظاهرة ٣٠ أيار ١٩٥٧ في الأحياء الغربية ذات النزعة العروبية، وفي الأول من أيار ١٩٥٨ شلّت البلاد في طليعتها المجلس، وآخر أيار ١٩٥٨ كرس عدم إمكانية المجلس لإعادة الوحدة الوطنية، فقامت الكتائب من خارج المجلس، بالثورة المضادة. فقد هذا المجلس اثنان من أعضائه، فريد قوزما بعد صراعه المرير مع المرض، ونعيم مغبغب، الذي صارع الحياة فصرعته، وقد انتخب مكانهما باسيل عبود الكتائبي وسالم عبد النور الاشتراكي.

النبذة السابعة ـ المعارضة تؤلف «الجبهة الوطنية»

عندما اقترب موعد انتخاب مجلس نيابي جديد، تنادى زعماء المعارضة إلى تأليف جبهة تقف بوجه حكومة شمعون، وتألفت «الجبهة الوطنية» من كبار زعماء المعارضة، صائب سلام وعبد الله اليافي، ورشيد كرامي، وكمال جنبلاط وأقطاب الكتلة الدستورية، الذين كانوا ناقمين على كميل شمعون، لكن رغم ذلك، كان شمعون لا يزال يتمتع بشعبية قوية، ويؤيده بعض زعماء المسلمين، وأغلبية ساحقة من المسيحيين. فجرت الانتخابات في أوائل الصيف وفاز أنصار شمعون بأغلبية كبيرة[٢].

النبذة الثامنة ـ المهرجان الانتخابي للمعارضة بتاريخ ١٩٥٧/٥/٢٨[٣]

دعت المعارضة لمهرجان انتخابي في بيروت بتاريخ ١٩٥٧/٥/٢٨ وبادر زعماؤها بمهاجمة الحكومة، وجلّهم من المنطقة الأولى الانتخابية، وكان قد دعي إلى هذا

١ ـ جرت انتخابات عام ١٩٥٧ على أساس الدائرة الفردية ورفع عدد النواب من ٤٤ إلى ٦٦ أنظر، نقولا ناصيف، ريمون اده، جمهورية الضمير، الطبعة الثانية ٢٠٠٢، ص ١١٩؛ مع العلم أن عدد نواب المجلس الذي انتخب شمعون كان ٧٧ نائباً. لكن بعد تسلمه الرئاسة خفض العدد من ٧٧ إلى ٤٤ وقسم لبنان إلى ٣٣ دائرة انتخابية منها ٢٣ دائرة فردية، أنظر، نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٧١.

٢ ـ جرت الانتخابات على أربعة مراحل ٩ و١٦ و٢٣ و٣٠/٦/١٩٥٧.

٣ ـ أولى ردات الفعل على نتائج الانتخابات النيابية عام ١٩٥٧، دعى الاتحاد الوطني إلى تظاهرة في ٣ أيار قادها زعماء بيروتيون، منهم صائب سلام وعبد الله اليافي ونسيم مجدلاني، حركوا الشارع وتم إحراق سيارات ووقوع أضرار، أنظر نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٧٢.

المهرجان أركان المعارضة في المنطقة الانتخابية الثانية، فالقيت الخطب وكان أشدها، خطبة عبد الله المشنوق الذي طالب بأن تكون المظاهرة انقلابية وليست سلمية، حيث أكد أنه لا يطالب بإقالة الحكومة ولا باستقالة سامي الصلح، إنما بإقالة رئيس الجمهورية كميل شمعون.

النبذة التاسعة ـ مذكرة توقيف بحق المشنوق ـ تظاهرة دموية

صدرت بحق عبد الله المشنوق مذكرة توقيف، فتضامن معه أقطاب المعارضة. قررت الحكومة في اليوم التالي أي في ١٩٥٧/٥/٢٩، منع التظاهرة المقررة في ١٩٥٧/٥/٣٠، وتم إعلان ذلك بالإذاعة والصحف.

في صبيحة ١٩٥٧/٥/٣٠، سارت تظاهرة باتجاه شارع فؤاد الأول ولم تكد تصل إلى مستشفى البربير حتى اعترضتها قوة من الدرك، وأمرتها بالتراجع، ووجّهت الإنذار ثلاث مرات وأطلقت النار في الهواء، حصل الصدام في الشارع الممتد بين منزل اليافي (شارع سباق الخيل ـ البربير) ومنزل الهبري (شارع حمد في الطريق الجديدة) المتنافسان على المقعد النيابي نفسه. أقدم البعض على حرق سيارة تخص الهبري، وإضرام النار في حديقة منزله، فاشتبك أنصار المتنافسين، في قتال أسفر عن سقوط خمسة قتلى وعدد من الجرحى. وكان على رأس المظاهرة، قرب البربير الرئيس صائب سلام الذي أصيب بجرح في رأسه من قبل عناصر قوى الأمن بعد أن وجهت الضربات مباشرة إليها، فنقل سلام إلى مستشفى الصحة وقام المفوض محمود حمود بحمايته.

كانت صور عبد الناصر تتصدر المظاهرات، وكأنه يخوض الانتخابات، لقد استعملت هذه الوسائل لدفع الناس للتظاهر، فلا يجوز أن يحشر عبد الناصر بمثل هذه المواقع المتصارعة على مقاعد نيابية ضيقة[1].

١ ـ كانت الحصيلة ٥ قتلى و٤٢ جريحاً و٢٦٦ موقوفاً، وأصدر القضاء أربعة مذكرات إحضار بحق اليافي ومجدلاني وأحمد الأسعد وصبري حمادة، واتهمت الحكومة سوريا بالاشتراك في «المؤامرة» وتردد بأن ضباطاً سوريين اعتقلتهم السلطات اللبنانية شاركوا في المظاهرة، وعلى أثره منع الجيش التظاهرات، لضبط الأوضاع؛ أنظر نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٧٢.

النبذة العاشرة ـ مجزرة مزيارة ولجوء فرنجية إلى سوريا

بتاريخ ١٩٥٧/٦/١٦ وقعت مجزرة، تقشعر لها الأبدان في مزيارة، بين أقطاب الشمال من آل فرنجية والدويهي، ودامت طيلة ساعة داخل إحدى الكنائس كانت حصيلتها عشرات القتلى؛ ومن الدوافع إليها كانت المنافسة الانتخابية.

تمّ تهريب سليمان فرنجية إلى سوريا، من قبل رئيس الشعبة الثانية المقدم أنطون سعد، بناء لطلب الرئيس كميل شمعون، بعدما تنكر الزعيم الزغرتاوي في لباس عربي، وركب سيارة سعد الذي توجه به إلى دير العشاير ومنها إلى سوريا، ولدى محاولة تفتيش السيارة من قبل الدرك، منعهم سعد باعتبار أنه ينقل عربي ويجب أن يغادر الأراضي اللبنانية فوراً[1].

وقبل لجوئه إلى سوريا حلّ في منزل صديق مشترك في بيروت، «لمحته في ذاك المنزل الواقع فوق كاراج الأمان في ساحة الدباس في بيروت، وكنت برفقة الوالدة والخالة. استقبلتنا السيدة ادلت بدوره من دير القمر في صالون المنزل، وبعد هنيهة، قالت مبتسمة، لا تتفاجأوا، سيمر سليمان بك فرنجية إلى المطبخ، وإذا به يمر وقد ألقى التحية علينا بدون أن يتوقف وبعد انتهاء الزيارة، أكدنا في حينه بأننا لن نُعلم أحداً بما رأيناه!»، وهي المرة الأولى التي نبوح بهذا السر.

الفرع الرابع ـ تناقض المواقف الرسمية (داخلياً ودولياً)

الفقرة الأولى ـ ثنائية السلطة

تختلف الدولة اللبنانية عن الدول العربية كافة، بشكل رئيسي، بالصيغة الثنائية للدولة اللبنانية، مما قاد إلى ضعف شوكتها وسبب ذلك يعود من جهة إلى الثنائية المعتمدة منذ مدة طويلة والمكرسة عام ١٩٤٣، بموجب الميثاق الوطني ومن جهة ثانية إلى مقاومة السلبية الثنائية المكرسة في السياسة الداخلية والخارجية وإلى المحافظة على العلاقات مع الدول العربية والغربية.

١ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ٢٦٨.

فالثنائية كانت تتمحور حول توافق سلطة رئيس الجمهورية الماروني، مع سلطة رئيس الوزراء السني، فأخذا بالدولة ذات رأسين، تحاول تسوية الخلافات الداخلية[١] اعتباراً من وضع هذا الميثاق وانطلاقاً منه لمجاراة الأحداث السياسية المتفاقمة والتي تزداد حدة، إلى أن وصلت إلى أوجها عام ١٩٥٨، فأخذت بوادر الثورة تلوح بالأفق لتنذر بأشد النكسات السلبية، والتي يصعب التكهن بنتائجها.

الفقرة الثانية ـ في العلاقة بين شمعون وسامي الصلح

يقول سامي الصلح[٢] أن الأمير فيصل عند مقابلته له أسرّ له بأن مفاجأة تنتظره في لبنان وأن هناك مقلباً يدبر ولا يستبعد أن يكون الرئيس شمعون على علم به، فبعد عودته عرض استقالته على شمعون فرفضها بشدة، خاصة على أبواب انعقاد المؤتمر الإسلامي في بيروت. وبالرغم من ذلك لم يشعر الصلح بالارتياح لممارسة الحكم بسبب شن المناورات الصغيرة منها والكبيرة والتي تعزو إلى شمعون الإيحاء بها، في حين يؤكد شمعون في مذكراته أنه منها براء. ويقول عندما قرر الصلح في ١٩٥٧/٩/٥ تقديم استقالته خطياً إلى شمعون بأنه رفضها طالباً إليه الاستمرار وأخذ جانب الاعتدال والهدوء في المواقف السياسية.

الفقرة الثالثة ـ في العلاقة المصرية ـ التركية

كانت المفاوضات تنصب حول عدم قبول أية دولة غير عربية في المحاور التي تنشأ فيها بين الدول العربية، وكانت مصر تصر على الأخذ بهذا المبدأ، بالمقابل، كانت قد أبرمت معاهدة مع بريطانيا، وتعتبر أن تركيا امتداداً للعالم العربي، جغرافياً واستراتيجياً، بدون مشورة أي دولة عربية أخرى.

أكد رئيس حكومة تركيا، لدى مروره في بيروت أن التحالف التركي ـ العراقي هو ضد الصهيونية والشيوعية في آن واحد، وأن بلاده ستعمل على انضمام مصر لهذا الحلف أو التحالف المنوي إنجازه مع باكستان وإيران.

---

١ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ١٥٤.

٢ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢١٤.

أما مصر فقد ردت على هذا الموقف بلسان صلاح سالم، وفي الاجتماع الذي انعقد في بيروت بأنه لا يمكن نجدة تركيا بحراً لأن أسراب الطائرات السوفياتية ستنطلق من بلغاريا، وستقطع الطريق البحري إلى تركيا، وبالتالي سيعول على طريق البر من مصر إلى البلدان العربية، ومن المؤكد إن الغربيين يريدون تأمين خطوط مواصلاتهم، مما يجعل حلف بغداد يصب في مصلحة إسرائيل.

الفقرة الرابعة ـ موقف الولايات المتحدة الأميركية من إنشاء حلف بغداد

أوضحت الخارجية الأميركية بأنها لم تكن الداعية إلى إنشاء حلف بغداد، بالرغم من تعاطفها معه، وأنها لا تعترض على أي عمل يقوم به العرب في حصر أمورهم ضمن جامعة الدول العربية فقط. في حين أن حلف بغداد لم ينشأ إلا على أثر زيارة دالاس، وزير خارجية الولايات المتحدة للعراق، كما أسلفنا، وإقدام فيليب إيرلاند، القائم بالأعمال الأميركية في بغداد، على وضع تقرير أرسله إلى الخارجية الأميركية بتاريخ ١٩٥٣/٣/٢، يشير فيه إلى ضرورة تطوير الجيش العراقي بأسلحة بريطانية وتمويل أميركي. فاستجابت الولايات المتحدة الأميركية بعدما اتضح لها ولبريطانيا، أنهما فقدتا الأمل في حمل مصر على الدخول في مشروع منظمة غربية للدفاع عن الشرق الأوسط، فاختارتا العراق ليكون البديل الأمامي القابع بمحاذاة الحدود السوفياتية الشيوعية وعليه بالرغم من تصريح الولايات المتحدة بأنها بريئة من حلف بغداد، لقد كانت اللولب الرئيسي في إنشائه[١].

الفقرة الخامسة ـ فيما خص العلاقة الأميركية ـ الإيرانية

وجّه الرئيس شمعون دعوة رسمية لشاه إيران لزيارة لبنان، وفي المباحثات الجانبية التي حصلت، أكد شاه إيران بأنه لا يُسقط من حساباته التناقضات والتقلبات

---

١ ـ الموقف اللبناني الداخلي من «حلف بغداد» يبعث على الحيرة. رئيس لبنان مسيحي ماروني يقود قاعدة مسيحية ومارونية بوجه خاص، إلى محور إسلامي عارضه المسلمون، ورأوا فيه تفويضاً لأولى مرتكزات (الميثاق الوطني)... وحلف بغداد هو اختراع مسيحي وراءه إيطاليا والولايات المتحدة الأميركية ومهمته الدفاع عن مصالح الغرب؛ أنظر نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٧٧.

التي ترافق السياسة الأميركية على الرغم من اضطراره إلى مجاراتها في معظم الأحيان[١]، وكأن هواجسه كانت في موضعها!

الفقرة السادسة ـ التحفظ الفرنسي على سياسة الأحلاف الأميركية

أبدت فرنسا تحفظها على طريقة إنشاء حلف بغداد، وأعلنت رغبتها في الاستطلاع على المشاورات الأميركية البريطانية حول الشرق الأوسط، وعما إذا كان هناك مقررات سياسية تتعلق بمصير دول المنطقة، متمنية توحيد الموقف اللبناني والسوري، بمعزل عن الضغوط البريطانية الأميركية، وبالتالي بمعزل عن حلف بغداد[٢].

الفقرة السابعة ـ التناقض بين الناصرية والشيوعية

إبان الأحداث التي حصلت أيام عبد الناصر، سرت إشاعات بأن الناصرية هي نوع من الشيوعية المتطورة، مما حدا بالكثيرين أخذ الحيطة والحذر منها، لكن هناك فرق شاسع بينهما، حتى عبد الناصر نفسه كان يخشى الانزلاق نحو الشيوعية، وما موقفه من الشيوعيين المصريين وزجهم في السجون، واختطاف أمين الحزب الشيوعي اللبناني، فرج الله الحلو وتصفيته سوى تعبيراً عن خشيته تلك[٣]. ومع ذلك فإن الرقابة السوفياتية على مصر لم تكن متينة وقاطعة.

"Pourtant le contrôle qu'exerçait l'Union Soviétique sur l'Egypte n'avait rien d'absolu ni même de très solide".

"Le K.G.B. s'efforçait donc de jeter les bases clandestines d'une hégémonie durable. Il recrutait des agents dans l'armée egyptienne, les services de sécurité, la presse, les universités, le parti de l'Union Socialiste arabe au pouvoir, et même parmi les conseillers particuliers de Nasser"[٤]

١ ـ سامي الصلح، لبنان العبث السياسي والمصير المجهول، ص ٢٢٢.
٢ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٥٥.
٣ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٣١٢.
٤ ـ John Barron, K.G.B. Le travail occulte des agents soviétiques, Elsevier, Paris, Bruxelles, 1975, p. 65.

لكن في الواقع كان الرئيس شمعون يرى في الأعمال الحرجة للمعارضة بتشجيع من القاهرة، خطراً على استقلال البلاد، فعمد إلى الحصول على ضمان الدول العربية والولايات المتحدة الأميركية لهذا الاستقلال. فإذا بالولايات المتحدة تضع قواتها تحت تصرف أية دولة في الشرق الأدنى تتعرض للاعتداء الشيوعي[١].

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٦.

الفصل الخامس
الأطراف المتنازعة عام ١٩٥٨

من الصعب القول بأن حرباً حصلت عام ١٩٥٨ في لبنان، بين السلطة اللبنانية والمعارضة، فهي كانت أشبه بمنازعات وإن كانت تتسم بالطابع الحربي التقليدي كاستعمال الطيران والمدفعية والدبابات في بعض الأحيان. كانت المنطقة منقسمة إلى حلفين كبيرين: حلف بغداد ومشروع آيزنهاور مقابل الدفاع المشترك الرامي للوحدة العربية، والداخل اللبناني بدوره انقسم إلى معسكرين، ليس بالضرورة أن يكونا مطابقين للحلفين المهيمنين على المنطقة، وإن كانت آثارهما تبدو بوضوح في بعض المواقف الداخلية.

تأثرت النخب السياسية اللبنانية، بالصيغة الفرنسية، وتمحورها حول السلطة المركزية القوية، إلى حد أن هذا التمركز لم يقتصر على السلطة السياسية، إنما تغلغل في الحياة العملية، فجميع الطرق والأوتوسترادات، كان عليها أن تمر في باريس، لتعود فتنطلق منها إلى القسم الثاني من البلاد. فهذا التمركز الحاد، ترك آثاره على القادة اللبنانيين حين أنشأوا دولتهم عام ١٩٢٠، على أساس دولة مركزية، لكن التركيبة الطائفية في لبنان، فرضت التخلي عن ذلك المفهوم واعتناق مفهوماً آخر يستند إلى الثنائية، وفي هذا الوضع تأرجحت السياسة اللبنانية، بين الوحدة باسم الدولة،

واللاوحدة باسم المجتمع، الأمر الذي أظهر معه هشاشة الوضع الحكومي وتعرضه لتلقي الصدمات[١].

الفرع الأول ـ الثنائية السياسية

كانت السلطة اللبنانية تتألف من وجهتي نظر، الأولى المتجلية في موقف الرئيس شمعون، ومن يدعمه من أحزاب داخلية، كحزبي الكتائب اللبنانية، والقومي السوري الاجتماعي، واللبنانيون الذين تطوعوا لدرء مخاطر الوحدة العربية التي أخذت تهدد لبنان، ليس نظرياً، إنما بالواقع وهي على معرفة منه، لا بل تطوقه من كل الجهات تقريباً، وازداد الخوف لدى الفئات المسيحية التي كانت تروم دوماً للمحافظة على حريتها واستقلالها، وتعمل جاهدة للحفاظ على كيانها داخل الشرق الإسلامي المترامي الأطراف، فهي امتداد لما يسمى بالمسألة المشرقية التي أدت إلى حروب مدمرة في جسم الدولة العثمانية، كحرب استقلال اليونان ١٨٣٩، وحرب نابليون على مصر وحرب إبراهيم باشا على سوريا ١٨٣٩، وحرب القرم ١٨٥٤ ـ ١٨٥٦، وحرب البلقان ١٨٧٨. وبعد استقلال اليونان أخذت السلطة العثمانية تتشدد في قمع الاحتجاجات وأصرت على مركزية القرار السياسي في كافة المناطق التابعة لها. أما الدول الداعمة للانتفاضات داخل السلطنة العثمانية للمطالبة بالاستقلال فكانت النمسا، روسيا، بريطانيا وفرنسا[٢].

الفقرة الأولى ـ حدود الانعزال المسيحي: الحرية

أولاً ـ أخذ المتطرفون يهاجمون الجماعات المسيحية، وينعتونها بالانعزال، والانكماش ويعتبرونها تقف حجر عثرة أمام التضامن العربي، لكن فات على هؤلاء المواقف التي تتخذها تلك الجماعة في عمق التضامن العربي، إن بالنسبة إلى الدعوة لإنشاء الجامعة العربية، أو للمواقف المضادة للصهاينة، والتي لم تتوقف أمام النظريات

١ ـ فريد الخازن، تفكك أوصال الدولة اللبنانية، ص ١٢٣.

٢ ـ Denis Richards, Modern Europe 1789 - 1945; p. 186 - 210.

بل اندفع ممثلوها، سواء كانوا في مواقع السلطة، أم أفراداً، للدفاع عن القضية الفلسطينية. لكن ما هي حدود تلك النزوة الانفتاحية؟ بالطبع إن الحد الفاصل بين الانعزال الذي يُنعت به المسيحيون، إنما يكمن في عدم التفريط في حرياتهم، وأوضاعهم، وكيانهم، لأن تاريخهم يعلمهم الحذر والترقب وهذا الميل لا يطال المسيحيين فقط، إنما وبصورة أدق سائر الأقليات المسلمة. فإذا اعتبرنا بأنه لا يوجد في الشرق بأكمله أكثرية مطلقة، إنما هناك أقليات نسبية، تبين لنا بأنها تعمل بلا مواربة للحفاظ على كيانها، وخير دليل على ذلك، المواقف التي كانت تتخذها، بحيث كانت تجهد النفس للمحافظة على أوضاعها وكيانها وحرياتها.

هذا ما جعل الأقلية المسيحية تجهد للحفاظ على حريتها، خاصة وأن الوحدة العربية، أخذت تدق الأبواب، غير أن هذه الوحدة، لم تكن تعني بالتأكيد أنها تنال جميع الفئات اللبنانية المناوءة للسلطة اللبنانية، لقد كانت هناك أقليات لا تمت بصلة لتلك الوحدة، إنما كل مرادها كان دك السلطة اللبنانية والإتيان بغيرها.

ثانياً ـ بوجه السلطة اللبنانية، وقفت المعارضة اللبنانية التي انضوى تحت لوائها مجمل العاملين ضد الرئيس شمعون من الحزب الاشتراكي والجنبلاطيين، والوحدويين والعروبيين، وأخذوا يستمدون الدعم المادي والمعنوي والعسكري، من وراء الحدود من محاربين وعتاد ... بالآلاف.

ثالثاً ـ إذا كان الانقسام الإقليمي والداخلي، يبدو ثنائياً، فالتعمق في الواقع اللبناني يظهر عكس ذلك، فالمعارضة والموالاة، تعتبران نفسيهما تمثلان جميع شرائح الوطن اللبناني. وهناك فئة كانت تفضل البقاء على الحياد وهي المتمثلة بالسلطة العسكرية لاسيما بالجيش، الذي كان قائده قد تمرس على لعب مثل هذا الدور بنجاح، حفاظاً على وحدة الصف والموقف والهدف داخل المؤسسة. لقد وقف الجنرال فؤاد شهاب موقفاً مغايراً لما كان قد لعبه إبان الإطاحة بالرئيس بشارة الخوري ومرد ذلك أن الأسباب والمبررات كانت مختلفة، أما عام ١٩٥٨، فالمواقف أصعب وأدق. فإذا به يختار عدم الانجرار خلف أي من التيارين، وفضل الموقف الحيادي إزاء ما يحصل، هذا لا يعني أبداً التخلي عن المبادئ التي كان يعتمدها، فكان جازماً بعدم السماح للنيل من الرئاسة

والزامها على التخلي عن سلطاتها، ولو بقيت لها مهلة قصيرة جداً لا تستأهل القيام بمثل هذه الثورة، فإذا بالطائرات والمدفعية، تدافع عن الرئاسة. لكن ذلك لم يمنع من مهاجمة القصر الجمهوري للهدف نفسه، لكنها باءت بالفشل. أضف إلى ذلك أنه إذا كان الموقف الحيادي سائداً، فقد تحول قوة ضاربة كما حصل في الشوف، حين قام الجيش بالهجوم على الموالاة، لاسيما بعد الاجتماع الذي ضم كمال جنبلاط وقائد الجيش.

الفقرة الثانية ـ شرعية الطوائف

في لبنان لا تتمتع الدولة بشرعية مطلقة، كما هي الحال في سائر دول العالم، كفرنسا وبلجيكا، لأنها تنازلت إلى حد ما عن سلطتها، ولم تعد تحتكرها، لصالح الطوائف المتكونة منها، وبالتالي يجب البحث دوماً عن مدى الاستقلال الذاتي لدى تلك الطوائف، للقول باستقلال الدولة اللبنانية، مع لفت النظر بأنه إذا تكلمنا عن اللامركزية السياسية بالمفهوم المتعارف عليه في العالم، مما يعني الاعتراف بالفوارق الثقافية والإقليمية واللغوية. أما في لبنان، فالعملية معكوسة، ذلك أن لبنان قد اختار دولة توحيدية، ذات إدارة مركزية موحدة، لكنه مع ذلك، حافظ على التركيبة السياسية للطوائف، متجسداً بالنظام الطائفي[١].

الفقرة الثالثة ـ الدعوة للمصالحة

تعقيباً على الانتخابات النيابية وخسارة المعارضة ارتفعت بعض الأصوات داعية للمصالحة[٢].

الفقرة الرابعة ـ انعزال أسياد العهد

من الملفت أن أسياد العهد الشمعوني، رأوا أنفسهم، عندما بدأت ثورة ١٩٥٨، بمفردهم وذلك نتيجة التغيرات الكبيرة الحاصلة في المنطقة، فبعد ظهور عبد الناصر على الساحة العربية، اندثرت كل القوى والأحزاب السياسية والرموز المناوئة، كحزب الوفد

---

١ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ١٢٣.

٢ ـ جريدة المجالس، أوردت مقالاً تحت عنوان «إلى ماذا تدعو المعارضة إلى مصالحة... أم إلى تنازل».

في مصر وحزبي البعث والوطن في سوريا، والنخبة الهاشمية في العراق، وفي فلسطين الحاج أمين الحسيني، والهيئة العربية العليا، وفي هذا السياق كان الرئيس شمعون يعتبر بأنه رمز من تلك الرموز النخبوية، ولكنه كان يعتقد بأنها عابرة، وسوف تعود التحالفات التي أقامها مع الزعامات العربية[١]، وسيبقى شمعون رمزاً داخلياً بدون نزاع حتى أنه أصبح «بطريرك المسيحيين».

وبالتالي، كانت ثورة ١٩٥٨ مجموعة غير متناسقة من المواقف الشائكة والمعقدة من الصعب إعطاؤها وصفاً واحداً موحداً، وذلك بسبب نسيج المجتمع اللبناني المتعدد الأوجه.

الفرع الثاني ـ شعارات المعارضة

دارت شعارات وخطب المعارضة باستمرار حول ثلاث آليات:

١ ـ لا للتجديد: بالرغم من أن الحكومة أعلنت مراراً أن رئيس الجمهورية لن يجدد ولم يصرح يوماً بعزمه على التجديد، ولا ينوي تعديل الدستور لأجل هذه الغاية.

٢ ـ لا لحلف بغداد: هناك ما يقارب الأربعين تصريحاً رسمياً، في مناسبات شتى، كما أسلفنا، أعلنت فيها الحكومة أنها لا تنوي مطلقاً الدخول في حلف بغداد، وأكد ذلك الرئيس شمعون مراراً وتكراراً، ولا يوجد أي دليل مكتوب بهذا الشأن.

٣ ـ لا لمشروع آيزنهاور: يعتبر مشروع آيزنهاور بمثابة النقطة الرابعة، كما أسلفنا، لمساعدة الاقتصاد اللبناني، فليس هو قرض إنما مساعدة، تمنح بدون قيد أو شرط.

أما سلاح المعارضة الأضنى فكان ثقة الشعب بها، فهو كان مستعداً لتصديق كل ما يقال له بدون مواربة، إنه مأخوذ بأبهة ومجد الرئيس جمال عبد الناصر، وكانت المعارضة تضرب على وتر العروبة الحساس، فإذا بها تستحوذ قلوب مناصريها، كونهم يميلون جميعاً للوحدة العربية، يمضون أوقاتهم في سماع وقراءة خطب العروبة

---

١ ـ د. رغيد الصلح، المرجع ذاته، ص ٨٤.

من وسائل الإعلام التي كانت جميعها تصب في تحميس الشعب ودفعه للمطالبة بالوحدة العربية، خاصة وأن هذا الميل، كان له من يساعده ويعاونه دولياً، بحيث كانت الولايات المتحدة الأميركية، تبارك أية خطوة يقوم بها عبد الناصر وتمكنها من فرض وجودها مكان السلطة البريطانية، التي أخذ تأثيرها السياسي ينحصر في المنطقة لصالح الولايات المتحدة الأميركية. هذا من جهة، أما الدعم الدولي الثاني، فكان دعماً سوفياتياً، يتوق ويعمل بكل جهد، وبكل ما أوتي من سلطة وإمكانيات للوصول إلى المياه الساخنة، أعني البحر الأبيض المتوسط، باذلاً كل غال، لأن الفرصة سانحة وعليه اغتنامها، كون بعض الدول العربية، وعلى رأسها الداعي للوحدة، والقائد والمخطط لها، إنما هي مصر بقيادة عبد الناصر. فتلاقت النوايا الداخلية والميول الدولية المؤثرة، للسير قدماً في المطالبة بالوحدة العربية، فهبت الشعوب العربية مناصرة لها، مما خلق خوف لدى مناوئي هذه الوحدة، ليس فقط على أوضاعهم السياسية أو الحزبية أو النقابية أو العسكرية، إنما على وجودهم بحد ذاته، كونهم يضنون بحريتهم، وقد شقوا الصخور في أعالي جبال لبنان، هرباً من الاضطهادات وحفاظاً على كيانهم واستقلالهم وحريتهم.

كانت المعارضة تستند في خطتها إلى تلك الشعارات، وكانت تؤمن بها وتعمل لأجلها، على الأقل ظاهرياً، فإذا كانت العروبة تشكل هدفاً بحد ذاته عند البعض منها، فهي كانت أسلوباً للمطالبة عند البعض الآخر، للوصول إلى غاياته، بدون أن يكون مقتنعاً مثلاً بالوحدة العربية، إن من حيث العمل السياسي الأصلح للمنطقة، أو خوفاً من ضياع امتيازاته التقليدية الخاصة به.

الفقرة الأولى ـ قضية التجديد أو عدمه لرئيس الجمهورية

أخذت مسألة تجديد ولاية الرئيس شمعون بعداً دولياً وإقليمياً وداخلياً، وكانت من أهم أسباب الثورة عام ١٩٥٨، غير أن هذه المسألة مرت بمراحل أهمها:

النبذة الأولى ـ المرحلة الأولى

في الأيام الأولى لثورة ١٩٥٨، وتحديداً في شهر أيار كان هناك ميل الدول الغربية، من الولايات المتحدة الأميركية، وفرنسا، وبريطانيا، لتجديد ولاية الرئيس

شمعون، وقد كشف عن هذا الموضوع مدير شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الفرنسية بيار سيبيو، كما أن السفير الأميركي في بيروت، روبرت مكلنتوك، تحدث عن ضغوط كبيرة من باكستان إلى اليونان لمصلحة التجديد، وقد شارك في هذا المنحى بعض الدول العربية.

النبذة الثانية ـ المرحلة الثانية

أقدمت المعارضة على الضغط بقوة في الشارع لمنع شمعون من تجديد ولايته، وإذا بالصدامات تتوالى، فمن جهة كانت الهجمة من الموالاة لتعرية المعارضة وبالمقابل اندفعت المعارضة في تحديها للحكومة، واندلعت المعارك في شتى أرجاء الوطن في طرابلس، وحلبا، والبقاع والشوف، وحتى القصر الجمهوري ذاته، تعرض لهجوم مسلح، وقد شارك في الدفاع عن القصر الرئيس شخصياً، وكان برفقته مجيد أرسلان ونعيم مغبغب.

النبذة الثالثة ـ المرحلة الثالثة

انصبت الأسئلة لمعرفة موقف الرئيس شمعون من فكرة تجديد رئاسته، ومن الملفت أنه لم يصدر أي تصريح رسمي يؤكد التجديد، بل على العكس إن جميع التصاريح الرسمية التي أطلقت كانت تنفي هذه الشائعة بشكل جازم، سواء من مجلس الوزراء، أو من الرئيس سامي الصلح، أو من الرئيس كميل شمعون شخصياً، لدى سؤاله عن موقفه من قبل جريدة «نيوزويك» الأميركية غير أن هذه التصاريح لم تقنع المعارضة التي أكملت ثورتها تحت راية «عدم التجديد» ولا يزال يستعمل هذا الشعار إلى اليوم.

النبذة الرابعة ـ المرحلة الرابعة

إزاء هذه الأوضاع في لبنان، خاصة بعد انقلاب العراق في ١٤ آب، رأت الحكومة نفسها مضطرة لإنقاذ النظام اللبناني من السقوط تحت ضربات المد الناصري ـ الإسلامي، المدعوم من الجمهورية العربية المتحدة، مما قضى على كل احتمالات التجديد

لشمعون، لاسيما بعد وصول الموفد الأميركي الخاص، روبرت مورفي، إلى بيروت بيوم واحد من إنزال القوات الأميركية. أدت هذه الخطوة لبروز انعكاسات عديدة داخل المعارضة، ففي حين رأى صائب سلام وأحمد الأسعد، أنه لا جدوى من متابعة الثورة، أكمل جنبلاط هجومه، بعدما شن هجوماً شديداً على المعارضة البيروتية وقد حدد الرئيس شمعون موقفه في بيانه الصحافي[1]. وكانت القضية المركزية تتعلق بتجديد الولاية الرئاسية وبقاء لبنان بلداً حراً في الشرق الأدنى يعيش فيه المسلم والمسيحي معاً في سلام ووئام.

أخذت الانتقادات تنصب على نية شمعون في التجديد، ولا تزال بعض الأقلام إلى هذا اليوم تتهمه بالعمل له، حتى ولو أن الأمر كان مستحيلاً، فلم يكن بمقدوره حكم البلاد في الوقت الذي كان قسماً كبيراً من الشعب يناوئه، والرئيس الداهية، كان يعلم ذلك، غير أنه لم يكن مستعداً للتصريح بعدم التجديد، تحت ضغط الشارع.

الفقرة الثانية ـ مواقف سامي الصلح المبررة والصامدة

درجت العادة، أنه عندما تشتد الأزمة، يلجأ رؤساء الوزراء إلى الاستقالة فوراً، خوفاً من نقمة الشارع فكانوا يلبون النداءات، ولو لم يكونوا مقتنعين بها، لكن في هذه الثورة حدث شيء لم يكن بالحسبان من الواجب الإشارة إليه بوضوح، كونه المرة الأولى التي لم ينسحب فيها رئيس وزراء لبنان، عند هبوب أول عاصفة في الشارع، إنه دولة الرئيس سامي الصلح، الذي أبى الاستقالة، مرجحاً الفعل والمنطق ومصلحة البلاد على الإذعان لمطالب المعارضة، حتى ولو بدى أول الأمر أنه سينزل من رصيده الشعبي، خاصة عند المسلمين، ففضل البقاء لتلقي الضربات مع رئيس الجمهورية، على أن يتركه بمفرده في المعركة، «لقد كان من الأسهل جداً إزاء مطالب المعارضة أن أقدم استقالتي

١ ـ بتاريخ ٢١ أيار ١٩٥٨ وجَّه شمعون بياناً للصحافة بالإنكليزية جاء فيه:
«يجتاز لبنان اليوم امتحاناً عسيراً إنه امتحان رجولتنا، إنه امتحان يقرر إذا كنا رجالاً حقاً نصمد في وجه الضغط مهما كان، ونبقى أحراراً، وفي وسعي أن أؤكد لكم أننا سنصمد في وجه الضغط مهما كان وسنبقى أحراراً».

أو أن أقبل ما حملته لي شخصيات قبل اندلاع الثورة، من أن أتزعم حركة عربية تؤمن للمسلمين حقوقهم وتضع حداً للهيمنة، استجابة لرغبة بعض المعارضين، مع أني كنت من الداعين للعدالة الاجتماعية والتوازن بين الطوائف، وكنت أرى أن تحقيق مطالب المسلمين يجب أن يتم عن طريق الحوار وليس بواسطة الدم والحرب والدمار، وقد شاطرتني أكثر من جهة صديقة ومسلحة، الرأي بأني لو استقلت في هذه الظروف، لانقسمت البلاد إلى دويلات طائفية، ودخل لبنان أتون حرب تأكل نتائجها الأخضر واليابس»[1].

النبذة الأولى ـ المعارضة تخطئ التقدير

كانت المعارضة تعتمد بصورة رئيسية على المخابرات السورية وما كانت ترسله من تقارير إلى عبد الناصر، وحسب اعتقادهم، لن يستطيع شمعون الصمود في الحكم أكثر من ثلاثة أيام، لذلك تم استبعاد أي حل سلمي من قبل عبد الناصر في أول المطاف، وبدى، أن سقوط الحكومة سيتم خلال أيام معدودة، بعدما وضعت الموالاة نفسها بتصرف الرئاسة، للمحافظة على شمعون في كرسيه، لآخر يوم من ولايته، وكانت المعارضة ترفع الشعارات، التي سردناها سابقاً، وهي حجة التجديد، وإنشاء معاهدات مع الولايات المتحدة الأميركية، التي تمثل رأس الاستعمار الجديد في هذه المنطقة، وهذه الدعوات لم تكن صحيحة، فالرئيس شمعون لم يرغب بالتجديد ولم يذكر بأية مناسبة أنه سيعمل له، كما يؤكد الصلح، بالقول[2] «إن شمعون لم يفاتحه شخصياً بشأن التجديد، وقد أبلغ واشنطن التي أرادت الوقوف على نواياه بهذا الخصوص، إثر اندلاع الثورة وتفاقم الوضع، فهو ليست لديه الرغبة في التجديد متمنياً

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٧٨.
٢ ـ على الصعيد الاقتصادي، ذكر شارل مالك وزير الخارجية اللبنانية أوائل عام ١٩٥٧، أن الصادرات اللبنانية هي لدول الستار الحديدي، وهذا قد يؤدي إلى تغلغل الدول الشرقية في السياسة اللبنانية، وأمل أن تبادر الدول الغربية، ومنها ألمانيا الاتحادية إلى زيادة استيرادها من لبنان. أنظر: عبد الرؤوف سنّو، (مبدأ هالشتاين) والصراع بين الدولتين الألمانيتين: الساحة اللبنانية نموذجاً (١٩٥٣ ـ ١٩٧٢) في دولة لبنان الكبير، الجامعة اللبنانية، ص ٣٤٥.

أن يكون هذا التوضيح نهائياً، وإن كان قد عقد العزم على المضي قدماً في إنهاء ولايته الدستورية حتى آخر لحظة»[١]. فمثل هذا الموقف من شأنه أن يصون هيبة الحكم والمؤسسات وقد وعد شمعون بأنه لن يستعين بالقوات الأجنبية، وخاصة الأميركية إلا عند الضرورة القصوى.

لقد صدر أكثر من تصريح لكمال جنبلاط يؤكد بأنه في غضون ثلاثة أيام سيستقيل شمعون، فرد عليه ريمون اده ذات مرة في منزل حسين العويني يراهنه، بأن الحكم سيبقى حتى ١٩٥٨/٩/٢٣، وليس بعد هذا التاريخ أي حتى نهاية ولاية الرئيس، وأنه لن يجدد.

النبذة الثانية ـ وفد المعارضة إلى الرئيس الصلح

توافقت المعارضة على إرسال لجنة من قبلها إلى سامي الصلح، قوامها محمد خالد ورفيق نجا وعبد الله المشنوق، عارضين عليه بأن شمعون سيقسم البلاد، ومن مصلحته الاستقالة والانضمام إلى المعارضة، ومتمسكين به كمرشحهم للحكم، وبذلك يسقط شمعون ويتخلصون منه، وأضافوا بأن حقوق الطائفة الإسلامية مهدورة وليس من ينظر بأمرها.

أجاب سامي الصلح، إذا كنت أمثل المسلمين، فما عليكم سوى أن ترفعوا مطالبكم إليّ وتوقعوها، وإذا تبنيتها ولم تنفذ لكل حادث حديث، وذكّر الدكتور محمد خالد بالعريضة التي قدمها (أي سامي الصلح) بتاريخ ١٩٥٤/٥/١٠، وتضمنت: إلغاء الطائفية السياسية في لبنان ـ توزيع المناصب بالتساوي بين جميع الطوائف ـ تعديل الدستور اللبناني، وتحديد صلاحيات رئيس الجمهورية، بشكل يضمن توازن السلطات ـ إجراء إحصاء عام لا طائفي بأسرع وقت ممكن ـ تسريع مشروع وحدة اقتصادية بين لبنان وسوريا ـ المحافظة على واقع لبنان العربي، ومكافحة التيارات الاستعمارية ـ تحقيق اللامركزية الإدارية والمالية في جميع المناطق اللبنانية.

وعرض للوفد بأنه جاء قبله رؤساء وزراء، فلماذا لم تطالبوهم وقتئذٍ وجئتم اليوم وبإلحاح لتنفيذ هذه المطالب.

---

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٧٩.

بعد ذلك أشاروا إلى موضوع التجديد، فأكد لهم بأن لا مجال للتجديد، ولم يُطرح أبداً هذا الموضوع في مجلس الوزراء، مع العلم بأن رئيس الجمهورية لم يفاتحه أبداً بهذا الموضوع[١].

النبذة الثالثة ـ خشية الصلح من قيام ثورة مضادة

أثناء المقابلة، قال الصلح ورداً على طلبهم باستقالة شمعون، أن مدة ولاية شمعون تنتهي بعد بضعة أشهر، والمصلحة تقضي بأن تنتهي هذه المدة، لأن أية محاولة سوف تخلق ثورة وحرباً طائفية ليست في مصلحة الوطن. كما أن شمعون يعتبر استمراره حتى آخر لحظة من مدته الدستورية قضية حياة أو موت، وأنه مستعد للبقاء وحيداً في الساحة، إذا اقتضى الأمر، خاصة وقد تسرب في الأوساط الدبلوماسية أن شمعون في لقائه مع السفير البريطاني بتاريخ ١٧ تشرين الثاني أعرب عن عزمه على فرض القانون العرفي، إذا لزم الأمر، ليدير البلاد مع فؤاد شهاب، بلا حكومة[٢].

النبذة الرابعة ـ اجتماع سري بين الصلح وعبد الحميد غالب

استدعى سامي الصلح، سفير مصر عبد الحميد غالب إلى اجتماع سري في دارته في برج أبي حيدر، واستمر الاجتماع ساعات ودار حول التجديد وحلف بغداد، فأبدى غالب خشيته من ارتباط شمعون بالهاشميين، فأكد له الصلح أن نية شمعون عدم التجديد، كما اقترح تأليف حكومة من المعارضة والموالاة، يكون شعارها، عدم المس بالدستور، أي عدم التجديد، كما أن لبنان لا يحيك المؤامرات ضد أحد.

لم يؤدِ هذا الاجتماع إلى نتائج إيجابية، واستمر السفير غالب في متابعة النهج نفسه في محاربة شمعون.

---

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٨٢.
٢ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

النبذة الخامسة ـ الصلح يبعد الوزير المصري السابق الراعي

تعبيراً عن حسن النية اللبنانية، تجاه مصر، أقدم رئيس الوزراء سامي الصلح على إبعاد الوزير المصري السابق الراعي إلى خارج البلاد، بالرغم من عدم وجود أية شبهات حوله في دوائر الأمن العام اللبناني والمبرر الوحيد أن عبد الناصر اتهمه بالتآمر على مصر، والشيء الوحيد الذي أخذه الصلح بعين الاعتبار، هو خصوصيات لبنان، وكان يفترض بعبد الناصر موافقته الرأي فيما لو علم بحقيقة الأمر[١].

النبذة السادسة ـ إعادة تشكيل حكومة الصلح بتاريخ ١٩٥٨/٣/١٤

قبل اندلاع الثورة بأيام معدودة، أعاد الوفد المعارض الكرة، أي الدكتور محمد خالد، ورفيق نجا وعبد الله المشنوق، طالباً من الصلح مجدداً تقديم استقالته، فأجابهم بأن المصلحة تقضي بالاتفاق على رئيس وزراء بديل، منعاً من إثارة النعرات الطائفية، ناصحاً إياهم بأن لا تصر المعارضة على استقالة شمعون، خاصة وأنه لم يبق له سوى خمسة أشهر، مرشحاً الدكتور محمد خالد، وهو شخصية حيادية، الذي اعتذر عن تحمل تلك المسؤولية، شاكراً وضع الثقة بشخصه.

النبذة السابعة ـ تحريض الفريق المسيحي لطلب الحماية الأجنبية

الخطة التي كان معمولٌ بها، حسب ما يروي سامي الصلح، تقضي بعزل المسلمين عن شمعون، ومنع أي كان من التعاون معه حتى الاستقالة، كما كان هناك عناصر مشبوهة تعمل على حث وتحريض الفريق المسيحي للمطالبة بالحماية الأجنبية، إذا استمر الضغط عليهم وإكراههم، وذلك بهدف إقامة كيان خاص، كما تم طرح هذا الكيان منذ عام ١٩١٨، وظل يراود بعض المفكرين، وأنه لن يفشل المطالبة بهذا الكيان، سوى وقوف القيادات الإسلامية إلى جانب المسيحيين ضماناً لاستقلال لبنان[٢].

---

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٨٤.

٢ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٨٨. مع التذكير بأن مواقف بعض الدول الأوروبية وألمانيا الاتحادية بوجه خاص، التي أيدت العرب في حرب السويس، وأيدت الثورة العراقية عام ١٩٥٨، والحرب الجزائرية، ورفضت التدخل الأميركي في لبنان عام ١٩٥٨، قد يكون لها مواقف شاجبة أو مؤيدة داخل الصف اللبناني، مما يزيد الأمر سوءاً، أنظر عبد الرؤوف سنّو، المرجع ذاته، ص ٣٣٣.

النبذة الثامنة ـ جنبلاط يصارح الصلح بضرورة الاستقالة

قبل اندلاع الثورة بأيام اتصل سامي الصلح بكمال جنبلاط وعرض عليه ما كان قد عرضه على غبطة البطريرك المعوشي، لإجراء مصالحة وطنية، ترمي إلى استحداث انتخابات نيابية مكملة، بعد رفع عدد النواب من ٦٦ إلى ٨٨، فتدخل المعارضة الندوة البرلمانية، لكن جنبلاط رفض وأصر على استقالة سامي الصلح لإحراج شمعون، فأجابه الصلح بأنه مستعد للتخلي عن الحكم عند قيام حكومة اتحاد وطني منعاً لزج البلاد في حروب طائفية، ويضيف الصلح قائلاً: «ويقيني أنه لو استمع الفرقاء إلى ما كنت أنصحهم به قبل فوات الأوان، لما وقعت الحوادث، ولما ذرت الحرب الطائفية قرونها البغيضة، والجدير بالذكر أنّي كنت قد طلبت من غبطة البطريرك المعوشي، عندما كنت أزوره مهنئاً في إحدى المناسبات، سنة ١٩٥٧، بذل مساعيه بنوع خاص لإيجاد حل للخلاف الناشب بين آل فرنجية وآل الدويهي، في بلدة زغرتا في شمال لبنان. كما أوفدت مندوبَين إلى اللاذقية ودمشق حيث كان يقيم عدد من زعماء زغرتا اللاجئين إلى سوريا للاتصال بصبري العسلي، رئيس الوزارة آنذاك، للإسهام في الوساطة لحل الخلاف في زغرتا. لكن المندوبَين عادا لأن مثل هذا الحل يتوقف على بيان أصدره أنا بمعرفة السوريين، وأعلن فيه تغيير السياسة الخارجية، هذه السياسة التي استمر العهد على تبنيها دون أي تعديل. أما محمود رياض، ممثل مصر في دمشق، قبل الوحدة، فقال عندما علم بمضمون الرد، يجب أن نعالج الوضع على صعيد أكبر من الجدية والواقعية[١].

---

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ٢٨٨ ـ ٢٩٨.

بهذه المناسبة يرى ميشال أبو جوده: أصبحت خطة كياننا واستقلالنا خطة دولية، فلبنان يمر الآن في أخطر تجربة في تاريخه منذ الاستقلال والجيش الذي نزل إلى الشارع لم ينزل لنصرة الحكومة على خصومها ولا نصرة هؤلاء على الحكام. نزل الجيش ليحمي كيان لبنان من الانهيار تحت وطأة أخطر مؤامرة في تاريخه الحديث... وستقوم الدولة باتخاذ أقصى التدابير لإنقاذ الكيان والاستقلال وستعمل إلى جلب الالتزامات الدولية نحوها طالبة تنفيذها: لبنان أمام مصيره بتاريخ ١٩٥٧/٦/١ منشورة في ٢٠٧ مقالات وتاريخها.

الفقرة الثالثة ـ موقف لبنان الرسمي الحيادي بين حلف بغداد والاتحاد العربي

تم إنشاء «الاتحاد العربي» بين العراق والأردن بتاريخ ١٤/٣/١٩٥٨ فأصبح الملك فيصل الثاني عاهل العراق، رئيساً له، والملك حسين، عاهل الأردن نائباً للرئيس، وبدأ الصراع بين حلف بغداد وحلف الوحدة، ودخل لبنان في مرحلة انتظار وترقب، خاصة وأن موقعه الجغرافي وتركيبته السياسية، لا يسمحان له بالانضمام إلى أي حلف، لاسيما وأن علاقاته مع الدول العربية الأخرى كالسعودية، ودول الخليج، وشمالي أفريقيا، بقيت سليمة.

الفقرة الرابعة ـ من الوجه الفينيقي إلى الوجه العربي إلى العروبة إلى المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية

الخضات والأزمات المتلاحقة في هذه البقعة من العالم، قادت شعوب هذه المنطقة إلى رفع شعارات ترمز فيما ترمز إلى بعض المبادئ والمفاهيم التي أمَلَ مطلقوها، الوصول بها إلى حيث الأمان والاستقرار والحرية، بعدما كانوا قد قاسوا أبشع أنواع الظلم والهوان. فالمطالبة بالعودة إلى الأصول الفينيقية أو الوجه العربي أو العروبة بكاملها، لم يكن هدفاً بحد ذاته، إنما كان بمثابة إيحاءات يعلق عليها الآمال الكثيرة. وبعد التقاء الزعماء اللبنانيون مسلمون ومسيحيون على وضع الميثاق الوطني عام ١٩٤٣، واعتبار لبنان ذو وجه عربي، عاد الخلاف ينشب مجدداً حول بعض الثوابت في أواخر الخمسينيات، فالدعوة إلى الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨، جاءت لتزيد تخوف المسيحيين، وكأن الوجه العربي لم يكن كافياً لطمأنة المسلمين. وبالمقابل أخذ المسيحيون يعدون الحساب ويتربصون خوفاً من تعاظم الدعوة للوحدة العربية. وإذا كانت تلك هي الشعارات التي كانت متداولة في الشارع اللبناني، فإن ثورة ١٩٥٨، كانت في معظمها معارضة لشمعون من جهة وتأييداً لعبد الناصر من جهة ثانية[١]. ويظهر بأن العروبة أصبحت غير كافية فإذا بالدعوات الأصولية تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية.

---

١ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ٢٤.

الفرع الثالث ـ بدء ثورة عام ١٩٥٨

الفقرة الأولى ـ اغتيال الصحافي نسيب المتني واندلاع الثورة

بدأت الثورة في منتصف ليل ٨/٥/١٩٥٨، إثر اغتيال نسيب المتني، صحافي ماروني، صاحب جريدة التلغراف، أثناء عودته إلى منزله، فاستغلت المعارضة هذا الحدث، وأعلنت الإضراب العام لمدة ثلاثة أيام، ووزعت منشورات في طرابلس وغيرها، تتهم شمعون بإثارة الفتنة. يقول سامي الصلح، أنه ورد في «الكتاب الأسود» الذي صدر في دمشق بعد انفصال سوريا عن مصر، إن قرار اغتيال المتني اتخذته أجهزة المخابرات السورية آنذاك[١]. لكن اغتيال المتني كان نتيجة خطة مدبرة لإثارة الفتنة في لبنان، وكان لصاحب الخطة ما أراده[٢]. وإذا كان متوقعاً من المجلس النيابي الجديد أن يجتمع في أيار لتجديد ولاية الرئيس شمعون، رأى زعماء المعارضة أن يتخذوا إجراء حاسماً، وفي ٨ أيار سقط الصحافي المعارض نسيب المتني أمام منزله في بيروت، فسارعت «الجبهة الوطنية» إلى إلقاء تبعة هذه الحادثة على الحكومة، ودعت إلى الإضراب العام[٣].

الفقرة الثانية ـ جنبلاط يعلن الثورة

راودت كمال جنبلاط، على أثر نتيجة انتخابات سنة ١٩٥٧، فكرة إعلان الثورة، كما ذكر في كتابه «حقيقة الثورة اللبنانية» فأعلن أنه منذ تلك الساعة، بدأ في التفكير بأن الثورة أضحت لا مفرّ منها، وعكف يعد العدة للتدريب والتسلح. واعتباراً من ربيع ١٩٥٧ إلى ربيع ١٩٥٨، بدأ زعماء المعارضة يستقدمون السلاح من سوريا، وبالمقابل، أخذ كميل شمعون يستعد لكل طارئ، فقوّى جهاز الدرك اللبناني، وبدأ الحزب القومي بالتسلح، وتم إنشاء (أنصار الدرك) من المتقاعدين الذين سرحوا من الخدمة في الجيش وقوى الأمن الداخلي.

---

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٨٩.
٢ ـ يوسف سالم، ٥٠ سنة مع الناس، ص ٢٩٤.
٣ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٨.

اتصل كمال جنبلاط بالمسؤولين السوريين لمساندته فوافقوا فوراً، وتولى شبلي العريان الإشراف على عمليات تمرير السلاح من سوريا[1]. بعدما أصبحت المعارضة عاجزة عن القيام بأي عمل دستوري وفقاً للقوانين لمناهضة الرئيس شمعون، لجأت إلى الطرق غير الدستورية، فأقدمت على إعلان الثورة والشغب في البلاد[2].

الفقرة الثالثة ـ انطلاق شرارة الثورة

ما إن دُفن نسيب المتني، حتى تداعت المعارضة للاجتماع في منزل صائب سلام، وقد حضر أكثر من ٣٥ شخصية سياسية تمثل جميع الطوائف والمناطق والأحزاب والهيئات والاتحادات ورؤساء تحرير الصحف، وصائب سلام وكمال جنبلاط وصبري حمادة ومعروف سعد ورشيد كرامي وفؤاد الخوري وأمين بيهم والياس الخوري ونسيم مجدلاني وعبد الله المشنوق وفؤاد عمون وعلي بزي وأحمد الأسعد وعبد الله اليافي ولحود لحود وعفيف الطيبي (نقيب الصحافة) والحاج حسين العويني وأنيس صالح وحسن بحصلي ومحسن سليم ومحمد صفي الدين وحسن فرحات ومحمد علي الرز وعدنان الحكيم ورفيق نجا ونهاد أرسلان ومحمد خالد وتقي الدين الصلح، والدكتور عدنان حيدر وغيرهم وأصدروا التوصيات التالية:

١ ـ اعتبار السلطة مسؤولة عن كل الاستفزازات.

٢ ـ الدعوة للعصيان المدني لمنع رئيس الجمهورية من التجديد.

٣ ـ ضرورة التنسيق بين المقاومة الشعبية في بيروت والمناطق.

٤ ـ اعتبار منزل صائب سلام، مقراً لقيادة المقاومة في بيروت.

الفقرة الرابعة ـ شمعون يوعز بإصدار مذكرات توقيف

أوعز الرئيس شمعون بإصدار مذكرات توقيف بحق زعماء المعارضة وتطويق منزل سلام، فهب الأهالي للدفاع عنه، بدأ الرصاص يلعلع، زال الطوق الأمني بأمر

١ ـ المقدم الركن رياض حامد تقي الدين، التجربة العسكرية الدرزية ومسارها التقدمي، ١٩٨٧، ص ١٤١.

٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٧.

من شهاب، في الوقت الذي غادر جنبلاط بيروت إلى الجبل، لإشعال الثورة من هناك.

بدأت الثورة في ٩ أيار ١٩٥٨، وكان تمرير السلاح قد بدأ منذ فترة طويلة، عبر الحدود السورية، ففي صيف ١٩٥٧، جرد الدرك حملة كبيرة طوقت منزل شبلي العريان واستمر تهريب السلاح في الخريف، لكنه انقطع فترة تساقط الثلوج على الجبال، وعاود مطلع ربيع ١٩٥٨. وفي ٩ أيار بدأت المجابهات بين الدرك والقوميين السوريين والكتائب من جهة والثوار من جهة ثانية لاسيما في صغبين وعين زبدة في البقاع في ١٣ أيار ١٩٥٨، وفي ١٤ منه حصلت مجابهات في الكنيسة تدخل فيها سلاح الطيران وفي ١٥ منه أثناء انتقال نحو ثلاثمائة مقاتل في عملية تهريب للسلاح عن طريق نيحا ـ الشوف، قصفتهم الطائرات الحربية، وفي ٢٣ منه توجهت حملة تزيد عن الأربعمائة مسلح عبر سهل البقاع فقصفتها الطائرات الحربية في السهل، مركّزة على قافلة الذخيرة التي كانت تتألف من اثنتي عشر بغلاً. لم تتوقف الإمدادات العسكرية طيلة فترة الثورة.

توسعت رقعة المقاومة إلى طرابلس والكورة وبعلبك والجبل وصيدا والجنوب وبدأ التمرد وسارت المظاهرات، وبدأ خطباء المساجد يندّدون بالسلطة وأقيمت الحواجز وهوجمت المراكز الحكومية وتم تفجير بعضها.

الفقرة الخامسة ـ التجديد في حوار شمعون والصحافيين

«لم أقل ولا مرة أنني أريد التجديد في الرئاسة، بل قلت إنني لا أريد، إنما بعض أصدقائي قاموا ببعض المساعي في هذا السبيل، وأنا لم أشجع ذلك إطلاقاً ولم أعمل على تعديل الدستور، على كل حال لن أطلب تعديل الدستور مع العلم أن الدستور يفسح في المجال أمام التعديل والباب مفتوح أمام اقتراحات التعديل، أما ادعاءات المعارضة بأن محاولة التجديد هي سبب الحوادث الأخيرة، فكذب وافتراء، ذلك بأن الاضطرابات في لبنان لم تبدأ منذ شهر أو شهرين، إنما بدأت منذ كانون الأول ١٩٥٦ حين تدخل عملاء مصر وسوريا في الشؤون الداخلية وهو تدخل لا يزال مستمراً منذ سنين وبرهانه لا يزال موجوداً لدى المحاكم فضلاً عن أن بلاداً عربية أخرى شهدت مثل هذا التدخل، ففي

الأردن جرت محاولة لقلب نظام الحكم مع أنه لم تكن هناك قضية تعديل الدستور من جانب الملك حسين أو حكومته، وقد جرت كذلك محاولة ضد الحبيب بورقيبة في حين أنه لم يحاول تعديل دستور بلاده. إن ادعاء المعارضة بأن السبب هو محاولة تعديل الدستور ليس سوى ادعاءً فارغاً وعذراً واهياً. وفي مطلق الأحوال إنها مسألة ثانوية، يجب أن يجرى النزاع عليها في نطاق الدستور نفسه وبالوسائل الديمقراطية لا بإطلاق التنكيل كل يوم والاستنجاد بالتدخل الخارجي[١].

ولدى سؤاله عما إذا كان سيستقيل بناء على طلب المعارضة، أجاب الرئيس «أنا هو السلطة الدستورية في البلاد، ولست على استعداد لأن أدفع ثمن الحوادث التي سببتها المعارضة ليس لأهداف وطنية، بل نزولاً عند تعليمات من الخارج بقصد هدم استقلال هذا البلد وسيادته. وبشأن ترشيح قائد الجيش لرئاسة الجمهورية، فإن كل شيء وارد لكن من الطبيعي أن تستمر الحكومة الحاضرة باعتبار أنها ليست مسؤولة على الإطلاق عما حدث وتكليف اللواء شهاب بتأليف الحكومة إذا كان ذلك ضرورياً لإنهاء المعارك.

أما بالنسبة للجيش، فإنه يتمتع بالصلاحيات المطلقة للقيام بما هو ضروري، وإذا لم يقم بأكثر مما قام به، فذلك للحؤول دون سفك الدماء.

فيما خص توقيف زعماء المعارضة، أجاب، إن ثمة دعوى باشرها القضاء في حقهم، وإذا كانوا لم يوقفوهم، فلأن قواتهم منشغلة في شؤون أهم»[٢].

وفيما خص تسليم الحكومة لعناصر من حزبي الكتائب والقومي السوري أجاب لم نفعل ذلك إطلاقاً، بل إن عدداً من هؤلاء أوقفتهم أمس السلطات العسكرية لحيازتهم سلاحاً حربياً.

الفقرة السادسة ـ ثنائية التحالفات

انقسم الشارع العربي في الشرق الأدنى بين حليفين أساسيين، يعودان في مرجعيتهما للثنائية العالمية الاتحاد السوفياتي من جهة والولايات المتحدة الأميركية من

١ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٩٦.
٢ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ٩٧.

جهة ثانية، فما كادت تعلن وثيقة الوحدة المصرية ـ السورية في الأول من شباط ١٩٥٨، حتى سارع العراق والأردن والسعودية للتضامن فيما بينهم وأنشأوا دولة الاتحاد العربي من العرشين الهاشميين العراقي والأردني، فإذا بلبنان أمام حليفين، وإن كان يميل طبيعياً إلى السعودية والأردن والعراق، رأى نفسه مضطراً لإرسال برقيتين للتهنئة إلى كل من منهما[١]، لكن بالتأكيد، لم تؤخذ التهنئة للرئيس عبد الناصر بالجدية، أو على الأقل كما كان عبد الناصر يعلم عمق علاقة شمعون بالهاشميين، فإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تساند المعارضون ضد شمعون وأنصاره، فإن الموالون وجدوا المعونة من العراق والأردن وتركيا وحتى من إيران، فإذا بالجبارين العالميين، مروراً بالحليفين الإقليميين، يتواجهان من خلال الثنائية اللبنانية موالاة ومعارضة.

إن المفارقة في نظام الحكم اللبناني تكمن في كون رئيس الجمهورية هو الرئيس المسيحي الوحيد في الدول العربية، فقدرته على التحرك تكمن في الدعم الذي يلقاه من الفئات المسلمة في لبنان. أما دوره تجاه بعض الدول العربية فهو واحد من اثنين لا ثالث لهما، إما الموقف الحيادي المعتدل ضمن إطار الدول العربية المتصارعة دوماً وأبداً، وإما مناداته بالعلمنة ضمن أنظمة لا تعترف أصلاً بمثل هذه الدعوات، مع التأكيد على التأثير السوري، كدولة قريبة من لبنان. فإذا أراد اتخاذ المواقف الجازمة، فالمفتاح يكمن في سوريا، لما لها من إمكانية للتدخل في معظم شرائح المجتمع اللبناني[٢] وإزاء ثنائية التحالفات التي طغت على المنطقة عام ١٩٥٨، كان من الممكن توقع النتائج السلبية من الانحياز لأي من هذين المعسكرين.

الفقرة السابعة ـ عبد الناصر يرى في شمعون امتداداً للهاشميين

لم تكن الهجمات على الرئيس شمعون من أقطاب المعارضة داخل البلاد ومن الجماهير المتأججة والمتحمسة تصب غضبها على شمعون وحسب، إنما كانت الضربات تنهال عليه من أعلى سلطة في العالم العربي، من عبد الناصر بالذات، الذي

١ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ١٨٣.
٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٦.

لم يكن مرتاحاً لوجوده، وكأنه يعيش امتداداً للحكم الهاشمي الذي كان يعارضه ويعمل على دكه تمهيداً لقيام الوحدة العربية. وبالفعل ارتبط شمعون بالهاشميين بصلة وثيقة، ليس فقط على صعيد النظرة السياسية الشاملة، إنما بروابط شخصية، فقد كان الملك حسين، قبل اعتلائه العرش ينزل عند أبناء ثابت أصدقاء شمعون في عين زحلتا، بزيارات مكرّرة لاسيما في فصل الصيف، وكان الرئيس شمعون، يرى في مؤيدي السياسة المصرية في لبنان، بتشجيع من القاهرة، خطراً على استقلال لبنان.

ازدادت ضغوط عبد الناصر، بعد الوحدة مع سوريا، لإسقاط الرئيس شمعون قبل انتهاء ولايته، وازداد بالمقابل خوف المسيحيين من ضم لبنان إلى الوحدة العربية، فأخذوا يدافعون عن أوضاعهم فيتدربون ويقتنون السلاح ويتجمعون في كتل للذود عن أنفسهم ومصالحهم.

الفقرة الثامنة ـ استياء البريطانيين من شمعون

كان لمواقف شمعون من مجريات الأمور في الشرق الأثر السيِّئ لدى الحكومة البريطانية. فتأييد شمعون لعبد الناصر، وجمع الملوك والرؤساء العرب في لبنان، واتخاذهم قراراً بدعم مصر، كل ذلك دفع البريطانيين إلى إساءة الظن بشمعون، خاصة وأن مواقفه كان يتخذها دون علمهم، وكانت ترى أنه إذا ذهب إلى تعديل الدستور يعرض البلاد إلى متاعب. أكد دولة الرئيس سامي الصلح، إبان استقباله الأمير عبد الله، خال الملك فيصل، بأن لبنان لن ينضم إلى حلف بغداد، ولن يعدل الدستور بتاتاً، وقد أكدت ذلك المعلومات الصادرة عن الدوائر البريطانية[١]. إن سياسة عبد الناصر أيقظت دعاة الوحدة العربية من المسلمين وسواهم في لبنان، مما أحرج موقف العهد القائم[٢].

---

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ٢٧١.
٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٦.

الفقرة التاسعة ـ ارتياح الولايات المتحدة الأميركية لقيام الوحدة بين مصر وسوريا

عمل عبد الناصر جاهداً على قيام الوحدة بين الدول العربية، وأول الغيث الوحدة التي أقامها مع سوريا، وقد لاقت ارتياحاً كبيراً لدى الولايات المتحدة الأميركية، تجنباً لإنزلاق سوريا في أحضان الاتحاد السوفياتي أكثر فأكثر، مما يزيد من النفوذ الشيوعي في المنطقة.

الفقرة العاشرة ـ الاتحاد السوفياتي يقطع علاقاته الدبلوماسية بإسرائيل

كانت القضية الفلسطينية، القضية المحور لدى الشعوب العربية، التي كانت تتصدى، بمقدار إمكاناتها، لأي دولة تساعد أو تصالح إسرائيل، وقد فهم الاتحاد السوفياتي بعمق هذا التفكير العربي، فأقدم عام ١٩٥٣، على قطع علاقاته الدبلوماسية بإسرائيل، بعدما كان من أوائل المعترفين بها لا لشيء إلا لحض الشعوب العربية للنضال ضد الإمبريالية والصهيونية، ورغبة في استمالتها لجانبه في الحرب الباردة الشرسة مع الولايات المتحدة الأميركية. وقد نجح بالفعل إلى حد كبير فيما ذهب إليه، فبدى الاتحاد السوفياتي، كمناهض للكيان الصهيوني، أقرب بكثير من أية دولة عربية من أوروبا أو أميركا، مما جعل منه قطبا يحتذى بخطواته على الأقل من قبل الشعوب العربية، لا من قبل معظم رؤسائها، وبالمقابل، أصبحت البلاد العربية، مع تركيا وإيران محوراً للتصدي للخطر الشيوعي، فأسرعت الولايات المتحدة جاهدة لإقامة التحالفات فيما بين هذه الدول وتقرير الروابط وشدها، لصد أي تغلغل شيوعي من أي نوع، لاسيما بعدما اختار الاتحاد السوفياتي التعاطف مع القضية الفلسطينية، بهدف الوصول إلى المياه الدافئة.

الفقرة الحادية عشرة ـ أحكام الإعدام في عهدي الخوري وشمعون

كان اللجوء إلى تنفيذ أحكام الإعدام، بغاية ضبط الأمن وتأمين الاستقرار بالبلاد، وليس لأجل القتل.

تقدّم هاجس المحافظة على الأمن كل الاعتبارات، منعاً لأي انزلاق قد تكون سلبياته لا حدود لها، في ظل نظام طائفي، حيث بسهولة يمكن تمرير الإشاعات، ومعظم الناس جاهزة لتقبلها، مما دفع رؤساء الجمهورية إلى التشدد في ملاحقة أي إخلال بالاستقرار. ففي عهد الرئيس بشارة الخوري، تم تنفيذ ١١ حكماً بالإعدام تسعة منهم شنقاً واثنان بإطلاق نار أحدهما إعدام زعيم الحزب السوري القومي أنطون سعادة.

بينما في عهد الرئيس شمعون، ما بين ١٩٥٣ و١٩٥٧، فقد نفذت ستة أحكام شنقاً. ومن البديهي القول بأن حكم الإعدام يصدر عن السلطة القضائية العليا، ولا ينفذ إلا بمصادقة رئيس البلاد.

الفرع الرابع ـ اعتلاء شهاب سدة الرئاسة

بتاريخ ٢٩ تموز انتخب قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية بـ ٤٨ صوتاً مقابل ٧ أصوات لريمون اده منافسه الوحيد، وورقة بيضاء[١].

في ٢٣ أيلول تسلم فؤاد شهاب مقاليد الحكم من كميل شمعون، وفي اليوم ذاته تم تأليف وزارة جديدة من معارضي العهد السابق والمحايدين، برئاسة رشيد كرامي، أحد كبار زعماء الثورة، وأعلنت هذه الوزارة في الحال عن عزمها على «قطف ثمار الثورة» فأثار إعلانها هذا نقمة الفئات الموالية للعهد السابق بما في ذلك أكثرية المسيحيين[٢]. وبذلك كما قال دولة الرئيس سامي الصلح: نجح مخطط مورفي وانتخب فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية، تعانق شارل مالك وزير خارجية لبنان مع الدكتور محمود فوزي، وزير خارجية مصر، وأخيراً انتصر التوافق الأميركي ـ الناصري[٣].

عندما انزلت أميركا قواتها في لبنان، التقت مصالحها بالمصالح المصرية، فإذا كانت قد تأهبت لردع المد الشيوعي الذي أطل من خلال تحالف عبد الكريم قاسم مع الشيوعيين، فإن الرئيس المصري، كان قلقاً، بنفس المستوى من طروحات الزعيم

١ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون أخر العمالقة، ص ١٠١.
٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٥١.
٣ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٢٠ و٢٢١ و٢٢٢.

العراقي الجديد الذي كان يزايد عليه بحملاته ضد الغرب، كي يتحول عبد الناصر على الساحة العربية إلى زعيم وحيد بلا منازع في الشرق الأوسط[١].

بعد تسلم الرئيس شهاب السلطة، عمد إلى تعزيز القوات المسلحة وأجهزته الأمنية، بعدما كانت في خضم الحرب الأهلية عام ١٩٥٨، عاجزة عن تنفيذ مهماتها، لكنها بقيت على أتم الاستعداد تحت سلطته للتنفيذ، بالمقابل لم يكن مرتاحاً للأجهزة الأمنية الأخرى كالدرك، بقيادة سيمون زوين بعدما كان قد دافع عن الشرعية إلى حين وصلت إلى الرئيس شهاب، ولا بالأمن العام الذي كان يترأسه بالوكالة المفوض العام الممتاز فؤاد شمعون، شقيق الرئيس السابق خلفاً لفريد شهاب بعد استقالة الأخير على أثر تعرضه لأكثر من حادثة اغتيال. أضف إلى ذلك إقدام صلاح اللبابيدي، مدير الشرطة على إلحاق رجال الشرطة والتحري المسلمين بالمقاومة الشعبية في بيروت بزعامة صائب سلام، وأخذت تقاتل معه. وحتى أن هناك ١٢٠ عسكرياً التحقوا بالمنظمات الطائفية وهي سابقة غير مألوفة في الجيش اللبناني آنذاك كل ذلك دفع الرئيس شهاب إلى إعادة تنظيم القوى المسلحة وفرض الأمن والنظام في البلاد بعدما تم انسحاب مشاة الجيش الأميركي في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٨ وانسحاب المراقبين الدوليين من الحدود اللبنانية ـ السورية في ٢٥ كانون الأول، فإذا بالرئيس شهاب يتخذ خطوات تهدف إلى تعزيز ثقة الناس بالدولة، وتعزيز الأمن والاستقرار، من جهة أصدر عفواً عاماً عن كل الجرائم في ٢٤ كانون الأول ١٩٥٨ المرتكبة قبل ١٥ تشرين الأول ١٩٥٨ والجرائم السياسية ذات الطابع العام والجرائم الواقعة على أمن الدولة.

أما الخطوة الثانية فكانت إصدار قانون إعدام القاتل في ١٦ شباط ١٩٥٩ تجاوباً مع إصرار ريمون اده وتهديده بالاستقالة من الحكومة الرباعية. وأن هذا القانون لم يترك للقضاء أي مجال لتبرير وتحقيق العقاب، وقد أراد إده من ذلك لجم الفوضى العارمة بعد حرب ١٩٥٨، ووضع حد للفلتان الأمني والتقيد بالأنظمة والقوانين[٢].

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٣١٤.
٢ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ٢٦٨.

الفقرة الأولى ـ خطف الصحافي فؤاد الحداد (١٩ أيلول ١٩٥٨)[١]

وضعت هذه الحكومة مصداقية الرئيس الجديد على المحك خاصة بالنسبة إلى الفريق المسيحي، وعن مقولة المصالحة الوطنية، في الوقت الذي يدعو بأن الحكم هو ثمرة تسويات سياسية لتوطيد الوحدة الوطنية، ومما زاد الطين بلة أنه بتاريخ ١٩ أيلول ١٩٥٨، بينما كان فؤاد حداد الصحافي في جريدة العمل والناطق باسم حزب الكتائب وصاحب مقولة «لبنان مساحة روحية» متوجهاً إلى مركز عمله كرئيس لقسم الفنون الجميلة في وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة في بيروت، خطفه مسلحون في شارع فردان، كونه كان لاذعاً في مقالاته ضد الرئيس عبد الناصر، وكانت مقالات «نقرات أبو الحن» تذاع كل يوم، بشكل لافت، ولم يعثر على جثته، وقد أدرك الحزب بأنه قتل وطمرت جثته في مكان مجهول: إذ ذاك دعا إلى إضراب عام ليوم واحد في ٢٢ أيلول أي قبل ٢٤ ساعة من أداء الرئيس المنتخب اليمين الدستورية.

الفقرة الثانية ـ الثورة المضادة[٢]

انتخاب فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية، وتسليم شمعون لمقاليد الحكم، ثم تكليف رشيد كرامي برئاسة الحكومة، خطوات[٣] لم تكن كافية بحد ذاتها لانقشاع جو الثورة، بالرغم من انقشاع الجو الإقليمي، وتأكيد قرارات مجلس الأمن على الاستقرار في لبنان، بعد انسحاب قوات المارينز من بيروت، فإن الثورة أخذت منحاً آخر مضاداً للمسار الذي كانت اختطته، وذلك حين دعى حزب الكتائب إلى الإضراب العام، في ٢٣ أيلول، الذي تطور بسرعة كما تطور نظيره إضراب ٨ أيار، إلى ثورة

---

١ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ٢٥٩.

٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته. ص ٢٥٠.

٣ ـ على أثر انتخاب شهاب رئيساً للجمهورية، تم تأليف لجنة من تقي الدين الصلح وغسان تويني وفؤاد حبيش، عهد إليها إعداد لافتات على الجدران والطرق وملصقات توزيع على البيوت والمحلات التجارية، تتضمن شعارات للخروج من الخنادق ونبذ الحرب الأهلية ودعم الجيش وتأييد العهد الجديد، لكن سرعان ما أزالتها الثورة المضادة، أنظر: نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ٢٢٧.

مضادة. إذ اعتبر الفريق المسيحي نفسه مغبوناً مع تكليف كرامي برئاسة الحكومة وهو ليس شخصية محايدة[١]، وكان على رأس الثورة في طرابلس ضد الرئيس شمعون، وحتى أنه اختار وزراءه إما من صف المعارضة أو من المستقلين، ضارباً عرض الحائط أي تعاون مع الحزب الشمعوني أو حزب الكتائب، مما قاد للتفسير بأنه انتصار فريق على فريق، خاصة وكانت تصاريح كرامي المتكررة ترتكز على أننا جئنا نقطف ثمار الثورة، الأمر الذي دفع الشارع المسيحي للرد والتصدي. ونتيجة للأحداث وقع ٢٣ قتيلاً و٥٣ جريحاً في البرج.

تطورت الأمور بصورة سيئة، وأصبحت جميع الاتفاقات والمفاوضات في مهب الريح، فلم يستطع العهد الجديد الاقلاع كما يحلو له، وإزاء خطورة ما حصل، كان يفترض الرجوع إلى ما يهدئ الشعب الغضبان والمعترض على تأليف الحكومة بالشكل الذي حصل، وخوفاً من عودة البلاد إلى مناخ الثورة التي كان يعيش فيها، فإذا بالعقلاء يعودون إلى رشدهم، ويتعلمون من ماضيهم المترسخ والشنيع بالتفاهم، فإذا بالرئيس صائب سلام، قائد المقاومة الشعبية في بيروت، يطلق الحل المبتكر تحت شعار «لا غالب ولا مغلوب»، لكي يطمئن الفريق المسيحي إلى مصيره، وبمشاركته بالحكم وعدم شعوره بالإحباط، مما يقود إلى ترسيخ مبادئ الوفاق والعودة إلى روح الميثاق الوطني، أما الهم الأكبر كان في طمأنة الفريق المسيحي، بأن لبنان لن ينضم إلى الجمهورية العربية المتحدة، الأمر الذي كان مدعاة خوف إبان الثورة، والتأكيد بأن لبنان سيظل بلداً عربياً سيداً مستقلاً، ولن يكون، في الوقت نفسه مقراً للتآمر على سوريا التي كانت تشكل الإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة[٢].

انصبت التسوية على ضرورة استقالة الحكومة والعمل على إنشاء حكومة ترضي وتطمئن الفريق المسيحي. لقد تبين أن الوزارة الأولى التي شكلت في عهد الرئيس شهاب، لن تتمكن من الحكم ما لم تتمثل فيها قوى البلاد الأخرى، أهمها حزب الكتائب، لذلك تم تأليف وزارة ثانية من أربعة وزراء، برئاسة الرئيس كرامي الذي يمثل

---

١ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، المرجع ذاته، ص ٢٦١.

٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٥١.

الثورة، ومن بيار الجميل الذي يمثل الموالاة بالإضافة إلى ريمون اده وحسين العويني[1].
تولى كرامي رئاسة الحكومة وحقائب المالية والاقتصاد والدفاع الوطني والإعلام، وحسين العويني، وزارتي الخارجية والعدل وريمون اده وزارات الداخلية والشؤون الاجتماعية والبريد والبرق والهاتف، وبيار الجميل، وزارات الأشغال العامة والتربية الوطنية والصحة والزراعة. وعليه أمنت هذه الحكومة المصالحة الوطنية عملاً بقاعدة لا غالب ولا مغلوب، ولدى تقديمها بيانها الوزاري بتاريخ ١٧ تشرين الأول، نالت إجماع النواب الحاضرين، باعتبارها حكومة إنقاذ وطني، لم يكن ممثلاً فيها أي من الطوائف الشيعية أو الدرزية أو الروم الأرثوذكس أو الروم الكاثوليك أو الأرمن، فالجميع كان يؤكد موافقته عليها، فالرئيس صبري حماده وجميع القادة غير الممثلين فيها، كانوا يعتبرون بأنها حكومة استثنائية، هدفها قلب صفحة الماضي وترسيخ الوفاق وإعادة سيادة القانون والمحافظة على سيادة لبنان واستقلاله. وهناك تفسير آخر لتوقيت الثورة المضادة، ففي الوقت الذي أصبح فيه شمعون بطريرك المسيحيين، وبالرغم من الإيعاز لنوابه بالتصويت لفؤاد شهاب، تخوف هذا الأخير من الشعبية الهائلة، فإذا به يدفع الكتائب لتبوء الشارع المسيحي على حساب الشمعونيين. أما النتائج بحسب تقديرات قيادة الجيش تقارب ١٤٠٠ قتيل من المتمردين فضلاً عن العديد من الجرحى[2] و٢٥ قتيلاً و٩٢ جريحاً من القوى الأمنية لغاية ١٢ تموز ١٩٥٨.

الفقرة الثالثة ـ طي صفحة الحرب

بعدما ارتاح الجميع بأن سيادة لبنان واستقلاله مضمونان، ألغيت الإضرابات وانكفأ الشعب كلٌ إلى منزله بعد اطمئنانه إلى أن الحكومة لن تقدم على الانضمام إلى

١ ـ الحكومة الرباعية «لم تكن الأصغر بعد الحكومة الثلاثية الأولى عام ١٩٥١ وتلك المتعاقبة عام ١٩٥٢ قبل ساعات من استقالة الشيخ بشارة ولم تكن الرباعية الأولى بعد أولى حكومات عهد كميل شمعون، برئاسة خالد شهاب عام ١٩٥٢، طبعهما الاستثناء والمهمة العاجلة التي تضع زعماء التناحر المسلح في الشوارع وجهاً لوجه داخل الحكم». أنظر: نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ٢٦١.

٢ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ١٩٤.

الجمهورية العربية المتحدة وأن سيادة القانون سوف تسود على الجميع، مع تأكيد التعاون مع المد الناصري حيث نجح لبنان في المحافظة على سيادته مع الانسجام التام بالعلاقات مع الرئيس عبد الناصر، وأول عمل قامت به الحكومة، إقدامها على إلغاء قرار حكومة سامي الصلح في عهد شمعون، باعتبار سفير الجمهورية العربية المتحدة عبد المجيد غالب شخصاً غير مرغوب فيه، والسماح له بالعودة إلى ممارسة أعماله في لبنان، وتم استقباله بحفاوة كبيرة من قبل المعارضة السابقة والمقاومة الشعبية. وبالمقابل أقدمت الحكومة اللبنانية على تعيين جوزف أبو خاطر، سفيراً للبنان لدى الجمهورية العربية المتحدة.

أما بالنسبة إلى شكوى لبنان ضد الجمهورية العربية المتحدة في مجلس الأمن، فقد أقدم الحاج حسين العويني وزير الخارجية على بعث رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة «داغ همرشولد» يسحب فيها تلك الشكوى، فاعترض الوزير بيار الجميل، للتفرد باتخاذ مثل هذا القرار، مما دفع إلى دراسته في مجلس الوزراء الذي اتخذ قراراً بذلك، وبعدها أرسل وزير الخارجية رسالة ثانية بتاريخ ٢٢ (مايو) ١٩٥٨، تحت عنوان «شكوى لبنان حول الحالة الناشئة من تدخل الجمهورية العربية المتحدة في شؤون لبنان الداخلية». وبناء على هذا الطلب، اجتمع مجلس الأمن ووافق على إلغاء الشكوى وسحب المراقبين بعدما نُشر التقرير النهائي وانتهت مهمتهم[1].

الفقرة الرابعة ـ خيمة الحدود اللبنانية ـ السورية

بعد تطبيع العلاقات اللبنانية السورية، وحل المشاكل التجارية التي كانت قد تأثرت بالمرحلة السابقة، وتوحيد التعرفة الجمركية، ومسائل نقل الأشخاص، وتبدد كل ما كان يسيء للعلاقات. تمّ اللقاء بين الرئيسين فؤاد شهاب، وجمال عبد الناصر، بتاريخ ٢٥ آذار (مارس) ١٩٥٩، في خيمة نصبت على الحدود. شكل هذا الحدث

١ ـ لمحو آثار النزاع والتدخل الأجنبي، طلب فؤاد شهاب انسحاب مشاة البحرية الأميركية من الأراضي اللبنانية، وانسحبت بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٨، وانسحب أيضاً المراقبون الدوليون في ٢٥ كانون الأول ١٩٥٨، أنظر نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ٢٦٩.

مغزاً تاريخياً، إذ أريد منه أن يطمئن الجميع إلى سيادة واستقلال لبنان وقراره الحر، وذلك بنصب خيمة ضمّت الرئيسين عند الحد الفاصل بين الدولتين، بحيث بقي الرئيس عبد الناصر، في الأراضي السورية، والرئيس فؤاد شهاب في الأراضي اللبنانية، في منطقة المصنع، كان طول الخيمة ١٥ متراً، كما نصب أربع خيم للعسكريين. ورافق الرئيس شهاب وزير الخارجية حسين العويني، وكان بجانب الرئيس عبد الناصر عبد الحميد السراج الوزير التنفيذي للداخلية في الإقليم السوري والسفير عبد الحميد غالب.

تمّ التوافق في هذا اللقاء على عدد من النقاط التي كانت قد بحثت، وهي تأكيد استقلال وسيادة لبنان من قبل الجمهورية العربية المتحدة، وتأكيد لبنان بعدم الانحياز ضد الجمهورية العربية المتحدة، وإبقاء لبنان خط حياد على صعيد السياسة الخارجية. أصدر المجتمعون بياناً مشتركاً عن القمة يؤكد هذه النقاط ويشدد على ضرورة التعاون وتعزيز التضامن العربي ودعم قضية العرب والدفاع عنها.

انعقد مجلس الوزراء اللبناني في صربا، مقر رئيس الجمهورية آنذاك، وأبلغ نتائج القمة، فرحبت الحكومة بما حدث.

الفقرة الخامسة ـ حكومة كرامي الثالثة[١]

جاءت الحكومة الرباعية على أساس «لا غالب ولا مغلوب» ثم وسعت بحيث استقال ريمون اده من وزارة الداخلية ورشيد كرامي من وزارة الاقتصاد وحسين العويني من وزارتي العدلية والتصميم، وبيار الجميل من وزارتي التربية والزراعة وعين كل من فيليب تقلا وزيراً للعدلية والاقتصاد وموريس زوين وزيراً للشؤون الاجتماعية والبريد والبرق، فؤاد نجار وزيراً للزراعة، علي بزي وزيراً للداخلية والأنباء وفؤاد بطرس وزيراً للتربية والتصميم، وأصبحت هذه الوزارة تضم كل الطوائف اللبنانية.

١ ـ نقولا ناصيف، ريمون اده، المرجع السابق، ص ١١٩؛ ـ كمال الصليبي، المرجع السابق، ص ٢٥١.

الفقرة السادسة ـ اعتماد قانون انتخابي جديد ١٩٦٠[١]

عمد الرئيس فؤاد شهاب إلى وضع قانون جديد للانتخابات أصبح بموجبه قضاء الشوف، منطقة انتخابية واحدة، بعد ضم إقليم الخروب إلى دير القمر، فتأمنت أكثرية مسلمة، وجرت الانتخابات الجديدة في ١٩ و٢٦ حزيران وفي ٣ تموز ١٩٦٠ ورفع عدد النواب من ٦٦ إلى ٩٩ وأصبح في الشوف ثمانية نواب: ثلاثة موارنة وواحد كاثوليك، واثنان سنيان، واثنان درزيان، ففاز جنبلاط وستة من زملائه، وهم بهيج تقي الدين وعبد العزيز شهاب، وعصام الحجار، أما كميل شمعون، فترشح للانتخابات النيابية عام ١٩٦٠ عن المتن الشمالي بعدما كان اختار «بولونيا» للإقامة بعد انتهاء مدة رئاسته، وقد سكن في فيلا فرانسوا جبر بينما مرافقوه تجمعوا في أوتيل سماحة القريب.

وبعد وفاة قبلان قبلان، تأمن مركز جديد لجنبلاط في الدولة، كما فاز المتمول الكاثوليكي سالم عبد النور محل نعيم مغبغب. أما في انتخابات ٢٦ نيسان ١٩٦٤، فسقطت لائحة شمعون ولم ينجح منها سوى جوزيف مغبغب، الذي أعيد انتخابه بعد أربع سنوات، أما في الدورة الثالثة، فسقط على عدد قليل من الأصوات، نتيجة مؤامرة داخلية عليه.

١ ـ بتاريخ ٤ أيار ١٩٦٠ أصدر فؤاد شهاب مرسوماً قضى بحل برلمان ١٩٥٧ والذي كان مؤلفاً من ٦٦ نائباً، رفع العدد إلى ٩٩ نائباً، أعد المرسوم عبد العزيز شهاب مدير عام وزارة الداخلية وناقشه مع وزير الداخلية علي بزري. وهذا القانون بقي نافذاً حتى عام ١٩٩٢، بعد أول انتخابات نيابية عامة بعد الحرب، أنظر: نقولا ناصيف، ريمون اده، ص ١١٩.

القسم الثاني

الفصل الأول

نعيم مغبغب ـ نشأته ـ محيطه

ولد نعيم مغبغب في مصر عام ١٩١١ من والدين لبنانيين، من عين زحلتا في قضاء الشوف الأعلى، وقد هاجرا إلى مصر هرباً من الأجواء العثمانية الضاغطة آنذاك.

توفيت والدته وهو في مقتبل العمر. تردد مراراً برفقة والده إلى لبنان. درس في معاهد عديدة متنقلاً بين القدس ودير القمر وبرمانا والكلية البطريركية والجامعة الأميركية في بيروت. استحصل على الإجازة في الحقوق من مصر، مارس المحاماة بادئ الأمر في مصر حيث لقب بـ «محامي الفقراء» ثم انتقل إلى بيروت متأثراً بالضغوط التي مارسها عليه كل من بشارة الخوري ورياض الصلح. أسس وكميل شمعون مكتبا للمحاماة.

سكن في بادئ الأمر في المصيطبة. ولما اندلعت ثورة ١٩٥٨ انتقل إلى عجلتون في كسروان، وسكن لدى رئيس البلدية نجا ثابت. ثم نقل سكنه إلى الأشرفية قرب دير اللعازارية، ملك نصر الله حتى استشهاده بتاريخ ٢٧ آب ١٩٥٩.

الفرع الأول ـ بعض ملامح شخصيته

الفقرة الأولى ـ الشخصية الاجتماعية المحببة

تمتع نعيم مغبغب بشخصية اجتماعية محببة، مزودة بأخلاق سامية، شغوف لمساعدة الضعفاء، مع ابتسامة ونكتة ولكنة مصرية. فإن التقيته صدفة تحسب أنك على معرفة به منذ أمدٍ، إذ تشعر أنّك محطّ اهتمامه، يسمع شكواك، يفرح لفرحك، ويغضب لغضبك، لا يحسب لأموال هذه الفانية أي حساب، فهو لم يقتنِ منزلاً في بلدته، إنما سكن في منزل ابن عمه، في نبع الصفا، جلّ همه مواجهة المجتمع بقلب منفتح يغمره الحب والعطاء، يمد يده للمساندة، مما أكسبه ميزة خاصة عند أحبائه يرومون لمجالسته ومخاطبته والالتفاف حوله.

يذكر فؤاد بطرس[1] أنه عندما كان قاضي تحقيق في بيروت، اعلموه بأنه تم توقيف مرافق نعيم مغبغب لحيازته مسدساً غير مرخص به، وكان العقاب آنذاك، التوقيف لمدة خمسة أيام. عندما رأى مغبغب مرافقه قد أوقف، قدم مسدسه غير المرخص به أيضاً للشرطة، مما اعتبره بطرس تحدياً لرجال الأمن، فأمر بسجنه، وخامس يوم قبل الخروج من الحبس طلب مغبغب مقابلة بطرس، فتردد أولاً، ولم يستطع التهرب من المقابلة، لأن مغبغب له تاريخ حافل بالأمجاد النضالية، وبرغم ذلك أمر بسجنه، وكان يعتقد بأنه سيعاتبه على قراره، لكنه دهش عندما سمع مغبغب يقول له، إني أهنئك حضرة المستنطق على ما فعلت بوحي احترام القوانين. لقد فسر بطرس عمله بأنه إهانة للسلطة ولقوى الأمن، قد يكون ذلك صحيحاً، لكن بنظرنا الأصح إنما يعود لتفكير مغبغب الرامي دوماً إلى احترام ومحبة الأفراد العاديين. هاله أن يسجن مرافقه لمجرد حمله سلاحاً أعطاه إياه لحمايته، ففضل أن يسجن معه من أن يقال أنه ذهب إلى سريره وترك مرافقه وحيداً في الزنزانة!

والدليل على مواقف مغبغب هذه، يروى أن السفارة البريطانية وجّهت له كعادتها، دعوة لحضور حفلة وطنية رسمية، وكان وعد بحضور حفل عشاء عادي لدى

---

١ ـ فؤاد بطرس، المذكرات، ٢٠٠٩، ص ٢٩.

أحد المحازبين في إحدى القرى النائية، بعد أن سهى عن باله حينها الحفل الرسمي في السفارة البريطانية، وكان أمامه الإختيار بين القروي وسفارة بريطانيا، فإذا به يختار البلدة النائية، لاعتقاده أن هذا الشخص قد حضّر كل ما يملك لاستقباله، فما كان من مسؤولي السفارة سوى مقاطعته في المناسبات المماثلة.

الفقرة الثانية ـ «محامي الفقراء»

أُطلق عليه هذا اللقب في مصر، ولازمه في لبنان. كان يميل لمساعدة المحتاج في أي مجتمع كان. مما يروى عنه، أن أحد الباشاوات كان عائداً إلى مصر من مرفأ الاسكندرية، تقدّم منه أحد الحمالين لمساعدته في حمل الحقائب الكبيرة والثقيلة، أثناء ذلك، انزلقت رجل الحمّال، فوقع أرضاً، فما كان من الباشا إلاّ أن رفسه، فاغتاظ الحمال وشتمه قائلاً: « ... أمك». تقدم الباشا بدعوى ذم وتحقير أمام المراجع القضائية. أشار الحمالون إلى زميلهم بتوكيل المحامي نعيم مغبغب للدفاع عنه وهكذا كان. وإبان المرافعة قال نعيم: يا سيادة الرئيس، لم يقل الحمال هذا الكلام إلا بعدما رفسه الباشا، وإنني أتساءل، هل إن القول «رأس أمك» فيه تحقير، فأجاب القاضي كلا، وشعر أمك.. كلا... وأخذ نعيم يردد بعجلة كل أقسام جسم المرأة، ظهر أمك، وجه أمك، أصبع أمك، رجل أمك، يد أمك... أمك، ضفر أمك، وكان القاضي دوماً يجيب كلا، وخلص نعيم للمطالبة بالعفو عن المدعى عليه، فاستجاب القضاء لطلب التبرئة. ومن المفارقات بأن هذا الحمّال، يتمتع بصوت مميز، فغدا واحداً من أكبر فناني مصر العظام.

الفقرة الثالثة ـ الشجاعة والإقدام

قلما تسمع بأن شخصاً يتمتع بمقدار من الشجاعة والجرأة، كنعيم مغبغب، فكأنه صاحب قدرات تفوق قدرات أترابه وهذا ما كان مدعاة للعجب، حتى للطبيب الذي شرَّح جثته لدى استشهاده، فقد صرّح بأنّه للمرة الأولى يشاهد قلباً، بحجم قلب هذا الشهيد والذي تجاوز المألوف. أظهر من الشجاعة في المواقف التي اتخذها عبر مسيرة حياته، ما يحنو له الجبين، خاصة وأنها مزدانة بالشهامة والكبر والعفو.

الفقرة الرابعة ـ محاربة الأخذ بالثأر والربى

وجَّه نعيم مغبغب سخطه على عمليات الانتقام التي تحصل، ففي مقالة «كلمة اليوم» تحت عنوان «في القصاص حياة فاضربوا المجرمين وانقذوا الأبرياء، المنشور في جريدته (الأقدام، السنة الثانية، العدد ٢٦٤ ـ الأحد ١١ تشرين الثاني ١٩٤٥، ص ٢) يقول: في حوادث بلدتين متجاورتين في جبل لبنان قضاء عاليه، صورة ناطقة لما عنته آية القرآن الكريم: «ولكم في القصاص حياة». فالحادث الأول الذي قَتَل فيه أحد أبناء قرية شاباً من قرية ثانية، كان حادثاً عرضياً عادياً أصيب فيه الفاعل بعدة جراح، وربما أثبت أنه كان في حالة الدفاع المشروع عن النفس، أو كان مغدوراً. ولو مثل أمام المحكمة لربما كان الحكم عليه خفيفاً، ولانقضت المسألة على خير، أما الذي حصل فهو أن هذا الفاعل احتمى عند أهله وأصحابه، وبئس الأهل والأصحاب الذين يشجعون على ارتكاب المعاصي، ويضعون البريء موضع الجاني إذا كان بريئاً، ليجعلوا منه بطلاً قروياً أو طائفياً.

أما الحادث الثاني، وهو مقتل اثنين من مواطني القاتل الأول، بيد أهل القتيل الأول، فحادث مؤسف ومزعج وفظيع، لا يمكن أن يتهاون إنسان مع مرتكبه، حتى على أساس الانتقام، مع ما في الانتقام نفسه من شناعة.

فما ذنب بريئين بسفك دمهما هدراً وهما «غير القاتل وغير أبيه وأخيه وابنه»، أم هل إن انتسابهما إلى قرية القاتل، ولا نقول إلى طائفته، لأننا نرفض هذا المبرر، كافياً لتحميلهما وزر المجرم الهارب؟

إن هذه الحوادث المؤسفة لا تتخذ في نظرنا، صيغة قروية ولا حزبية ولا طائفية ويجب أن تبقى في نطاق العمل الشخصي.

وفي الوقت ذاته يجب أن تكون درساً للحكومة ولأصحاب النفوذ، فيفهم الجميع أن في القصاص حياة، وأن من يعرقل سير العدالة لصالحه أو لصالح سواه يرتكب جريمة تسري عواقبها عليه!

ويختم نعيم مغبغب مقاله بالقول «ويا ليت حادث الانتقام، يكون درساً رادعاً، وقع على هؤلاء المجرمين ولم يقع على الأبرياء، وعليهم جميعاً الأولين والأخيرين، لعنة الله».

الفقرة الخامسة ـ الالتزام بالواجب الوطني

كان يحب العلم والثقافة، وعندما علم كوزير للأشغال العامة بأن هناك عشرة أخصائيين في مطار بيروت يعملون بالتعاقد اندفع لمساندتهم قائلاً إن هؤلاء الخبراء لبنانيون، وكان من باب الشواذ أن يخدم لبناني حكومته بصفته خبيراً بالتعاقد، فما كان منه سوى إحالتهم إلى الملاك بصفة موظفين دائمين.

كذلك في معرض المناقشة البرلمانية حول تظاهرات الطلاب، اغتاظ كمال جنبلاط وهاجم بشراسة رئيس الحكومة عبد الله اليافي، فاعترض على أقواله أربعة نواب وطالبوا تسجيل كتاب لوم في محضر الجلسة، فما كان من نعيم مغبغب، المعارض لجنبلاط، سوى الرفض، مفضلاً تقديم اعتذار شفهي، لأنه كان يرفض أن يُسجَّل على جنبلاط مثل هذا الكتاب.

الفرع الثاني ـ عين زحلتا ـ قرية نعيم مغبغب

الفقرة الأولى ـ مصدر التسمية

كلمة عين زحلتا تتألف من كلمتين: عين وزحلتا. فبالنسبة إلى تسمية «عين» فمردها كثرة عيون المياه التي تحيط بها مثل: عين الصفا، وعين القاعة، وعين الجوزة، وعين الضيعة وعين الفوقا، وعين الصفصافة، وعين الجديدة، وعين الحد، وعين النعمة وسواها. أما بالنسبة إلى كلمة «زحلتا» فهي إشارة إلى أرضها الزاحلة أي المنجرفة، التي ترتفع من علو ٧٠٠ م في وادي نبع الصفا إلى ١٢٠٠ م حتى ٢٢٥٠ على جبل الأرز.

من الطبيعي أن تدخل عين زحلتا في اهتمامات الميثولوجيا، فمنها ينبع «نهر الصفا» الذي يصبح «نهر الدامور» عند مصبه، ولأن الأساطير والحكايات القديمة

كانت تتمحور دوماً حول الأنهر والينابيع، لما تحمله من خيرات وثروات، ولما تجلبه من خراب ودمار، فإذا بها تستجلب الإلهام، لتحاك الأساطير حولها.

ولمعرفة التسمية الميثولوجية لعين زحلتا، لا بد من العودة إلى التاريخ، فالإله «كيزور فتاح» الذي عدلته العامة ليصبح بـ «بئر فتاح» إنه الإله الذي ذكره شارل قرم في كتابه «الجبل الملهم»، وهو الذي كان يعتبر «الإله الفاتح» وهو من يحمل الصفات الخارقة المحددة للوجود، فهذا الإله هو مَن:

أولاً ـ جلا إبهام الكون

ثانياً ـ سن شريعة الوجود

هذا الإله ليس له أي مكان معروف في لبنان، إلا في أرض عين زحلتا، حيث لا تزال «بئر فتاح» قائمة على رأس تلة تشرف على مجرى نبع الصفا، فتسمية «كيزور فتاح» أو «الإله الفاتح» أصبحت تعرف اليوم باسم «افتاح القمر» وهي كانت أرض «الإله الفاتح»[1].

وما يزيد رسوخاً لهذه المقولات، ما تناقلته الميثولوجيا، عن المنازلة التي حصلت عند مصب نهر الصفا، بين كل من الإله دامور أي زُحل الفينيقي، والإله بونش اليوناني، وبسبب تغلب دامور على بونش، حمل هذا النهر اسمه عند مصبه واسم زحل عند منبعه، فسمي عين زحل، ثم تحوّل فيما بعد إلى تسمية «عين زحلتا».

النبذة الأولى ـ الينابيع التي تحيط بها

أولاً ـ نبع الباروك

يحيط بقرية عين زحلتا، نهر الباروك، وهو يبعد كيلومتران تقريباً عن حدودها، وينبع مباشرة من أرض مسطحة، ويعرف بالتسمية الأولى عند منبعه، وبالأولي عند مصبه وهي تسمية حديثة العهد، أطلقت عليه بعدما أصبحت صيدا قاعدة الشطر الجنوبي في لبنان في أواخر القرن السادس عشر، وقبل ذلك كان يعرف باسم نهر

١ ـ نواف بشير كرامي، عين زحلتا بلدتي ٢٠٠٧.

الفراديس (جمع فردوس) كما كان يعرف بنهر البسري، نسبة إلى قرية بسري، بالقرب من ملتقى النهرين، ولا تزال بعض آثار الحصن موجودة إلى الآن على ضفافه. وقد جر، الشيخ بشير جنبلاط مياه هذا النهر، إلى دارته في المختارة عام ١٢٢٢ هـ الموافق ١٨٤٨ م.

ثانياً ـ نبع الصفا

نبع الصفا، ينبع من وادي عين زحلتا المعروف بوادي الصفا وإذا كان نهر الباروك، يعود إلى قرية الباروك، فإن نبع الصفا يعود إلى قرية عين زحلتا. وفي مصبه يدعى نهر الدامور وكلمة دامور تعني الإله، وهو ابن السما، وقد سماه بوليبس «دامورس» واسترابيون «تاميراس»، أي تمراس إله النخل، ودامور بالسريانية معناها العجب، وبالعربية معناها المخرب، لأنه عند مصبه كان يصطدم بسفح الجبل من جهة الغرب، فيرتد إلى الشمال حيث السهل الفسيح، سهل الدامور، وكان مصبه حسب أخبار الأقدمين، وكما يتناقله الخلف عن السلف، في المحلة المعروفة براس «الصرب». وقد حصل فيضان كبير في نهر الصفا عام ١٥٠٣. يذكر ابن سباط في تاريخه أنه في هذه السنة اقتربت الكواكب السيّارة الأربع زحل والمشتري والمريخ والقمر من برج السرطان، وذلك من نوادر الزمان. ثم إنه جاء سيل عظيم دام سبعة وعشرين يوماً لم تبن الشمس والقمر أثناءها. وفاضت الأنهر فيضاناً عظيماً حتى أن نهر بردى في دمشق أخذ كثيراً من البيوت والخانات، ونهر البقاع (أي الليطاني) أخذ جسر القرعون، ونهر صيدا المعروف بنهر الفريديس (الأولي) ضرب ما عليه من الجسور (الكباري) والطواحين، وقلع أشجار كثيرة ونهر الصفا ارتفع فوق الجسر الذي بناه القاضي ما يفوق عن قامة إنسان، وحمل إلى فوقه شجرة دلب عظيمة، ونهر إبراهيم ارتفع ماؤه إلى الجسر ونهر طرابلس (أبو علي) ضرب بنايات كثيرة من المدينة وهدم بيوتاً كثيرة من القرى[1].

١ ـ نعوم المغبغب، تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي، ١٩٠٠، الطبعة الثانية، ص ٦٦٠ و٦٦١.

ثالثاً ـ نبعة الرعيان ـ اكتشفها نعيم مغبغب

تتمتع «نبعة الرعيان» بموقع جيولوجي غريب ومميز، فهي تبعد خمسون متراً عن نبع الصفا، وترتفع عنه ما يقارب المترين، وكانت مياهها، تزداد برودة في فصل الصيف، وتسخن في فصل الشتاء. فعندما تولى نعيم مغبغب وزارة الأشغال العامة والنقل انصب اهتمامه لمعرفة سر «نبعة الرعيان» فاستجلب الخبراء لفحص هذه المياه، فوضعوا فيها مياهاً ملونة لمعرفة حقيقة مجراها، فلم تظهر أية آثار للتلوين لا على مياه نبع الصفا ولا على مياه نبع القاعة مما زاد بالاقتناع بأن نبعة الرعيان، إنما هي مستقلة عن الينابيع المجاورة، وبدأ العمل لكشفها وما إن بدأت أعمال الحفر، حتى ظهرت كمية مياه تفوق بغزارتها، مياه نبع الصفا.

رابعاً ـ نبع القاعة

ينبع من نقطة، بالقرب من نبع الصفا، وقد جر مياهه الأمير بشير الشهابي إلى قصره في بيت الدين، بعدما شق قناة على طول وادي الصفا، وصولاً إلى وادي دير القمر، عام ١٦٧٥. وقد استغرقت الأشغال اثنان وعشرون شهراً، وتمت بمعونة أهل البلاد، عندما طُلب من كل شخص أن يحفر مقدار قامته، وبلغ مجموع ما انفق مائتي ألف درهم، وقد نظم المعلم بطرس كرامة، الشاعر المشهور، والمقرب من الأمير، موشحاً يقول في مطلعه:

صاح وقد واف الصفا يروى ... الظمأ كوثري الحس

وناحى الشهيد في روحي السما ... كلا الفم وبزلانس

خامساً ـ النبع الفوقاني

ينبع من نقطة قريبة من نبع القاعة، استخدم لري البساتين في محلة الصفا - القاعة ـ وحاولت السلطات الفرنسية في الثلاثينات ضمه إلى نبع الصفا مباشرة، لكن الأهالي اعترضوا وتعالت الاحتجاجات، قمعتها السلطات واعتقلت عدداً من أبناء البلدة.

جرى ضم هذه المياه إلى نبع الصفا لتوليد الطاقة الكهربائية في كفرنيس في الثلاثينات، وتم إنشاء محطة ضخ لتلك المياه إلى منازل أعالي عين زحلتا. وتم تدشين هذا الموقع من قبل رئيس الجمهورية كميل شمعون، ١٩٥٧. جُرَّت لاحقاً مياه هذا النهر إلى منطقة عاليه. ومؤخراً جرى الكشف على المغارة، فوق نبع الرعيان، فإذا بها موصولة ببحيرة شاسعة، وبدأ العمل باستخراج المياه منها.

النبذة الثانية ـ الجذور والأحداث التاريخية المؤثرة

أولاً ـ الجذور

تعود جذور عين زحلتا قدماً في التاريخ، (وخير دليل هو الآثار التي اكتشفت فيها، وهي آثار آشورية ـ فينيقية) إلى فترة احتلال سنحريب (٧٠٥ ـ ٦٧١ ق.م.) آسيا الصغرى، فقد وُجد تمثال برونز، يقول عنه أحد علماء التاريخ أنه يعود إلى تلك الحقبة، أي عندما احتل ذلك الفاتح منطقة آسيا الصغرى، وتغلب على مملكة بابل، ومملكة عيلام، وبلغ جيشه أعالي الجبال، وتمركز تحت الأرز، في منطقة «فتاح قمر» المذكورة، كما وجدت آثار قديمة ونواويس في تلك المنطقة، ووجد بعضها في مجموعة مراد البارودي. ويقال إن عين زحلتا كانت في محلة «كفرا» حيث بقيت المنازل فيها إلى زمن ليس ببعيد (١٩٦٠). وتسمية «كفرا» بالسريانية والآرامية تعني المزرعة أو المحلة أو البلدة كما أن عين زحلتا محاطة بالقرى التي تعود تسميتها للفترة الآرامية والسريانية مثل كفرنيس على مسافة ٥ كلم تقريباً من خراج عين زحلتا للجهة الشمالية، وكفرنبرخ وكفرقطرة وسواها.

سكن هذه المنطقة شعوب ترقى إلى العهد الفينيقي الآشوري، وقد وجدت آثارهم في محلة «فتاح قمر» كما يشهد على ذلك التمثال البرونزي الذي أشرنا إليه. ولا تزال هناك محلة تدعى «قبور اليهود» فمن الطبيعي أن يستمر السكن فيها، وأن يأتي المسيحيون كما حصل في أصقاع المعمورة كافة، ويمارسوا شعائرهم علناً، وما وجود الآثار للكنائس البيزنطية في الشوف، في إقليم الخروب، وفي نيحا، سوى الدليل على عمق وتجذر المسيحية في تلك المنطقة منذ أقدم العصور. هناك تحوير شائع يقول بأن

المسيحيين لم يصلوا إلى الشوف الأعلى، إلا في القرن الخامس عشر. فالبيزنطيون كانوا في هذه المنطقة منذ أمد بعيد، بدليل الكنائس الأثرية البيزنطية المنتشرة في تلك الأصقاع. وخير جواب، جاء على لسان غبطة البطريرك أغناطيوس هزيم، لدى سؤاله، بأنه إذا كان الموارنة أتوا من شمالي سوريا، والدروز من جبل حوران، والعرب من شبه الجزيرة العربية، فمن أين أتيتم أنتم؟ فأجاب: «إننا كنا هنا نستقبلهم ولا نزال». ويؤكد المؤلف تشارلز تشرشل بالقول: «كان يوجد المسيحيون الأرثوذكس منذ بداية ظهور القومية الدرزية والذين يكن لهم الدروز شعور الأخوة حتى يومنا هذا ويعتبرونهم عنصراً أساسياً في كيانهم السياسي»[١].

وفي سنة ١١١٤ نهض الأمير معن من البقاع ونزل في جبل الشوف وأقام علاقات طبيعية مع آل تنوخ أمراء عرب جبل لبنان، المحاذي لبيروت، فأرسلوا إلى المعنيين أناساً ليبنوا لهم منازل جدارية متينة فسكنها الأمير معن واعتزل المضارب[٢].

ويذكر أنه في عام ١١٤٧ ظهرت بدعة في بلاد جبيل وكسروان من رجلين كانا يقولان أن الله تعالى لم تكن له روح مخلوقة وطبيعة غير قابلة للأوجاع والآلام مما أوقع الانشقاق بين نصارى تلك البلاد، حتى وصل إلى مسمع الملك الظاهر برقوق. فجهز العساكر وغزا نواحي كسروان وأقام الحرب عليها سبع سنين، وأحرقت عساكر المسلمين تلك القرى في جبيل وكسروان وقطعت الأشجار، ولم يبق مكان عامر سوى حصن معراب، فهرب نصارى[٣] تلك البقعة إلى نواحي بلاد الشوف، وصارت بلاد كسروان وجبيل مقفرة، وبالتالي يمكننا القول أن آل معن وصلوا الشوف عام ١١١٤ وتبعهم الموارنة عام ١١٤٧، كما ذكر.

يقطن في عين زحلتا، الآن، مجموعة من الأفراد ينتمون إلى طوائف مسيحية ودرزية مختلفة، يتعاونون منذ القدم لكسب عيشهم في تلك الجبال الوعرة والتي اختاروها، ملاذاً للحفاظ على حريتهم وعقيدتهم.

١ - الدروز والموارنة، تحت الحكم التركي من سنة ١٨٤٠ إلى ١٨٦٠، (ترجمة).
٢ - نعوم المغبغب، تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي، الطبعة الثانية، ص ٣٨٨ و٣٨٩.
٣ - نعوم المغبغب، المرجع ذاته، ص ٤٠٧.

ثانياً - الأحداث التاريخية المؤثرة

حصلت في عين زحلتا، أحداث عدة كان لها وقعاً تاريخياً هاماً منها[١]:

أولاً - تمركز فيها الملك سنحاريب (٧٠٥ - ٦٧١ ق.م.) كما أشرنا.

ثانياً - استعملت أغصان شجر القوق التي تنبت في جبل الأرز، في صناعة القوس والنشاب.

ثالثاً - هناك محلة قديمة العهد تُعرف باسم «قبور اليهود» للدلالة على سكن هذه المنطقة منذ أمد بعيد.

رابعاً - هناك محلة لا يزال يطلق عليها تسمية «دعس التتر» وهي إشارة لآثار أرجل أحصنة جيش المغول عندما احتلوا هذه المنطقة.

خامساً - حصلت في عين زحلتا أول معركة للاستقلال، عام ١٦١٢ بين جيشي الأمير فخر الدين، وحافظ باشا والي الشام، القادم لاحتلال الشوف عن طريق قب الياس - البقاع، ودامت المعركة ثلاثة أيام، اندحرت فيها جيوش الباشا، وتراجعت إلى سهل البقاع.

سادساً - في الحرب بين القيسيين واليمنيين، عام ١٧١١، تمركز القيسيون في عين زحلتا، قبل انقضاضهم على اليمنيين في معركة عين داره، خلال حكم الأمير حيدر الشهابي، التي انتصر القيسيون فيها.

النبذة الثالثة - الأماكن الأثرية وأماكن العبادة

هناك أماكن أثرية عديدة لا تزال قائمة نذكر منها:

١ - محلة حقل أسعد، وهي موجودة شرقي الطريق المؤدية من عين زحلتا إلى نبع الصفا ومرجع هذه التسمية، أن أسعد مراد مغبغب، كان شاباً معروفاً بنزاهته وشجاعته، وكان موجوداً في تلك الناحية عند هبوب عاصفة هوجاء، اقتلعت شجرة الصنوبر ورمتها عليه فتوفي للحال، وكان قد توفي قبله أخوه سعيد الراهب في مدرسة السيدة هيلانة في أورشليم، وكان فائق الذكاء. قال عنه البطريرك المغبغب، أنه المؤهل الوحيد الذي سيخلفه، فأشار أهالي البلدة إلى تسمية الناحية التي توفي فيها أسعد باسم «حقل أسعد».

أولاً ـ القصر الأثري

إنه أثرٌ تاريخي يعود إلى الحقبة المعنية في الشوف.

ثانياً ـ أماكن العبادة عند المسيحيين

١ ـ كنيسة مار نقولا (١٧٧٠)

رممت هذه الكنيسة الأثرية من قبل الأب نصر الله مغبغب عام ١٧٧٠، كما هو منقوش على مدخلها، وهي تقع على تلة تشرف على وادي الصفا، وكانت تُمارس فيها الطقوس الدينية للروم الكاثوليك حتى عام ١٩٣٦، حين أنشأ البطريرك كيرلس التاسع مغبغب، كنيسة جديدة باسم القديس كيرلس، ومدرسة لراهبات القلبين الأقدسين.

بعدما أخذت المياه تتساقط من سقفها، اندفع توفيق إبراهيم مغبغب، لمطالبة أهالي البلدة، إما تقديم يوم عمل أو دفع خمسة غروش، وبالفعل، ففي عام ١٩٣٧، صب سقفها بالباطون بمعاونة أهالي البلدة من كاثوليك وموارنة ودروز، نذكر منهم محمد كرامي وأخوه. وجرى ترميم هذه الكنيسة من قبل النائب جوزف مغبغب وأخوه نخله قائد الدرك آنذاك، الذي طلب من مصلحة الآثار ترميمها من الداخل وكان فيها إيكونوستاز، ومجموعة من الأيقونات النادرة، ولحسن الحظ، وكأن الله قد ألهمه، على أخذ هذه الأيقونات لترميمها، مما حفظها من السرقة التي وقعت خلال حرب ١٩٧٥ ـ ١٩٩٢. وبعد هذا التاريخ، تم ترميم هذه الكنيسة مجدداً وسلِّمت الأيقونات إلى كنيسة القديس كيرلس.

٢ ـ كنيسة السيدة (١٨٧٠)

شيدت كنيسة السيدة للطائفة المارونية عام ١٨٧٠، على عقار قدمه آل غانم، جرى استبدال سقف التراب بالباطون عام ١٩٤٨، تماماً كما حصل في كنيسة مار نقولا. تمّ الاعتداء عليها خلال حرب (١٩٧٥ ـ ١٩٩٠) وبعد العودة، رممت ووسعت دارها.

٣ ـ كنيسة البروتستانت والمدرسة الإنجيلية (١٨٦٨)

عام ١٨٦٨، تم إنشاء المدرسة الإنجيلية في عين زحلتا، ولعبت دوراً هاماً في تثقيف الناس وتعليمهم، ليس فقط في عين زحلتا، بل في منطقة الشوف وعلى صعيد

لبنان بأسره، وخرّجت عدداً من الطلاب اللامعين الذين أكملوا دراستهم في الكلية الإنجيلية التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأميركية في بيروت. وتم شراء أحد قصور آل العيد، وأنشأوا فيه كنيسة لا تزال قائمة حتى الآن، وجرى ترميمها حديثاً.

٤ ـ كنيسة المخلص في نبع الصفا

تم بناء كنيسة المخلص للطائفة المارونية في نبع الصفا، على شكل الكنائس الغربية، إلا أنها هدمت أثناء أحداث (١٩٧٥ ـ ١٩٩٠) وأعيد بناؤها وتوسيعها عام ١٩٩٦.

٥ ـ كنيسة القديس كيرلس، ومدرسة الراهبات للروم الملكيين ١٩٣٨

عام ١٩٣٨، أنشأ البطريرك كيرلس التاسع المغبغب، كنيسة ضخمة، في مسقط رأسه، عين زحلتا، ومدرسة للراهبات ملاصقة لها، من طوابق ثلاث وأنطش. لعبت المدرسة دوراً رائداً في تعليم أبناء المنطقة، خاصة بعدما أقفلت مدرسة الانكليز أبوابها عام ١٩٤٨. تم توسيع هذه المدرسة وأضاف إليها النائب جوزف مغبغب طوابق ثلاثة للجهة الشمالية.

وخلد الشيخ إبراهيم المنذر تاريخ بناء هذه الكنيسة بأربعة أبيات شعرية حفرت على لوحة رخامية على مدخلها الرئيسي.

قد شاء بيعتنا في أرض مولده   ملاذنا البطريرك النابه الحسب

قامت على أسس الدين القويم فلن   تقوى عليها يد الإلحاد والنوبِ

كم للمغبغب في الأوطان من أثر   حيّ يدوم كذكراه على الحقبِ

تقول إذ باركت تاريخها يده   كيرللس التاسع المقدام خير أبِ

(عام ١٩٣٠)

٦ ـ كنيسة مار مارون

أنشأ المحسن ملحم مشنتف كنيسة مار مارون للموارنة عام ١٩٦٦، وأعيد ترميمها بعد الحرب (١٩٧٥ ـ ١٩٩٠).

ثالثاً ـ أماكن العبادة عند الموحدين الدروز

١ ـ خلوة للموحدين الدروز

وفي عين زحلتا خلوة، أو دار صلاة يتجمع فيها أبناء الطائفة الدرزية، وهي قديمة العهد، تعود لمئات السنين، ومؤخراً أنشئت دار واسعة لأبناء الطائفة على الطريق العام في وسط عين زحلتا.

٢ ـ مزار الست «شعوانة» خراج عين زحلتا ـ البقاع

يقع هذا المزار في السفح الشرقي لجبل عين زحلتا المطل على البقاع، وجرى شق طريق إليه وترميمه بشكل لائق واحتضن المصالحة بين أهل البلد عندما كان جوزف مغبغب نائباً عن الشوف.

رابعاً ـ أهالي عين زحلتا يعطلون قطع شجر القوق

كانت عين زحلتا مشهورة بغاباتها، وجبالها، وكان بغربها قريتي العديس والبصيل، وهما الآن خراب، وبعدما قدم الأمير شهاب الدين التنوخي إلى الشام، أمره نائب الشام «أن يسير إلى عين زحلتا من أعمال الشوف ليقطع منها شجر القوق لعمل النشاب. فحضر ورآه مناسباً جداً، لكن لأجل عدم الشفقة على البلاد في قطعه ونقله للشام وكثرة كلفته اجتهد أهل تلك الناحية في قطع شجر القوق وتعطيل نشوئه»[1] ولا نعلم ما إذا كان شجر القوق هو ذاته شجر البرقوق الموجود حالياً، أم لا؟ علماً بأن الجراد زحف عام ١٩١٨، وقضى على ١/٣ سكان البلاد، كما حصل عام ١٥١٩، لم يستفد السكان من وجود هذا العنصر لاجتياز مجاعتهم، إذ أنه صالح للطعام.

ونشبه هذه الفترة ما مرّ به سكان شواطئ بليجكا وفرنسا من مجاعة أثناء الحرب العالمية الأولى، فأغدق عليهم البحر ثماره بكميات هائلة غير معتادة، مما أنقذ حياتهم.

---

١ ـ نعوم المغبغب، المرجع ذاته، ص ٦٩٠.

الفقرة الثانية ـ الموقع الجغرافي

نعيم مغبغب هو ابن قرية عين زحلتا التي تقع على رابية مطلة على وادي الصفا في السفح الجنوبي، يحيط بها كل من قرى الباروك، الفريديس، الورهانية، بريح، العزونية، وبمهريه. تعلو ١٢٣٠ متراً عن سطح البحر، وتبعد عن بيروت حوالي ٣٩ كيلومتراً، وعن بيت الدين، مركز قضاء الشوف ١٧ كيلومتراً، عدد سكانها حالياً يقارب ١٥٠٠٠ نسمة. كانت مركز اصطياف ممتاز، يمكن الوصول إليها إما من مفرق المديرج على الخط الرئيسي بين بيروت والبقاع وإما من جهة الدامور مروراً بدير القمر فمعاصر بيت الدين، فالباروك، أو من مفرق معاصر بيت الدين إلى الفوارة، بريح، نبع الصفا. وموقعها يتوسط ثلاث نقاط هامة: نبع الباروك، نبع الصفا، وارز عين زحلتا.

بعد انتخاب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية، وكان على وئام تام مع كميل شمعون، ابن دير القمر، ثم ما لبث أن نشب الخلاف بينهما، مما أثّر سلباً على طريق الوصول إلى بيت الدين، بحيث كلّما مرّ موكب الرئيس في ساحة دير القمر، يتجمع الأولاد فيها فيعرقلون السير ويصفقون على التنك، مما أزعج الرئاسة، التي لم تبادر إلى قمع تلك الحركات الصبيانية، بل أمرت بتوسيع الطريق إلى المديرج، التي تم تنفيذها بأسرع وقت ممكن.

في عين زحلتا أكبر غابة أرز في لبنان من حيث عدد الأشجار. كان فيها خمسة فنادق، نزل في إحداها، «أوتيل فكتوريا»، رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، والرئيسين بشارة الخوري، وكميل شمعون، الذي كان يتردد طيلة فصل الصيف على بيت ثابت في أعالي البلدة. وفيها مركز بلدي أنشئ عام ١٩٣١ ومجلس اختياري، ومدرسة رسمية ثانوية سعى في إنشائها النائب جوزيف مغبغب، ومدارس خاصة وأندية وجمعيات.

وإذا قيل بأن «عين زحلتا المنارة بالعرقوب وكل جواره» بالنظر لمدّها بالطاقة الكهربائية من نبع الصفا في عام ١٩٣٨، أخذت ذروة مجدها أيام نعيم مغبغب فتحولت إلى مرجعية سياسية حقيقية لفترة امتدت إلى أكثر من ١٦ سنة أي دورتان نيابيتان لنعيم مغبغب ودورتان لجوزف مغبغب، فتألب سكانها، في تلك الأثناء،

بحماسة لإعلاء شأنها، فأقيمت المعارض الزراعية والمهرجانات السياحية وبدأت الحفلات تقام في فصل الصيف، ونشطت النقابات الزراعية، وإذا بإنتاج التفاح في وادي الصفا يزيد عن المليون صندوق، بالإضافة إلى الكرز والخوخ والإجاص. كل ذلك تبدّل وبسرعة بعد استشهاد نعيم سنة ١٩٥٩ وازداد الأمر حدة مع بدء الاحتكاكات عام ١٩٧٥، حين شرد الأهالي ووقعت الضحايا، ونهبت البيوت وهدم بعضها، وتعطلت كافة الأنشطة.

الفقرة الثالثة ـ آل مغبغب

النبذة الأولى ـ الأصول

تعود أصول آل مغبغب، إلى جذور بني غسان، وهي قبيلة عربية مشهورة، من عرب اليمن المتنصرين، الذين غادروا موطنهم الأول في القرن الثاني للميلاد، بسبب فيضان سيل «العرم» وسكنوا حوران في بادية الشام في بلدة غباغب، ويقول حسان بن ثابت في بني غسان (الغساسنة):

بيض الوجوه أنسابهم، شمم الأنوف من الطراز الأول.

بسبب النزاعات الإقليمية العربية البيزنطية وصراعات القبائل فيما بينها، نزح أهالي غباغب من منطقة حوران، إلى سهل البقاع ثم إلى عين زحلتا في أواسط القرن السادس عشر[١].

أما الرواية الثانية لأصول هذه العائلة، فتقول بأن اسم مغبغب، هو صفة لأسرة مسيحية في عين زحلتا، معناها العربي، ذو الغيب، وهو ما يتدلى تحت حنك الديك، وهو في المثل الشعبي العربي، اسم نسر من نسور لقمان السبعة، ويقول النسابون أن أصلها من حلب الشهباء، قدم جدها بأخوية إلى لبنان، وسكن عين زحلتا، وفيها نمت سلالته[٢]. ومنهم من يقول، إن عائلة مغبغب أتت من السلمانية، قرب حلب، بعدما فرض المسؤولون ضرائب على الشعب، وألزموا أحد وجهاء العائلة، جمع الضرائب، التي

١ ـ نواف بشير كرامه، عين زحلتا بلدتي، ٢٠٠٧، ص ٥٦.
٢ ـ دواني، القطوف من تاريخ بني المعلوف، ص ٣٢٣.

كانت جائرة وتزيد عن المألوف، فأبى جبايتها، وخوفاً من ردة الفعل، فضل الهرب من تلك الناحية وتوجه إلى عين زحلتا، حيث كان يسكن آل العيد، الذين وردوا المنطقة قبله، منذ ثلاثمائة وخمسون سنة إلى أربعماية سنة، والدليل على ذلك الكنيسة الأثرية التي رممها نصر الله المغبغب عام ١٧٧٠، فلا يعقل أن يكونوا قد سكنوا تلك المنطقة، وشيدوا فيها الأبنية، ثم عمدوا إلى بناء كنيسة أثرية غاية في الاتقان والجمال، ما لم يكونوا موجودون قبل مدّة من الزمن، قبل تاريخ ترميمها.

النبذة الثانية ـ الذين لهم دور تاريخي

برز من عائلة مغبغب، بعض الرجال الذي لعبوا دوراً مهماً، سياسياً ودينياً، وتركوا بصمات لا تمحى من صفحات تاريخ هذا البلد، نذكر منهم:

أولاً ـ داخل لبنان

١ ـ خمسة أبطال في حاشية الأمير بشير الشهابي الكبير[١]

عندما توجه الأمير بشير الشهابي الكبير، مع ولديه خليل وأمين إلى أرض الكنانة، ضمَّ إلى حاشيته، خمسة رجال أشداء من آل مغبغب، وأربعة من آل الدحداح، منهم راشد وجبرائيل. أثناء غيابهم استغلّ الفرصة رجال من عائلة كرامي الدرزية، وقاموا بمهاجمة آل المغبغب لأنهم كانوا يخاصمونهم سياسياً، وينتمون إلى حزب الشيخ بشير جنبلاط، فحاولوا إرهابهم وطردهم من القرية، ولو لم يتدخل بعض النسوة بين المتخاصمين، وينحاز إلى آل مغبغب، الشيخ أسعد العيد، لكانوا أبعدوهم جميعاً. وبعد رجوع الأمير مؤيداً، ومعه أشداء هذه العائلة، ردعوا المعتدين بشدة.

٢ ـ راشد مغبغب: المسؤول عن بيت المال لدى الأمير بشير الشهابي (١٧٨٨ ـ ١٨٥٢)

عين الأمير بشير الشهابي الكبير، راشد المغبغب، مسؤولاً عن بيت المال لديه، قام بعمله بأمانة ونزاهة، ومما يذكر، أنه كان ينظر إلى وظيفته من الزاوية الإنسانية، والدليل

١ ـ نعوم المغبغب، المرجع ذاته، ص ١١٢١ و١٢٠٨.

على ذلك، ما حصل مع آل عبد الملك في قرية بدغان، حيث دب خلاف بين أفراد منهم وآخرون. عُرض الأمر على الأمير، الذي اعتبر بأن المسؤولية تقع على شخص من آل عبد الملك، فأمر بحرق منزله عقوبة له، وأمر راشد المغبغب بإبلاغ القرار وتنفيذه. أخذ هذا الأخير يماطل ويتهرب وكان الأمير بشير معتاداً المجيء إلى عين زحلتا، قاصداً أعلى البلدة، حيث كان يقيم الأحلاف مع الآخرين، ولا تزال هذه التلة تُعرف باسم «عين الحلاف». ومنها يمكن رؤية القرية التي يقطن فيها آل عبد الملك، وكلما اجتمع براشد، كان يسأله عن مصير القرار، وكان هذا الأخير يجد له الأسباب المؤجلة، فاغتاظ الأمير أخيراً من راشد وأمره بشكل قاطع بحرق المنزل، ضمن مهلة قصيرة. اتصل راشد بصاحب المنزل، وطلب منه أن يهيء في اليوم المعين، حطب وعشب بكميات كبيرة، وعند ظهر ذلك اليوم، يضرم النار، وهكذا كان، وعندما رأى الأمير من تلة عين الحلاف، بأن الدخان يتصاعد من قرية بدغان، انشرح صدره، وأخذ يردد بأن القصاص هو العدل بعينه. أما راشد فلاذ بالصمت، والموقف الذي كان قد اتخذه، نبع من خوفه على الأطفال والنساء والشيوخ الذين يسكنون ذلك المنزل. وبعد الحادثة بفترة، إذا بالأمير يفاتح راشد عما إذا لم يكن مخطئاً في إصدار مثل ذلك القرار بحرق المنزل، فانشرح صدر راشد وأخبره بالحقيقة، فتعجب الأمير وزكاه في موقعه. وبقي شيوخ آل عبد الملك يزورون منزل راشد المغبغب، شاكرين ممتنين وترددت هذه الزيارة سنوياً، لما يزيد عن ١٤٠ سنة، ولم تنقطع إلا في أواخر الستينات، عندما توفيت الجدة من تلك العائلة.

٣ ـ طنوس ويوسف مغبغب يكسبون الحرب للأمير بشير الشهابي ضد بشير جنبلاط (١٨٢٥)

استقر الخلاف بين بشير شهاب وبشير جنبلاط، فحصلت ما كانت تعرف يومذاك، بحركة المختارة، فحشد الأول مقاتليه لمهاجمة الثاني، وكان موقعه في الجديدة، على ضهر التلة بينما مقاتلو جنبلاط في الأسفل، إنما أكثر عدداً، وهموا بالهجوم. فما كان من طنوس ويوسف المغبغب، إلا أن وضعا كتفيهما على صخرة ودحرجاها فأصابت جموع المهاجمين الذين تراجعوا، فاقتدى بهما أكثر رفاقهما فتقهقر مقاتلو جنبلاط، وما إن وصلوا إلى مرمى نيران المدفعية، حتى أطلقت القذائف

عليهم وقتل من مقاتلي جنبلاط أربعون، ومن مقاتلي شهاب عشرة. إستعلم الأمير عمن بادر إلى دحرجة الصخور، وأكرمهم[1].

٤ ـ نعوم مغبغب جد نعيم مغبغب

ولد نعوم خليل مغبغب في ١١ شباط ١٨٤٨ في عين زحلتا، والده القس خليل مغبغب، تلقى دروسه في عدة مدارس وتخرج من مدرسة عبيه عام ١٨٦٥ والتحق بالجامعة الأميركية وتخرج عام ١٨٧٠ من ضمن الدفعة الأولى (بكالوريوس علوم) التي كانت تضم إبراهيم خير الله، قيصر غريب، يعقوب الصراف وإبراهيم المصور. وكان أديباً وشاعراً[2].

تولى التدريس في مدارس عدة في لبنان، سافر إلى مصر عام ١٨٩٧، كمدرس ثم انتقل إلى خدمة الحكومة المصرية كرئيس لقسم الأرصاد والمساحة وعين والياً على السودان أيام الحكم البريطاني.

من مؤلفاته، «تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي» نشره في مصر عام ١٩٠٠ الجزئين الأول والثاني وعام ١٩٠١ للجزء الثالث[3]. كتاب عن تربية دودة الحرير وعن زراعة القطن، وعن تاريخ العائلة الخديوية لكنه لم ينشر وهو مفقود، كذلك وضع كتاب تاريخ من وفاة الأمير بشير الثاني إلى عام ١٩٠٥ وهو مفقود أيضاً، بالإضافة إلى وضع مخطوطة بعنوان تنهدات سورية عن أحداث ١٨٦٠.

٥ ـ أمينة رشيد مغبغب

كانت هذه السيدة صحفية وشاعرة وأديبة، امتلكت مجلة الحوادث المصرية سنة ١٩٣٨[4].

١ ـ نعوم المغبغب، المرجع ذاته، ص ١٢٢١.
٢ ـ نظم عدة أشعار وقصائد: منها لواصا باشا ١٨٨٢ ولنسيب بك جنبلاط ١٨٨٤، ورثاء لملحم بك عماد، ١٩٠٠، وعشرات الأشعار والقصائد في شتى المواضيع.
٣ ـ تم نحل هذا الكتاب من قبل أحد الناشرين في لبنان، مما دفعنا إلى إعادة طبع النسخة الأصلية عام ٢٠٠٠.
٤ ـ نواف بشير كرامي، المرجع ذاته.

٦ ـ أمين مغبغب: أحد مؤسسي الجمعية السرية لمحاربة الأتراك (١٨٧٥)[١]

عام ١٨٧٥، تأسست في بيروت «الجمعية السورية السرية»، على يد حفنة مثقفة من مسيحيي البلاد، تلقوا علومهم في الكلية السورية الإنجيلية (اليوم الجامعة الأميركية) وهم سليم عمون وفارس نمر وضاهر الزعني وأمين مغبغب ومراد البارودي، وأمين أبو ضاهر، وحليم قليمان، وبشارة زلزل، ونذكر كذلك إبراهيم اليازجي، وإبراهيم الحوراني، ويعقوب الصروف، وشاهين مكاريوس، وسليم داود غول ووليم فانديك، ثم انضم إليهم آخرون، وكانت ترمي هذه الجمعية إلى سلخ لبنان وسوريا عن السلطة العثمانية.

٧ ـ مخاتير من مشايخ آل مغبغب[٢]

تولى وظيفة مختار في عين زحلتا، كما ورد في كتاب ابراهيم أسود، الشيخ سليمان راشد مغبغب والشيخ بطرس مغبغب، وكان المختار يتمتع بصلاحيات واسعة في تلك الحقبة ومنها المشاركة بانتخاب أعضاء مجلس الإدارة، عملاً بأحكام المادة العاشرة من النظام العام لسنة ١٨٦٤، بعدما يتم اختياره من قبل أهل البلدة.

٨ ـ فؤاد مغبغب: حاكم السودان

فؤاد وهو والد نعيم مغبغب، تعلم بالجامعة الأميركية في بيروت، تزوج من سيدة من آل زعرب من علما الشعب، عين ضابطاً في الدرك، وكان متشدداً في تطبيق القوانين ويؤخذ عليه هذا التشدد. كان مثالياً يطبق القوانين بلا مواربة مما حمل مثلاً، سعيد تقي الدين في كتابه، «أنا والتنين» للقول بأن أحد أسباب مقتل نعيم مغبغب، كان فؤاد بسبب الطريقة التي تعاطى فيها مع أبناء الشوف. أصدر جريدة أسبوعية في بيروت، كان سعيد تقي الدين يكتب فيها، كما كان يحرر في جريدة جبران التويني «الأحرار».

---

١ ـ د. جورج أديب كرم، أحزاب لبنان، ص ٢٤ و٢٥.

٢ ـ أما مشايخ القرى الذين يقومون بوظيفة حاكم الصلح، فإنهم يحكمون في الدعاوى التي لا تتجاوز قيمتها مئتي قرشاً حكماً غير قابل للاستئناف (المادة السابعة من نظام ١٨٦٤).

سافر إلى مصر حيث كان أخوه خليل، تنقّل في عدّة وظائف ثم عين حاكماً عسكرياً على السودان، وكان لا يزال موحداً مع مصر وخاضعاً للانتداب البريطاني.

من المؤكد أن فؤاد مغبغب كان نظيف الكف، لم يستغل وظيفته لتشليح الناس أرزاقهم، لم يمتلك حتى منزلاً خاصاً به.

يذكر أنه في إحدى الدعاوى المقامة عليه في بعقلين سأله القاضي، لماذا كان يضرب... فأجاب، ضربت واضرب وسأضرب، فاحتد الجو هناك، فما كان من مرافقه إلا أن شده على حصانه الأبيض، تاركاً بلدة بعقلين. كمن له شكيب وهاب بغاية إردائه؛ لكنه أصاب خطأً فؤاد جنبلاط، جد وليد جنبلاط ووالد كمال، إذ لم يكن يقصده بالذات إنما فؤاد مغبغب، ووقع الخطأ من لون الحصان الذي كان يمتطيه، فهو يشبه لون حصان فؤاد مغبغب، أو قد يكون حصانه بالفعل، إنما امتطاه فؤاد جنبلاط، بدل فؤاد مغبغب مما سبب حتفه.

٩ ـ البطريرك كيرللس التاسع مغبغب[١] (ضاهر مغبغب)

ولد في ١٠ تشرين الثاني ١٨٥٥ في عين زحلتا، درس العلوم الابتدائية على يد والده الكاهن، ثم التحق بإكليريكية عين تراز. أرسله البطريرك سينور لإكمال دراسته في البروباغندا في روما بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٨٧٣، استحصل على إجازتين في الفلسفة ١٨٧٨ واللاهوت سنة ١٨٨٠، وعلى الحلقة الثالثة في المادتين. أمضى في روما سنتين انتقل بعدهما إلى ليون في فرنسا، حيث أسس مدرسة لتعليم اليونانية واللاتينية. رقي سنة ١٨٩٥ إلى رتبة أرشمندريت.

توفي البطريرك سينور بتاريخ ١٣ تموز ١٨٩٧ فبرز اسم الخوري كيرللس مغبغب كمرشح للكرسي البطريركي من قبل المطران جرمانوس معقد، بالنظر لما

---

١ ـ د. وسام كبكب، دور المطران كيرللس المغبغب في ولادة دولة لبنان الكبير في اليوبيل الذهبي، لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ١٤٥، كذلك، المطران عبد الله الخوري ـ مفكرة (يومياته إبان المفاوضات من أجل لبنان الكبير، باريس ١٩٢٠)، ٢٠٠١، ص ٤٩ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٥.

اتصف به من العلم والمشورة، الا أنه تم اختيار أسقف بانياس بطرس الجرجيري (١٨٨٦ ـ ١٨٩٨) الذي دعي باسم بطرس الرابع (١٨٩٨ ـ ١٩٠٣).

رقي الخوري كيرلس إلى رتبة اسقف في الأحد الأول بعد العنصرة الواقع فيه ٢٨ أيار ١٨٩٩، بوضع يد صاحب الغبطة البطريرك الجرجيري، قام على أثرها بجولة إلى بلجيكا واللوكسمبورغ وهولندا ثم إلى دول أميركا اللاتينية، لتفقد أبناء الجالية.

شارك في الوفدين الثاني والثالث إلى باريس حيث عقد مؤتمر الصلح، وقد شكلت الوفود الثلاث كما يلي:

الوفد الأول سافر إلى باريس في ٩ تشرين الأول ١٩١٨، وكان برئاسة داود عمون وعضوية نجيب عبد الملك وعبد الله الخوري وإميل اده وعبد الحليم حجار، طالب باستقلال لبنان واسترجاع حدوده الطبيعية.

الوفد الثاني بتاريخ ٢ أيار ١٩١٩ اجتمع مجلس الإدارة وكلف البطريرك الياس الحويك السفر إلى باريس وتمثيل اللبنانيين في مؤتمر الصلح، وقد صحبه وفد من رجال الدين المطران مبارك، والمطران فغالي والمطران مغبغب؛ وعاد البطريرك حاملاً وعداً من «كليمنصو» رئيس الوزارة بتلبية مطالبه.

أما الوفد الثالث فكان برئاسة المطران الخوري، وعضوية توفيق أرسلان ويوسف الجميل وإميل اده والمطران مغبغب. توجه إلى باريس في ١١ شباط ١٩٢٠، لملاحقة المطالبة بالاستقلال واسترجاع حدود لبنان الطبيعية.

قام المطران المغبغب بدورٍ سياسيٍ بارزٍ في المطالبة بإعادة الأقضية الأربعة إلى قضاء جبل لبنان، لاسيما في الوفد الثاني، وقدم أربع مذكرات إلى المسؤولين الفرنسيين ورئيس مؤتمر الصلح في فرساي ملخصاً مطالب اللبنانيين. وقد وجّه تلك المذكرات إلى السادة[١]: كليمنصو، ميللران، غورو ولويد جورج.

١ ـ د. جورج أديب كرم (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) أصول تاريخية، المجلد الأول، بيروت، دار المنهل للنشر، ١٩٨٥، صفحات ٩٢، ١٢٨، ١٣١، ١٢٤، ١٢٥، ١٧١، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٩، ٢٧٤، ٢٧٧ ـ د. وسام كوكب، المرجع ذاته.

أطلق عليه لقب البطريرك البنَّاء للنشاط اللامحدود الذي بذله ببناء ما يزيد عن أربعين كنيسة ومدرسة وأنطشاً.

١٠ ـ اميل راشد مغبغب

تولى إميل راشد مغبغب، في عهد الرئيس كميل شمعون، غرفة الرئاسة، وبقي أمين سره طيلة نشاطه السياسي.

١١ ـ النائب جوزف مغبغب[٢]

ولد في عين زحلتا بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٢٠ وتوفي في ٣١ تموز ١٩٧٦، والده الدكتور رشيد مغبغب، والدته أليس كفوري، متأهل من أنجيل دبانة، وله ابنة دعاها ماري. تلقى علومه في المدرسة البطريركية وفي مدرسة اللاييك الفرنسية (الليسه)، ثم جامعة القديس يوسف ونال شهادة الحقوق عام ١٩٥٨، وانتسب إلى نقابة المحامين في العام نفسه، وكان إبان دراسته مساعداً قضائياً.

انتخب نائباً عن الشوف، لدورة ١٩٦٤، وقد ترشح على لائحة الرئيس كميل شمعون، ونجح بمفرده (من أصل ثمانية مرشحين) وأعيد انتخابه في دورة ١٩٦٨.

كان الناطق الرسمي باسم حزب الوطنيين الأحرار، ولعب دوراً متقدماً في العمل السياسي وبرز دوره في أربعة محاور:

أولاً ـ معارضته الصارخة لاتفاق القاهرة، وهو النائب الوحيد الذي تحرر من ارتباطه السياسي ولم يوافق على تلك الاتفاقية، متوقعاً أنها ستكون وبالاً على لبنان، وهذا ما حصل. وقد خالف بذلك رأي كتلته، وقدم عشرات المحاضرات بهذا الموضوع نذكر منها تلك المقدمة في «النادي الثقافي العربي» والجامعة الأميركية، حيث تمت

١ ـ يقول فؤاد بطرس: كان مكتبي أحد أهم مكاتب المحاماة، في الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥، وقد تدرج فيه محامون بارزون تبوؤا أعلى المناصب في السياسة والقضاء، أمثال أمين الجميل، منير حنين، سيمون كرم، فيليب خير الله، زكريا النصولي، اسكندر غبريل وجوزف مغبغب، أنظر مذكرات فؤاد بطرس ٢٠٠٩، ص ١٦٣.

مقاطعته مراراً احتجاجاً من بعض الحاضرين، إلى حد أنه همّ بترك قاعة المحاضرات قائلاً، دعوتمونا لسماع رأينا، فإما أن تسكتوا، وإما سأرحل، وبالمقابل كانت علامات الرضى والقبول في محاضرته في الكسليك، ولم يكتف بالمحاضرات بل راح يطالب على صفحات الجرائد «بالخيانة العظمى لرئيس الجمهورية ويؤكد الدكتور فريد الخازن بأن جوزف مغبغب، النائب الكاثوليكي، وعضو حزب الأحرار، بقيادة كميل شمعون، صرح بأن اتفاق القاهرة مخالف للدستور»[١].

ثانياً ـ معارضته لقانون تملك الأجانب بشدة وضراوة، خوفاً على هذا البلد الصغير من الانقراض أمام الرأسمالية الهائلة التي لا يمكن مقاومتها، فلم يكن جائزاً برأيه فتح المجال لتملك الأجانب، للأراضي اللبنانية الصغيرة المساحة.

ثالثاً ـ وضع نصب عينيه إقامة السدود على كامل الأراضي اللبنانية ووضع دراسة حول هذا الموضوع، كون المياه هي الثروة اللبنانية التي لا يجوز التفريط بها ومن الواجب استغلالها بأكمل وجه[٢].

رابعاً ـ مطالبته بتنظيم الأحزاب اللبنانية، مقترحاً الثنائية الحزبية لحل الخلافات السياسية بين اللبنانيين، ومن الطبيعي، أن ينقسم اللبنانيون بجميع طوائفهم حول هذين الحزبين، فتتراجع هذه الانقسامات الطائفية.

١٢ ـ العميد نخله مغبغب: قائد الدرك

والده الدكتور رشيد ابن شقيق البطريرك كيرلس التاسع مغبغب. دخل المدرسة الحربية وتدرج في سلك الدرك إلى أن تولى قيادته كان من مؤسسي حبس روميه النموذجي، ساهم في تحسين أوضاع الدرك، محافظاً على أفراده بغيرة متناهية.

---

١ ـ د. فريد الخازن، تفكك أوصال الدولة في لبنان ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦، صف ٢٦٦.

٢ ـ كان يطالب بإنشاء السدود، ومنها سد نبع الصفا، حيث يتمكن من جمع المياه مقابل بيروت وعلى علو ٩٠٠ متر تقريباً ويكفي لري الساحل من جونيه إلى الدامور. وبالنسبة لموضوع المياه، أنظر: د. عصام كمال خليفة، لبنان المياه والحدود، الجزء الثاني، بيروت ٢٠٠١، حيث تناول فيه قضايا المياه بين لبنان وسوريا، ولبنان وإسرائيل، وقضايا مزارع شبعا وقرية النخيل ولبنانيتها.

١٣ ـ العقيد سليم مغبغب (دوره في اتفاقية ملكارت ١٩٧٣)[١]

هو ابن شقيقة البطريرك كيرلس التاسع مغبغب، عين ضابطاً في الجيش، وحاز على عدة إجازات؛ خطيباً، مدرساً في المدرسة الحربية، ذات صوت جهوري، تولى فترة طويلة قيادة المدرسة الحربية، ساهم في وضع اتفاق ملكارت مع الفلسطينيين بهدف تطبيق اتفاق القاهرة الذي عقده لبنان مع الفلسطينيين. عين ملحقاً عسكرياً في الأردن ثم في ليبيا[٢].

ثانياً ـ خارج لبنان

هناك عدد من مشاهير رجالات آل مغبغب خارج الدولة اللبنانية، نذكر:

١ ـ الشاعرة أنيسة مغبغب، صاحبة مجلة «الحوادث المصرية».

٢ ـ سعيد فارس مغبغب، العالم الفيزيائي، الذي وضع ما يزيد عن العشرين مؤلفاً في الفيزياء الفضائية، يعمل منذ ستون عاماً في كايب كنيدي، واستطاع أن يخترع طريقة لاطلاق الصواريخ، ليس على دفعتين، كما كانت الحالة إنما على دفعة واحدة، لا يزال حياً حتى تاريخه.

٣ ـ فؤاد ميشال مغبغب (فريدي مارشال) أحد القضاة السبعة المنتخبين في مجلس القضاء الأعلى لولاية نيويورك.

٤ ـ توفيق مغبغب، أحد رجالات الجالية اللبنانية في الأوروغواي، وأعظمهم شأناً.

٥ ـ بالإضافة إلى مئات الأشخاص الذين يملكون أسواقاً خاصة في الولايات المتحدة الأميركية.

---

١ ـ د. فريد الخازن، تفكك أوصال الدولة في لبنان ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦، ص ٢٨١.

٢ ـ كان من المحبذين للقيام بأي نشاط لإعادة توحيد الجيش اللبناني، وبالتالي كان، من حيث المبدأ، موافقاً على القيام بأي انقلاب يصب في هذا الاتجاه وكان من دعاة انقلاب الأحدب، لكن ما إن عرف بمواقف أصحاب هذا الانقلاب غير الوطنية، حتى تراجع عن تأييده له سنة ١٩٧٦.

الفصل الثاني

مغبغب يقود المعركة الإعلامية للإستقلال[1]

أشرنا في القسم الأول من هذا المؤلف، كيف تمت عملية اعتقال رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح والوزراء كميل شمعون، عادل عسيران، وسليم تقلا ونائب طرابلس عبد الحميد كرامي، حين أمر هللو بزجهم في سجن راشيا، مما أثار غضب الأهالي بشكل عام وانبرت الصحف العالمية والمسؤولون في الدول العظمى، يستنكرون ما حصل بلهجة حاسمة وغير معهودة، ففي تلك اللحظة بدأت المعركة الاستقلالية في لبنان.

لم يكن هللو، مع توقيف رئيس الجمهورية وحكومته وزجهم في سجن راشيا، إنما أصدر قراراً بتعطيل الدستور، وبحل البرلمان، وقراراً آخر، بتعيين إميل إده رئيساً للجمهورية، وتفويضه بإنشاء حكومة ففشل حتى بإنشاء حكومة من المديرين، كما

١ ـ بالإضافة إلى جريدة «الإقدام» التي أصبحت «علامة الاستفهام» العائدة لنعيم مغبغب كان هناك: النهار (أعداد متفرقة وصعوبة قراءتها في الجامعة الأميركية)، البيرق ١٩٤١ ـ ١٩٤٦ ـ أعداد متفرقة، الديار ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ أعداد متفرقة، العمل ١٩٤١ ـ ١٩٤٤، لكن العدد العائد للعام ١٩٤٤ في الجامعة الأميركية منفرد، الديار ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ أعداد متفرقة، لسان الحال والصفاء.

فرض منع التجول، ومنع توزيع الصحف المعارضة، وعدم السماح بتوزيع الورق للمطبوعات وفرض حكم الإعدام على كل من يتجرأ بالإعلان عن تعديل الدستور وسير الجنود السنغاليون لمراقبة المؤسسات الحكومية، مما خلق جواً ضاغطاً أراد من خلاله لجم المجتمع اللبناني وتطويعه وإعادته إلى الحكم الفرنسي، غير أنّ هذه الإجراءات التعسفية فجرت المشاعر الاستقلالية فاندفع شباب لبنان للمطالبة بحريتهم، متحدين قرار هللو بالإعدام.

الفرع الأول ـ مغبغب يفتح المعركة في جريدة «الاقدام»

الفقرة الأولى ـ لمحة مقتضبة عن جريدة «الاقدام»

استحصل مغبغب على إذن بإنشاء جريدة «الاقدام» قبيل الاستقلال، كان القرار الذي اتخذته الحكومة بسرعة، لتعديل الدستور، رغم معارضة السلطات الفرنسية التي كانت تطالب بتأجيل إنجاز هذا القرار، ريثما يعود المفوض السامي هللو من الجزائر، نقطة انطلاق معركة الاستقلال، فراح المسؤولون يعدون لها، بالطرق التي يروها مناسبة، في وحدة من التضامن لم يشهد لها مثيل، والدور الذي لعبه الإعلام كان من خلال جريدة «الاقدام» التي كان قد استحصل نعيم مغبغب على ترخيص بإنشائها قبيل الاستقلال والتي تحولت إلى علامة «الاستفهام». وكان يظهر على هذه الجريدة علامة واحدة أو علامتي استفهام؛ كما يظهر على صفحتها الأولى:

مؤسسها وصاحب امتيازها: نعيم مغبغب

المدير: يوسف علام

ويذكر في كل طبعة، التاريخ ورقم العدد.

في هذه الأجواء اختار نعيم مغبغب السير «بالمعركة الإعلامية» في مطالبته بالاستقلال، خاصة وأنه كان قد تمرس في هذا المضمار، كونه صحفياً، وصاحب جريدة، وكان قد عمل كمراسل صحفي في الحرب العالمية الثانية، لصالح الحلفاء في مصر، حيث كان يزودهم بآخر أخبار المعارك الدائرة، على الأرض وبالأخبار السياسية المستجدة في

المنطقة، فهو كان ضليعاً في اللغتين الفرنسية والإنكليزية، يتقنهما بطلاقة، الأمر الذي سهّل نشاطه بامتلاكه سيارة «فورد أبو دعسة» في وقت كانت الاتصالات والمواصلات صعبة للغاية. وكان لنعيم الفضل «في نقل أنباء بشامون وبيروت إلى الصحافة الأميركية والعالمية» وكان يزور سمير سوقي، مراسل وكالة «يونايتد برس» ناقلاً تلك الأخبار[١].

كانت السلطات الفرنسية تخشى «الإعلام» فقررت التعتيم عليه بشتى الطرق، وحرصت على عدم وصول ما يحصل إلى الخارج، لئلا تهيج الصحافة الناس وقد اتخذت عدة خطوات في هذا المنحى منها:

أولاً ـ أوقفت المفوضية الفرنسية توزيع ورق المطبوعات الذي كان «مقنناً» وحصرته في المطبوعات التابعة لها.

ثانياً ـ أصدر المفوض السامي، قراراً بإعدام كل من يطبع منشوراً سرياً أو ما يشبهه، بهدف عدم نشر المعلومات بصورة مطلقة[٢].

لم تكن الحركة الاستقلالية وليدة ساعتها، أي بتاريخ المطالبة بالاستقلال، إنما كانت تغمر النفوس منذ زمن بعيد، فطيلة أيام الانتداب، كانت فكرة الاستقلال تراود بعض الأحرار، لكن الأوضاع لم تكن مؤاتية، إلى أن وقعت الحرب العالمية الثانية، فإذا بالدولة الفرنسية المنتدبة على لبنان تخوض غمار الحرب، فتنكسر فرنسا فيشي الرسمية أمام فرنسا ديغول الشعبية، المدعومة من بريطانيا، فإذا بهذه الأخيرة تحتل مركز الصدارة والثقل في تحديد السياسة الخارجية، ولم يكن على الفرنسيين، سوى الانضباط، ففي هذه الظروف الدولية المؤاتية، ظهرت النزعة الاستقلالية بقوة في لبنان، وبالرغم من ظهور بعض التيارات المعارضة، ليس لفكرة الاستقلال، إنما لفكرة توقيته، كانت الغلبة للنزعة الاستقلالية المدعومة من بريطانيا الدولة المنتصرة في الحرب العالمية الثانية.

---

١ ـ غسان تويني، كتاب الاستقلال في الصور والوثائق، ص ١٧؛ ـ كذلك بالفرنسية كتاب Le livre de L'Indépendence, p. 17.

٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٢١.

بعد الحرب العالمية الثانية وعودة العمل بالدستور تم انتخاب مجلس نيابي يتوق للاستقلال، بتاريخ ٦ أيلول ١٩٤٣، وانتخاب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية وتأليف حكومة برئاسة رياض بك الصلح، بعدما تبلورت فكرة الميثاق الوطني الجامع للبنانيين، إذا بالحكومة تعمل بسرعة لتعديل الدستور اللبناني، وإزالة آثار الانتداب من أحكامه، فاتحة المعركة الاستقلالية على مصراعيها.

ومن غريب المفارقات كان رياض الصلح يكنُّ كل ود للرئيس إميل إده وقد حاول تسويقه عربياً فلم يفلح، وكان هناك حلف ضمني بينه وبين زعامة الكتلة الدستورية[1].

على أثر تعديل الدستور خلافاً لإرادة الفرنسيين، صدر قرارٌ بتعطيل جميع الصحف المعارضة، وبإنزال عقوبة الإعدام بكل مسؤول عنها وإقفال أي منها تنقل وقائع التعديل. سارع نعيم مغبغب متحدياً القرار الجائر إلى نشر وقائع جلسة تعديل الدستور، لكنه قبل المباشرة، اتصل بوزير الداخلية، كميل شمعون، الذي حذره من عاقبة عمله، أما الرئيس رياض الصلح، فأجابه إن كل فريق عليه أن يعمل ما بوسعه.

كل هذه الإجراءات لم تثنِ نعيم مغبغب ورفاقه من متابعة معركتهم الإعلامية. وقد اتخذ عدة خطوات في هذا المضمار، كان قد شرحها بنفسه في جريدته عام ١٩٤٥، في ذكرى الاستقلال، أي بعد مرور عامين، أما الخطوات الإعلامية التي اتبعت فإننا نوردها بإيجاز على أن يصار إلى شرح كل منها في حينه.

١ - نشر بيان رئيس الحكومة رياض الصلح للرأي العام اللبناني.

٢ - نشر بيان رئيس الحكومة الموجه إلى الرأي العام الأميركي.

٣ - الإصرار على نشر جلسة تعديل الدستور في جريدته «الاقدام» بالرغم من تحذير وزير الداخلية كميل شمعون له.

٤ - الإصرار على نشر مقال شديد اللهجة يخص الجيش اللبناني، لأن الجيش كان تحت سلطة الانتداب، فهدده كميل شمعون من مغبة الإقدام على مثل هذا العمل.

---

١ - غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٦٧.

٥ - التفتيش عن وسيلة تؤمن متابعة معركة الإعلام التي أرادها، فإذا به يقرر استخدام الجريدة بدون اسم، تحت شعار علامة الاستفهام، وقد أورد بنفسه قصة تلك الجريدة.

٦ - نشر مقال تحت عنوان كلمة اليوم «صراحة واجبة».

٧ - التشهير باللائحة السوداء، وأسماء اده والحسيني وديركالوسيان.

٨ - نشر مقال تحت عنوان «لبنان لن ينسى».

٩ - نشر أخبار الثورة عالمياً.

١٠ - إرسال تحية من جريدة «الاستفهام» إلى الجرائد المحتجبة.

١١ - نشر قرارات الحكومة المؤقتة، ونشاط المجلس النيابي.

١٢ - نشر أخبار المعارك في بشامون، داخل البلد.

١٣ - تزويد الصحافة العالمية بأخبار المعارك وبالتطورات السياسية.

١٤ - الكشف عن هويته، «كمسيحي» في بشامون، لإبعاد الصيغة الطائفية عن معركة الاستقلال.

النبذة الأولى - الاختلاف حول «انتهاء الانتداب»

حصل خلاف بين السلطات الفرنسية والدولة اللبنانية، حول تاريخ انتهاء الانتداب، فمنذ استلام الحكومة اللبنانية وبعد تعديلها للدستور، أثبتت بأن الانتداب قد انتهى، أما السلطة الفرنسية، فلم تعتبر كذلك وهذا ما أثبتته لدى إقدامها على اعتقالهم.

النبذة الثانية - قضية الاستقلال وحّدت اللبنانيين

كانت الظروف داخلياً ودولياً مؤاتية لعملية تعديل الدستور، والمطالبة بالاستقلال.

ذكرنا أنه بتاريخ ٨ حزيران ١٩٤١، صدر عن سفير بريطانيا العظمى في القاهرة، والجنرال كاترو، مندوب فرنسا الحرة، تصريحاً مشتركاً أعلنا فيه استقلال كلاً

من لبنان وسوريا ونهاية الانتداب الفرنسي عليهما[١]. لكن السبب الحقيقي من وراء هذا التصرف هو إرضاء الشعبين اللبناني والسوري وحملهما لمناصرتهما، ضد قوات فرنسا فيشي، ولجنتي الهدنة الألمانية والإيطالية، وقد ساهم اللبنانيون في دعم القوات الحليفة، وبالنسبة لغسان تويني «إن قضية الاستقلال وحّدت اللبنانيين، وتستمر توحدهم، وإنها، في واقعها والمبادئ، أرفع بكثير مما يصطنعون لها من شوائب، في مواسم الكفر والتكفير، وإنها لا تزال هي هي مصدر الوحدة الحقة، وأقوى من الأزمات، كما كانت أقوى من النسيان»[٢]. على شرط وجود توازن عادل بين الطوائف، يضمن بالحد الأدنى الطمأنينة والاستقرار.

لكن الفرنسيين الأحرار بعد تغلبهم على قوات فيشي أخذوا يماطلون في تنفيذ تعهداتهم، متذرعين بشتى الأسباب لإبعاد تاريخ الاستقلال، وكانوا يرمون إلى عقد معاهدة مع لبنان، تكون فصلاً جديداً من الانتداب.

بالفعل، بعد نزول القوات الأميركية في النورماندي، وتعزيز وضع الحلفاء في الشرق، أصبحت الحكومة الفرنسية المؤقتة في مركز الثقل، مما جعل الجنرال ديغول ورقة ضغط بيد البريطانيين، بعد تسليمه بقضية استقلال لبنان وسوريا، وإذا بالجنرال إدوارد سبيرس، ينصح اللبنانيين والسوريين بوجوب الاتفاق مع فرنسا على أساس توقيع معاهدة معها، بهذا الشأن.

الفقرة الثانية ـ مغبغب حوّل «الاقدام» إلى «الاستفهام»

ما إن طُلب منه العودة إلى الوطن، حتى لبّى الطلب وانخرط في النشاط الوطني، مساهماً في عملية التحرير، وأسس جريدة سياسية مستقلة به، فكانت «الاقدام» وساعده في التحرير كل من: زهير عسيران، منح الصلح، محمد شقير، تقي الدين الصلح الذي أسس فيما بعد جريدة «الهدف».

---

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته.
٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٩.

يقول مغبغب كنت قد استأذنت بإصدار «الاقدام» واتفقت مع مطبعة المعرض وتواعدت مع الزميل الحر الأستاذ سليم أبي جمرة على أن يعاونني في تحريرها واشتريت من السوق السوداء اثني عشر ماعوناً من الورق، إلا أن استعدادنا لم يكن كاملاً ولم أكن أنتظر الشروع في العمل قبل أسبوع أو أسبوعين.

التقيت بأبي جمرة بعد ظهر ١٤ تشرين، فقلت يجب نشر تفاصيل جلسة أولى، هيا إلى العمل، فقال لي إلى العمل، قصدنا مطبعة المعرض واتفقنا على أن نستعمل في الطباعة حروف الزميلة «أسيا» وأرسلنا من يبحث عن عمال الصحف وشرعنا في التحرير وجعلت عنوان جلسة التعديل «الحق أعلى وأكبر».

فلما كانت الساعة التاسعة قصدت السراي طالباً رئيس الوزارة رياض بك الصلح، وكان يومئذ في نظري المجاهد الأكبر والقائد الجريء، كما كان معبود كل وطني حر فوجدته في مكتب الأستاذ أبي شهلا وزير العدل.

أطلعته على ما اتخذته من قرار بإصدار «الاقدام» قبل موعدها لنشر محضر جلسة التعديل، فأخذت منه الرضى والموافقة، وقال نحن نفعل واجبنا وليفعل كل واحد واجبه، وعلى كل استشر كميل لأن الناحية الصحافية تتعلق به مباشرة.

قصدت مكتب كميل شمعون، وزير الداخلية، وعرضت عليه الأمر فقال أنت صديقي وزميلي في مكتبي، ومفروض أن تعرض العدد عليهم (الفرنسيين) فقد ينسبون المخالفة إلي، ونحن لا نريد أن نفتح أبواباً جديدة، فأرجو أن لا تنشر شيئاً.

ويتابع نعيم مغبغب في معرض توضيحه كيف نشأت علامة الاستفهام في الذكرى الأولى للاستقلال، فيقول:

«عدت إلى المطبعة وكانت الساعة في منتصف العاشرة، ولاحظ صديقي أبو جمرة غيظي، فأخبرته بما كان، قال ما العمل؟ قلت الناس في حيرة، ويجب أن ننشر العدد، ما الرأي لو تركنا اسم الاقدام وجعلنا الاسم: البشير الثاني أو البيرق الثاني؟

اقترح سليم وفؤاد مغبغب معاً، هذا غير معقول، وأضاف الثاني فلتكن بلا اسم.

??

الخميس في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ السنة الاولى العدد ٢

اعصاب ام اداب ؟

الاجانب يبطلون دعوة الوزارة والمجلس لحفلة المهدنة

رئيس الجمهورية يقاطع الحفلة

القائمة السوداء

احمد الحسيني ، ايوب ثابت ، در كلوسيان

امين السعد ، اميل اده

هؤلاء تخلوا عن الوطن عند شدته

فليستقيلوا

حرب الصور ؟!

بعد ان واجه اللبنانيون ، هادئين ، حرب الاشاعات والاعصاب وتمس الألوف الزائفة من السود والحمر المحمولة من ميدان الى ميدان ، اذ بهم يصبحون امس فتطل عليهم من عل الحوائط والسطوح صورة تكررت حتى السآمة

وان اللبنانيين الذين يعلمون ام الارض فن الاشاعات يدركون التلميح المقصود من حشر صورة ... لاشاعة روجت بينهم ، واللبنانيون الواثقون من حقهم ...



ذكرى الاعتداء على لبنان في ١٩٤٣

الإقدام

المحرر المسؤول : نعيم مغبغب

السنة الثانية – العدد ٢٦٤

الأحد ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥

٦ ذي الحجة سنة ١٣٦٤

ثمن العدد ١٥ غ . ل .

من مجنون

الى مجنون

لذكرى ١١ تشرين ١٩٤٣

عزيزي المسيو هللو

لا يخيل اليك اني أحط من قدرك ، عندما ادعوك بلقب اطلقته راضياً على نفسي ، فالجنون في رأي بعض العلماء منتهى النبوغ ، وانا وحقك ابتغي امل زماني ، لأني قدرت سنناً ما كان يجيء انا

جريدة الإقدام لنعيم مغبغب التي حولها إلى علامتي الاستفهام
أو علامة الاستفهام

فقال سليم فلتكن علامة استفهام فقلت بل علامتي استفهام، هات العلامتين يا معلم يوسف! »[١]

وأضاف: وفي اليوم التالي ١٠ تشرين نزلت علامة الاستفهام إلى السوق فتخاطفتها الأيدي وبلغ ثمن النسخة منها ليرة قبل الظهر وليرتين بعده.

وما كادت الساعة تدق العاشرة صباحاً حتى قَدِمَ الأمن العام الفرنسي إلى مطبعة المعرض وفتشوا المكاتب والمطبعة، فلم يجدوا ورقة واحدة ولا سطراً واحداً ولا حتى الحروف المصفوفة تثبت الطبع في المعرض، فغادروا يخابرون المسؤول فعاد يؤكد لهم أن الحروف المستعملة هي حروف آسيا الموجودة في المعرض[٢].

فأغلقوا المطبعة وختموها بالشمع الأحمر وفي الوقت ذاته كان غيرهم يطارد الباعة والملتزم قاسم فصادروا عدداً من النسخ واعتقلوا البعض.

وطبعنا العدد الثاني في مطابع منيمنة وسهرنا مع العمال لحمايتهم، القلم في اليد والمسدس على الجنب، والقنابل تثقل الأوراق، وفي الغد كان مصير المطبعة مثل مصير سابقتها. وهكذا بيومين هبت بعدها البلاد على أثر الاعتقال، هبة الرجل الواحد، ووثبت وثبة الأسد للدفاع عن عرينه فتركنا القرطاسية والريشة واستعضنا عنهما بما حمل المجاهدون في الحرس الوطني».

وأضاف: «وتسلم العمل في علامة الاستفهام مدة الاعتقال، مع الزميل أبي جمرة، الأخوان تقي الدين الصلح ومحمد شقير وحسين سجعان وعبد القادر اللاذقي وسواهم، فكان البعض يدبر الورق والبعض يحمي الآخرين بسلاحه إلى أن أفرج عن المعتقلين وانتصر الحق وزهق الباطل».

ووقع نعيم مغبغب بالحرفين « ن.م.»

أشار نعيم مغبغب إلى الصعوبات التي تعرَّضت لها «علامة الاستفهام»، متنقلة من مطبعة إلى أخرى والسلطة تلاحقها، وإلى أماكن بعيدة عن العيون في ضواحي

---

١ ـ سليم مغبغب، هو ابن عم نعيم، أي سليم أيوب مغبغب، وأمين هو ابن عمه الآخر، هو أمين فايز مغبغب.

٢ ـ الاقدام، الأحد ١١ تشرين الثاني، ١٩٤٥.

بيروت وقد اضطرت للاحتجاب عن الصدور ليوم واحدٍ ما لبثت أن صدرت في اليوم التالي بعددين متتاليين.

كان الناس يتهافتون عليها لأنها كانت تنقل أخبار الثورة، ونشاط الحكومة الشرعية في بشامون والمعتقلين في راشيا، ويوميات الأزمة، وما كان يرد في بعض الصحف العربية والأجنبية.

لم تتجاوز الكمية التي كانت تطبع منها ٤٠٠٠ نسخة من العدد الواحد، والسبب ندرة وغلاء الورق، وكلفة الطبع، لذلك كان الناس يتناقلوها بين بعضهم لقد كانت كلفة العدد الواحد تزيد عن الخمسماية ليرة لبنانية وكانت تدفع من التبرعات التي تجمع في المؤتمر الوطني ومن السيدات اللواتي كن يتبرعن بحسب طاقة كل واحدة منهن. بيعت في اليومين الأولين بربع ليرة لبنانية، ثم وزِّعت مجاناً، بواسطة الكتائب والنجادة وجماعة «أشباح الليل» رجالاً ونساءً، اللواتي كن يطفن من بيت إلى بيت رغم المخاطر.

أزعجت علامة «الاستفهام» السلطة الفرنسية، كونها لسان حال الثورة، وتؤمن الصلة بين القادة والشعب.

النبذة الأولى ـ جريدة «الاستفهام» الناطق الرسمي الوحيد باسم حكومة الاستقلال

أصبحت جريدة «الاستفهام» الناطق الرسمي الوحيد لحكومة الاستقلال، وقد توقفت طيلة فترة اعتقال نعيم مغبغب مدة سنة كاملة على أثر معركة رفع العلم على قبة البرلمان كما سنرى. وعاودت الصدور بعد إطلاق سراحه فإذا بالعدد التالي يظهر للوجود كما هو مبين على الصفحات الأولى منها، أي عام ١٩٤٥.

كان قد أصدر نعيم مغبغب وسليم أبو جمرة يوم ١٠ تشرين الثاني صحيفة سرية لم تحمل اسماً، بل حملت في أعلاها علامتي استفهام هكذا (؟؟) فحل الرمز محل الاسم، وصدر منها أربعة عشر عدداً، وحين لقيت إقبال القراء، أصدر

الانتدابيون في ١٦ تشرين الثاني، جريدة أخرى حملت في أعلاها علامة استفهام واحد (؟)[1].

ثم روى كيف تحولت إلى علامة استفهام، فكتب: بعد تعديل الدستور واعتقال أعضاء الحكومة الشرعية في راشيا (كما سنرى)، دعت الصحافة للإضراب العام في أرجاء البلاد اعتباراً من يوم تعديل الدستور وامتنعت عن الصدور، رغم تدخلات الدولة الفرنسية المنتدبة وضغطها وتهديدها، فتحرر من وصاية الفرنسيين وأثبت تمسكه بحريته وبحق بلاده في الحرية والحياة.

وأضاف: كما أنكرت فرنسا[2] على البلاد ومجلسها حقها المشروع في تعديل الدستور وأرادت أن تفرض حق القوة على قوة الحق، كذلك أرادت بالقوة أن تخرس صوت البلاد، وإخضاعه لصحافتها، فتحول دون مؤازرة إرادة الشعب ممثليه، كما عمدت قبل وبعد الجلسة التاريخية إلى تعطيل الصحف العربية الوطنية، فظهرت الصحف الفرنسية في اليوم التالي صباحاً ومساء، وليس فيها ما يشير إلى جلسة تعديل الدستور.

النبذة الثانية ـ «علامة الاستفهام» تنشر تعديل الدستور

أولاً ـ مشروع تعديل الدستور

قبل انعقاد الجلسة لمناقشة مشروع تعديل الدستور، وزّع رئيس المجلس النيابي، على النواب هذا المشروع لدرسه، قبل الجلسة بثلاثة أيام، كي يتسنى لهم الاطلاع عليه بكامل تفاصيله.

ثانياً ـ جلسة التعديل

كان الجو العام في البلاد متوتراً، فزحفت الجماهير بالآلاف إلى مجلس النواب، نهار الاثنين الواقع فيه ٨ تشرين الثاني ١٩٤٣، بمناسبة جلسة تعديل

١ ـ د. جوزيف الياس، في دور الصحافة اللبنانية في الاستقلال (١٩٤١ ـ ١٩٤٦) اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ص ٥٢٥ ـ كذلك، حمية، نعيم مغبغب، شهداء وطن، ثالث الشهداء السياسيين، مجلة الأفكار (١٨ عدد عام ٢٠٠٧).
٢ ـ كانت فرنسا تتطالب باتفاقية لمدة ٢٥ سنة مع لبنان، لحد خاطر، آل السعد، ص ٣٦٣.

الدستور وحاول إميل إده إجهاض هذه الجلسة بكل الوسائل لاسيما دعوته لإثني عشر نائباً إلى مكتبه وهم: جورج زوين، جورج عقل، أسعد البستاني، جميل تلحوق، أمين السعد، أحمد الحسيني، كمال جنبلاط، عبد الغني الخطيب، جبرايل المر، وديع الأشقر، وبعد حضورهم اتصل إده بمدير الأمن العام غوتييه، وقال له إن الجماعة قد حضروا، وبعد مكاشفتهم بموضوع الدعوة، عارض قسماً منهم وأصروا على حضور الجلسة، حتى أن ريمون اده، ابن إميل، عارض عدم حضور جلسة تعديل الدستور[1].

١ ـ سامي الصلح، لبنان العيش السياسي والمصير المجهول، دار النهار، ٢٠٠٠، ص ٤٩.

قبل عام ١٩٧٥ كانت ساحة البرج في بيروت، بحركة دائمة ليلاً ونهاراً، وهي على مقياس مصغر صورة عن «نوتردام» و«السوربون» و«السان جرمان» فلا تتوقف فيها حركة السيارات والأضواء والمشاة وصالات السينما والدكاكين. كان أصحاب المحلات يتناوبون لفتح محلاتهم، وكانت أوجه لبنان الشعبية تعانق مباشرة أوجهها الفخمة، وتتلاقى فيها جميع شرائح الوطن من كل الطوائف والمذاهب، يشترون من الأسواق نفسها ويأكلون ويشربون من المحلات ذاتها، وكان البقالون والحمالون، يعجون بسلالهم لأي خدمة تطلب، وكان هناك خمسة نقاط مميزة في تلك الساحة:

على مقربة منها هناك بناية سرسق التي تتضمن نادي الشرق الأرستقراطي، بالإضافة إلى مربع «الباريزيانا»، حيث كانت تبث من على سطحه العالي الموسيقى والأغاني البلدية والمبنى الأثري الأنيق لدائرة شرطة العاصمة، ومقهى «الجمهورية» الذي كان يلتف حوله نخبة الجلساء من أهل السياسة والفكر والوجاهة وكان وراءه، سوق «الأوادم» ويعلوه سوق «النجارين».

وما يلفت النظر كانت سينما «ريفولي» وسينما «أوبرا» وبعدها مدخل «سوق الصاغة»، حيث كان يلتقي عشاق الذهب والألماس، من اللبنانيين والأجانب، أيضاً «مسرح فاروق» وسينما «روكسي» وسينما «دنيا» وسينما «راديو سيتي» وقهوة «القزاز» المكشوفة على جبهتين وكان يلتقي فيها الوجهاء.

كان مطعم لاروندا على الزاوية ومطعم أبو عفيف على الزاوية الثانية وخلفه «بار الحاوي» الذي يطل على بوابة سينما «روكسي» الضخمة، حيث كان يلتقي الفنانون والممثلون والنواب والسياسيون.

كانت ساحة البرج تتصل بعدة شوارع إلى باب «إدريس» و«سوق الافرنج» وسوق «الطويلة» و«العجمي» وإلى الزيتونة وفنادقها، من النورماندي إلى أوتيل سان جورج، إلى أندية شارع فيينا، والمطاعم المضاءة بالشموع، إلى عين المريسة، الشبيهة ببنايات روما القديمة. =

ثالثاً ـ افتتاح الجلسة

في الساعة الثالثة والربع ظهرت صفوف النواب في القاعة وفي طليعتهم نائب البقاع السيد إبراهيم حيدر بقامته الجبارة وما إن وصل رئيس الحكومة رياض الصلح حتى استقبله الحضور بالتصفيق. ولما اكتمل النصاب القانوني، وبلغ عدد الحاضرين ٥٠ نائباً ولوحظ أن الدكتور أيوب ثابت والسيدين أحمد الحسيني ودركلوستيان قد تغيبوا عن الجلسة، أمر الرئيس بتلاوة محضر الجلسة السابقة فاعترض الأستاذ جورج عقل على جعل أعضاء لجنة الخارجية ثمانية بدلاً من سبعة، وهي لجنة استحدثها المجلس في ذاك الدور، ولما لم يكن في الأمر ما يؤثر على أعمال المجلس صدق بدون اعتراض.

في الساعة الخامسة والربع من مساء الاثنين ٨ تشرين الثاني اشترك ٤٨ لبنانياً هم نواب الأمة ووزراؤها الذين حضروا جلسة تعديل الدستور التاريخية في تسجيل

= «كانت ساحة الشهداء والأسواق المحيطة بها في وسط العاصمة بيروت مختلفة تماماً عما نشهده اليوم.

في تلك الساحة، علّق العثمانيون مشانق كثيرين من اللبنانيين وفيها كانت المنازلة مع الانتداب الفرنسي. وكان يمر فيها خطا «الترامواي» الأول يبدأ من فرن الشباك، حتى رأس بيروت، والثاني، من النهر حتى الحرش. فالمرتكز الرئيسي للحياة اللبنانية كانت هناك، سياسياً وثقافياً واجتماعياً وفنياً، وعلى جميع المستويات، فلم يكن أي حاجز أمام اللبنانيين للتلاقي، يكفي النزول إلى ساحة البرج، والسير على حافتي الساحة، مقابل تمثال الشهداء ومقابل الساعة المتحركة الناطقة، كي ترى نفسك في خضم البيت اللبناني بجميع شرائحه، بالإضافة إلى سوق «أياس» وسوق سرسق، وسوق الخضار وسوق الدجاج، وسوق النورية ومزار النورية للروم الأرثوذكس الذي يؤمه آلاف الأشخاص يومياً، ومصلين ضارعين محاولين وضع «خمسة قروش» على قزاز السيدة العذراء والذي أصبح اليوم تحت جامع محمد الأمين، بعدما جرى توسيعه واستملاكه بواسطة شركة سوليدير.

كانت تلك الساحة القلب النابض ومن المؤسف أنه جرى إعادة تنظيم وسط بيروت المهدم ولم تؤخذ بعين الاعتبار الكنوز الدفينة تحته من آثار يعود تاريخها لآلاف السنين، بالرغم من إظهار آثار مدرسة الحقوق الرومانية «بيروت أم الشرائع» قرب كنيسة مار جرجس للروم الأرثوذكس، وهناك آثار في وسط الساحة، لم يكشف النقاب عنها بعد وهي قلعة تشبه قلعة جبيل. وأقدم رئيس الجمهورية إميل لحود على إعادة تمثال الشهداء، لكنه لم يوضع في موضعه القديم إنما في الناحية الشمالية من ساحة البرج».

صفحة مجيدة من الجرأة في الحق والكرامة الوطنية لهذه البلاد. ولم يتخلف عن تأدية الواجب الوطني الا السادة أحمد الحسيني وأيوب ثابت ودركلوستيان كما انسحب من الجلسة السيدان إميل اده وأمين السعد[1].

وقد كانت البلاد بأسرها تتطلع إلى ساحة النجمة، في لهفة الأم الخائفة على ولد يهدده خطر جسيم، حتى أخذت أصوات النواب تؤيد المشروع، فهبت في داخل المجلس عاصفة من التصفيق والهتاف وتعانق الكثيرون يهنئون بعضهم بعضاً وقد سلم الشرف ولكن بعد هذا ما يكون.

وسرت البشرى إلى خارج المجلس فدوى الهتاف عالياً وارتفعت أصوات الألوف من أبناء البلاد المخلصين وتردد اسم بشارة الخوري والصلح ورفاقهما.

رابعاً ـ تلاوة مرسوم التعديل والمناقشات[2]

وبعد تلاوة المرسوم رقم ٩٢ الصادر عن رئاسة الجمهورية بتعديل الدستور طلب الأستاذ سامي الصلح الكلام فأعطته رئاسة المجلس النيابي الإذن، وإذا بالأستاذ جورج عقل يبدأ في عرقلة العمل فيقف مطالباً بإحالة المشروع إلى لجنة خاصة لدرسه وبإرجاء التعديل.

الرئيس ـ ماذا يريد حضرة الزميل؟

عقل ـ أسأل إذا كان يحال المشروع إلى لجنة خاصة أم يرجأ إلى جلسة أخرى.

إميل اده ـ بالعربي الفصيح المشهور عنه وهذه ترجمة ما قال:

إن جميع المشاريع العادية والبسيطة تحال إلى اللجان الفرعية لدرسها أو إقرارها وأرى من الواجب أن يحال هذا المشروع إلى لجنة خاصة لدرسه ونحن لا نتحمل مسؤولية التعديل أمام الشعب.

١ ـ جريدة «علامتي الاستفهام» السنة الأولى، العدد ١، «الأربعاء ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣.

٢ ـ لحد خاطر، آل السعد، ص ٣٦٧.

ليس من المستلزم حتماً أن يحيل المجلس مشروع التعديل إلى جلسة ثالثة، كما اقترح الزميل عقل وإذا كانت إحالة المشروع إلى لجنة من الخطورة، فإن سرعة إقراره من الخطورة أيضاً بمكان.

إن اللجنة التي سيحال إليها مشروع التعديل قد تحتاج لسؤال أحد الوزراء فالوزارة حاضرة والمجلس حاضر بأجمعه إذا كنا نخاف الرأي العام في تأخير المشروع، وإني أرجو من حضرة الرئيس أخذ رأي المجلس.

عندئذ طلب الأستاذ حميد فرنجية تلاوة المادة ٧٨ التي يستند إليها طلاب التأجيل فتليت.

عقل ـ أريد أن أكون صريحاً مع الجميع في هذه الأسباب وأكرر طلب إحالة المشروع إلى لجنة خاصة، وفي مجلسنا أكثر من مشروع واحد وأكثر من رجل قانون فلا نستعجل الأمور، إن بلاغ لجنة التحرر... كان له صدى في جميع الأوساط وقد ردت الحكومة عليه بسرعة فائقة.

رئيس الحكومة ـ هل أعجبتك هذه السرعة أم لا؟

عقل ـ أعجبت جميع الناس (تصفيق من مقاعد النواب والزائرين) وتابع الأستاذ عقل كلامه قائلاً: وكان في جواب الحكومة غصة لكرامة الأمة والاستقلال بسرعة، والآن يجب أن ندرس على ضوء النصوص لا على ضوء الغضب والحنق (مقاطعة واستنكار).

رئيس الحكومة ـ إن في كلامك هذا مساً للكرامات.

رئيس المجلس ـ لا أسمح لأحد من النواب أن يوجه كلمات جارحة لأحد.

عبد الحميد كرامي ـ لقد احتجبت عن الكلام في الجلسة السابقة ولكنني اليوم أرى برنامج الحكومة تعديل الدستور، وعلى هذا أعطيناها الثقة ولو لم تتقدم بهذا المشروع الآن لسحبت ثقتي منها، تنكرنا للبنان في الماضي وسائر لبنان السياسي، لأنه لم يجهر لنا بالفكرة الاستقلالية. إن لبنان العربي بدمه وتاريخه ولغته يريد اليوم أن يتخلص من القيود في دستوره لذلك أرجو من الزملاء الكرام أن يكونوا عند حسن

ظن الأمة بهم ويوافقوا على مشروع تعديل الدستور الذي تقتضيه الكرامة الوطنية، واطلب من حضرة الرئيس إقفال باب المناقشة في إحالة المشروع إلى لجنة خاصة وأخذ رأي المجلس حالاً.

١ ـ إده يسحب السعد

وطرح الرئيس السؤال على المجلس فصدقته الأكثرية الساحقة، فنهض الأستاذ إميل اده عندئذ بحركة عصبية وأمسك جورج عقل بيده ليسحبه معه من الجلسة لكن عقل أفلت منه، كما ذكرت جريدة «الأقدام».

أما السيد اده فلحق به السيد أمين السعد ويورد نعيم مغبغب في جريدته بأنه ـ لا أعرف أسماء سواهما ـ وتوجها نحو الباب فنادى رئيس الوزارة على السيد اده عيب عليك تنسحب من الجلسة.

٢ ـ كلمة النائب سامي الصلح

وتقدم على أثر ذلك النائب سامي الصلح إلى المنبر وألقى كلمة جاء فيها:

«ليس في لبنان من يرضى عن الاستقلال بديلاً ونحن نواب الأمة الحريصون على حقها في الحرية والسيادة قد أثبتنا أن هذه الندوة وجدت لتمارس هذا الحق.

«أعلن الجنرال كاترو في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ استقلال لبنان وقد أيدت انكلترا هذا الاستقلال في تصريح خاص وتوالت الحكومات اللبنانية على تدعيم أركان هذا الاستقلال.

«والحكومة الحاضرة التي نالت ثقة النواب بالإجماع أخذت على عاتقها تنفيذ بيانها الاستقلالي ومن جملته تعديل مواد الدستور التي تمس بهذا الاستقلال وقد جرى مثل هذا في سوريا منذ سنوات.

«إننا نعتمد على التصريحات العلنية التي أدلى بها فخامة المستر تشرشل والجنرال ديغول وعلى ميثاق الاطلنطيق، فالشعب اللبناني يطالب باستلام الحقوق التي تفرضها السيادة الوطنية من اصطلاحات.»

٣ ـ كلمة سعدي المنلا

ألقى النائب سعدي المنلا خطاباً رصيناً جاء فيه: ليس تعديل بعض مواد الدستور التي تتنافى مع الاستقلال نقضاً لحقوق الصداقة القديمة بل تحقيقاً للعهود المقطوعة وتنفيذاً لميثاق الاطلنطيق وختم خطابه بهذه العبارة: رحم الله سعد الذي قال: «إن وزارة يسندها برلمان، وبرلماناً تسنده أمة وأمة يسودها اتحاد، فإنه لا يخيب لها أمل».

٤ ـ كلمة النائب صائب سلام

قال حضرته أنه سأله أحدهم عن أي حزب تتكلم فأجابه أنه لم يعد هناك أحزاب فهو يتكلم باسم الأمة جمعاء ثم ناشد النواب جميعاً تصديق مشروع التعديل حفاظاً على كرامة البلاد واستقلالها.

٥ ـ كلمة هنري فرعون

كان خطابه الأول في المجلس وعداً بمستقبل مشرق فقال: «إن هدفنا الوحيد خدمة البلاد والمحافظة على استقلالها وكرامتها، إننا نعمل مخلصين مجرَّدين، شاعرين بأننا نخدم لبنان ونريد أن نحافظ على صداقتنا الغالية دون أن تعارض مصالح لبنان. نحن نطالب بحقوقنا واستقلالنا وللسلطات حق صريح بإبداء تحفظاتها.

وبهذا الشعور إنني أوافق على تعديل الدستور وأرجو من زملائي الكرام أن يوافقوني الرأي.

٦ ـ كلمة النائب الرئيس ألفرد نقاش

كان رئيس الجمهورية السابق، يتكلم في صوت هادئ خافت: وكان يبدو عليه التعب وقد اعتذر بأنه مريض وأنه حضر الجلسة رغم مرضه تأدية للواجب الوطني، وقابل السامعون قوله بالتقدير اللازم وهم لا يملكون إلا مقابلة هذا الجهد بموقف النائبين المنسحبين.

واستزاد فذكر أنه كان يتمنى لو لقي في عهده التأييد الذي تلاقيه الحكومة الحاضرة وقد كانت خطته الاستقلالية مثل خطتها. ثم قال إن الجميع متفقون على تحقيق أماني الشعب وفي طليعتها الاستقلال وبعد ذلك أشار إلى العلم اللبناني وألوانه، وإلى صعوبة استعمال اللغة العربية في بعض الأمور الفنية وفي المحاكم المختلطة.

- رد رئيس الحكومة على الرئيس النقاش

أننا لا ننكر على الرئيس النقاش مواقفه المشرِّفة وقد كنا نؤيده عليها، أما قضية اللغة فقد خاف أن تحدث بلبلة في المحاكم المختلطة كأني به يريد هذه المحاكم أن تكون مؤبدة «تصفيق» وأنا لا أنكر أن اللغة الأجنبية فيها كانت تقنية توافق الحاجة وأنا....

٧ - كلمة محمد عبد الرزاق

ثم تكلم نائب الشمال محمد عبد الرزاق طالباً الوقت الكافي للمجلس لدرس المشروع فأجابه رئيس المجلس بأن المشروع قد وزع على النواب قبل ثلاثة أيام وفي هذه المدة كفاية لدرسه.

٨ - كلمة يعقوب الصراف

قال إن الاضراب الذي نتج عن هذا العمل لا تُسأل عنه لجنة التحرير ولا الحكومة الوطنية، إنما المسؤول هو حالة الانتداب الشاذة. وطلب من الحكومة أن تنظر دائماً إلى الصداقات القديمة التي لا تريد أن تضرب بها عرض الحائط، وأن تتذرع بحكمة معاوية القائل: لو كان بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت وبحكمة سعد: خذ وطالب.

٩ - كلمة جميل تلحوق

قال الدكتور جميل تلحوق أن الغضب كان يسود جميع جلساتنا، أما الآن فقد اتفقنا على مشروع التعديل، وليس بيننا ما يوجب التنافر.

١٠ - كلمة حميد فرنجية ويوسف سالم وعبد الله اليافي وكاظم الخليل

وتكلم حميد فرنجية عن استعمال اللغة العربية ويوسف سالم طالب بإلغاء الطائفية وعبد الله اليافي عن الحدود الجنوبية مفصلة فاقترح كاظم الخليل بأن يقول: تبقى حدود قضائي صور ومرجعيون كما هي الآن.

خامساً - إقرار التعديلات بالإجماع

وبعد ذلك طرحت المواد مادة مادة للتصديق، فكان النواب يصدقون عليها بالإجماع، ثم طرح المشروع كاملاً دفعة واحدة فصودق عليه بإجماع الحاضرين وهم ٤٨ نائباً منهم ستة وزراء.

أما الذين لم يشتركوا في التصويت للمشروع فهم السادة إميل اده وأمين السعد اللذين انسحبا من الجلسة الأولى كما تقدم أعلاه والغائبون السادة: أيوب ثابت وأحمد الحسيني ودركلوسيان.

بموجب تعديل ١٩٤٣، ألغيت المواد المتعلقة بالعلاقة مع سلطة الدولة المنتدبة، وقد أضيفت إلى المادة ٦٠ الخاصة بمسؤولية رئيس الجمهورية، عبارة تفيد «أما التبعية فيما يختص بالجرائم العادية فهي تخضع للقوانين العامة...» لكن هذه الفقرة ألغيت في التعديل الحاصل في ٢٢ أيار ١٩٤٨، لدى التمديد للرئيس بشارة الخوري.

وأصبح مجلس النواب يتألف من أعضاء منتخبين فقط (المادة ٦٤ من الدستور)، علماً بأن الفترة الممتدة بين ١٩٢٦ وتاريخ الاستقلال ١٩٤٣، كانت فترة تجربة، ولم تكن مستقرة، بل كانت تهدف دوماً للخروج من وضع غير صحيح إلى وضع أكثر توافقاً مع واقع الحال، وعرفت تلك الفترة حياة سياسية متقدمة، وكانت تتمحور حول ضرورة الوصول إلى إيجاد وطن وكيان، وكان بالفعل هناك، رجالات دولة بكل معنى الكلمة[١].

---

١ - قانون تعديل الدستور - المادة الأولى - عدلت كما يلي:
لبنان دولة مستقلة، وحدة لا تتجزأ، وسيادة تامة، أما حدوده فهي التي تحده حالياً (وهنا ذكرت الحدود الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية الحالية). =

= وقد كانت المادة الأصلية تقول: «أما حدوده فهي المعترف له بها من قبل الجمهورية الفرنسية ومن لدن جمعية الأمم وهي التي تحدده حالياً.
المادة الثانية ـ عدلت المادة الحادية عشرة كما يلي:
اللغة العربية هي لغة البلاد الرسمية، أما اللغة الفرنسية فتتحدد بالأحوال التي تستعمل بها بموجب قانون.
وقد كانت المادة الأخيرة تقول: اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية في جميع دوائر الدولة واللغة الفرنسية هي أيضاً لغة رسمية وسيحدد قانون خاص الأحوال التي تستعمل بها.
المادة الثالثة ـ عدلت المادة الثانية والخمسون كما يلي:
يتولى رئيس الجمهورية المفاوضة في عقد المعاهدات الدولية وإبرامها ويطلع المجلس عليها حينما تمكنه من ذلك مصلحة البلاد وسلامة الدولة. أما المعاهدات التي تنطوي على شروط تتعلق بمالية الدولة والمعاهدات التي لا يجوز فسخها سنة فسنة، فلا تعد مبرمة إلا بعد موافقة المجلس النيابي عليها.
وقد كانت المادة الأصلية تقول:
ومع الاحتفاظ بنص المادة الثالثة من صك الانتداب يتولى رئيس الجمهورية المفاوضة في عقد المعاهدات الدولية وإبرامها ويطلع المجلس عليها فيما تمكنه من ذلك مصلحة البلاد وسلامة الدولة. أما المعاهدات التي تنطوي على شروط تتعلق بمالية الدولة والمعاهدات التجارية وسائر المعاهدات التي يمكن فسخها سنة فسنة فلا تعد مبرمة إلا بعد موافقة المجلس عليها.
المادة الرابعة ـ ألغيت المواد ٩٠ و٩١ و٩٢ و٩٣ و٩٤ وهذا نص المواد الملغاة:
المادة التسعون ـ إن الأحكام المقررة في هذا الدستور يعمل بها مع الاحتفاظ بما للدولة المنتدبة من الحقوق والواجبات الناتجة من المادة ٢٢٥ من عهد جمعية الأمم ومن صك الانتداب.
المادة الحادية والتسعون ـ عندما تسمح الأمم مستعينة بتوسط الدولة المنتدبة.
المادة الثانية والتسعون ـ تؤكد الجمهورية اللبنانية في هذا الدستور حسن قصدها في المحافظة على روح السلام والوفاق مع الدولة الأخرى وخصوصاً الدول المجاورة الواقعة ضمن نطاق الانتداب الفرنسي التي يرغب لبنان في توثيق عرى الولاء معها في جو هادئ ومن الوئام على شرط المعاملة بالمثل.
المادة الثالثة والتسعون ـ تتعهد الحكومة اللبنانية بمقتضى هذا الدستور تعهداً رسمياً أن تحكم الدولة المنتدبة بتسوية الخلافات التي من شأنها أن تعكر جو الأمن ولذلك فالجمهورية اللبنانية مستعدة لإبرام الاتفاقات بينها وبين جيرانها وكل الدول الأخرى الراغبة في الاتفاق معها، على أن تتضمن هذه الاتفاقات نصاً صريحاً يقتضي بإلزام الدول المتعاقدة التحكيم الإجباري في كل خلاف.
المادة الرابعة والتسعون ـ تتفق الحكومة اللبنانية فيما بعد مع ممثل الدولة المنتدبة به على إنشاء وكالة لبنانية في باريس ووظائف ملحقين لبنانيين بدور الاعتماد السياسية والقنصليات الفرنسوية في المدن الأجنبية حيث تدعو الحاجة إلى ذلك بالنسبة إلى عدد اللبنانيين المقيمين فيها: =

سادساً ـ «الاستفهام» تنشر مقالات الاستقلال

ـ التوجه للصحافة

جمع رئيس الحكومة رياض الصلح، الصحافيين، وألقى عليهم بيانه المرتكز على بعث الروح الاستقلالية في النفوس، وطالب الصحافيين، بتقوية هذه الروح وطالبهم بوضع أوفر ما يمكن من حرارة الإيمان الوطني في النفوس الواهنة، وقال لهم، إننا ندخل في مرحلة نضال جديدة، في سبيل الاستقلال، ووعدهم بأنه سيكون صريحاً وسيعتمد مسلكاً جديداً وروحاً جديدة مع العهد الاستقلالي الدستوري[1].

ـ رسالة رئيس الحكومة إلى الرأي العام الأميركي

وسع رياض الصلح نطاق نشاطه الصحفي، فلم يقتصر على اللبنانيين، إنما توجه بصورة خاصة للرأي العام الأميركي وإلى المهاجرين في هذا البلد، الذي يتمتع بقوة وحيوية كبيرة دولياً. وقد انتشر هذا التصريح على صفحات الجرائد الأميركية واطلع عليه الملايين من سكانها الساعة عينها التي كان فيها مجلس النواب يقر بالإجماع مشروع التعديل الدستوري. وقد جاء فيه:

= وتبذل الحكومة الفرنسوية كل ما في وسعها في سبيل توثيق العرى التي تربط اللبنانيين المهاجرين بوطنهم الأصلي.
المادة الخامسة والتسعون ـ عدلت المادة الخامسة والتسعون كما يلي: بصورة مؤقتة والتماساً للعدل والوفاق تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون أن يؤول ذلك إلى الأضرار بمصلحة الدولة».
وقد كانت هذه المادة في أصلها كما يلي: «بصورة مؤقتة وعملاً بالمادة الأولى من صك الانتداب إلخ...
المادة السادسة والتسعون ـ عدلت المادة الثانية بعد المائة كما يلي: ألغيت كل الأحكام الاشتراعية المخالفة لهذا الدستور.
وقد كانت المادة في نصها الأصلي قبل التعديل كما يلي: «يوضع هذا الدستور في عهدة الجمهورية الفرنسوية بصفة كونها منتدبة من لدن عصبة الأمم، وقد ألغيت كل الأحكام الاشتراعية المخالفة لهذا الدستور.

١ ـ جريدة علامة الاستفهام، السنة الأولى، العدد ١، تاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣.
في البعد العالمي، أنظر د. دعد بو ملهب عطاالله، استقلال لبنان في إطار حركة الاستقلال في العالم المعاصر، في اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ٥٨١.

إن الأزمة التي تطلبون إلي تصريحاً بشأنها قد لا تبدو في مستوى الأنباء العالمية الحربية المثيرة لأقصى الاهتمام بالنسبة إلى القارئ العادي. ولكنها بلا ريب تجربة لصدق ميثاق الأطلنطي في نظر جميع الشعوب الصغيرة التي لا تعتمد على القوة بل على مبادئ الديموقراطية والعدالة للتمتع بحقوقها وحرياتها والتي نظرت إلى ميثاق الأطلنطي كخشبة النجاة.

وتابع الصلح: إن اللجنة الفرنسية تدعو إلى استمرار الانتداب مع أنه نظام زال لأسباب كثيرة باعتراف فرنسا نفسها فضلاً عن الحلفاء. في ٨ حزيران ١٩٤١، قذفت الطائرات الفرنسية والبريطانية بخمسة وعشرين ألف دولار منشورات طبعت في السفارة البريطانية في القاهرة، فوق بيروت التي كانت بيد فيشي وهذه المنشورات تبرأت من الامتيازات الانتدابية التي تمتعت بها فرنسا في وقت مضى ووعدت لبنان بحرية واستقلال تامين غير مشروطين إلا بالضرورات العسكرية الناشئة عن متابعة الحرب ضد المحور. وقد شاء اللبنانيون أن يدخلوا بعض التعديلات على دستورهم ليصبح متفقاً مع حالة الاستقلال والسيادة الوطنية، وهو حق للحكومة والبرلمان وحدهما بحسب المادة ٧٦ من الدستور اللبناني نفسه، ولكن اللجنة الفرنسية في الجزائر تخطت كل ذلك ونشرت بياناً في الصحف هنا طالبة أن لا تُدخل أية تعديلات على الدستور إلا بالموافقة الفرنسية، وكان جواب الحكومة اللبنانية أنها اجتمعت فوراً واتفقت بالإجماع على مشروع التعديل وأرسلته إلى البرلمان مستعملة بذلك حقها الدستوري.

وأضاف الصلح: إن لبنان لا يطالب إلا بالتأييد الأدبي من أميركا لموقفه، وإنني أعد اللبنانيين المقيمين في أميركا أن الاستقلال لمسقط رأسهم لن يضحى به بسهولة لأية أمة أجنبية، وأضاف الصلح يقول إننا سنتغلب على الصعوبات التي تحيط بنا بوصولنا إلى هذا الاستقلال فتتغلب في اللجنة الفرنسية بالجزائر روح الانصاف وتفهمهم حقيقة الموقف وحسن نية اللبنانيين، ودعم الرجال الذين يناضلون في سبيل حرية واستقلال بلادهم[١].

١ - جريدة علامتي الاستفهام، السنة الأولى، العدد ١، تاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣.

النبذة الثالثة - تقي الدين الصلح والزجالين

كان تقي الدين الصلح، مدير المطبوعات في وثبة الاستقلال، قد جند كل نشاطه في هذا المعنى، فكلمة الانتداب، بحسب رأيه لا يجوز أن تعني حق فرنسا في التفرد في القرار بل عليها أن تعيد المشاورة مع أهل البلاد والالتزام بالعهد. وما لم تفعله فرنسا بشكل مؤسساتي، لم يبق أمام اللبنانيين إلا أن يمضوا مع بشارة الخوري ورياض الصلح إلى ميثاق وطني.. وقد جنَّدَ تقي الدين لذلك، عام ١٩٤٣، فرقاً من الزجالين يطوفون بالجبل اللبناني يدعون إلى الاستقلال ويزيلون المخاوف التي نشرها هناك بعض أنصار فرنسا في عدم قدرة لبنان على أن يحكم نفسه بنفسه، ويضيف تقي الدين، سمع بأذنه المستشرق الفرنسي الكولونيل لوسرف يتحدث ويكتب في صحف فرنسا عن الأثر الكبير الذي تركه الزجالون اللبنانيون المهرة في زعزعة صورة فرنسا تقليدياً في الجبل[١].

يقول تقي الدين: «إن لبنان لو لم يكن موجوداً لوجب إيجاده، لا لأن ذلك أراده أبناءه والعرب، بل لأن ذلك ضرورة من أجل طليعية لبنان المنبثقة من تعدديته الثقافية والدينية: فإما أن يكون لبنان هو مكان تفاعل الثقافات والحضارات شرط الخروج من ذلك إلى الحداثة وروح العصر، أو يستمر الكبير والصغير فيه وفي هذه المنطقة مهدداً بالرجعية التي ما قامت اسرائيل إلا لدفع العرب وأقطارهم إليها[٢].

- أين نحن من تلك الأيام التي كان فيها بشارة الخوري ورياض الصلح وتقي الدين الصلح، ومنير تقي الدين، وميشال شيحا، وإبراهيم عبد العال، وحسن كامل الصباح، وغيرهم من جهابذة المعرفة بتقديم المعرفة السياسية والعملية، بشكل يشد التضامن مع الوطن بأسره[٣].

النبذة الرابعة - كلمة اليوم: صراحة واجبة

نشر نعيم مغبغب في جريدة «علامتي الاستفهام» نهار الأربعاء في تاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣، تحت عنوان كلمة اليوم: صراحة واجبة، ما يلي:

١ - منح الصلح، تعليق على كتاب تقي الدين الصلح، ص ٣٠.
٢ - منح الصلح، المرجع ذاته، ص ٣.
٣ - منح الصلح، المرجع ذاته، ص ٣.

في هذا العهد المبارك عهد الجمهورية اللبنانية المستقلة عهد رئاسة الشيخ بشارة الخوري وعهد حكومة رياض الصلح، عهد اتفاق كلمة أبناء لبنان على اختلاف مللهم ومذاهبهم وعهد تكاتفهم في سبيل خير وطنهم المفدى، وفي مطلع فجر الاستقلال التام والحرية الكاملة، في هذا العهد المبارك تصدر هذه الجريدة مستمدة من كل ما تقدم قوة لها في إقدامها وجرأة على المساهمة في تثبيت دعائم الاستقلال وتأييدها، آملة أن يكون لها من إخلاصها في خدمة الوطن العزيز ما يشفع في عجزها للقول في تعضيد أبناء الوطن والنجاح في خدمتها لهم...

وبعد، فإن واجب الإخلاص يقتضينا بكلمة صريحة لا بد منها في هذا الموقف، والبلاد تجتاز أخطر مرحلة في تاريخها لتنقية جو أفسدته الدسائس والأكاذيب ولإزالة سوء فهم أوجدته الإشاعات والأقاويل المغرضة.

يقول المفسدون والمغرضون أن طلاب الاستقلال يقومون بحركتهم قضاء لمآرب وأغراض شخصية.

ويقولون إن الحركة الاستقلالية ستؤدي لتفوق طائفة على أخرى وتسود فئة على فئة من أبناء الأمة.

ويقولون إن أغراض الاستقلاليين ترمي إلى نقض صداقات والقضاء على تقاليد قديمة.

ويذهبون إلى أبعد من ذلك فيقولون إنها ترمي إلى مخاصمة هذا ومصادقة ذاك.

ثم يتمادون في دعاياتهم المغرضة إلى أبعد مدى فيقولون ـ ويا شؤم ما يقولون ـ إنها ترمي إلى استبدال سيد بسيد، وبعبارة أكثر صراحة انتداب بانتداب.

كذبوا، واللّه، في كل ما يقولون ويصرحون، خطاب الاستقلال أبعد الناس عن المآرب الشخصية ولهم من ماضيهم خير شاهد على ذلك بل ربما كان أسطع برهان على البعد عن الأغراض والمآرب الشخصية إن جميع اللبنانيين يطالبون بالاستقلال وينشدونه.

ليس في لبنان فئة أو طائفة تستنكر الحركة الاستقلالية أو لا تريدها. فاللبنانيون جميعاً يرون فيها الخير، كل الخير، لوطنهم ولهم أفراداً وجماعة ويرون أيضاً أنها كفيلة بلم شملهم وتوحيد صفوفهم، وأحكام أواصر التآخي فيما بينهم.

وليس في لبنان وعلى الأخص بين زعماء الحركة الاستقلالية فرد واحد يرغب في نقض الصداقات والقضاء على التقاليد القديمة بل يريد الجميع الاحتفاظ بها على أن لا تكون سبباً للانتقاص من الاستقلال الموعود.

وليس بين اللبنانيين من يريد مخاصمة أحد ومصادقة سواه وليس في لبنان من يقبل أن يستبدل سيداً بسيد أو انتداباً بانتداب بل يطالب الجميع بحياة مستقلة وأن يكونوا أسياداً غير تابعين، أحراراً في بلادهم، كرماء نحو ضيوفهم.

بقي هناك واجب على الآخرين نحو لبنان، فالاحتفاظ بالصداقات القديمة يجب أن يأتي عن طريق حسن التفاهم لا عن طريق الارغام والضغط.

ويتابع نعيم مقاله بتوجيه اللوم للسلطات الفرنسية بأعنف ما يكون فيقول:

ومن أولى واجبات الصديق الأقوى أن يعمد إلى اللين والحسنى في محاولة الاحتفاظ بصداقة صديقه لا أن يتذرع بما له من قوة في إرغامه على الإبقاء على الصداقة، فإذا عرضت لهما مشكلة كان الأسبق إلى التسامح في سبيل حلها، وإذا قامت بينهما مشادة، عمل على إزالة أسبابها ومحو آثارها.

فلا يكون البادئ بالشذوذ والعنف والتحدي ولا يحارب صديقه الضعيف في حريته فلا يصادر صحفه ولا يحاول خنق صوته ولا يسعى إلى إخماد أنفاسه، أجل، إذا أراد أصدقاء لبنان أن يحتفظوا بصداقة لبنان، وأن يظل لهم المقام الأول في قلوب اللبنانيين وأن تكون لهم المعادلة المفضلة في العلاقات الدولية مع هذا الشعب الحر، فعليهم ـ وهم أمة عريقة في الحرية والرقي ـ أن يكونوا البادئين في حسن التعامل وفي العمل على حسن التفاهم ودوافعه مع الابتعاد عن المساس بكرامة شعب حر قد لا يملك من معدات القوة غير الكرامة والعزة القومية، ولكن بهما يطمح أن يقال عنه سيداً في بلاده، وفياً لكل من لا يمتهن كرامته ويعتدي على حريته.

النبذة الخامسة ـ الطلب من الصحافة السورية عدم نشر التعديل الدستوري

وفي اليوم نفسه أوردت صحيفة «الاستفهام» تحت عنوان «ثقة بالنفس» ما يلي:

« في صباح اليوم التاريخي الذي عدل فيه مجلس النواب اللبناني بالإجماع بعض مواد الدستور اللبناني، احتلت عمارة مجاورة لدار المجلس فصيلة من الجند الأجانب في الوقت الذي كان فيه رجال الدرك والشرطة اللبنانيون يحافظون على النظام في ساحة النجمة وفي كل هدوء ورزانة.

وفي مساء اليوم نفسه توجهت فصائل من الجند إلى مكاتب ومطابع الجرائد العربية الحرة فمنعتها من الصدور منعاً لنشر موقف المجلس المشرف من الوصول إلى الجمهور ».

ويقول مغبغب علمنا من ناحية أخرى أن جهة من الجهات طلبت من صحافة سوريا أن لا تنشر الخبر السار في القطر الشقيق والكلمة في هذا لسوريا.

الفقرة الثالثة ـ «الاستفهام»: الصحافة العربية تناصر الاستقلال

النبذة الأولى ـ الصحافة المصرية والعراقية تناصر القضية اللبنانية[١]

مقابل التساؤل الذي رفعه نعيم للصحافة السورية، أورد خبراً مفاده بأن الجرائد المصرية تناصر القضية اللبنانية، وقد جاء فيه: ننشر فيما يلي ترجمة مقال نشرته جريدة « جورنال ديجيست » الصادرة في القاهرة يوم الاثنين ٨ الجاري والزميلة كما يعرف القراء من صحف مصر الحرة يحررها الأستاذ جلاد.

أخذت الأزمة اللبنانية تتخطى حدود بيروت ولبنان وإذا لم تحل بسرعة وبحكمة فإنها تصبح أزمة الشرق العربي بأسره. ففي القاهرة تأثرت لها جميع الأندية السياسية من مصرية وشرقية وعلقت الصحف العربية الكبرى عليها بعبارات شديدة وجعلت منها قضية تمس مصر والديموقراطيات الضامنة لاستقلال لبنان مساساً مباشراً.

والكتل السياسية في القاهرة أخذت توضع حكومة الحلفاء وجهة نظرها في الموضوع.

١ ـ جريدة « علامتي الاستفهام » السنة الأولى، العدد ١، الأربعاء في ١٠ تشرين الثاني، ١٩٤٣.

وتقول أنباء دمشق وبغداد أن النبأ أثار الرأي العام فيهما وأن الحكومتين تتابعان تطور الأزمة بانتباه دقيق وفي غمرة التطور الطارئ على الموقف العالمي، وفي الوقت الذي توضع فيه مبادئ مؤتمر موسكو وتجري محادثات الوحدة العربية، يظهر جلياً أن الخلاف الذي يطرأ على مبدأ استقلال بلد عربي لا بد أن يتخطى النطاق المحلي فيصبح مشكلة متصلة بالسياسة الدولية العامة. وعلى ذلك نأمل أن يقوم بين المسؤولين الفرنسيين واللبنانيين وسواهم تفاهم صريح وسريع يؤدي إلى حل مرض يكون منه ضمانة وتحقيق عملي للاستقلال اللبناني وذلك قبل أن يتحول الموقف إلى مأزق لا يمكن اجتيازه.

النبذة الثانية ـ «لبنان لن ينسى»

أوردت جريدة « الاستفهام » وبالتاريخ ذاته مقالاً شديد اللهجة تحت عنوان « لبنان لن ينسى » جاء فيه:

« لبنان لن ينسى أن ثلاثة من نوابه هم السادة أحمد الحسيني وأيوب ثابت ودير كالوستيان تخلفوا عنه في أشد ساعاته حرجاً فلم يحضروا جلسة تعديل الدستور والأمة التي أنابتهم عنها فرضاً ـ كانت تنتظر أن يقدروا الواجب المقدس حتى ولو أخطأوا فهمه وخالفوا رأيها فيه.

أما بعد أن قبعوا في بيوتهم كأنهم بمصير البلاد يستهترون ويستخفون أو كأنهم من الجهر بعقيدتهم أمام الأمة لا أمام الغير، يخالفون ويستحون ـ فلم يبق أمامهم إلا الاستقالة لأن الأمة تريد نوابها رجالاً ناطقين لا أصناماً صامتين.

« لبنان لن ينسى أن نائباً من نوابه هو السيد إميل إده رئيس الجمهورية الأسبق، طلب الكلام في المجلس فأفسح له المجال، غير أنه انسحب حرداً في حركة صبيانية، ولم يجسر على إبداء سبب انسحابه، ولا على الادلاء برأيه في الموضوع الخطير.

« لبنان لن ينسى أن نائباً من نوابه هو السيد أمين السعد ـ ابن البيت اللبناني العريق ـ دخل المجلس النيابي فلم يسمع صوته مرة واحدة، واقتصر دوره على رفع اصبعه مرة أو مرتين مقلداً إميل اده وانتهى دوره بأن أمسكه اده بيده وجره معه خارج

المجلس في جلسة التعديل. هذا أيضاً لم يقل شيئاً ولم يفعل شيئاً، فلم يعد يليق به غير الاستقالة، لأن الأمة تريد نوابها رجالاً تعرف كيف تستقيل، ولا تريدهم قطعاناً تُضل وأغناماً تُقتل».

وخلصت جريدة الاستفهام للقول بأن القائمة السوداء هي: أحمد الحسيني، أيوب ثابت، كالوستيان، أمين السعد، إميل اده.

النبذة الثالثة ـ تصعيد مواقف الحكومة

أصدرت الحكومة بلاغاً، تدعو فيه إلى عدم دفع الضرائب الزبانية في سراي البرج وتوابعها، كما أرسلت بلاغاً إلى الموظفين بوجوب الامتناع عن العمل في تلك الدوائر[١]. فبموجب البلاغ الذي اتخذته حكومة بشامون، إنه بموجب الدستور وبالاستناد إلى مقررات مجلس النواب المتخذة بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، التي تبلغتها الحكومة والتي تطلب بموجبها أن تبادر إلى «إعلام سائر المأمورين والموظفين أن يمتنعوا عن تأدية أعمالهم ومأموريتهم تحت ظل حكومة غير شرعية، وأن لا يطيعوا لها أمراً ولا يعترفوا بها وأن يكفوا عن العمل إلى أن تترك الحكومة الشرعية السلطة الفعلية»[٢].

النبذة الرابعة ـ تحذير أمين صندوق الخزينة من دفع أي مبلغ دون إذن مسبق

اتخذ رئيس مجلس الوزراء، وزير المالية، قراراً بتاريخ ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٣، قراراً يمنع بموجبه أمين صندوق الخزينة اللبنانية، «من الدفع من أموال الخزينة إلا بالاستناد إلى أمر تصدره الحكومة الشرعية هذه التي أمثلها، على أن كل دفع تجرونه بغير هذه الصورة يعرضكم للمسؤولية المدنية والمسؤولية الجزائية».

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، السنة الأولى، ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٤.
٢ ـ البلاغ، منشور في مؤلف، غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٥٦.

الفقرة الرابعة ـ مناصرة الدول العربية والدولية

في الاحتفالات التي أقيمت في مصر في بيت الأمة، وعلى ضريح المغفور له زعيم العرب الأكبر المرحوم سعد زغلول، أعلن النحاس باشا، رئيس الحكومة المصرية موقفاً مؤيداً لحكومة الاستقلال، ومما قاله: «لقد ضاق صدري من أعمال لجنة التحرر في لبنان، وإن لم تُرد للبنان كرامته، واستقلاله وحرية رجاله فسأطرد الفرنسيين من هذه البلاد وسأصادر أملاكهم».

كان لمواقف الأمير زيد، الوصي على عرش العراق، ولرئيس وزرائه، نوري باشا، مواقف مقدامة في دعم الحركة الاستقلالية في لبنان، فالعراق بأسره وحتى القبائل البدوية فيه تتجه لنصرة لبنان ورد كرامته إليه، والجيش العراقي لن يرضى عن هذه الحالة، ولن يبقى مكتوف اليدين.

النبذة الأولى ـ وسائل الإعلام العربية والدولية تشجب الاعتقال

سارعت محطات الراديو في جميع أنحاء العالم لتتحدث عن الإجراءات الفظيعة التي اتخذتها السلطات الفرنسية، من القدس إلى الناصرة إلى عمان إلى بغداد، من موسكو إلى لندن فوشنطن فسالونيك، وجميعها تستنكر ما أقدم عليه الفرنسيون. فجريدة «الديلي هرالد» الإنكليزية قالت بأن لجنة التحرير الفرنسية ارتكبت أكبر خيانة ضد الحلفاء، فعملت في البلاد العربية في نصف ساعة ما لم تعمله الدعايات الأنانية بخمس سنوات».

أما جريدة «المصري» لصاحبها محمود بك أبو الفخ، فأوردت: «مما لا جدال فيه أن الألمان كانوا ينفقون الأموال الطائلة للدعاية في البلاد العربية ضد الحلفاء. إن لجنة التحرير الفرنسية قد سبقت ألمانيا بفظائعها في لبنان، فهل نسي الفرنسيون أن العرب في جميع الأقطار يستنكرون فظائعهم في لبنان العربي، كذلك ندّدت الصحف التركية وجميع الصحف البريطانية، بتصرفات الفرنسيين[١].

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٥٧.

النبذة الثانية ـ الموقف السوري الرسمي

جاء الموقف السوري الرسمي الداعم لحكومة بشامون، متأخراً عن الموقف الشعبي هناك فاندفعت الصحافة السورية ضد الانتداب، لكنها كانت أقل عنفاً من صحافة بغداد والقاهرة، وقد عتب الرئيس رياض الصلح على مواقف الحاكمين في سوريا الذين دعوه إلى عدم التسرع.

النبذة الثالثة ـ برقيات شاجبة من الأردن وفلسطين

حصلت إضرابات في فلسطين وصدرت الاحتجاجات ضد السلطات الفرنسية تنفيذاً للقرارات التي اتخذت في الغرف التجارية المنعقد في القدس يوم الجمعة في ١٩ تشرين الثاني، دُعي المؤمنون لإقامة الصلوات في الجوامع عن أرواح الشهداء اللبنانيين كذلك، أطلق الزعيم الديني عبد الرحمن المهدي باشا، من السودان غير المستقل، صرخة احتجاج. وكذلك في اليمن، احتج ملكها الإمام يحي، وفي إمارة شرق الأردن، أرسلت مذكرات احتجاج رسمية إلى بريطانيا وفرنسا ولجنة التحرير الفرنسية[١]. كما أعلن رئيس حكومة شرق الأردن، أنه تلقى عدداً كبيراً من البرقيات تطالب التعاون مع السلطات اللبنانية لنيل الاستقلال[٢].

الفقرة الخامسة ـ مواقف السلطة الفرنسية ومؤيديها

عمدت السلطات الفرنسية تخفيفاً للاحتقان الحاصل في البلاد إلى الترويج، بأن فخامة رئيس الجمهورية، معتقل في فندق في شتورة، لكن الحقيقة أنه بقي طيلة فترة الاعتقال في راشيا مع دولة الرئيس والوزراء الباقون، ويحيط بهم نحو ثلاثمائة جندي أسود[٣]. أما في سويسرا، فقد نشرت صحفها الأنباء بعناوين بارزة كما نشرت رسالة الملك فاروق واجتماع النحاس باشا بحروفهما[٤].

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٥٨.
٢ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٣.
٣ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٣.
٤ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٣.

النبذة الأولى ـ الياس المدور

كان الياس المدور، أحد العملاء الفرنسيين يطوف العاصمة حاملاً المال الحرام، مال الفرنسيين المختلس من أموال الشعب اللبناني، داعياً الناس للكف عن الإضراب وفتح الأسواق، غير أنه قوبل في كل مكان بالنفور والاشمئزاز، فحزن من جهة وفرح من جهة أخرى والسبب في ذلك ملاحظته أن الشعب الآن غير الشعب في الماضي، فالعنعنات والأنانية الشخصية زالت جميعها أمام روح الاستقلال والحرية، ويعجب من ذلك، ولا حرج، فهو خائن لم يشعر بأن جسمه الثقيل يحتوي على روح وأخلاق. أما سبب فرحه فهو أنه احتفظ بالأموال التي ستنقلب عليه وبالاً في المدى القريب[١].

النبذة الثانية ـ ملاحقة جريدة النداء

كانت جريدة النداء أقرب الصحف من رياض الصلح، وكانت هذه الجريدة في العهد الاستقلالي معارضة، تم ملاحقتها وتعطيلها عدة مرات، وسجن مديرها محمد شقير، الذي كان قد رافق رياض الصلح في رحلته الأخيرة إلى الأردن (١٩٥٠) ومن ثم جرى اغتياله هو أيضاً في بيروت عام ١٩٨٧[٢].

النبذة الثالثة ـ مواقف السلطة الرادعة

رفضت السلطة المنتدبة رفضاً قاطعاً، الإقدام على تعديل الدستور، ولم تكتف بزج رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة والوزراء في قلعة راشيا، بل مارست شتى أنواع الضغط والقمع والإرهاب على المواطنين.

الفقرة السادسة ـ إضراب الصحافة[٣]

على أثر تعديل الدستور، منعت إدارة مراقبة الصحف في المندوبية الفرنسية الصحف من نشر جلسة التعديل التاريخية، وحذرت من أية إشارة ولو بصورة

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣.
٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٧٥.
٣ ـ جريدة علامتي الاستفهام، المرجع ذاته.

عرضية، وكانت المفوضية تلاحق كل جريدة تتحدث عن هذا الموضوع، فيتم مداهمتها من قبل رجال الأمن العام، الذين كانوا ينامون في بعضها الليل بكامله، رغم ذلك تمكنت جريدة «صدى الأنصار» من الصدور ونشر نص التعديل ووصف الجلسة، فأقفلت السلطة مطبعتها وطاردت صاحبها (حسن عيتاني) محاولة حبسه، مما حمل الصحف اللبنانية للتوافق فيما بينها على الاحتجاب، احتجاجاً على أعمال المفوضية الفرنسية، وبدأت الإضراب في ٢١ تشرين الثاني واستمرت به إلى أن عادت الأمور إلى حالها.

أما الصحف التي لم تضرب فكانت جريدة لاسيري La Syrie، صاحبها فرنسي، وهي الناطقة بلسان المفوضية الفرنسية وجريدة الأوريان الفرنسية وجريدتي البيرق والبشير، وبعد مهاجمة المتظاهرون جريدة الأوريان، محطمين أبوابها اضطرت للتوقف، أما البشير فقد استمرت مدة أيام الثورة بالرغم من مهاجمتها عدة مرات، وقد عمد الآباء اليسوعيون إلى إقفالها، بعد انتهاء الثورة، أما البيرق فقد صدرت في اليوم الثالث من أيام الثورة، وعادت إلى الاحتجاب في اليوم السابع بعد إلقاء القنابل على جريدة البشير.

النبذة الأولى ـ محاولات إغراء الصحف المحتجبة

حاولت السلطة إغراء الصحف المحتجبة، التي تزيد عن الأربعين بين يومية وأسبوعية في بيروت وحدها، واعدة بدفع لكل منها ٥٠٠٠ ليرة كدفعة أولى، لكنها لم تلق آذاناً صاغية.

النبذة الثانية ـ تحية جريدة «الاستفهام» للجرائد المحتجبة[١]

بعثت جريدة الاستفهام، بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣، تحية إلى الجرائد المحتجبة، تحت عنوان «حملة المشاعل في لبنان»، وقد جاء فيها: هم الزملاء أصحاب الجرائد الحرة ومحرروها، رجال النهار والديار والهدف والأنصار وبيروت والهدى.

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، المرجع ذاته.

هؤلاء جميعاً، حملة مشاعل الحرية، المجاهدون في سبيل الكرامة في هذا الوطن، وهم المعذبون أكثر من سواهم لأنهم يرون ويسمعون ويعرفون ويضطهدون.

فإليهم جميعاً نبعث تحيتنا ولهم وللبلاد نتمنى فرجاً قريباً.

النبذة الثالثة ـ مقاطعة الصحف العراقية والمصرية والفلسطينية

لم تكتف السلطات الفرنسية بملاحقة الصحف اللبنانية المحتجبة، إنما منعت الصحف العراقية والمصرية والفلسطينية من الدخول إلى لبنان.

النبذة الرابعة ـ توزيع «علامة استفهام» مزورة

عمدت السلطة الفرنسية إلى استصدار مجلة مزورة محل «الاستفهام» الأصلية، ليوقعوا الناس، فطبعت أعداداً كبيرة منها وأخذت توزعها مجاناً، لكن ما إن علم الناس بالأمر حتى مزقوها، ولاحقوا موزعيها، وكانت تهاجم الحركة الوطنية والانكليز ومجلات الإدارة المختصة، لاسيما، الهدى والشرق الأوسط ومصر والصحافة العربية والصحافة الإنكليزية[١].

النبذة الخامسة ـ نشرة باللغة الفرنسية

بغية إيصال المعلومات إلى أكبر شريحة من المجتمع اللبناني والأجنبي، أقدم عدد من الشبان إلى إصدار مجلة باللغة الفرنسية موضوعها الأساسي نشر أخبار ثورة الاستقلال.

النبذة السادسة ـ صدور علامة الاستفهام مع عبارة «ليسقط إميل اده»

رداً على إقدام السلطات الفرنسية بنشر علامة الاستفهام المزورة، زاد نعيم مغبغب، عبارة لن تجرؤ السلطات الفرنسية على اعتمادها، وهي «ليسقط إميل اده»، مما حال دون تزويرها.

١ ـ تم اعتقال جبران تويني صاحب جريدة النهار ثلاث مرات: عند مجيء لجنة الهدنة الألمانية إلى لبنان على أثر قيام حكومة فيشي، وعند دخول الجيش البريطاني، وأخيراً في تشرين الثاني ١٩٤٣، يوم اعتقل رئيس الجمهورية، أنظر جبران تويني، بعد ٢٥ سنة ١٩٧٣، ص ١٣٥.

النبذة السابعة ـ تفجير جريدة البشير[١]

ويروي زهير عسيران قصة تفجير جريدة البشير التابعة لليسوعيين والتي كان مسموحٌ لها بالصدور لأنها موالية للفرنسيين، وكانت تندد بموقف السلطات اللبنانية الشرعية، فقرر نعيم مغبغب دفعها بالقوة إلى التوقف عن العمل، بتفجير مكاتبها، دون المس بالعاملين فيها، فاختاروا لذلك وقتاً محدداً، وكون هذه الجريدة تقع في مكان مقابل لمنزل الشيخ خليل تقي الدين، أمين سر مجلس النواب آنذاك، ومن الموالين للحكومة الشرعية، فخافوا أن يوقع أي ضرر بعائلته، فاتصلوا بزوجته وأبلغوها بضرورة الذهاب إلى عند أهلها في رأس بيروت، ولما فرغ المنزل، فُجِّرت الجريدة وتوقفت عن الصدور. سمع الشيخ خليل بالخبر، فجزع جداً وأخذ يسأل عن عائلته، فأجابوه، إنها بخير موجودة عند أهلها في رأس بيروت، فسألهم ممن عرفتم هذا الخبر، ولما أخبروه الحقيقة اغرورقت عيناه بالدموع فرحاً.

النبذة الثامنة ـ مغبغب يتولى إسكات الصحف الموالية

يشير زهير عسيران بأن اسكات الصحف الموالية للفرنسيين، تولاها نعيم مغبغب وبعض أصدقائه بإلقاء المتفجرات عليها، لاسيما جريدة «البشير» التابعة لليسوعية والموالية لفرنسا.

الفقرة السابعة ـ المؤرخون المعاصرون يؤكدون ملكية نعيم مغبغب لجريدة «الاستفهام»

لا بد من لفت النظر إلى عدم ذكر هذه الصحيفة التي لعبت دوراً مقداماً في استقلال البلاد، فبعض المؤلفات عمدت إلى طمس هذه الجريدة، أو ناسبة ملكيتها إلى بعض المؤرخين، مما يخالف الواقع كونها، تعود إلى نعيم مغبغب، كما هو مذكور على صفحاتها. والمؤرخون المعاصرون لفترة الاستقلال، أشاروا إلى جريدة «الاستفهام» بأنها تعود إلى نعيم مغبغب.

---

١ ـ زهير عسيران، المرجع ذاته.

النبذة الأولى ـ د. يوسف مزهر[١]

تطرق الدكتور يوسف مزهر، في مؤلفه «تاريخ لبنان العام» الذي وضعه عام ١٩٥٢، إلى جريدة الاستفهام بالقول: «أقدم المحامي الأستاذ نعيم مغبغب، قبيل تعديل الدستور لإصدار جريدة «الاقدام» وأصدر يوم التعديل عدداً شديد اللهجة، وكاشف وزير الداخلية كميل شمعون، بميله إلى نشر هذا المقال بدون مراقبة، وطلب إليه الوزير أن يمتنع لئلا يزيد الأمور تعقيداً، وقد تم التوافق على وضع علامة الاستفهام محل اسم الجريدة، وباتت الجريدة لسان حال الثورة».

وأضاف قائلاً: «ظهرت عقبات كثيرة وشاقة لإصدارها في الصنع والتوزيع، وتم طباعة العدد الأول في مطبعة المعرض فعرفت بها السلطة، فأغلقت هذه المطبعة، وأخذت عملية الطبع تنتقل من مطبعة إلى أخرى في بيروت والجبل والسلطة تلاحقها، فلجأت إلى المطابع الصغيرة وتقلص قياسها حتى أصبح طولها لا يتجاوز ٣٥ سنتمتراً وعرضها ٢٥ سنتمتراً.

كان الناس يتهافتون للإطلاع عليها كونها تنشر أخبار الحكومة الشرعية في بشامون وقراراتها، وأخبار المعتقلين في راشيا، وكيفية تطور الأزمة العسكرية والسياسية يوماً بعد يوم، والأصداء التي كانت تبث في الدول العربية والأوروبية وكانت تطلق الإرشادات والتوجيهات الواجب اتباعها».

واستطرد بالقول، لم تتجاوز الكمية التي كانت تطبع فيها الأربعة آلاف، بسبب غلاء الورق وقلته وتعذر الحصول عليه، لذا كان التوجه فيها، بأن من يقرأها يعطيها لغيره، لكي يتسنى لأكبر عدد من المؤمنين بالقضية الاطلاع على ما يجري، وكان يتم تسديد تكاليف الطبع بالتبرعات بواسطة لجان السيدات والمؤتمر الوطني، وكان العدد الواحد يكلف أحياناً خمسماية ليرة، وقد بيعت في اليومين الأولين بليرة لبنانية واحدة، ثم وزعت فيما بعد مجاناً».

---

١ ـ يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، ١٩٥٢.

النبذة الثانية ـ منير تقي الدين

يقول منير تقي الدين في مؤلفه، «في سبيل الاستقلال» صفحة ٧٦: «وأصدر الشباب الوطني في أيام الثورة جريدة لعلها أول جريدة في تاريخ الصحافة صدرت بدون اسم، فقد توِّجت هذه الجريدة بعلامتي استفهام فأصبح اسمها علامة «الاستفهام»، كما أنها لم تحمل أي اسم يدل على من يصدرها أو ينشرها. ورد في هذه الجريدة أن الصحفي نعيم مغبغب أصدر قبل تعديل الدستور جريدته «الاقدام» وحرر يوم تعديل الدستور عدداً شديد اللهجة، وكاشف وزير الداخلية بأنه يريد إصداره بدون مراقبة، فطلب إليه كميل شمعون الامتناع لئلا يزيد الأمور تعقيداً، وكان في هذا العدد ضرر له علاقة بالجيش. حذره أحد أصدقائه من ملاحقة السلطة العسكرية له، ونصحه أن يصدر الجريدة بدون اسم إذا كان يصر على إصدارها، فراقته الفكرة ووضع علامة استفهام على الجريدة».

النبذة الثالثة ـ زهير عسيران[1]

أما زهير عسيران فأشار بوضوح إلى صاحب الجريدة، أما غيره فنقلوا ما يحلو لهم، وسلطوا الضوء على الجريدة، دون الإشارة إلى هوية مؤسسها أي نعيم مغبغب. وبالرغم مّما ذكره مزهر وغسان تويني ومنير تقي الدين، ومن سرد نعيم مغبغب نفسه قصة هذه الجريدة عام ١٩٤٥، ومن ذكر اسم نعيم مغبغب، كصاحب لها والمسؤول عنها، والتي تحولت إلى «علامة استفهام» لا يزال بعض المؤرخين والكتاب يغضون الطرف عن مؤسسها.

الفقرة الثامنة ـ أصداء الثورة عالمياً

بعد اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء، أخذت إذاعات العالم تستنكر الإجراءات التي أقدمت عليها لجنة التحرر الوطني الفرنسي، وأخذت الحكومات والأمم المتحدة تنذر الفرنسيين بسوء العاقبة ما لم يعيدوا الأمور إلى مجراها. وأول إنذار

١ ـ زهير عسيران يتذكر، ١٩٩٦، ص ٦٠.

أرسله الجنرال إدوارد سبيرز مفوض بريطانيا في لبنان، إلى المفوض السامي المسيو هللو، وهذه ترجمته:

يا صاحب السعادة

«إن وزير الدولة الذي اتصلت به تلفونياً يأمرني بأن أفيدكم، أنه تلقى بمزيد من القلق والاستنكار الإجراءات التي اتخذتها السلطات الفرنسية في الساعات الأولى من هذا الصباح ومن بينها اعتقال رئيس الجمهورية المنتخب دستورياً واعتقال معظم أعضاء الحكومة اللبنانية وإقفال البرلمان بالقوة بواسطة الجنود السود».

ركزت الصحافة العالمية على التصرف الفرنسي العام الذي يناقض مبادئ الديموقراطية، وحقوق الشعوب والإنسان، التي كان الحلفاء يخوضون الحرب باسمها ضد النازية والفاشية، فالتصرفات الفرنسية ضد المسؤولين اللبنانيين أشبه بالتصرفات النازية، وكان من العسير نشر صور المظاهرات في الخارج دعماً للبنان، ولم يستطع اللبنانيون آنذاك ملاحقة ما نشرته الصحافة العالمية في صفحاتها، فتصدرت المظاهرات تلك الجرائد، ومنها أضخم تظاهرة في القاهرة أمام مفوضية «فرنسا الحرة» لدعم استقلال لبنان. فالسلطات الفرنسية كانت تعمل جهدها لفرض التعتيم الإعلامي وعدم نشر ما يحصل في الخارج.

الفرع الثاني ـ مضمون جريدة «الاستفهام»

بلغ عدد صفحات الجريدة الاثنان في أول انطلاقتها، ثم رفع إلى أربعٍ من القياس الكبير.

حدد ثمن العدد ٥ غروش لبنانية، وإن حصل اشتراك داخل لبنان أو خارجه.

اعتمدت على النبأ والصورة فكان لذلك تأثير كبير في تهافت القراء عليها، مما أعطاها زخماً تُحسد عليه.

الفقرة الأولى ـ العناوين والمواضيع الأساسية

تنوعت وتعددت المواضيع التي تناولتها، تبعاً للأخبار المنوي تغطيتها، ومعظمها سياسية واقتصادية، داخلية ودولية، أمنية وحربية وتعليقات على الأحداث الحاصلة،

بلغة سهلة متينة، بالإضافة إلى الصور الهزلية والعناوين المشوقة، والإعلانات التي تقدمها واضعة بتصرف القارئ، باقة من المعلومات العامة المتنوعة، وفيما يلي بعض الأمثلة على تلك العناوين الملفتة، ويكفي قراءتها حتى تتعايش مع أجواء تلك الفترة بمعظم تفاصيلها:

في معرض ثورة تعديل الدستور، اتخذت الجريدة العناوين التالية:

- «الحق أعلى وأكبر» «نواب الأمة لا يستأذنون أحداً في ممارسة حقوقهم». «تعديل الدستور بالإجماع وتعزيز الكرامة الوطنية». لبنان لن ينسى القائمة السوداء أحمد الحسيني، أيوب تابت، دركالوسيان، ابن السعد وإميل اده. حملة المشاعل في لبنان أصحاب الجرائد وهم رجال النهار والهدف والأنصار وبيروت والهدى. صراحة وأهمية. مظاهر الاستقلال والسيادة القومية، النشيد الوطني اللبناني يعزف في بدء ونهاية الحفلات. حرب الصور. أعصاب أم آداب؟ الأجانب يلبون دعوة الوزارة والمجلس لحفلة الهدنة، رئيس الجمهورية يقاطع الحفلة. اللبنانيون والحرب، أعلام الحرب تظلل أولادنا في جميع الميادين. الوطن الغالي في خطر. أسد علي... أم لعلهم نسوا؟ يوم مشهود - زعيم الحرامية - تحطيم صور زعيم الأحرار - إحراق سيارات - حول البرلمان - معاملة الأصدقاء - في منازل أبطال الاستقلال - في قصر الرئاسة - اعتداء شنيع - تأديب خائن. بطولة الافرنسيين في جبهة أصدقائهم؟ (لا اعتداء على الكتائب من قبل الافرنسيين). مقررات خطيرة للحكومة الشرعية. لجان المقاومة. لبيك يا لبنان. لبيك يا بشارة. لبيك يا رياض. اللياقة بنظرهم هي أن يصوبوا رصاصهم - مقر الحكومة - وزير الدولة المستر كاييس في بيروت - قال مراسلنا في صيدا - فشل إثر فشل - المال - الشيخ بشارة في راشيا - مظاهرات نهار الاثنين في بيروت. فداء لبنان الحر - راديو الأكاذيب، كيف يعيش الخائن اده، الثور المدور «أسباب، حزنه وفرحه» - مظاهرات السيدات - تحية المؤتمر الوطني «للشيخ بيار الجميل» - ١٢٠ ضحية. خطاب غبطة البطريرك - كاترو في بكركي - هذه هي الحقيقة - نهاية وبداية. المؤتمر الوطني اللبناني العام - الأمة تعبئ قواها كلها لمقاومة العدوان. الجمهورية اللبنانية وزارة الدفاع الوطني بلاغ رقم ١. أعراضكم واستفيقوا... أيها اللبنانيون الأباة. القتلى

والجرحى في عاصمة الجنوب - أبطال جبل عامل يحتلون سراي مرجعيون. في سجل الإباء والشرف كيف استشهد سعيد فخر الدين. معركة دموية يسقط فيها القتلى من الأعداء. الإضراب مستمر. كيف استقبل الجنرالية بشوارع بيروت. ليسقط الخائن - إميل اده - كولسيلنغ لبنان. الإضراب شامل لن ينتهي في لبنان إلا بعودة الحكام إلى السراي وتحقيق الاستقلال الفعلي. كاترو عند المفتي. الأحمر القاني يحرر موطني - ما هو الاحتجاج وما هو الإضراب - القتلى والجرحى يتساقطون بالعشرات بأيدي العبيد (السود). لماذا يجب أن يستمر الإضراب؟ لا نريد الانتداب ولا نريد المعاهدات إنما نريد استقلالاً مكفولاً بضمان الدول المتحالفة. صدامات جديدة. عقيلة فخامة الرئيس بشارة الخوري تزور المجاهدين في بشامون. الخائن إميل اده يطلب الجنسية الفرنسية. حفلة تسلم العلم اللبناني الجديد. فرنسا - آل كابوني - باشا سقا؟ الدسائس بين الأرمن. الأرمن وموقفهم المشكور من القضية. دقت الأجراس! مقررات جديدة خطيرة يتخذها نواب الأمة. اجتماع مؤتمر عام في دار المطرانية الأرثوذكسية في بيروت. وتذكير من سيدات صيدا في بيروت. لا تصدقوا الأكاذيب والشائعات.

- الجنرال كاترو يصل اليوم إلى بيروت، البطريرك الماروني لا يرضى عن فرنسا بديلاً، اللجنة الفرنسية تقول كلمتها لإزالة سوء التفاهم، وثائق خطيرة تتعلق بسوريا ولبنان، ما تقوله رويترز والإذاعات التي يبثها البريطانيون، بين موقفين: رصانة وتبجح، البطريرك ينادي بفرنسا دون سواها، لا نرضى عن فرنسا بديلاً للبنان، الجنرال لا تلاد يدحض الأراجيف (مؤتمر صحفي في مصر).

أفردت المجلة موضعاً خاصاً لتغطية أحداث الاستقلال وأصدائه في الخارج، لكي يطلع المواطن على ما يجري خارج لبنان من ردات فعل دولية، ومما جاء فيها:

١ - شعور الشام مع لبنان

٢ - أحرارُ المهجر، الجالية العربية تكرم السوريين في واشنطن

٣ - الجرائد المصرية تناصر القضية الوطنية

٤ - الوفد الملكي المصري وموعد وصوله، البلاد حكومة وشعباً يستقبلوه بحفاوة.

٥ ـ انكلترا وأميركا لا تعترفان إلا بالحكومة الشرعية

٦ ـ السخط على المعتدين في العالم العربي وفي العراق

٧ ـ بريطانيا وأميركا والمعتدون ولبنان، بيلاطس البنطي واليهود والمسيح؟

٨ ـ الوفد المصري يلغي زيارته، تأجيل حفلات التهنئة إلى حين رجوع الحكومة الشرعية.

٩ ـ موقف الجارة سوريا من الأزمة اللبنانية، خطاب معالي جميل مردم بك وزير خارجية سوريا حضرة الخطيب الكبير يحلل القضية اللبنانية تحليلاً دقيقاً من الوجهة السياسية الدولية.

١٠ ـ سوريا تتحدى

١١ ـ الاكتئاب في الاسكندرية

١٢ ـ إلى الملك فاروق

١٣ ـ مذكرة كورول هل «مفوض الشؤون الخارجية في الولايات المتحدة الأميركية، بعث إلى لجنة التحرير الافرنسية بالجزائر، مذكرة يحتج فيها عما يجري في لبنان ويطالب بمعالجة الوضع سريعاً».

١٤ ـ وزير مصر بواشنطن «يطالب بمعالجة الأزمة في لبنان»

١٥ ـ تركت مجلة «الاستفهام» فسحة واسعة لنشر الأخبار عن النواحي المعيشية والاقتصادية في الوطن، خاصة في أيام الثورة والحرب ضد الفرنسيين، فكانت تنشر كل الأخبار العائدة للإعاشة.

١٦ ـ عين الكولونيل سليمان نوفل لوظيفة قائداً أعلى لقوى الأمن، وضع السيد عز الدين المصري بتصرف حضرة رئيس مجلس الوزراء، عين الكولونيل نور الدين الرفاعي قائداًلفرقة الشرطة في الدرك اللبناني، فصل بموجب أمر خدمة من هذه الوظيفة إلى منصب قيادة الشرطة، إعادة فوزي الطرابلسي إلى الخدمة وترقيته إلى رتبة ليوتنان كولونيل، وقد أسندت إليه وظيفة مفتشية الشرطة والدرك في عموم لبنان.

١٧ ـ ورد في جريدة «الاستفهام»: أصدر رئيس الجمهورية مرسوماً تحت عدد ١١٣ يتضمن ٣٦ مادة ينظم وزارة الداخلية، ومما جاء فيه أن وزارة الداخلية وضعت تحت أمرة الوزير ويعاونه في العمل مدير وقائد أعلى لقوى الأمن الداخلي. وتتألف دوائر الإدارة المركزية من التفتيش ودائرة الإحصاء ودائرة المطبوعات ودوائر الأمن الداخلي[1].

وجاء في المادة الثالثة والعشرون: إنشاء مدرسة وحيدة لتدريب سلك المجندين وتمرينهم مع موظفي الأمن الداخلي.

تعطى دروس فنية في الاستطلاع والاستكشاف الجنائيين لأصحاب الرتب في الدرك والشرطة وسيقرر فيما بعد برنامج هذه الدروس.

إن ملاك موظفي دوائر وزارة الداخلية مقرر وفقاً للملحق المربوط.

لا يقبل طالب وظيفة رئيس دائرة في ملاك موظفي وزارة الداخلية ما لم يكن حاملاً شهادة العلوم الثانوية البكالوريوس القسمين الأول والثاني.

المادة السادسة والعشرون ألغت جميع الأحكام السابقة لهذا المرسوم.

١٨ ـ حرصت جريدة «الاستفهام» على تغطية الأخبار العالمية، بكل دقائقها، الحربية والسياسية والاجتماعية، فلم تكن منبراً لسماع صوت حكومة الإستقلال وحسب، إنما كانت تجهد لإعطاء الأخبار العالمية بكامل تفاصيلها، وكانت تغطي ما يحصل في العالم مثلاً:

- خسائر المحور في البحر المتوسط
- اشتداد المقاومة الوطنية في البانيا
- طائرة تهاجم تورينو
- في عيد الهدنة نتمنى وداعهم قريباً

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، المرجع ذاته.

الفقرة الثانية ـ الإعلانات

أفردت جريدة «الاستفهام» مكاناً للإعلانات من كل الأصناف، ولم تتوقف أمام تغطية الأحداث السياسية الداخلية والخارجية وحسب.

١ ـ جوازات ـ عبده أبو جودة: تسهيل أمر سفركم بالطائرة لكافة أنحاء العالم.

٢ ـ اكراماً لعيد الأضحى المبارك سينما أوبرا تقدم ابتداء من الاثنين ١٢ فيلماً.

٣ ـ بمناسبة عيد الأضحى المبارك يُعرض في سينما روكسي، ابتداء من الاثنين في ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٥، الفيلم «ليلى بنت الفقراء» تمثيل أنور وجدي وليلى مراد.

٤ ـ الكلية الوطنية ـ الشويفات (للطلاب)

٥ ـ محلات رمضان (للحلويات)

٦ ـ فؤاد عياش: إن خبرتنا الواسعة في تصليح الساعات، اكسبتنا شهرة عظيمة.

في ذكرى الاعتداء، أي بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٤٥ تلخصت العناوين كما يلي:

١ ـ ذكرى الاعتداء على لبنان سنة ١٩٤٣

٢ ـ صور عن المظاهرات، صور لرجال الحرس الوطني، صورة قنصل تركيا يناصر المتظاهرين، صورة الرئيس بشارة الخوري يفتتح أشغال بولفار بعلبك ـ صورة فرقة الموسيقى العسكرية في زحلة، أمام فخامة الرئيس بشارة الخوري. صورة لنعيم مغبغب متوسطاً المجاهدين في بشامون ـ صورة الأمير مجيد والعلم الوطني.

٣ ـ ذكريات ومشاهد الثورة التي أشعلت العالم وبعثت نهضة البلاد ووحدت أبناءها.

٤ ـ مقال: من مجنون إلى مجنون (ذكرى ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣).

٥ ـ مقال: ذكرى القنبلة الأولى ـ الساعة ١١ يوم ١١ شهر ١١ (عندما كان نعيم يلاحق الافرنسيين بالقنابل)

٦ ـ بين زعيمين في عامين (مقال)

الفقرة الثالثة ـ تغطية ذكرى الاستقلال في ٢٣آب ١٩٤٥

الخميس ٢٣ آب سنة ١٩٤٥ ـ ثمن العدد ١٥ غرشاً لبنانياً

بعد إطلاق سراح نعيم مغبغب من الاعتقال القسري ورد في جريدة «الاستفهام»:

١ ـ بعد أن قيدوك عاماً «عدت إلى جهادك حراً».

٢ ـ كلمة اليوم ـ القوات البريطانية والفرنسية يجب أن تخلو في وقت واحد.

٣ ـ العرب لن ينقلوا من فلسطين، ليزرع مكانهم صهيونيو العالم.

٤ ـ كرامي يرفض تشكيل الوزارة، فخامة الرئيس يجتمع بدولة سامي بك الصلح، الاستشارات مستمرة والموقف ينجلي بعد غد.

٥ ـ نداء عام إلى العالم العربي: فلسطين يجب إحياؤها دولة عربية مستقلة.

٦ ـ آخر التفاصيل الوزارية: ستون نائباً يعارضون الحكومة ويؤيدون رئيسها.

٧ ـ آخر ساعة: سامي بك الصلح يؤلف الوزارة.

٨ ـ حزب جديد: «حزب الاستقلال».

٩ ـ من أخبار سوريا: الخوري يشكل الحكومة الجديدة.

١٠ ـ الرجل العادي والسياسة (مقال).

١١ ـ إعلانات «أخذت تزايد نذارتها».

ـ عبد الوهاب على مائدة الأخطل

ـ وزير إيراني يقيم حفلة في عاليه

ـ مكتب اللواء العربي. بإدارة حازم وخراط. في طرابلس «لبنان الحالي» على استعداد لقبول تعهد وبيع الصحف والمجلات.

ـ جريدة «العاصي» يصدرها في حماه الدكتور منير أسود والمحامي عبد الرحمن عياش والصحفي اللبق محمد الحافظ، لتكون الجريدة الأولى في التعبير عن آمالها ورغباتها مستهدفة العزة والكرامة الوطنية.

ـ مطابع دار المعرض

ـ وجبة الطعام بـ ١٧٥ غ.ل. لقاء الحصول على دفتر بونات مؤلف من ٢٥ وجبة (بوردو) أول طريق النهر ـ شارع غورو

ـ حلويات رمضان الممتازة ـ ساحة الشهداء بجانب مدخل سينما روكسي، خدمة اتقان وأمانة.

ـ مطبعة ومعامل كرتون الجميل، تجاه المطبعة الكاثوليكية تلفون ٣٢ ـ الدورة.

الفقرة الرابعة ـ عناوين «المعارك في العالم»

في تلك الأيام حددت خريطة العالم

١ ـ استسلام اليابان

٢ ـ تقدم جيوش الاتحاد السوفياتي

٣ ـ الوفد الياباني يغادر مانيلا لطوكيو، ماك آرثر يتوجه إلى اليابان على رأس قواته المسلحة لتوقيع وثيقة الاستسلام وإصدار أمره للمقر الأمبراطوري للتسليم.

٤ ـ عاصمة منشوريا ـ موكدى جاء في البلاغ السوفياتي الصادر هذا اليوم عن المعارك العسكرية الدائرة في الشرق الأقصى إن الجيش واصل في ٣٠ آب تقدمه المستمر في جميع الأنحاء فاستولت جيوش الجبهة الأولى في الشرق الأقصى وفي جنوبي جزيرة سخالين واستولت الجيوش السوفياتية في جهة بيكالي على موكدى عاصمة منشوريا، وعلى مدينة تشاشون.

الفقرة الخامسة ـ ساراي يحاول إقناع الفرنسيين بتأييد بشارة الخوري

لم يتوقف الخلاف حول انتهاء الانتداب أو عدمه، إنما من غريب التناقضات إقدام ساراي على محاولة إقناع الفرنسيين بتأييد بشارة الخوري، مسايرة للتيار الاستقلالي، واستيعابه، فلم يأخذوا باقتراحه، لقد كانت سياسة فرنسا تتنازعها اتجاهات متضاربة[١].

الفقرة السادسة ـ تحذيرات القيادة العسكرية العليا

أصدرت القيادة العسكرية العليا في الشرق الأوسط، أمرها إلى كافة وحداتها بألا تقترب من المكان الذي تقيم فيه الحكومة اللبنانية الشرعية، أو أن تحاول مساسه، وكل مخالف لهذه الأوامر يعتبر عاصياً[٢]. من الملفت أن الحلفاء بعد انتصارهم على النازيين أخذوا يبشرون بالحرية والديموقراطية والاستقلال، لكن في معظمها بقيت شعارات وكانوا يعتبرون بأن الشيوعيين وقفوا حاجزاً دون تنفيذها.

"Liberal, parlemantary, democracy, the democracy for which Europe strove throughout the 19th century is still a leading concept in the world"[٣]

الفقرة السابعة ـ وزير الدولة البريطاني يصل إلى بيروت

وصل بعد ظهر الأحد سعادة وزير الدولة البريطاني، المستر كايسي إلى بيروت حاملاً معه التعليمات للسفير الجنرال سبيرز بما خص حوادث لبنان، وقد صرح أن العلاقات ستبقى مستمرة بين القادة البريطانيون والفرنسيون وأنه يجب عودة الكرامة إلى لبنان برجوع أركان الحكومة وإعادة استقلاله إليه، وإطلاق المسجونين[٤].

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٦٧.
٢ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٣.
٣ ـ DENIS RICHARDS, MODERN EUROPE 1789 - 1945, P. 345.
٤ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٣.

الفقرة الثامنة ـ راديو الشرق يلفق الأكاذيب

كان راديو الشرق مؤيداً للسلطة الفرنسية، فانبرت علامة الاستفهام لاتهامه بالخداع والكذب، لأنه كان بين حين وآخر يذيع بأنه لم يقع ضحايا بين السكان أثناء المظاهرات الخميس والجمعة، وأن الحالة في بيروت هادئة وأنه لا أثر للدبابات في أحياء المدينة. أوردت الاستفهام أننا لا نرى حاجة للرد على هذه الادعاءات الباطلة فالكل يعلم ماذا حدث وماذا يحدث في أحياء بيروت يومياً، أما الشهداء الأبرار والضحايا والأبطال الذين سقطوا برصاص الجنود الفرنسيين والسنغاليين في شوارع ويغان والمعرض والبسطة وأمام مقر بعثة سبيرز، وليسأل آل البابا والمخزومي والناطور وسوبره ومبيض والدايخ، والغندور ورسلان والعيتاني والجزائري وعضاضة وعشرات من العائلات الأخرى...[1]

الفقرة التاسعة ـ حكومة من المديرين

اتخذ اده موقفاً جديداً قضى بتغيير شكل الحكم في لبنان، بحيث تؤلف الحكومة من مديرين وبعض كبار الموظفين، عوض رجال سياسة، وعليه أبلغ اده بعض المديرين أمر تعيينهم أعضاء في الحكومة فرفض البعض حتى مقابلته، أمثال جوزيف شمعون مدير المعارف العامة، وأشرف الأحدب، مدير الأشغال العامة وأندريه تويني مدير التموين، وراشد طبارة مدير التجارة والصناعة، وحليم نجار مدير الزراعة. هددهم اده بالعزل فلم يأبهوا لتهديده. وبالرغم من الرفض نشر إده مرسوم تعيين المديرين الخمسة أعضاء في الحكومة، وأعلنه بواسطة راديو الشرق في بيروت، مما اضطرهم إلى تكذيبه على ألسنة الناس، وأرسلوا رسالة يؤكدون دعم حكومة بشامون.

الفقرة العاشرة ـ حكومة بشامون تعلن حكومة المديرين غير شرعية

على أثر ذلك أصدرت حكومة بشامون بلاغاً إلى عموم مأموري وموظفي الجمهورية اللبنانية بتاريخ ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٣، أعلنت بموجبه «أن حكومة

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣.

السيد إميل اده هي حكومة غير شرعية لأنها غير منبثقة عن الأمة وعينت بطريقة مخالفة للدستور».

«والسلطة الشرعية الوحيدة هي مجلس الوزراء الذي يقوم مقام رئاسة الجمهورية بحسب الدستور عندما يتعذر على الرئيس ممارسة سلطاته»[1].

الفقرة الحادية عشرة ـ المعركة الإعلامية قادها كمراسل صحافي للصحافة الأميركية والأجنبية

لم يتوقف مغبغب في معركته الإعلامية[2] على جريدته «علامة الاستفهام» إنما كان يكمل معركته الإعلامية كمراسل حربيٍّ للصحف الأميركية والأجنبية، إلى جانب سمير سوقي الذي كان مراسل وكالة «يونايتد برس» ويقول غسان تويني بأنه يعود إليه الفضل في نقل أنباء بشامون وبيروت إلى الصحافة الأميركية والأجنبية كما أشرنا.

١ ـ البلاغ، منشور في مؤلف غسان تويني، المار ذكره، ص ٥٦.
٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته.

الفصل الثالث
مغبغب يقود المعركة الميدانية
بمعاونة منير تقي الدين وأديب البعيني

الفرع الأول ـ مغبغب يرأس الحرس الوطني في بشامون[1]

كان لزاماً على الحكومة المؤقتة، التواري عن أنظار السلطة المنتدبة كونها وحدها تحمل شرعية تمثيل الشعب اللبناني. لجأت في ١٢ تشرين الثاني إلى المفوضية العراقية في بيروت، لكن بعد تبادل الرأي مع الوزير المفوض العراقي، السيد تحسين قادري، تم التوافق على اختيار مقر آخر، خشية عدم احترام الفرنسيين لحرمة المفوضية.

أخذت الحكومة المؤقتة، تفتش عن مكان آمن يمكن اللجوء إليه بعيداً عن الفرنسيين، فاقترح صبري حمادة وأصر على اعتماد الهرمل، فهناك العشائر، حيث لا يمكن لأي إنسان مهما علت مرتبته، الدخول إليها عنوة، فيكونوا بسلام وأمان؛ لكن افتراضه لم يلق القبول كون المنطقة بعيدة جداً عن العاصمة، ولا يجوز الابتعاد بهذا المقدار لمتابعة كل التحركات، وليبقى التواصل قائماً مع المتظاهرين والمعتصمين في العاصمة، ومع المراسلين والسفارات الأجنبية[2].

---

١ ـ منير تقي الدين، ولادة الاستقلال، ١٩٩٧، ص ١٠٢ و١١٣ وما يليها.

٢ ـ منير تقي الدين، المرجع ذاته، ص ٩٨.

الفقرة الأولى ـ مجيد أرسلان يستضيف حكومة الاستقلال في بشامون

تشدد الفرنسيون في ملاحقة الوزيرين أبو شهلا وأرسلان، اللذين توجها إلى السفارة البريطانية لمقابلة سبيرس، الذي أبلغهما دعم حكومته، وعرض عليهما مغادرة البلاد، إلى القاهرة، فشكره أبو شهلا وأكد له أنهما مصممان على المقاومة على الأرض اللبنانية بغدها توجها إلى السفارة المصرية ومنها إلى المفوضية العراقية.

كان القرار بضرورة الخروج من بيروت بأي ثمن، فإذا بالاختيارات تتوالى، منها الذهاب إلى الباروك عن طريق بحمدون، حيث كان الأمير مجيد قد أعلن الثورة عام ١٩٣٧، أو التوجه إلى بيت الدين، لكن هذه المحلة بعيدة نوعاً ما عن بيروت، وإذا بالاختيار يقع على قرية بشامون، وكان اختيارها صدفة، ففي الطريق إلى صحراء الشويفات، توقف الأمير مجيد وترجل مع حبيب أبو شهلا وصبري حمادة وخليل تقي الدين للتشاور، والبت في الجهة الواجب اعتمادها وفجأة رأى أرسلان مخفراً لرجال الدرك، فشعر أنهم في خطر، لذا تابعوا طريقهم إلى قرية عين عنوب ثم وصلوا إلى طريق ضيقة وبدا لهم بعد ذلك المفرق الذي يقود إلى بشامون، فكانت هذه القرية صدفة، ونزل الأمير مجيد عند أحد محازبيه حسين الحلبي حيث تم استضافة حكومة الاستقلال[١].

الفقرة الثانية ـ توزيع السلطات[٢]

في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ اجتمع مجلس الوزراء برئاسة نائب الرئيس، وأصدر المرسوم التالي:

١ ـ أسباب اختيار بشامون، أنظر، منير تقي الدين، المرجع السابق، ص ١٠٣. وقد وصل إلى بشامون أيضاً عادل حمدان وهو مدعي عام سابق كلف شحن الذخيرة، والكولونيل فوزي طرابلسي على الرغم من المخاطر التي أحاقت به، وجو ثابت وميشال نادر، بالإضافة إلى عدد من سيدات المجتمع في بيروت لتأمين الطعام للمتطوعين، أنظر كميل شمعون، مذكراتي، ص ٣٠.

٢ ـ أوردت جريدة «علامتي الاستفهام» العدد ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، تحت عنوان «قرار الوزراء والنواب» إنه صدر مرسوم بتسلم الأستاذ أبي شهلا صلاحيات رئاسة الجمهورية طبقاً للدستور، وتولى مع الأمير باقي الوزارات.

ـ بناء على الدستور اللبناني الصادر في ٢٢ أيار ١٩٢٦ المعدل بموجب القانون الدستوري الصادر في ٩ كانون الثاني ١٩٤٣.

ـ وبناء على التدابير التي اتخذها المندوب العام الفرنسي، والمتضمنة تعطيل الدستور وحل المجلس النيابي وتعيين حكومة مؤقتة.

ـ ولما كانت هذه التدابير صادرة عن سلطات غير صالحة ومغايرة لاستقلال لبنان والدستور وبالتالي غير مشروعة.

ـ ولما كان فخامة الشيخ بشارة الخوري هو الرئيس الشرعي للبلاد وكانت هذه الصفة لا تزال ملازمة له وفاقاً لأحكام الدستور.

ـ ولما كانت الحكومة القائمة هي الحكومة الدستورية الشرعية، وكان المجلس النيابي لا يزال قائماً باعتباره السلطة التشريعية الدستورية.

ـ وبناء على إقدام السلطات الفرنسية على اعتقال فخامة رئيس الجمهورية بالقوة والعنف، ولما كان يتعذر عليه مباشرة سلطته الدستورية.

ـ ولما كان الدستور اللبناني ينص على أن مجلس الوزراء يمارس في هذه الحالة سلطة رئيس الجمهورية.

ـ ولما كانت السلطة الفرنسية قد اعتقلت من جهة ثانية، رئيس مجلس الوزراء ووزراء الخارجية والداخلية والتموين وبذلك أصبح من الواجب تأمين المصلحة بتحمل التبعات بدلاً عنهم.

يرسم ما يلي:

المادة الأولى: يمارس مجلس الوزراء مؤقتاً الصلاحيات المعطاة لرئيس الجمهورية وفقاً لأحكام الدستور،

المادة الثانية: يقوم مؤقتاً نائب رئيس مجلس الوزراء مقام رئيس مجلس الوزراء ويكلف مؤقتاً بوزارات المالية والخارجية،

المادة الثالثة: يكلف وزير الدفاع والزراعة والصحة مؤقتاً، بوزارة الداخلية والتموين والتجارة والنافعة والبريد،

المادة الرابعة: يعتبر هذا المرسوم نافذاً من تاريخ توقيعه في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣.[١]

وزير الزراعة والدفاع والصحة	صدر عن مقام رئيس الجمهورية	رئيس مجلس الوزراء
الأمير مجيد أرسلان	حبيب أبي شهلا	حبيب أبي شهلا

من مراجعة هذا المرسوم يتبين إصرار الحكومة المؤقتة على التمسك بالشرعية الدستورية، وعدم مخالفة أي نص دستوري، فهي حرصت على التذكير بالصلاحيات الدستورية، وفي حالة القوة القاهرة، كما هي عليه الحال باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء والوزراء، أصبح لزاماً تأمين مصلحة البلاد العليا، فلا يجوز تعطيل هذه الصلاحيات، ومن الملفت أنها تناولتها بعد تبيان المرجعية الدستورية التي استندت إليها بشكل واضح وجلي.

ثم عيّنت الكولونيل فوزي طرابلسي مستشاراً عسكرياً وخليل تقي الدين أميناً عاماً، وتولى فؤاد لاوندس الموظف في مجلس النواب نقل الأوراق الرسمية بخط اليد أو بعد طبعها في بيروت.

الفقرة الثالثة ـ فرض منع التجول

في ذلك اليوم، وعند الساعة السادسة، أذاعت السلطات الفرنسية عبر محطة «راديو الشرق» قرار منع التجول، لمزيد من الضغط على اللبنانيين وحملهم على القبول برئاسة إميل اده الذي تم تفويضه من قبلها.

الفقرة الرابعة ـ احتجاج شديد اللهجة من العراق إلى هللو[٢]

اندفعت المظاهرات من أمام السفارة العراقية، وكان وزير العراق المفوض، يشجعها، فأقدم على إرسال كتاب شديد اللهجة إلى هللو، ممثل فرنسا «المحاربة» جاء

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، المرجع ذاته.

٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٢٦.

فيه: «تعلمون ما سبّبه عملكم الشاذ من هياج الجمهور اللبناني، بعد اعتقال زعمائه، وإنكم تحاولون محاربة «المحور» وإنقاذ البلاد، فأقدمتم على تعطيل الدولة الشرعية في لبنان، كاختطاف الرؤساء، واحتلال البرلمان وتسليط رجال غير شرعيين على الأعمال الحكومية، والقيام بإجراءات قمع عسكرية في البيوت والشوارع وتسليط النار على الشعب، وخلصت المذكرة، «يؤسفني حضرة السفير إبلاغكم أنه في حال إهمالكم نصائح حكومتي، وطلباتها هذه لن يستطيع العراق أن يقف مكتوف الأيدي إذ لا بد له من أن يتخذ الموقف الذي تمليه عليه واجباته الإنسانية ومصالحه الدولية كحليف يطلب هدوء هذه الناحية من العالم...».

الفقرة الخامسة ـ زوجة وبنات رياض الصلح بضيافة المفوضية العراقية

في ١٥ تشرين الثاني، أطلق النار على التظاهرات التي حصلت أمام منزل رئيس الحكومة، فتوفي اثنان من المتظاهرين. قصد تحسين قادري دار رياض لصلح، وألح على زوجته وبناته بالحلول ضيفات على العراق، فأزعنّا بعد إلحاح.

الفرع الثاني ـ المواقف الدولية

الفقرة الأولى ـ الموقف الفرنسي

كانت فرنسا تنوء تحت وطأة الحربين العالميتين، وبعدما كانت غنية وقوية وحلت مكان فلورنسا في علاقتها مع الأمير فخر الدين، أخذت بالتراجع بعد هاتين الحربين، مفسحة المجال لبريطانيا، وهذه لم تدم طويلاً حتى أخذت مكانها الولايات المتحدة الأميركية. ففي هذا الصدد يقول ديغول إنه قتل في الحرب العالمية الثانية ما يزيد عن ٦٣٥٠٠٠ فرنسياً منهم ٢٥٠٠٠٠ في مواقع القتال و١٦٠٠٠٠ تحت القصف و١٥٠٠٠٠ في الاعتقال و٧٥٠٠٠ كسجناء حرب، وهناك ما يزيد عن ٥٧٥٠٠٠ معاق. صحيح أن نسبة الوفيات في فرنسا ليست كما هي عليه في ألمانيا أو روسيا، لكنها بالتأكيد تتجاوز ما هي عليه الحال في إنكلترا وإيطاليا والولايات المتحدة الأميركية، خاصة وأن الشبان في فرنسا هم قليلو العدد. وكان قد سبق

ذلك أن سقط ضعف هذا العدد في الحرب العالمية الأولى، كما أنها لا تمتلك لا فحم ولا بترول[١].

وقد كلف الاحتلال الألماني لفرنسا أكثر من ٢٠٠٠ مليار فرنك فرنسي (أي ما يعادل ٨٠٠٠٠ مليار عام ١٩٥٩) بالإضافة هناك مليار نهار عمل فرضها الألمان على الفرنسيين لمصلحتهم[٢].

الفقرة الثانية ـ استبعاد فرنسا عن توقيع معاهدات السلام الدولية

عمد الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الثانية إلى استبعاد فرنسا عن توقيع معاهدات السلام[٣]. ففي ٧ كانون الأول ١٩٤١، دخلت الولايات المتحدة الأميركية الحرب، بعد أسابيع من دخول القوات البريطانية والفرنسية إلى سوريا ولبنان، وكانت قد هيأت لذلك عندما أطلقت مبادئ «شرعة الأطلسي» الضامنة للحريات والاستقلال في ٤ آب ١٩٤١، لكنها لم تدخل الحرب إلاّ بعد الهجوم على «بيرل هاربر» وفي ذلك الوقت كان الجيش الألماني يتقدم نحو مصر، والطائرات الألمانية تتزود بالوقود من مطار حلب التابع لفرنسا فيشي، لكن التدخل الأميركي ساهم في الانتصار على الألمان، في أفريقيا تحررت إيطاليا[٤] وتكرر استبعاد فرنسا عن توقيع مؤتمر طهران، عام ١٩٤٣ وانفرد بالتوقيع كل من بريطانيا وأميركا والاتحاد السوفياتي، على مرأى من المندوب الفرنسي.

النبذة الأولى ـ شارل ديغول يصر على توقيع معاهدة مع لبنان

اعترف شارل ديغول بوجوب إعطاء اللبنانيين استقلالهم بعد توقيعهم اتفاقية مع فرنسا، تماماً كما حصل بين العراق وبريطانيا، لكن بعد نشوء الأزمة والهجمة البريطانية على المصالح الفرنسية في الشرق يظهر أنه تراجع عن موقفه. لكن بريطانيا،

١ ـ Charles de Gaulle, Mémoires, p. 234-236.

٢ ـ د. حبيب أبي فاضل، ص ٨١٥.

٣ ـ بشأن النزاع البريطاني الفرنسي أنظر: Dr Rafic CHIKHANI, Indépendance du Liban, les rivalités Franco-Britaniques ص ٤٤٩ إلى ٤٧٠ اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان.

٤ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٤٧.

مبدئياً، لم تكن بعيدة عن أماني ديغول فبتاريخ ٢٥ تموز ١٩٤١، أرسل السيد أوليفر لتلنون، وزير الدولة في الحكومة البريطانية، كتاباً إلى الجنرال ديغول، شدد فيه على التعاون بين فرنسا الحرة وبريطانيا، وقد اعترف بمصالح فرنسا التاريخية في الشرق، وليس في نيته تجاوز مركز فرنسا، ويذكر بأن فرنسا الحرة وبريطانيا قد وعدتا سوريا ولبنان بالاستقلال، وأشار بأنه سيكون لفرنسا مركز متفوق وممتاز في الشرق بين جميع أمم أوروبا[١].

النبذة الثانية ـ ديغول يطلب من هللو منح اللبنانيين ما يطلبون

بعد حادثة الاعتقال سارع ديغول للاتصال بهللو لمنح اللبنانيين ما يطلبون لكن بدون نتيجة، وكان ديغول مقتنعاً بضعف الدولة الفرنسية، وعجزها عن الصمود لوحدها أمام المحور[٢].

النبذة الثالثة ـ كاترو محل هللو[٣]

بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٣، وجه وزير الدولة البريطاني «كيلزي» الذي زار لبنان واجتمع بالجنرال كاترو «مذكرة» باسم حكومته إلى الفرنسيين طالباً فيها استبدال هللو، وإطلاق سراح المعتقلين، تحت طائلة المسؤولية، درست لجنة الخبراء إنذار بريطانيا وقررت الموافقة على مضمونه.

سارع ديغول للاجتماع بوزير الخارجية ماسيغلي الذي اقترح عليه استدعاء كاترو وإرساله إلى لبنان لتسوية الوضع. كان كاترو معين «مفوض دولة للشؤون الإسلامية ولم يكن عالماً بما جرى في لبنان عندما تم استدعاؤه، فاستغرب الاعتقال

١ ـ بشارة الخوري، حقائق لبنانية، الجزء الأول، ص ٢٩١.

٢ ـ Charles de Gaulle, Mémoires, p. 235.

٣ ـ د. الياس القطار، حول دور الجنرال كاترو في استقلال لبنان، يوبيل الاستقلال، الجامعة اللبنانية صفحة ٤٢٥ إلى ٤٤٨؛ ـ كذلك حول الاستراتيجية البريطانية الشاملة إبان الحرب العالمية الثانية، أنظر د. عصام خليفة، مدخل حول دور الجنرال سبيرز في معركة الاستقلال، اليوبيل الذهبي ص ٤٧٢.

واعتبر بأن الأخبار مضخمة. لدى دخوله القاهرة، اتصل بالوزير البريطاني كايسي، المقيم في الشرق الأوسط، وألح عليه ترك الأمر لفرنسا لتسوية الوضع، وإلا فإنه سينسحب ويطرح القضية أمام العالم، لكن كايسي، استهزأ بأقواله، كونه يعرف مدى مقدرة فرنسا عالمياً[١].

لدى وصول كاترو إلى لبنان اتصل فوراً بزعماء البلاد الروحيين والسياسيين، وهو يتلقى الصدمة تلو الأخرى، وقد زار على التوالي البطريرك الماروني[٢] الذي أجاب بأن يفاوض الحكومة الشرعية التي اعتقلها من قبل زميله هللو، ثم سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الذي أكد أن لا بديل عن الحكومة الشرعية الواجب اطلاق سراح أعضائها[٣].

النبذة الرابعة ـ كاترو يحاول التفرقة بين رئيس الجمهورية والوزراء

حاول كاترو زرع التفرقة بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، لكنه عجز في مسعاه، مما أدى إلى إلغاء إجراءات البعثة العامة، وقاده إلى إطلاق المعتقلين.

النبذة الخامسة ـ الجنود السنغاليون يتشددون مع المساجين

لاحظ الفرنسيون أن الجنود اللبنانيين يتعاطفون مع رؤسائهم المسجونين في راشيا، فتم استبدالهم بالجنود السنغاليين وشددت الرقابة، فمنع أي من المعتقلين من الخروج من غرفته، إلا لقضاء حاجته وسط أجواء الشدة والقساوة[٤].

الفقرة الثالثة ـ التظاهرات

ـ النسائية

في ١٢ تشرين الثاني، انطلقت التظاهرات النسائية في بيروت، وأدق وصف لهذه التظاهرات ما كتبه الجنرال سبيرز في مذكراته، حين تحدث عنها بالقول إنها

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٣٧.
٢ ـ جريدة الاستفهام، العدد ٧، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٢.
٣ ـ جريدة الاستفهام، العدد ٧، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٢.
٤ ـ بشارة الخوري، حقائق لبنانية؛ أنظر حول الاستخبارات التي أنشأها رياض الصلح في السجن وكيفية مقابلته رسول من كاترو، صفحة ٣٨ وما يليها.

«القوة غير المنظورة، وكأنما انطلقت من كهف سحرية موجة مهولة من العاطفة والقوة الروحية والإيمان». وتجدر الملاحظة إلى الرسالة التي بعث بها تشرشل إلى سبيرز، مع أن تشرشل لم يكن مهتماً بصورة مباشرة بالسياسة البريطانية في لبنان وسوريا. ففي ١٠ آذار ١٩٤٤، قال في رسالة: «من مسلسل برقياتك الطويل الذي قرأته يبدو أنك شديد الميل إلى خط مناصر لأهل البلاد، ومناهض للفرنسيين. قلت لك في القاهرة إنني لا أنوي القضاء على النفوذ الفرنسي في سوريا، لكنك مع ذلك تذهب إلى أبعد مما أريد والكل يرى بوضوح أنك أصبحت ضد الفرنسيين.

وتابع يقول: «مجموعة كبيرة من النساء تجمعن في وسط المدينة، لا شك أنهن من المسيحيات يدل على ذلك سفور وجوههن، وألوان الملابس، واضح أنهن من كل الطبقات، ميسورات وزوجات المهنيين والتجار وعاملات كن يملأن الشارع من جانب إلى جانب، وجنبهن حزام طويل من الطلاب الذكور ممسكين بالأيدي في نظام متراص كل واحد من جانبه يقوم بما أسند إليه بدقة.

واستمرت المسيرة إلى أن وصلت إلى أحياء بيروت الإسلامية... حيث تلاقت مع مجموعة لا تقل عدداً من المسلمات، يرتدين الملابس السوداء محجبات، إذ ذاك حدثت الأعجوبة المذهلة، المسلمات كلهن معاً، في حركة واحدة، كأنهن يطعن أمراً من قوة غير منظورة، رفعن حجابهن إلى خلف رؤوسهن وكأنهن تنادين أنهن نساء فقط، لبنانيات، لا فرق بينهن يطالبن معاً بحرية بلدهن لبنان وبإطلاق سراح زعمائهن، المسلمين والمسيحيين، معاً حتى لا يستعبدهم غريب بعد اليوم»[١].

من الملفت أيضاً، بالنظر إلى صورة المظاهرات، الثياب الأنيقة التي كانت تلبسها السيدات، والرجال الذي ضربوا الطوق على تلك المظاهرات!

أسماء بعض السيدات اللواتي اشتركن في المظاهرات:

قرينة الدكتور جورج حنا، قرينة وديع نعيم، مدام تويني، مدام سرسق، قرينة ميشال تادروس، السيدة عفيفة مجدلاني،، قرينة الشيخ فؤاد الخوري، السيدة نجار،

١ ـ غسان تويني، كتاب الاستقلال في الصور والوثائق، ص ٢٥.
ـ منير تقي الدين، ولادة الاستقلال، ١٩٩٧، ص ١٤٠.

مدام روضة، مدام ناصيف، الآنسة كلودا ثابت، السيدات نجلا صعب (رئيسة الاتحاد النسائي) حياة نور بيهم، رقة سلام قرينة أحمد بك الداعوق، قرينة عبد الرحيم دياب، قرينة كاظم بك الصلح، الآنسة داعوق، قرينة علي بك سلام، الآنسة عسيران، قرينة رضا بك التامر، الآنسة الصلح، قرينة لطفي بك حيدر، الآنسة سنو، قرينة الدكتور مزهر، الآنسة زين الدين، السيدة فهمه بيسار، قرينة محمد بك الداعوق... وكان عددهن يتجاوز الألف، وقرينة كميل شمعون، زلفا التي كانت في المقدمة.

توجهت هذه المظاهرة السلمية إلى دار السفارة الأميركية، حيث واجه وفد منهن الوزير المفوض المستر وود ورث، وسلمنه ثلاثة رسائل إلى الرئيس روزفلت. وبينما كانت التظاهرات في حديقة قصر المفوضية الأميركية، وفي الشارع الأساسي، وصل الجنود السنغاليون فصوبوا بنادقهم ورشاشاتهم نحو المتظاهرات، فذعرن، فقامت إحداهن تخاطب الجنود باللغة الفرنسية: «اضربوا يا أنذال» وحثت جميع النساء ليصرخن باللغة الفرنسية ضد الفرنسيين[1].

ثم توجهن إلى منزل رئيس الجمهورية الشرعي الشيخ بشارة الخوري، فقابلن قرينته اللبنانية الأولى وكان لهذه المظاهرة الصدى الواسع، كونها ضمت جميع الطوائف ومن أعلى سيدات المجتمع، جئن محتجات على الاعتقال مطالبات بالافراج عن الأسرى[2].

سارت المظاهرة بين صفين من الشبان، وكانت الهتافات ترتفع من الجماهير، وقد خطب سيادة المطران مبارك وسيادة المطران إيليا الصليبي، ثم قصدت دار سماحة

---

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣.

٢ ـ في هذا الصدد، يقول الخازن إنه عندما عين الجنرال سبيرز وزيراً مفوضاً لبريطانيا لدى الحكومتين اللبنانية والسورية، وضابطاً للاتصال الانكليزي ـ الفرنسي، علت الاحتجاجات من المفوض السامي الفرنسي الجنرال كاترو. وما قاله سبيرز رداً على ديغول الذي يميل لعدم منح الاستقلال الكامل لسوريا ولبنان، أجاب سبيرز أن وعد ١٩٤١ «قاطع»، و«يبدو أن المشرق سيواجه صعوبات جدية ذلك أن حكومتي بعثتني مفوضاً لدى جموريتين مستقلتين وليس لدى حكومتين قائمتين بفضل تسامح من الجنرال كاترو والجنرال ديغول». د. فريد الخازن، الميثاق الوطني في أبعاده الداخلية والخارجية وفي ميزان التفسير والتطبيق، في اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ٦٣٨.

المفتي وبينما الخطباء يتكلمون أقدم الجنود شاهرين سلاحهم في وجه السيدات والرجال ولكن ما لبثوا أن عادوا، على أعقابهم، بعد أن أبوا ألا يظهروا ما اتصفوا به من أدب وكياسة[1].

- الطلابية[2]

صباح السبت قام طلاب الجامعات الكبرى بتظاهرات مندددة، فأطلق عليهم الجيش الفرنسي الرشاشات فأصيب عدد وافر بجراح مختلفة، وعرف منهم هاني غندور، عصام جزائري، إميل كحيل، نزار رسلان، جورج مبيض، محمود بزري، وخضر عضاضة، نقلتهم سيارات الصليب الأحمر التابعة للجيش اللبناني إلى المستشفيات للمعالجة.

وفي صيدا انطلقت المظاهرات، وتقدم المتظاهرين كاظم بك الخليل.

أما في مصر والعراق وفلسطين والأردن أخذت المظاهرات تزداد تأييداً للبنان واستنكاراً لمواقف السلطة الفرنسية.

الفقرة الرابعة ـ الموقف البريطاني

النبذة الأولى ـ وصول كايسي وزير الدولة البريطاني، وتكليف سبيرز

بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، وصل كايسي وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط، واجتمع بالجنرال سبيرز مشدداً على إيجاد حل سريع لمشكلة الاعتقال.

كان الجنرال سبيرز[3] رئيس البعثة البريطانية، معارضاً بشدة لما أقدم عليه هللو، خاصة وأنه في العشاء الذي أقامه تكريماً لملك يوغوسلافيا، الذي كان يزور لبنان،

---

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣.

٢ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٣.

٣ ـ د. عصام خليفة، مدخل حول دور الجنرال سبيرز في معركة استقلال لبنان، يوبيل الاستقلال في الجامعة اللبنانية ص ٤٧١ إلى ٥٠٣.

صرح هللو بأنه لن يقوم بأي خطوة ضد السلطات اللبنانية، وأقسم بشرفه على ذلك، لكنه تصرف بصورة معاكسة عندما اعتقل رئيسي الجمهورية والوزارة والوزراء، مما أغاض الجنرال سبيرز إلى أقصى الحدود، فبدأ يعد العدة لمواجهة هللو، فطلب من قائد السلاح الجوي البريطاني منع الطائرات الفرنسية من التحليق ووقف تموينها بالوقود، إذا هي خالفت الأوامر[١].

ونود الإشارة بأن بريطانيا كانت تسعى لمد سلطتها على الشرق الأوسط، وقد عبرت عن ذلك جريدة التايمز الصادرة بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٣، وكذلك المؤتمر الوطني لحزب العمال المنعقد في لندن بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٧، بالإضافة إلى البيان الإعلامي الذي أصدره الملحق الصحافي البريطاني في بيروت بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٥٢، حيث ذكر أن مصلحة بريطانيا بالإضافة إلى حرية الشعوب... وضمان الانتفاع من حقول النفط لصالح العالم الحر[٢].

النبذة الثانية ـ سبيرز لم ينفذ سياسة بريطانيا، إنما عداوته لفرنسا

كان هدف تشرشل ترتيب اتفاق يعطي كل من سوريا ولبنان استقلالاً محدوداً شبيهاً بالمعاهدة التي وقعتها بريطانيا عام ١٩٣٠، لكن سبيرس جواباً على ديغول قال «إن حكومتي بعثتني مفوضاً لدى جمهوريتين مستقلتين، وليس لدى حكومتين قائمتين بفضل تسامح من الجنرال كاترو والجنرال ديغول» ومثل هذه الكلمات هي حادة جداً، قد توقع حرباً. وبالفعل اندلعت حرباً سياسية دبلوماسية واستمرت ولم تتوقف إلا حين استدعي سبيرز للعودة إلى بلاده في كانون الأول ١٩٤٤. فإذا كان سبيرز مناصراً لفرنسا الحرة فإنه كان مذعوراً من ديغول، وبنظره بهذه الطريقة كان يخدم المصالح البريطانية في العالم العربي. ومن المؤكد أن سبيرز انتهج سياسة خاصة، حينما لم يكن تشرشل مهتماً في المنطقة الشرقية، وهذه لم تكن منسجمة تماماً مع السياسة البريطانية حيال لبنان وسوريا[٣].

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٤٥.
٢ ـ أنظر زين زين، المرجع السابق، ص ١٦.
٣ ـ د. فريد الخازن، الميثاق الوطني في أبعاده الداخلية والخارجية وفي ميزان التفسير والتطبيق، اليوبيل الذهبي، لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦، ص ٦٣٦.

ومما قاله أحد الرسميين البريطانيين، الذين شهدوا أحداث تشرين الأول ١٩٤٣، «لاشك أن الحكومة اللبنانية كانت مدعومة من سبيرز، في حين كانت لديه تعليمات من الخارجية البريطانية، بأن يقنع الحكومة اللبنانية بالامتناع عن سلوك ذلك الطريق، لقد قال بغرور ظاهر أن رياض الصلح رئيس الوزراء، لم يخط خطوة واحدة من دون تضحية إذ اعتبر سبيرز مسؤولاً بنسبة ٧٥٪ عن كل تلك المشاكل»[١].

وقال كوبر، سفير بريطانيا لدى اللجنة الوطنية الفرنسية «إن تصرف الجنرال سبيرز بدا وكأن سياسته كانت إخراج الفرنسيين من سوريا ولبنان بمساعدة أهل البلد. وهذه لم تكن سياسة وزارة الخارجية ولا سياسة رئيس الوزراء، لكن محاولة إقناع الفرنسيين بهذه الحقيقة كانت عبثاً ما دام سبيرز باقياً في بيروت» أما تشرشل فكتب يقول إن سبيرز «يبدو كأنه عدل عن كل سياسته الأوروبية وأصبح «الذعر من فرنسا مرض غير قابل للشفاء وربما أضيف إليه ميل إلى الضعف. لا أعتقد أن دولتي المشرق ستعرفان السلام ما دام سبيرز باقياً هناك[٢].

النبذة الثالثة ـ القوى السياسية اللبنانية تراجع سبيرز

أقدمت جميع القوى السياسية اللبنانية لمراجعة الجنرال سبيرز مطالبة التدخل للافراج عن المعتقلين في راشيا، ومنهم حبيب أبو شهلا والمير مجيد أرسلان وصبري حماده وصائب سلام وخليل تقي الدين، وأبلغوه بأنهم يعتبرون حكومة إده غير شرعية، كذلك اتصلت كل من الكتلة الإسلامية والحزب الشيوعي ويوسف سالم وسامي الصلح وزوجة الرئيس المعتقل رياض الصلح، وزوجة الرئيس بشارة الخوري التي انتقلت مع أولادها للسكن في منزل سبيرز خوفاً من استفزاز السنغاليين الفرنسيين، وزلفا زوجة وزير الداخلية المعتقل كميل شمعون، والمطران مبارك الذي قدم باسم الطائفة المارونية مذكرة إلى سبيرز يشجب فيها العدوان الحاصل[٣].

١ ـ د. فريد الخازن، الميثاق الوطني في أبعاده الداخلية والخارجية، ص ٦٣٧.
٢ ـ . فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ٦٣٨.
٣ ـ د. عصام خليفة، مدخل حول دور الجنرال سبيرز في معركة استقلال لبنان، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦، ص ٤٨٠.

النبذة الرابعة ـ الليدي سبيرز تزور بشامون برفقة قرينة الرئيس الصلح

لم تترك بريطانيا أية فرصة، إلا وأظهرت تأييدها لاستقلال لبنان، فالزيارات التي كانت تؤم بشامون كانت للتضامن مع الحكومة المؤقتة، ولم تتوقف أمام زيارة قرينة رئيس الجمهورية المعتقل، لور خوري، ولا أمام قرينة رئيس الوزراء رياض الصلح، إنما وبنوع خاص أمام زيارة الليدي سبيرز التي كانت ترافق هذه الأخيرة، لتؤكد تعاطف الدولة البريطانية مع الحكومة المؤقتة.

النبذة الخامسة ـ الاشتباه بضباط بريطانيين متخفين في قلعة راشيا

سمع رصاص ضمن جدران القلعة في راشيا، والسبب بأنه تم الاشتباه بوجود ضباط بريطانيين جاؤوا إلى راشيا متخفين، فتحركت القوة السنغالية (السوداء) وأخذت تتحرى عنهم لشل حركتهم.

لوضع حد لتدخلات الجنرال سبيرز، تشكلت لجنة فرنسية مصغرة قوامها ديغول وكاترو وماسيغلي، لإيجاد حل للقضية اللبنانية، وقررت إيفاد الجنرال كاترو لتنفيذ المهمة، والقاضية بالإفراج عن بشارة الخوري وأعادته إلى منصبه وتأليف حكومة أخرى تقبل بها فرنسا، بعد التعهد بتوقيع معاهدة فرنسية ـ لبنانية جديدة[١] لكن لم يفض ذلك إلى أية نتيجة.

النبذة السادسة ـ لندن تحذر من نقل المعتقلين إلى الجزائر

يظهر بأن الكولونيل الفرنسي بونسو، كان يعد للقيام بمؤامرة، فكشفت خيوطها بريطانيا، مما دفعها إلى تبليغ وزيرها المقيم في الشرق الأوسط، ريتشارد كايسي، بأنها تبلغت معلومات تفيد بأن الفرنسيين قد ينقلون المعتقلون من راشيا إلى الجزائر، فعليه أن يطلب من القوات المسلحة المصرية التنبه للأمر[٢].

١ ـ إميل زيادة، الاستقلال، وثيقة ٥٧، ص ٢٩٢.
٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٤٤.

النبذة السابعة ـ إنذار سبيرز إلى هللو

في أعقاب الاعتقال، أرسل ادوارد سبيرز مفوض بريطانيا في لبنان، إلى هللو المفوض السامي الفرنسي، إنذاراً بوجوب إعادة الحالة إلى ما كانت عليه، ويحمله المسؤولية.

الفقرة الخامسة ـ موقف الولايات المتحدة الأميركية

لم تكن الولايات المتحدة الأميركية مستعدة لإعادة فرنسا إلى ما كانت عليه قبل الحرب، وكانت تبغي دوماً إقصاؤها والحلول مكانها، وكانت تسعى دوماً لتنفيذ سياستها البترولية القاضية بمد خط للنفط من السعودية إلى الشاطئ اللبناني، سارع الرئيس روزفلت المناهض للجنرال ديغول، إلى إبعاد لبنان عن النفوذ الفرنسي، وعمد بصورة واسعة إلى وضع مخططات دولية جديدة بدءاً بفلسطين. وما إن علمت أميركا بالاعتذار الذي وقع عليه رئيس الجمهورية والحكومة حتى أسرعت للاتصال بالقاهرة عن طريق الهاتف الحربي، وأبلغت مندوبها المفوض بأنها لا تعترف إلا بالشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية وبحكومته الشرعية، وأقدمت بريطانيا على اتخاذ الموقف ذاته محملين المسؤولية للفرنسيين[١].

الفقرة السادسة ـ موقف الاتحاد السوفياتي

صحيح أن الاتحاد السوفياتي كان بجانب فرنسا الحرة آنذاك إلا أنه كان يناهضها، ويمنعها من لعب أي دور عالمي، فالدور الذي لعبته فرنسا الحرة، كمقاومة في ظل الحكومة البريطانية، كان ثانوياً، ولم يكن حاسماً في الانتصار الذي حققه الاتحاد السوفياتي في ستالنغراد، وبالتالي استبعاد فرنسا، كان أمراً مفروغاً منه[٢].

الفقرة السابعة ـ الصحف العالمية

أخذت إذاعات العالم تستنكر الإجراءات التي أقدمت عليها لجنة التحرير الوطني الفرنسية، وأخذت الحكومات والأمم المتحدة تنذر الفرنسيين بسوء العاقبة ما لم

١ ـ جريدة الاستقلال، العدد ٣ تاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، السنة الأولى.
٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٤٩.

يعيدوا الأمور إلى مجراها، وركزت الصحف العالمية على التصرف الفرنسي المناهض للمبادئ الديمقراطية، وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، التي كان الحلفاء يخوضون الحرب باسمها، ضد النازية والفاشية.

الفرع الثالث ـ المجلس النيابي يدعم حكومة بشامون

الفقرة الأولى ـ الجيش الفرنسي يطوق مجلس النواب

دعى رئيس مجلس النواب صبري حمادة، لانعقاد جلسة عامة للنظر بالأمور الجارية في البلاد، على أثر عملية الاعتقال، فحضر عدد من النواب، لكن الباقين منعوا من الوصول بعدما طوّق الجيش الفرنسي مبنى المجلس، وأقفل أبوابه على الذين حضروا، فما كان من نائب طرابلس سعدي المنلا، إلا أن تسلق المبنى ودخل من إحدى النوافذ؛ وقع النواب الحاضرون مذكرة لإرسالها إلى الدولة الحليفة العظمى التي أعلنت استقلال لبنان، وإلى البلدان الشقيقة للمؤازرة وهي، الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي، وإلى الدول العربية. كانت الجلسة برئاسة صبري حمادة، وحضر النواب: سعدي المنلا، نائب طرابلس، هنري فرعون نائب البقاع، صائب سلام نائب بيروت، مارون كنعان نائب لبنان الجنوبي، محمود الفضل نائب لبنان الجنوبي، رشيد بيضون نائب لبنان الجنوبي، وقام بأعمال أمانة السر الشيخ خليل تقي الدين.

النبذة الأولى ـ مشاورات هاتفية

بلغ عدد النواب سبعة بمن فيهم الرئيس وقد اتخذ قراراً فورياً، تم فيه التأكيد على الموافقة السابقة لتعديل الدستور، واعتبار الانتداب الفرنسي لاغياً، حصل ذلك بعد اتمام المشاورات الهاتفية مع النواب الذين لم يستطيعوا الحضور إلى المجلس، وقد أكد الحاضرون على شرعية وحدة الحكم واعتباره شرعياً دون غيره، ورفضوا بصورة مطلقة رئاسة السيد إميل اده الذي كان قد عينه المفوض السامي والعمل على منعه من تأليف أية حكومة يمكن أن يعينها، سنداً للتكليف المعطى له من قبل السلطات الفرنسية[1].

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٣.

النبذة الثانية ـ اقتحام مجلس النواب والإبقاء على جلساته بحالة انعقاد

لم يكتف الجيش الفرنسي بتطويق مجلس النواب، بل أقدم أحد ضباطه، على اقتحامه شاهراً سلاحه، طالباً من الرئيس والنواب مغادرة القاعة تحت طائلة استعمال القوة.

أذعن الرئيس والنواب الحاضرون مرغمين وتوافقوا على اعتبار جلساته مفتوحة، وعلى الاجتماع كلما سنحت لهم الفرصة.

توجه هؤلاء إلى منزل رئيس الجمهورية في القنطاري، بادر الجنود الفرنسيون بإطلاق النار على القصر، مما اضطر الموجودون فيه إلى مغادرته، وكان عددهم وصل إلى السبعة عشر، فتوجهوا إلى منزل صائب سلام، حيث عقدوا جلسة طارئة.

الفقرة الثانية ـ نعيم مغبغب وأديب البعيني يرديان جندياً فرنسياً[1]

بعد حصار مبنى المجلس النيابي، وإجبار النواب على مغادرته، توجه هؤلاء إلى قصر الرئاسة في منطقة القنطاري حيث كانت الجموع محتشدة، وكانوا محاطون بالمدافع والرشاشات الفرنسية من كل الجهات، وبعد وصول فرقة فرنسية مؤلفة من ضابط وثلاثة جنود أمام المنزل، أخذ أفرادها يطلقون الرصاص من أسلحتهم على من في الحديقة، فسقط شهداء من المدنيين، مما حمل أحد الشباب على إطلاق النار على الدورية فقتل أحد أفرادها، ويذكر الشيخ منير تقي الدين في كتابه «ولادة استقلال» أن المير مجيد أرسلان صاح عندما أطلقت الدورية النار على المتظاهرين والمنزل قائلاً: «ألا يوجد رجال في هذا الجمع يدافع عن كرامتنا، آنذاك اندفع شابان يقال بأنهما أديب البعيني ونعيم مغبغب اللذين توليا فيما بعد رئاسة الحرس الوطني في بشامون مع منير تقي الدين، فانبريا بسلاحهما يطلقان النار على الفرنسيين تاركين وراءهما قتيلاً[2]. وكان أديب العضو الثالث في الحرس الوطني.

١ ـ جريدة علامة الاستفهام، المرجع ذاته.
٢ ـ منير تقي الدين، المرجع ذاته.

الفقرة الثالثة ـ الاجتماع الأول للنواب في مدرسة الحكمة

يشير المونسنيور أغناطيوس مارون، مدير الدروس في مدرسة الحكمة آنذاك إلى اجتماع النواب بالقول: (...) «مساء ذلك النهار من تشرين الثاني أتيتُ دار المطرانية، فأُنبئت أن عدداً من نواب الأمة في محادثة مع سيادته (المطران أغناطيوس مبارك). كانوا لا يفتأون يردّدون على مسمعه كلامَ الإكبار لما دأب على القيام به يومياً، زيارات لأسر الشخصيات الوطنية الذين اعتقلتهم السلطة المنتدبة، في احتراس إلى أقصى حد من أذى الجنود الفرنسيين، وزمر الحرس السنغالي المتأهب للقمع.

مع ذلك، فإن هؤلاء، ممثلي الأمة، كانوا لا يتوانون عن التلفظ بتعابير الجزع والاضطراب، محتارين في ما يجب القيام به في تلك الأوقات العصيبة من تاريخ الوطن.

حدث كل شيء في حضوري. سمعت سيادته يؤنّب المذعورين منهم بطريقته المعهودة: محاذراً قسوة التجريح، مؤثراً لهجة التشجيع. وفي الختام قال: يجب أن يجتمع البرلمان. ومن الضروري الجهرُ بالاعتراضات الصاخبة لدى المحافل الدولية.

غير أن المعنيين الحاضرين أعلموه في خجل وارتباك أن المنافذ إلى مبنى البرلمان قد سدت بالعسكر السنغالي، وأنه من غير الممكن لاجتماع أن يُعقد. فما كان من سيادته إلا أن استرسل في ضحكه المتقطع، قبل أن يهوي بكفّه على خشب مكتبه حيث مجسّم المصلوب، وصاح:

ـ كلُّ مكان هنا جديرٌ بأن يصبح قبّة برلمان.

دار المطرانية لكم غداً موعدُ لقاء. هيّا.. استدعوا الآخرين واستعجلوا الحضور إلى بهوها في الحادية عشرة.

ثم التفت إلي وأردف:

ـ بونا إغناطيوس، هيئوا اللازم، واستقدموا الضروري.

غداً.. يعقدُ البرلمان اللبناني هنا.. جلسة تاريخية.

وتم اللقاء في الموعد المحدد، وكنت الوحيد فيه من خارج المجلس أشهد جلسة الاستقلال اللبناني، ذلك أن المجتمعين اتخذوا فيه قراراً بدعوة نواب الأمة أجمعين إلى الاجتماع خارج بيروت، وتحديداً في بشامون.

ومع أن ما حدث قد أسدل عليه ستار صمت ونسيان، فإن وفداً من الندوة البرلمانية برئاسة إميل لحود، رجل الخطابة والفكر، شكر دار المطرانية ومدرسة الحكمة لاحقاً، في بادرة امتنان للصرح ولوليّه.. جمعت له في المدخل الكبير قسم الكبار، ومعظمهم من مثيري الشغب في ساحة البرج أيام التحركات الشعبية ضد المنتدبين، ووقف إزاءهم، في أعلى الدرجات الثلاث قرب الواجهة الزجاجية، ممثلو الأمة، ليندفع من بعد.. إميل لحود بقريحته الحارة، وحماسته المنقطعة النظير، يُغدق على مطران بيروت أغناطيوس مبارك، كما على صرح الحكمة، قيمين وطلاباً رجالاً، تعابير العرفان بالفضل وامتنان البلاد.

واستمر الحدث الفريد حياً في وجداننا، بعكس السلطة المدنية التي تخص في يوم ٢٢ تشرين الثاني من كل عام، كل من سجنوا أياماً في راشيا بباقات ورود. أما ضريح المطران مبارك، فلم يزهر قط يوماً بأمثالها»(...)[١]

الفقرة الرابعة ـ ديغول على علم مسبق بما أقدم عليه هللو

من جهته يقول الرئيس شارل حلو في مقابلة صحافية أن الجنرال ديغول أيد اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء في ١٠/١١/١٩٤٣ أو على الأقل كان على علم مسبق بذلك، فعل ذلك لإنقاذ النفوذ الفرنسي بعدما تداعى في الشرق بعد هزيمة حزيران ١٩٤٠، تم استسلام فرنسا فيشي بموجب معاهدة عكا في تموز ١٩٤١، ويشير السفير بيار زيادة إلى نص الرسالة التي أرسلها ديغول إلى المفوض السامي جان هللو يقول إن عملية الاعتقال التي قمتَ بها كانت ضرورية، انك تحظى بتأييدنا واللافت أن المفوض السامي هللو، استدعي إلى الجزائر بعد تسوية الأزمة بناء على إصرار الإنكليز. كما أن السفير خليل تقي الدين، استوضح في موسكو عام

١ ـ المونسنيور أغناطيوس مارون، Un Grand Chapitre.

١٩٤٦، الجنرال جورج كاترو سفير بلاده (أي فرنسا) هناك فأجابه أن الجنرال ديغول هو الذي أصدر أمر اعتقال الحكومة اللبنانية[١].

الفقرة الخامسة ـ اجتماع المجلس في منزل آل سلام ـ التمسك بالشرعية الدستورية

اجتمع النواب في منزل صائب سلام، بتاريخ ١٢ تشرين الثاني وقد حضر كل من النواب الآتية أسماؤهم: سليم لحود، محمد بيضون، وديع الأشقر، غبريال المر، يوسف الهراوي، يوسف اسطفان، محمد الفضل، جميل تلحوق، رشيد بيضون، مارون كنعان، سليمان العلي، صائب سلام، علي العبد الله، أحمد الأسعد، نسيب غبريل، سعدي المنلا، يوسف سالم، نسيب الداود، عبد الله اليافي، صبري حمادة، حبيب أبي شهلا، يوسف ضو، بطرس الخوري، محمد المصطفى، رفعت قزعون، أديب الفرزلي، حميد فرنجيه، هنري فرعون، مجيد أرسلان، كاظم الخليل، سامي الصلح، كمال جنبلاط، ٢٢ نائباً، واتخذوا القرارات التالية[٢]:

أولاً ـ اعتبار الدستور قائماً

ثانياً ـ منح الثقة للحكومة المؤلفة من حبيب أبي شهلا، ومجيد أرسلان، واعتبارهما يؤلفان مجلس الوزراء، قائماً مقام رئيس الجمهورية، وذلك عملاً بالدستور.

ثالثاً ـ اعتبار الحكومة التي يرأسها إميل إده باطلة، وكل قرار أو قانون أو مرسوم أو تدبير، يصدر عنها، باطلٌ أيضاً.

رابعاً ـ تفويض الحكومة، تفويضاً تاماً مطلقاً باتخاذ التدابير المؤاتية والقيام بالمساعي والمخابرات في سبيل عودة الحياة الدستورية والإفراج عن المعتقلين.

الملفت في هذا القرار إصرار المجلس على إظهار الشرعية القانونية والتعلق بها، فعندما اجتمع نواب المجلس مع رئيسه، وكان عددهم لا يتجاوز الثمانية، أصروا

١ ـ د. إميل معكرون، الرئيس إميل إده والاستقلال، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، ص ٣٠٤.

٢ ـ غسان تويني، الاستقلال في صور، ص ٤.

على إعلان موافقتهم على القرارات السابقة لتعديل الدستور، واعتبار الانتداب الفرنسي لاغياً، واعتبار الحكم القائم وحده شرعياً، ورفض رئاسة إميل اده الذي عينه المفوض السامي وها هم في الجلسة المنعقدة في منزل آل سلام، وقد أصبح عددهم ٢٢ نائباً، يؤكدون قراراتهم السابقة لإعطاء الشرعية الدستورية دورها في تحديد مسار البلاد.

بعد الموافقة على تعديل الدستور، انصب الاهتمام على كيفية المحافظة على تلك الوثيقة، في الوقت الذي كانت السلطات الفرنسية تطارد كل من يتكلم عنها.

في مقابلة تلفزيونية في الستينات، أشار بهيج تقي الدين أنه، خوفاً من وقوع مشروع قانون تعديل الدستور في أيادي السلطات الفرنسية، أخذ مغبغب هذا المشروع برفقة تقي الدين وخبأه في إحدى الكنائس.

الفقرة السادسة ـ الاجتماعات النيابية خارج قاعة المجلس

إزاء هذا الوضع توافق عدد من النواب للاجتماع في منزل صائب سلام بعد نصف ساعة كما أشرنا، وأخذوا يدخلون، أفراداً لرفع أية شبهة عنهم وقد حضر ١٨ منهم. لم تعقد الجلسة لأن الأكثرية الدستورية هي ٢٣ نائباً. ثم عقد المجلس النيابي جلساته في مطرانية الموارنة في بيروت، وفي دارة الإفتاء وفي منزل سامي الصلح[١].

في الجلسة التي عقدت في منزل صائب سلام، تم تعديل ألوان العلم اللبناني، وتوافقوا على أن تكون الأرزة في وسط العلم محاطة باللون الأحمر من الجانبين، فالأرزة ترمز إلى الخلود واللون الأحمر يرمز إلى دم الشهداء التي زهقت في سبيل الاستقلال، ووقع المجتمعون على هذا العلم، الذي لا يزال محفوظاً عند هنري فرعون، فبمبادرة من هذا الأخير وبعض النواب، وضع العلم اللبناني الجديد بشكل يعبر عن طبيعة اللبنانيين ولقاءهم حول فكرة واحدة ومبدأ واحد، وهو يتكون من أبيض يرمز إلى المسيحية،

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، العدد ١٠ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣.

وأحمر يشير إلى الإسلام وترتسم في الوسط أرزة تمثل السلام في لبنان وتكرس خلوده[١].

وبتاريخ ١٩٤٣/١١/١٥، عقد النواب المار ذكرهم جلسة في منزل سامي الصلح في برج أبي حيدر واتخذوا القرارات التالية:

١ ـ الاحتجاج على الاعتداء الشائن الغادر الذي قامت به لجنة التحرير.

٢ ـ تجديد الثقة بحكومة رياض الصلح المتمثلة اليوم بالوزيرين الطليقين.

٣ ـ اعتبار جميع الإجراءات التي صدرت عن هللو ومعاونيه اعتداءً على استقلال البلاد، طالباً من كل لبناني عدم تنفيذها ومقاومتها.

٤ ـ اعتبار كل من يتعاون مع السفارة الفرنسية خائناً يستلزم المحاكمة.

٥ ـ حصر المفاوضات بالحكومة الشرعية الدستورية[٢].

الفقرة السابعة ـ المؤتمر الوطني اللبناني

النبذة الأولى ـ اللجنة التنفيذية للمؤتمر

انعقد المؤتمر الوطني المؤلف من أحزاب سياسية وشخصيات مستقلة وبدأ نشاطه بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٢[٣]. تم انتخاب لجنة تنفيذية انبثق عنها لجان فرعية ذات مواضيع مختلفة منها: الاتصالات السياسية، المالية، جمع المعلومات والمساعدات العاجلة.

أما أعضاء اللجنة التنفيذية فهم:

---

١ ـ كميل شمعون، المرجع ذاته. بينما كان بشارة الخوري، رياض الصلح، كميل شمعون، عبد الحميد كرامي، عادل عسيران، سليم تقلا، في سجن قلعة راشيا، كان مجلس النواب يضع العلم اللبناني الجديد. وضع الرسم ووقعه كلٌ من رئيس مجلس النواب صبري حمادة، صائب سلام، هنري فرعون، محمد الفضل، سعدي المنلا، رشيد بيضون، مارون كنعان.

٢ ـ جريدة علامتي الاستفهام، العدد ٥، ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٣.

٣ ـ كما يروي ذلك الدكتور جورج حنا في ذكرى الاستقلال، في جريدة الاقدام، العدد ٦٤، الأحد في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٥.

سليم إدريس، جورج حنا، محمد خالد، حبيب ربيز، مصطفى بيضون، رئيف أبي اللمع، فريد صالح، الياس لبكي، يوسف عطية، ميشال فرعون، أحمد الداعوق، نقولا بسترس، سليم الصيارة، سعيد فريحه، رينيه سرسق، محي الدين النصولي، محمد علي بيهم، إبراهيم الأحدب، عبد الرحمان السمراني، أمين الحلبي، إيلي خياط، تقي الدين الصلح، جورج ريس، إبراهيم عودة، الياس طرابلسي، كمال جابر، مصباح سلام، موسى دو فريج، ميشال موسى طراد، جورج كرم، ألفرد نصر، فرج الله الحلو، حسان بحصلي، إيلي فرحى، سامي عبد الله ملك، جورج عاكوري، أرتين مادويان.

النبذة الثانية ـ بلاغ المؤتمر

إن المؤتمر الوطني اللبناني المنعقد في بيروت بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، ممثلاً جميع المذاهب والمناطق والنزعات على أثر الاعتداء على دستور الأمة وحله واعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزراء وأحد زعماء النواب وبعض زعماء الشباب، ومنع المجلس بررؤوس حراب الجنود السود من ممارسة حقوقه الاشتراعية الدستورية قد اتخذ القرار التالي متوجهاً به إلى الأمة اللبنانية وإلى جميع سفراء الدول الشقيقة وإلى جميع السلطات:

«إن المؤتمر الوطني اللبناني يستنكر الإجراءات الاستبدادية الصادرة عن مندوبية لجنة فرنسا لتحرير الوطن في ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ ويعتبر أن السلطات الشرعية الدستورية المؤلفة من فخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية ودولة رياض بك الصلح رئيس مجلس الوزراء ومعالي الوزراء والمجلس النيابي هي وحدها دون سواها صاحبة الحق للتكلم والمفاوضة باسم لبنان وهو يشجب كل مفاوضة تجري من غير هذه الطريق الدستورية الشرعية ويتوجه بالرجاء من جميع المواطنين أن يتقيدوا بهذا القرار لكرامة الأمة وعزها واستقلالها».

يحيا لبنان حراً مستقلاً — رئيسا اللجنة التنفيذية

أمين السر — أحمد الداعوق وميشال فرعون

أمين الحلبي — وزع هذا البلاغ في بيروت في ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣

النبذة الثالثة ـ لجان مقاومة

تألفت لجان في العاصمة لأعمال المقاومة على اختلاف أنواعها ومثلها في سائر المدن والملحقات، وهي على اتصال دائم فيما بينها، وقد تألفت لجان احتياطية اذا تعطّلت الأولى. فعلى كل فرد أن يتصل في الحي الذي يقيم فيه باللجنة لتأتي الجهود المبذولة بثمرة أوفر.

النبذة الرابعة ـ تظاهرة يتقدمها سامي الصلح

وحوالي الساعة العاشرة من صباح الاثنين ٢٢ تشرين الثاني سارت مظاهرة كبيرة من الشباب والنواب إلى ساحة النجمة، يتقدمها سامي الصلح، فاقتحمت البرلمان وأزالت العلم القديم، ورفعت الجديد. وكان رجال الشرطة والدرك يطلقون العيارات النارية ابتهاجاً وأخذت مجموعة من الكتائب والنجادة تنشد النشيد الوطني.

الفقرة الثامنة ـ تلكؤ الموقف السوري عن دعم الحركة الاستقلالية

كان العراق أكثر الدول العربية حماسة لاستقلال لبنان، وقد يكون ذلك كونه حامل لواء «الهلال الخصيب»، وقد يكون هذا أيضاً سبب تلكؤ سوري في دعمها الموقف اللبناني فالمذكرة السورية التي أيدت لبنان جاءت قبل الإفراج بيوم واحد وبعد إنذار البريطانيين بيوم واحد، أما البرلمان السوري فقد أيد الشرعية اللبنانية، في ١٦ تشرين الثاني أي بعد خمسة أيام من الاعتقالات، ومرد ذلك قد يكون بانشغالها بتدعيم استقلالها، والعمل على تصفية المصالح المشتركة مع لبنان الذي كانت لها تحفظات إزاء تكوينه. رغم ذلك كان لخطاب معالي جميل بك مردم، وزير خارجية سوريا، وقع كبير في تحليله للقضية اللبنانية[١].

كانت الصحافة السورية أقل حماسة لدعم الوضع اللبناني من الصحافة العراقية والمصرية، مما حمل الرئيس رياض الصلح للعتب على سوريا ولاقى موقفه فتوراً، ولم يُزال هذا الفتور إلا بعد اجتماع ضم رئيسي الحكومتين رياض الصلح وسعد الله

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، العدد ٩ تاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣.

الجابري، ووزيري الخارجية جميل مردم وسليم تقلا وكان الاجتماع تحت عنوان «مفاوضات استرجاع المصالح المشتركة» وعقب ذلك الاجتماع، زيارة وفد سوري رفيع المستوى إلى بيروت برئاسة سعد الله الجابري الذي استقبله رئيس الجمهورية في ١٣ كانون الأول.

الفقرة التاسعة ـ الكتائب والنجادة[١]

إطلاق عقوبة إعدام كل من يقدم على نشر منشورة سرية، لم تمنع القيام بالمظاهرات النسائية والطلابية، ولم تمنع من اجتماع «الأضداد» سابقاً، لمحاربة الانتداب، فإذا بالكتائب التي كانت توالي سابقاً الانتداب، والنجادة المطالبة بعروبة لبنان، برئاسة أنيس الصغير، وعدنان الحكيم، تتحدان لتؤلفا فريقاً واحداً في ظل قيادة موحدة تولاها بيار الجميل، فأخذت المظاهرات والإضرابات تتصاعد فعمدت السلطة الفرنسية إلى ابتكار حيلة استدرجت بها بيار الجميل إلى الأمن العام في بيروت حيث تم اعتقاله وبقي موقوفاً في السراي[٢].

كان للاستقلال وقعه أمام الطائفتين المارونية والسنية، وإذا بعلاقات التواصل بدل الانفصال، أخذت تظهر خاصة بعدما شعر المسلمون بأن الاستقلال سيعيد لهم حريتهم، ولم يعودوا يتخوفون من سيطرة الموارنة على الدولة، بمساندة فرنسا، إنما أصبحوا هم وإياهم على مستوى واحد من القرار السياسي الداخلي أو الدولي. ففي الاستقلال شعر السنة بأنهم بدأوا يتمتعون بهذا البلد، ويشاركون في سياسته، فإذا بالتوافق بالحد الأدنى يظهر بين شرائح المجتمع اللبناني لبناء دولة الاستقلال[٣].

١ ـ د. نقولا زيدان، مداخلة حول «دور بعض الأحزاب السياسية في معركة الاستقلال»، في اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان. الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ٥٠٥ إلى ٥٣٢.

٢ ـ غسان تويني، كتاب الاستقلال في الصور والوثائق، ص ٢١.

GHASSAN TUENI, Le Livre de l'Independance, 2002, p. 21.

٣ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ٦٣.

الفقرة العاشرة ـ توزيع الإعاشة على الأهلين

حرصت الحكومة على توزيع الإعاشة، فأرسلت إلى مدير التموين كتاباً تؤكد فيه التوزيع كالمعتاد[١].

الفقرة الحادية عشرة ـ مجيد أرسلان يستضيف «الحرس الوطني»

بالإضافة إلى استضافة «الحكومة الاستقلالية» إذ بالأمير يستضيف أيضاً «الحرس الوطني» في المكان نفسه وكانت تربطه بنعيم مغبغب علاقات ودية خاصة، فهما غير متعصبين، أشداء، أقوياء وأمناء على رسالتهم. وعندما وصل الأمير إلى بشامون يقول (طرحنا الصوت) وأرسل عدد من الأشخاص يدعون المقاتلين من القرى المجاورة فإذا بهم يتوافدون من كل حدب وصوب[٢].

لم يقتصر المقاتلون في بشامون، على أهل الجبل، لقد هب لمساندتهم مقاتلون من أبناء الهرمل وبعلبك.

وفي بشامون مارس الأمير مجيد أرسلان بصفته وزيراً للدفاع أولى مهامه الدفاعية على مجموعة من المتطوعين المجاهدين، وكان القائد العام لقوات الحرس الوطني يعاونه في القيادة نعيم مغبغب ومنير تقي الدين.

الفرع الرابع ـ مغبغب يقود المعارك في بشامون ١٩٤٣

علّق الرئيس سامي الصلح في مؤلفه على تفاني نعيم بالقول: «قد أبلى بلاء لا ينكر في أثناء الأزمة، وقد كان أيضاً من الذين قحط حقهم فيما بعد، حتى أنه حرم من وسام الجهاد».

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، العدد ٩، تاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣؛ ـ منير تقي الدين، ولادة استقلال، المرجع ذاته، ١٩٩٧، ص ١٢٤.

٢ ـ الياس عبود، أوراق فضية للأمير الفارس مجيد أرسلان، ص ١١٧.

ـ منير تقي الدين، ولادة استقلال، المرجع ذاته، ص ١٠٩ و١١٥.

أما الرئيس كميل شمعون، فأشاد بدور «البطل الأسطوري» الذي قام به نعيم مغبغب[١].

الفقرة الأولى ـ القائدان الآخران للحرس

تقي الدين الذي أصدر عام ١٩٥٣ كتاباً بعنوان «ولادة استقلال» وآخرَ عن «الجلاء» بعدما أكمل دراسته العليا في الجامعة الأميركية في بيروت ونال شهادة ماجستير في التاريخ. درّس في العراق، عام ١٩٤٠، وعاد ليلتحق بالجامعة الأميركية عام ١٩٤١، متابعاً دراسته في صف الجونيور، لعب دوراً بارزاً في الدفاع عن الاستقلال في بشامون.

أديب البعيني، وهو دركي لبناني، كان مركزه في جرود عكار، وبعد اندلاع الثورة، رجع إلى بشامون وكان آية في الإقدام والشجاعة، ويقول سامي الصلح، «إن القيادة الفعلية كانت لنعيم وقد عاونه كل من تقي الدين والبعيني» (ص ١١٤)، عين مديراً عاماً لوزارة الدفاع الوطني.

ويقول عن نعيم مغبغب: «فلما انفجرت الثورة وهب نفسه للثورة والجهاد، فرأته البلاد صحفياً يحرر علامة الاستفهام، فيطارده الأمن العام، فينتقل بجريدته السرية الثورية من مطبعة إلى مطبعة كل ليلة، وأخيراً ذهب إلى بشامون ليضع نفسه بتصرف الحكومة[٢].

الفقرة الثانية ـ مغبغب يوزع التعليمات على المجاهدين

كانت التعليمات التي وزعها نعيم مغبغب بالتنسيق مع وزير الدفاع مجيد ارسلان، أن المجاهدين، هم جيش دفاع لا جيش هجوم، لأن الحكومة لا تريد مهاجمة أحد[٣]، وجل ما تطلبه المحافظة على حقوقها، كونها حكومة شرعية تعمل بجهد لإعادة البلاد إلى أجواء الاستقرار. وكان المجاهدون ينتمون إلى أرقى العائلات الدرزية

١ ـ كميل شمعون، مذكراتي، ١٩٨٨، ص ٣٠.

٢ ـ منير تقي الدين، ولادة استقلال ١٩٥٣، ص ١١٣.

٣ ـ منير تقي الدين، المرجع ذاته، ص ١١٣ وما يليها.

والمسيحية، فمنهم المثقفين كالأطباء والصحافيين والصيادلة والمعلمين وغيرهم وكانوا يستعملون البنادق الحربية الانكليزية والألمانية، بالإضافة إلى القنابل اليدوية.

الفقرة الثالثة ـ مغبغب يلقي القنابل على الجيش الفرنسي

كان نعيم مغبغب يترأس الحرس الوطني في بشامون، ويعود في الليل إلى بيروت في سيارته الفورد أبو دعسة، ويلقي والسيدة كلودا ثابت القنابل اليدوية على مراكز السلطة الفرنسية[١].

بعد مفاجأة الاعتقال وحل مجلس النواب وتعليق العمل بالدستور، أقدم هللو، على تعيين إميل اده رئيساً للجمهورية، الذي عجز طيلة عشرة أيام عن تشكيل الحكومة بعد اعتذار جميع الشخصيات الوطنية والمدراء العامون، ومنهم جوزف شمعون، شقيق الرئيس شمعون. «ترك هذا الفشل عند الرأي العام والمراقبين الأجانب نتائج فاقت بأهميتها التظاهرات التي اجتاحت البلاد، وتخوفت لندن ونيويورك ـ وأكتفي بذكر العواصم الكبرى ـ من تدهور الحالة التي باتت تشكل خطراً على سلامة الجيوش التي تخوض حرباً طاحنة ضد قوات المحور. فنشطوا لمعالجة الأوضاع مما قاد إلى إقناع لجنة التحرر الفرنسية في الجزائر بضرورة إيجاد حل سريع للأزمة.

شنّت الصحافة البريطانية والأميركية حملة ضد السياسة الفرنسية في الشرق، في مصر أظهر الملك استعداده لإعطاء الأوامر والقيام بكل ما من شأنه أن يساعد لبنان في ثورته[٢].

الفقرة الرابعة ـ مغبغب يسهر على سلامة الحكومة

كان القائد نعيم مغبغب يسهر على سلامة الحكومة، وعدم ازعاجها، ليترك لها المجال بالتفكير وتدبير شؤون البلاد، فلم يسمح لأحد بتعكير خلوتها، وكان يبلغ وزير الدفاع، كل نصف ساعة ما يجري وما يصل إليه من أخبار[٣].

---

١ ـ العميد نخلة مغبغب، قائد الدرك، مجلة الجيش العدد رقم ١١٥/١١٩ تشرين الأول ١٩٩٤.
٢ ـ كميل شمعون، مراحل الاستقلال، ص ١٩٤.
٣ ـ منير تقي الدين، المرجع ذاته، ص ١١٤ وما يليها.

أشرف ومعاونَيه طعان ومعروف، على تفقد تنظيم خطوط الدفاع، ولدى سماع خبر الهجوم اعتلت المجاهدون النشوة فبدأوا يرقصون ويزغردون، ويقذفون بنادقهم في الهواء ثم يلتقطونها، ويقومون بحركات عصبية غريبة، ويروي تقي الدين، أنهم كانوا يقولون، نأتيكم برؤوسهم ولو كانوا من الجن وليس من الأنس، وقد لقي نعيم ومرافقيَه عناء في إقناعهم بوجوب انتظار العدو ورده إذا هاجم وأفهمهم بأن مهمتهم تنحصر في الدفاع عن الحكومة المستقرة في بشامون، لا أكثر ولا أقل، وكان يتخوف نعيم بأن يفلت زمام الأمر من يديه وتتغلب حماسة الشباب فيهجمون على السنغاليين.

الفقرة الخامسة ـ مجيد أرسلان يعلن: لا نعمل بوحي من انكلترا

أعلن وزير الدفاع بأننا لم نكن يوماً من الأيام نعمل بوحي السياسة الإنكليزية، كما تتوهمون، بل إننا رئيس الحكومة ورئيس مجلس النواب وأنا لم نكن نعرف الجنرال سبيرز شخصياً، إذ قابلناه مرة واحدة أثناء الأزمة. وأكد الأمير في مخاطبته أوليفيه روجيه، المندوب الفرنسي هل تريدون أن نؤمن بكم وحدكم ونحبكم ونكره الإنكليز[١].

الفقرة السادسة ـ اعتقال بيار الجميل (١٣ تشرين الثاني ١٩٤٣)

بينما كان الشيخ بيار الجميل رئيس الكتائب يتفقد الأسواق والأحياء، أصيب برصاصة طائشة في يده اليمنى. فتحمل جراحه وتابع مهمته كقائد للشباب. وبينما هو في بيت الكتائب يشرف على حركة الشباب اللبناني جاءه بعض رسل كويسلنغ، واستدعوه مع الأستاذ ربابي بحجة البحث بأمر يهم الكتائب ولما وصلا إلى الدائرة طوقهما الجنود واعتقلوهما واتهموه زوراً بتهمة عادية، وأقفلوا بيت الكتائب، ولاحق رجالهم بعض أعضاء النجادة والكتائب لاعتقالهم[٢]. وأقفلت الشوارع البيروتية بما فيها الجميزة، لما ترمز من دلائل آنذاك. بالمقابل قرر المؤتمر الوطني في إحدى جلساته الأخيرة تسجيل تحية وطنية للشيخ بيار الجميل، نظراً للتضحيات التي يقوم بها في

---

١ ـ عاطف أبو عماد، الأمير مجيد أرسلان، ص ١٥٦.
٢ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣.

سبيل لبنان الوطني، وكان لهذا القرار الوقع الجيد في نفوس اللبنانيين[١]. وحالاً تسلم الرئاسة مكانه الأستاذ جوزف شادر، وظلت حركة الكتائب في خدمة لبنان سائرة لا يعتريها ضعف ولا وهن وقرر المؤتمر الوطني في إحدى جلساته الأخيرة تسجيل تحية وطنية مباركة للشيخ بيار الجميل نظراً للتضحيات التي قام بها في سبيل قضية لبنان الوطنية وقد كان لهذا القرار أجمل الأثر في النفوس[٢].

الفقرة السادسة ـ المواقف العربية المؤيدة

سارت المظاهرات في العراق ومصر، داعمة الحكومة الشرعية، مطالبة بإطلاق سراح المعتقلين، لأن عواقب هذا التصرف قد تكون وخيمة، وكان المسؤولون المصريون أشد المناصرين ومما جاء في الصحف المصرية، إن مصر التي كانت عضواً في عصبة الأمم، لها رأيها في الانتداب وتصر على إعطاء لبنان استقلاله والتصرف الفرنسي يهدف إلى نزع الاستقرار في المنطقة[٣]. أما العراق فقد أكد أيضاً وقوفه ضد تصرفات الجيش الفرنسي، وأرسل رجال الدين المسلمون احتجاجات إلى رئيس أساقفة كانتر بري في لندن، لكن المفارقة في تلك الأثناء، كانت في الدعوة التي أطلقها شمعون في العراق للهلال الخصيب، وقد تكون الحاجز الذي قاد السعودية إلى تليين موقفها من مصر، بعدما كان الملك فاروق متهماً بالميل إلى القوات الإيطالية الفاشية وقيام مظاهرات في القاهرة تؤيد الانتداب الألماني في أفريقيا وكانت الهتافات تردد «عجل عجل يا رومل» وهو على أبواب مصر[٤].

النبذة الأولى ـ برقية من الملك فاروق إلى الرئيس المعتقل[٥]

أرسل الملك فاروق برقية إلى رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري وقد أذاعتها محطات الإرسال في مصر ولندن وفلسطين جاء فيها:

١ ـ جريدة علامتي الاستفهام، ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣.
٢ ـ د. نقولا زيدان، مداخلة حول دور بعض الأحزاب السياسية في معركة الاستقلال في اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦، ص ٥٠٥.
٣ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٥٥؛ جريدة «علامتي الاستفهام» العدد ٦، ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣.
٤ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٥٤.
٥ ـ جريدة علامتي «الاستفهام» العدد ٩ تاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣.

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري.

«إنه لمن دواعي أسفي أن ظروفاً محزنة حالت دون قيام البعثة الملكية التي كان سفرها مقرراً إلى لبنان لتحمل رسالتنا إليكم، على أن هذه الظروف التي حالت دون سفر البعثة لن تحول دون الإعراب لفخامتكم ما كانت البعثة ستؤديه وهو تهنئتكم بثقة شعب لبنان. ولذلك بادرنا إلى إرسال هذه الرسالة مؤكدين أن تلك الثقة التي أولاها الشعب اللبناني الكريم لفخامتكم بانتخابكم رئيساً للجمهورية قد أقامت دليلاً على جدارتكم وما نعلمه عنكم من مزايا ومن وطنية لا يلين لها عود... وأثبتت أننا لواثقون بأن الشعب اللبناني بلغ في ظل الكرامة والحرية والشرف ما هو جدير به من سيادة ومجد ولست في حاجة لأن أؤكد لفخامتكم أن الشعب اللبناني يستطيع أن يعتمد على صداقتنا حكومة وشعباً في مصر في ساعات الشدة والحرج التي يمر بها.

ففي هذه الساعات وبها، تتأكد العواطف وتتمكن المحبة. إن هذه الساعات تمر بالشعوب وتمضي ولكن الشعوب تبقى برجالها وسيبقى شعب لبنان».

فاروق/ملك مصر

لم يطلع الرئيس بشارة الخوري عليها إلا بعد اطلاق سراحه[١].

النبذة الثانية ـ الملك السعودي، يحتج لدى البريطانيين على الفرنسيين

أرسل الملك عبد العزيز آل سعود، برقية بتوقيعه إلى وزارة الخارجية البريطانية، محتجاً على فرنسا، وكان الجواب بأن حكومة صاحبة الجلالة البريطانية، لثقتها بحكمته واعتداله المعروفين، تتكل عليه بأن لا يقدم على أي عمل يزيد الأزمة تعقيداً. وأن يلح على الشعب اللبناني بالاعتصام بالصبر والاعتدال لأن الوضع لا بد إلا أن يعود إلى طبيعته قريباً.

النبذة الثالثة ـ وزير خارجية سوريا يندد بالاعتقالات[٢]

كانت ردة فعل النواب السوريين ساخطة ضد الاعتقالات وقد عبر عن هذا الموقف جميل مردم بك، وزير خارجية سوريا في خطابه حول القضية اللبنانية وطالب بالإفراج عن المعتقلين لعودة الأمن والاستقرار للبلاد.

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٥٥.
٢ ـ جريدة «علامتي الاستفهام» العدد ٩ تاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣.

الفقرة الثامنة ـ بدء القتال الميداني

النبذة الأولى ـ انسحاب الحكومة إلى سرحمول

خوفاً من نتيجة الهجوم الذي ستشنه القوات الفرنسية، وكي تظل الحكومة حرة في تحركها وفي عملها داخل البلاد وخارجها، قررت الانسحاب إلى قرية سرحمول، تاركة أمر قيادة الحرس الوطني لنعيم مغبغب، ومما يذكر أن الرئيس صبري حمادة، قبل الانسحاب إلى سرحمول، انتزع بندقية أحد المقاتلين وسارع للقتال، لكن الشباب لم يدعوه قائلين أنت رئيس من رؤساء البلاد، فلن نسمح لك بالقتال، إلا إذا أصبحنا جميعاً جثثاً، وعندها افعل ما تريد[١].

النبذة الثانية ـ الفرنسيون ينظمون الهجوم على بشامون

قدم شابان إلى بشامون من عاليه، عن طريق سوق الغرب، وأخبرا الحكومة بأن هناك حشوداً فرنسية كبيرة، نقل الخبر أحد أفراد القناصة اللبنانيين التابعين للجيش الفرنسي، بأنهم سيهاجمون بشامون هذه الليلة، وأبلغهما أن القناصة اللبنانيين والسوريين، سوف يعصون الأوامر ولن يطلقوا النار على المقاتلين.

النبذة الثالثة ـ مغبغب يطلق أوامره لأفراد الحرس الوطني

تفقد نعيم جبهات القتال، وكان يلقي الأوامر لأفراد الحرس؛ دعوهم يقتربون منكم ما شاؤوا، لا تطلقوا النار عليهم إلا إذا بادروا أولاً، لكن حذار أن يأخذوكم على غرة، ويدخلون بشامون، إن مهمتنا عسكرية وسياسية في آن واحد، يجب أن لا يقول الفرنسيون غداً، أننا نحن الذين بدأنا القتال، لكن إذا أطلقوا عليكم الرصاص، فالقوا بهم إلى جهنم وإذا انسحبوا فدعوهم وشأنهم»[٢].

كانت التوجيهات بعدم إطلاق النار إلا إذا صدر الأمر، ومن يخالف يعد جباناً خائناً، ويقصى عن ميدان الجهاد، وكان هذا بمثابة تهديد، وسوف يرتب عقاباً على مخالفته.

---

١ ـ جريدة «علامتي الاستفهام» العدد ٩ تاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣.
٢ ـ منير تقي الدين، ولادة الاستقلال، دار النهار للنشر، ١٩٩٧، ص ١٢٨ وما يليها.

الفقرة التاسعة ـ الهجومات الأربع

النبذة الأولى ـ الهجوم الأول

تقدمت القوات الفرنسية، وفي طليعتها الدراجات الآلية تتقدمها بمئة وخمسين متراً، تستكشف المنطقة، فتقدمت المصفحات وورائها الكميونات المشحونة بالجنود، وبعضها بجنود القناصة، وظلت تقترب حتى أصبحت على مرمى بنادق الحرس الوطني.

فجأة، أخذت المصفحة الأولى تطلق نار مدفعيتها على بشامون، فانهال عليها الرصاص، فأصيب الجنود المشحونون في الكميونات قبل ترجلهم منها، فتراجعت المصفحات والكميونات والجنود منبطحون فيها فوق بعضهم.

النبذة الثانية ـ الهجوم الثاني

بعد ساعة تقريباً، عاود الفرنسيون الهجوم بسبع مصفحات، وظلوا على بعد خمسماية متر من مدخل بشامون، مطلقين من مدافع المصفحات، فوجاً واحداً من الطلقات، فقابلهم الحرس الوطني بطلقات سريعة محكمة، فعادوا على أعقابهم. وقد سرد لي أحد أبناء البلدة، السيد الياس غنطوس،[١] أنه كان يوماً برفقة المرحوم زيد كرامي في بشامون، فوقف هذا الأخير على تلة صغيرة «يمشي يفرك يديه، ويتمتم، يضع يديه على رأسه، بشكل عصبي»، فسأله عن السبب، فراح يطلب الرحمة على نعيم مغبغب، وأخبره أنه عندما كانت المصفحات تقترب من بشامون، أمر بأن يطلق الرصاص بغزارة، وأخذ يزحف على يديه حتى اقترب من المصفحة الأولى المتقدمة، وأصبح بإمكانه أن يقذفها، وهكذا كان، فتعطلت المصفحة الأولى، ولم تستطع المصفحات المتبقية التقدم، لضيق الطريق، فارتدت على أعقابها وانسحبت.

---

١ ـ نقلاً عما رواه لي الياس غنطوس، عندما كان واقفاً مع زيد كرامي (الذي كان مشاركاً فعلياً في الثورة) على الكوع في بشامون، وذلك في الستينات (بعد استشهاد نعيم مغبغب).

النبذة الثالثة ـ الهجوم الثالث

في صباح يوم الثلاثاء ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٣، الساعة السابعة، انحدرت من عيتات، عشر مصفحات مملوءة جنوداً، ومجهزة بالمدافع، وكان رجال الحرس الوطني قد أقاموا الحواجز في الطريق وسدوا مدخل بشامون بالحجارة الضخمة والصخور، فتقدمت مصفحة من ثلاث حتى بلغت البوغاز، أما الباقيتان فقد رابطت إحداهما على مفرق بشامون والثانية بقيت تحت عيتات. عندما اعترضت الصخور المصفحة الأولى، ترجل منها جنديان يحاولان رفع الحجارة عن الطريق، وأخذت المصفحة تطلق النار لتغطيتهم، فقابلها المقاتلون بالمثل وقتل جندي أفريقي وخرج سعيد فخر الدين من عين عنوب من وراء المتاريس وقذف المصفحة بقنبلة يدوية، فانهال عليه رشاش من الرصاص فمزقه تمزيقاً، وفي الهجوم كان يخاطر بنفسه ويقوم بأعمال يعجز اللسان عن وصفها، رحمه الله»[١].

تضاعف القصف والرصاص بالمقابل، وتعالت الزغاريد كأن المقاتلين في عرس، وتمكن رجال الحرس الوطني، في تلك الساعة من أسر المصفحة الأولى، لأن المصفحتين الباقيتين انسحبتا، واتفقوا بأن يدعوها وشأنها، إذا كفت عن إطلاق النار. وبالفعل حوالي الساعة الثامنة إلا ربعاً، تقهقرت وتراجعت، بعد سقوط قتيلين من طاقمها.

النبذة الرابعة ـ الهجوم الرابع

عند الساعة العاشرة، ظهرت قوة فرنسية مهاجمة على طريق عيتات، فتوقفت عند مدخل عين عنوب، وأخذت تطلق نيران مدافعها على مواقع الحراس في بشامون، فصدها هؤلاء بسهولة، وكبّدوها أكثر من ١٥ إصابة بين قتيل وجريح[٢].

الفقرة العاشرة ـ بلاغ الثورة الحربي[٣]

أصدر وزير الدفاع، بلاغ الثورة الحربي، الوحيد وسلمه إلى الشباب ليذيعوه، فرددته صحف العالم وأذاعته أكثر من خمسين محطة، بجميع اللغات. وقد جاء فيه:

١ ـ منير تقي الدين، المرجع ذاته، ص ١٢٩.
٢ ـ منير تقي الدين، المرجع ذاته، ص ١٣٢.
٣ ـ منير تقي الدين، المرجع ذاته، ص ١٣٢ و١٣٣.

«هاجمت قوات فرنسية مسلحة مركز الحكومة الشرعية في بشامون مساء الاثنين ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣، فردت عليها وحدات الحرس الوطني دون خسائر في النفوس وفي صباح اليوم الثاني شنت القوات المسلحة الفرنسية هجوماً عنيفاً على المركز المذكور فردها على أعقابها أربع مرات متوالية حتى الساعة الثالثة بعد الظهر وسقط بعض القتلى والجرحى من الجنود السنغاليين وسقط شهيد واحد يدعى سعيد فخر الدين من عين عنوب» ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٣، وزير الدفاع اللبناني، والقائد العام لقوات الحرس الوطني مجيد أرسلان[١] وعلى أثر ذلك صدر بلاغ وزير الدفاع عن استشهاد سعيد فخر الدين.

الفقرة الحادية عشرة ـ القيادة العسكرية العليا في الشرق الأوسط تحذر من الاقتراب من مقر الحكومة اللبنانية الشرعية

أصدرت القيادة العسكرية العليا في الشرق الأوسط أمرها إلى كافة وحداتها العسكرية بألا تقترب من المكان الذي تقيم فيه الحكومة اللبنانية الشرعية أو أن تحاول المساس به وكل مخالف لهذه الأوامر يعتبر عاصيا[٢]. وأنه بفضل العناية الإلهية وجد الأميرال مورنه قائد الأسطول الحربي الفرنسي في المشرق، فهو لم يكتف بالاقتناع بوجهة نظر الاستقلاليين كما صرح لحبيب باشا، وأبلغه بذلك لبشارة الخوري، بل اعتبر أن القضية قضية بلاده كما هي قضية بلادنا، وتجند للدفاع عنها لتحويل وجهة السياسة الفرنسية إلى نطاق المشورة لا إلى دائرة استعمارية بصورة انتداب.

الفقرة الثانية عشرة ـ الاندفاع في الزود عن الاستقلال

بعدما تركزت الحكومة في سرحمول، كان همها الاطلاع على سير المعارك الحربية في بشامون، وقد قام بهذه المهمة شفيق نور الدين وهو شاب من سرحمول، كان يزود الحكومة بكل ما يحصل في بشامون. ومما يروى عن الحماس الذي تجلى في تلك الآونة، أن جميع الشباب كانوا يتوقون للمشاركة في القتال، حتى أحد الأولاد، وهو محمد ابن سليمان عبد الخالق، من قرية مجدل البعنا، قرب صوفر، الذي أخذ يبكي للحؤول دونه والقتال.

١ ـ جريدة «علامتي الاستفهام»، العدد ٨ تاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٣.
٢ ـ جريدة «علامتي الاستفهام»، ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٣.

وكان بين المقاتلين، شباب مثقف منهم الدكتور بدورة، طبيب أسنان من دير القمر، شارك في الحرس الوطني، وقد تعجب أحد الأشخاص الانكليز، عندما رد عليه بالانكليزية، على الحاجز، فانصرف الإنكليزي مندهشاً.

الفقرة الثالثة عشرة ـ محاولة التفاوض مع الحكومة[1]

بعد الانتصار الذي حققته قوات الحرس الوطني المتمركزة في بشامون، وتراجع القوات الفرنسية بعد أربع جولات من القتال، رجعت الحكومة المؤقتة الى بشامون، خاصة وقد أصبح موقف فرنسا حرجاً للغاية أمام الدول الأخرى، كبريطانيا والولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي، مما اضطرها إلى إرسال الجنرال كاترو للتفاوض وحل الأزمة. حاول في أول الأمر الاتصال برئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء والوزراء المعتقلين، فكان جوابهم رفضاً قاطعاً لأية مفاوضة قبل الافراج عنهم، فتوجه إلى الحكومة المؤقتة في بشامون وبعد إلحاح كبير، حصل لقاء بين المندوب بيار بيار والحكومة المؤقتة وقد سمع الموقف نفسه، لا تفاوض قبل الافراج عن المعتقلين، وعودتهم وإعادة العمل بالدستور. تدخل مفاوض آخر هو المندوب الفرنسي في دمشق، أوليفيه روجيه، الذي فاوض الحكومة في بشامون، فكرر عضوا الحكومة ورئيس المجلس المطالب نفسها.

وسقط حسين عبد الساتر شهيداً في معركة الاستقلال في بيروت برصاص القناصة الفرنسيين، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه في بلدة إيعات في قضاء بعلبك، وكان ينتمي إلى الحزب القومي الاجتماعي، لكن هذا المصاب أجج عواطف الأهالي، فتوعدوا بمهاجمة مركز الأمن العام الفرنسي في بعلبك، واشترطوا إخلاء المركز الذي كان عند مدخل بعلبك، وإنزال العلم الفرنسي حتى يمر جثمان الشهيد، فكان لهم ما أرادوا وجرى دفن الجثمان بعد تأبين خطابي، في بلدته[2].

١ ـ منير تقي الدين، ولادة استقلال ١٩٩٧، ص ١٩٦ وما يليها (وحول تفاوض فرنسي جديد بتاريخ ١٦ تشرين الثاني، نوفمبر عام ١٩٤٣، ص ٢٠٣).
٢ ـ حسين حمية، المرجع ذاته، شهداء الوطن.

الفقرة الرابعة عشرة ـ مغبغب، «أنا مسيحي لبناني، والمعركة ليست طائفية»[1]

انبرى نعيم مغبغب يدافع عن استقلال بلاده، ولدى وصول مراسل أميركي إلى بشامون طالباً مقابلة وزير الدفاع، بادره بالسؤال:

ـ يزعمون أن حركة المقاومة التي تقودها الحكومة تصطبغ بصبغة طائفية وأنها تعتمد في القتال على أبناء الدروز.

ضحك المير مجيد أرسلان وطلب نعيم مغبغب فلما حضر بادره وزير الدفاع أجب على سؤال المراسل، أعاد المراسل السؤال فقال له نعيم مغبغب: أنا مسيحي من لبنان، من قرية عين زحلتا، وإن عدد المسيحيين في الحرس الوطني يتجاوز الـ ٣٥ في المئة من مجموع القوات. وراح المراسل الحربي، يسأل وزير الدفاع عن الجيش التابع له، فقال الوزير هذا أمر لن أرد عليه، لكن اسألني ما هي القوة التي تستطيع الحكومة أن تصدها، فنحن قادرون على رد عشرة آلاف مهاجم بكل المعدات وسترى فيما إذا هوجمنا، صدق قولي هذا. لكن بالحقيقة لم يتجاوز عدد أفراد الحرس الوطني ٣٠٠ مسلح.

الفقرة الخامسة عشرة ـ قصة «القنبلة الأولى»[2]

كما ذكرنا، أبلغنا نخلة مغبغب، قائد الدرك آنذاك عن نعيم مغبغب وكيفية زرعه القنابل بوجه السلطات الفرنسية، برفقة كلودا تابت. نعيم يشرح بنفسه في جريدة «الاقدام» كيفية القيام بهذه المهمة وقد أوردها في مقال تحت عنوان «ذكرى القنبلة الأولى» الساعة ١١، يوم ١١ شهر ١١ ومما قاله:

في صباح يوم ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ وجدت نفسي عند الساعة الثامنة مساءً ماراً في سيارة أمام سينما روكسي وكانت جموع الشعب قد غَرقت بالعدوان الذي ارتكبه الفرنسيون تحت ستار الظلام الغادر، فأخذت تتجمهر على الأرصفة وراحة

١ ـ منير تقي الدين، المرجع ذاته.
٢ ـ كما يروي ذلك نعيم مغبغب في جريدة «الاقدام»، السنة الثانية، العدد ٢٦٤، تاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٤٥.

حائرة تكاد لا تصدق ولا تعي، وكان قليلون من جاءهم رد الفعل فوراً. هناك التقيت بصديق أبلغني أن عدداً محدداً قرر الاجتماع مع بعض قادة الشباب واجتماعاً آخر يعقد في مكتب تاجر كريم.

وأما الاجتماع الثاني فاتفق فيه الحاضرون على تأليف لجان متسلسلة تتوارد العمل الواحدة تلو الأخرى، ولما انفرط عقد المجتمعين سألني صاحب الدعوة إذا كنت قادراً أن أزوده بقنبلة يدوية أو باثنتين، مكلّفاً بعض أتباعه بالعمل حيث تدعو الحاجة، فوعدته خيراً، وقصدت إلى حيث وجدت القنابل فلم يكن نصيبي منها إلا محرقة واحدة ومتفجرة واحدة.

وكانت الساعة قاربت العاشرة فعدت إلى منزل أحد الوزراء المعتقلين، وفيه طلبت من سيدة كريمة (المقصود السيدة كلودا ثابت) وصديقة عزيزة أن أحملها في السيارة معي، إلى فندق سان جورج، ولما كانت دوريات الجيش والشرطة قد بدأت تجول في الشوارع فقد سلكت بنا السيارة طريقاً، فوجدنا نفسينا، خلف خان أنطون بك، قرب المطاعم والمقاهي الوطنية المعروفة، البحري والحاج داود وغيرهما، ولاحت مني التفاتة إلى اليسار فإذا بنوافذ العمارة التي تحتلها فرقة الفجر الفرنسية مفتوحة، وإذا بالغرف خالية وإذا بالمدخل في شارع البوسطة، يحرسه جندياً واحداً يتحدث إلى زميلين له.

كل هذا رسمته عيناي في مخيلتي صورة عادية عارضة مثل كل ما يقع عليه عينا راكب السيارة، ولم تكد السيارة تتقدم عشرة أمتار بعد موقع الصورة حتى اعتمدنا على أن نلقي قنبلة على مقر البحرية غداً.

الفقرة السادسة عشرة ـ مغبغب يروي قصة المجاهدين (١٩٤٣)

لعل أصدق ما ورد في هذا الموضوع ما كتبه نعيم مغبغب بنفسه في جريدة «الاقدام»[1] في الذكرى الأولى للاستقلال تحت عنوان «المجاهدون، كيف أتوا وكيف عاشوا».

---

١ ـ كما يروي ذلك نعيم مغبغب، في «ذكرى الاستقلال» المنشور في جريدة «الاقدام»، السنة الثانية، العدد ٢٦٤، الأحد ١١ تشرين الثاني ١٩٤٥.

النبذة الأولى ـ من أين وكيف أتى المجاهدون

سألني منذ زمن قريب أحد المراسلين الحربيين الأجانب عن وطنية اللبناني، وإلى أي حد سيصل استعداده للثورة على الاستعمار، فكان جوابي روايتي له قصتين واقعيتين عرفتهما شخصياً:

١ ـ في ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ قصدت إحدى قرى الشوف فاجتمعت ببعض شبانها الأحرار، على أن نعود في صباح اليوم التالي إلى بشامون نحمل ما تيسر لنا من السلاح، وكان أحد الشبان في طليعة المتحمسين، لكنه لا يمتلك سلاحاً، فحاول شراء ما يلزمه محلياً فلم يجد بائعاً فسافر وتركنا.

وبعد أربعة أيام أقبل صاحبنا على معسكر الحرس الوطني في عين عنوب يختال ويزهو بإيطالية، شدها إلى ظهره، وبقي مع الحرس الوطني حتى نهاية أزمة الاعتقال، وكان من أكثر الحاضرين لجاجة في طلب المهمات الخطيرة وعرفت أنه رحل عن تلك القرية الشوفية الجميلة، بعد رحيلنا منها بنحو ساعة، وأنه طاف نيف وعشرين قرية من الشوف والعرقوب حتى توفق بشراء الإيطالية.

٢ ـ وعرفت شاباً أديباً شاعراً زجلياً كان يملك دكانين تجاريين، ولزمه المال ليشتري سلاحاً في أزمة وطنية، فما كان منه إلا أن أفرغ أحد المحلين وحشر موجوداته في المحل الآخر، وهدم الأول وباع الحديد المستخرج من سقفه واشترى سلاحه.

قصتان رائعتان أذهلتا المراسل الأجنبي واعترف أنهما تدلان على وطنية وتضحية نادرتان، فإنه أسهل على الإنسان أن ينضم للجيش ويكون فيه فدائياً من أن يخدم مختاراً متطوعاً ويمشي منفرداً عشرات ومئات الأميال ليشتري من عرق جبينه سلاحاً في سبيل وطنه الذي يستبعد أن تقدر تضحيته، وفي الواقع لم يقدرها أحد.

أضف إلى هاتين القصتين أن مجاهدي الحرس الوطني جميعاً لبوا نداء الوطن مختارين متطوعين غير مأجورين، وأنهم تركوا نساءهم وعيالهم ومالهم، وساروا ساعات طوالاً ليلاقوا الخطر متى وقع، وهم لا دافع لهم غير الوطنية والنخوة، وقد عادوا جميعاً بعد الأزمة إلى بيوتهم لا يطلبون مجداً ولا وساماً، بل انك تراهم اليوم، وهم

المتطوعون لحماية الاستقلال متساوين في الحقوق وفي التقدير مع الذين تقاعسوا بل مع الذين خانوا.

هكذا أتى المجاهدون، وهكذا عادوا من حيث أتوا، وكفاهم أجراً راحة ضميرهم.

النبذة الثانية - كيف عاشوا؟[1]

وتابع مغبغب: أمضى المجاهدون القسم الأكبر من أوقاتهم تحت أشجار الزيتون في عين عنوب، فكانت الأرض فراشهم والسماء لحافهم، وكانوا يتناوبون القيام بالدوريات ليلاً ونهاراً، ويتناوبون في تأمين الكمائن وعددها من عشرة إلى خمسة عشرة ليلاً نهاراً أيضاً، وكانت الليالي قارصة البرد، والمتطوعون يعودون من نوباتهم وقد جمدت مفاصلهم وازرقت أطرافهم، ومعظم نوبات الليل كانت في الثامنة مساءً ولا تنتهي حتى الثالثة صباحاً، فلا يكاد احدهم يرجع إلى المعسكر في عين عنوب حتى يبادر إلى النار يصطليها، أو إلى ملجأ المطعم الدافئ يسد فيه رمقه.

وكان أهالي القرى، ولاسيما أهالي بشامون وعين عنوب، قد تجندوا جميعاً شباناً وشيباً ونساءً وأطفالاً، كما أنهم فتحوا بيوتهم ووضعوها بتصرف المجاهدين. فمن لم يحمل سلاحه من عين عنوب وبشامون تطوع للخدمة، بحمل الرسائل، وإعداد الطعام والشراب ويدور على الحاضرين إلخ..

كان الحلاق في عين عنوب يرسل أولاده وأخوته يدعون المجاهدين إلى محله فيحلق لهم ذقونهم ولا يتقاضى عن عمله أجراً وكان أهالي القريتين، من غير حاملي السلاح، يطوفون ليلاً ونهاراً يدعون المجاهدين إلى بيوتهم، فتبسط الموائد في كل الأوقات ليأكلوا وتمد الفراش في كل الساعات ليقضوا دقائق أو لحظات من الراحة، وقد عرفت أكثر من بيت في عين عنوب نامت عياله جائعة لأن كل حبة قمح طحنت وكل ذرة دقيق عجنت وكل لقمة عيش قدمت للمجاهدين.

وفي أعماق الليل البهيم، في منتصفه وقبله وبعده، كانت تسمع فوق أحجار الطريق وعلى تراب الجلال تحت شجر الزيتون خطوات وكان يرتفع صوت الزائر يدعو

١ - نعيم مغبغب، يروي في ذكرى الاستقلال، منشور في جريدة «الاقدام»، المرجع ذاته.

الساهرين من يريد فنجاناً من القهوة الساخنة ليدفأ؟ من يريد ماء أو برتقالة ليروي غليله؟ لا تحملوا ثقلة يا شباب.

وكان كرام المشايخ من أهل عين عنوب، واحب أن أخص بالذكر الشيخ هاني، يصلون الليل بالنهار في العناية بضيوفهم، وكان الصديق الشيخ هاني، بعد أن ينظم المطعم، يشعل النار بيديه، ويقطع اللحم بيديه، ويشويها بنفسه، ولا أدري إذا كان في أيام عديدة متوالية ذاق طعم النوم ساعة واحدة.

هكذا كانت الحال في عين عنوب وقُل مثل ذلك في بشامون وحدث ولا حرج.

هذه صورة مصغرة لحياة المجاهدين في تشرين، بل صورة لحياة لبنان المجاهد، لبنان العربي الشهم الكريم المقدام، وإذا كان المجاهدون ومضيفوهم لم تسفك دماؤهم، ولم تخرب بيوتهم، فذلك من فضل ربك وليس من تقصيرهم.

وخلص مغبغب للقول اللهم زد من أمثال هؤلاء واللهم حسن صلة الإخاء التي ارتبطوا بها في أيام المجد[1].

الفقرة السابعة عشرة - المؤتمر الوطني اللبناني العام

- اجتمع الزعماء والشباب والصحافيين والتجار ومندوبي النقابات والمتمولين وغيرهم من أصحاب المصالح وأرباب الوطنية وشكلوا المؤتمر الوطني اللبناني العام، برئاسة هنري بك فرعون، وأحمد بك الداعوق، وعضوية بعض الوجهاء.

الفقرة الثامنة عشرة - الشهداء بتاريخ ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٣

سقط شهداء عديدين في بيروت فداء الوطن، وقد عرف منهم عبد الغني العيتاني (٢٠ عاماً)، أرداه ضابط فرنسي بالرشاش في محلة البسطة وإبراهيم سوبره (٢٤ عاماً) قتله الجنود السود وكان يشارك بالجنازة الأولى، وسقط في محلة رأس النبع، الطالبان فؤاد مخزومي وعيسى ناطور وعمر كل منهما ١٤ عاماً. أما عدد

١ - جريدة «الاقدام»، المرجع ذاته.

الجرحى فيتجاوز الأربعين بينهم سيدتان. وفي اليوم الأول قتل واستشهد ستة بينهم طفلان أحدهما في العاشرة، والثاني في الثامنة.

الفقرة التاسعة عشرة ـ اغتيال أديب البعيني

أما أديب البعيني الذي كان شاعراً زجلياً ورئيساً للحرس الوطني فقد تم اغتياله خطأ في ٣١ كانون الأول ١٩٤٣. أما تفاصيل ذلك فيرويها نسيبه نجيب البعيني بأن رئيس الجمهورية بشارة الخوري كان عائداً إلى منزله، يرافقه أحد أزلامه، حضر أحد الأشخاص وأخذ يطرق الباب الخارجي بالجرس ولما لم يُفتتح له فوراً أخذ يشتم ويصيح، فخرج إليه أديب البعيني وانتهره بأن يكف عن إهانة الحرس، وبعدما دار ظهره أطلق عليه النار فسقط مضرجاً بدمائه، وأقيم له مأتم حاشد في بلدته مزرعة الشوف، ومشى في جنازته أعيان البلاد ومواطنون كثيرون، لم يسجن الجاني إلا بضعة أشهر.

وكتب مغبغب في جريدة «الاقدام» بتاريخ ٤ كانون الثاني ١٩٤٤، عن صديقه أديب البعيني يصف بسالته وشجاعته وفروسيته قائلاً: بالأمس كان أديب ينتقل من شملان إلى عيناب إلى عين عنوب إلى بشامون، يملأ الدنيا بشخصه، وتتردد في أرجائها نبرات صوته القوي العميق فلا تكاد ترن في الآذان حتى تهتز بها المشاعر وتخشع لها القلوب.

الفرع الخامس ـ بريطانيا تنذر بالافراج عن المعتقلين قبيل ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣

الفقرة الأولى ـ الإنذار البريطاني

أمام هذه التطورات المقلقة أرسل البريطانيون إنذاراً إلى الفرنسيين بالافراج عن المعتقلين وإعادتهم إلى مراكزهم في السلطة، قبل الساعة ١٠ من ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، وإلا فإنها ستعلن الأحكام العرفية مما يستتبع إمكانية توجيه الجيش

البريطاني إلى راشيا والافراج عن المعتقلين بالقوة[١]. وكانت الحكومة البريطانية قد طالبت «لجنة التحرير الفرنسية» بذلك وإلا فإنها ستضطر إلى الدعوة لمؤتمر إقليمي يضمّ ممثلين عن فرنسا وأميركا وسوريا ولبنان، للتداول في الأمر، توصلاً لحل جذري، وكانت دوماً بريطانيا تذكر بإمكانية التدخل العسكري لإعادة الأمن إلى البلاد، كما أشرنا[٢].

يجدر التذكير، بأن الوزير كايسي، كان قد طلب من لندن، قبل إرسال الإنذار إلى لجنة التحرير الفرنسية، أن تشرك معها أميركا وإعلان القيادة البريطانية لجيش الشرق الأوسط، أنها وحدها المسؤولة عن الأمن في لبنان، لقطع الطريق أمام الفرنسيين في تماديهم بتهديد السلامة العامة وسلامة الجيوش الحليفة.

ويظهر بأن الحكومة البريطانية، لم تجد بداً في آخر المطاف إلا إرسال الإنذار الذي أسلفناه، فاستلمه كاترو وشرح له الوزير كايسي مضمونه في اجتماع عقد بينهما الساعة الخامسة والنصف من اليوم ذاته في منزل الجنرال سبيرز، والقاضي بإطلاق سراح المعتقلين[٣].

الفقرة الثانية ـ الافراج عن المعتقلين

في صباح يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، حضر الكولونيل نوفل قائد الدرك اللبناني إلى قلعة راشيا على رأس فرقة من حرس الشرف، وأبلغ المعتقلين بنبأ الإفراج عنهم، فاحتشد أبناء القرى والمدن على طول الطريق مهللين، وما كاد الخبر ينتشر حتى غصّت ساحة الشهداء بمئات الآلاف من المحتشدين ونظموا استقبالاً رائعاً لم تشهده البلاد من قبل[٤].

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٤٤؛ د. عصام خليفة مدخل حول دور الجنرال سبيرز في معركة استقلال لبنان ص ٤٧١ ـ ٤٩٨.
٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٤٦؛ د. عصام خليفة، المرجع ذاته، ص ٤٨٧.
٣ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٤٦؛ د. عصام خليفة، المرجع ذاته، ص ٤٨٧.
٤ ـ كميل شمعون، مذكراتي، ص ٣٢.

بعد إبلاغ المعتقلين قرار الإفراج عنهم، انتظروا طويلاً وصول السيارات الثلاث الرسمية لنقلهم إلى بيروت، طلب المندوب الفرنسي السيد دافيو أن يرافق رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، في سيارة الرئاسة، ليتحدث معه وهكذا كان. اجتازت السيارات قرى البقاع وسط الحشود، إلى أن وصلت إلى ضهر البيدر، فطلب رئيس الجمهورية من السيد دافيو الانتقال إلى سيارة أخرى، ليرافقه رياض الصلح، وانطلقت دراجات الحراسة بعد استبدال العلم القديم بالجديد باتجاه عاليه وبيروت وصولاً إلى القنطاري المحاط بالناس، بينما توجه رياض الصلح إلى منزله في رأس النبع، وقد خطب الرئيس من على شرفة القصر، يشيد بالشعب الذي وقف إلى جانب الاستقلال[١].

ويقول كميل شمعون بأنه أثناء عودته من راشيا توجه إلى بشامون، قبل أن يعرج على منزله لاستعراض جيش المتطوعين ويهنئ أبطاله.

«بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، تم إطلاق المعتقلين ونزل هؤلاء في اليوم التالي إلى السراي، وسط التظاهرات والهتافات، لرئيس الجمهورية بشارة الخوري وللزعيم رياض الصلح.

«في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٣، اجتمع الجنرال كاترو في السراي مع الرئيس وأعضاء الحكومة، وأعلن في خطابه عودة الأوضاع الدستورية وتم رفع العلم اللبناني الجديد فوق السراي، بعدما كان قد رفع فوق سراي بشامون على يد الحرس الوطني»[٢]. صحيح أن الجنرال كاترو قد أنهى الأزمة، لكن هذا الوضع قد هال الجنرال ديغول، عندما بان له إمكانية خروج فرنسا عسكرياً من لبنان، ودخول بريطانيا اقتصادياً وسياسياً مكانها، بعدما فرضت إنهاء قضية المعتقلين في قلعة راشيا بالأنذار الحاسم بوجوب إطلاقهم في صباح ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، وإلا فإنها ستنفذ ذلك بالقوة[٣].

١ ـ بشارة الخوري، حقائق لبنانية؛ منير تقي الدين، المرجع السابق، دار النهار، ص ٢١٠.
٢ ـ كميل شمعون، مذكراتي، ص ٣٢.
٣ ـ د. إميل معكرون، إميل اده، ص ٣٠٤.

الفقرة الثالثة ـ حلم يتحقق

حقق نواب لبنان عام ١٩٤٢، الحلم الذي راود مخيلة النائب الوطني الشاب ميشال زكور في ٩ حزيران ١٩٣٢ يوم أقدم المفوض السامي على تعليق الدستور، وطرد النواب من مبنى المجلس، فأشار النائب زكور يومذاك إلى زملائه كي يطردوا ممثل الانتداب وقواته، واعتبار قرارته كأنها لم تكن. مع ذلك فإن البزرة التي زرعها زكور صباح ٩ أيار ١٩٣٢ أثمرت بعد إحدى عشرة سنة، أي في جلسة تعديل الدستور عام ١٩٤٣[١].

وبعد ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ تحقق الاستقلال وأخذ يكتمل، ففي السنة التالية تسلم لبنان، مع سوريا، السلطة على الجمارك والأمن العام والشركات ذات الامتياز ورقابة المطبوعات، بحيث أضحى يتمتع بجميع الصلاحيات التي تتمتع بها الدول ذات السيادة[٢] لكن فرنسا ظلت محتفظة في لبنان وسوريا بقيادة المجندين المحليين الذين أطلق عليهم اسم Troupes speciales وبقيت تطالب بتوقيع معاهدة تضمن لها مركزاً مميزاً، لكن حلفاؤها لم يوافقوها الرأي.

بالواقع كانت مشكلة «تسلم المصالح المشتركة» من فرنسا بالغة الصعوبة، فالاتفاق الذي حصل بين الحكومة اللبنانية والحكومة السورية في شتورا لم يكن موفقاً، مما اضطر الجنرال كاترو العودة وعقد اجتماعات ثلاث في بيروت ودمشق، انتهت إلى صدور بلاغ ثلاثي وقعه الرئيسان رياض الصلح وسعدالله الجابري، ووزيري الخارجية سليم تقلا وجميل مردم ووزير المالية السوري خالد العظم بالإضافة إلى توقيع الجنرال كاترو، وتألفت على الفور لجان في بيروت ودمشق برئاسة وزير المالية في كل بلد، لنقل المصالح المشتركة، اعتباراً من أول كانون الثاني ١٩٤٤[٣].

الفقرة الرابعة ـ البريطانيون يتقدمون على حساب الفرنسيين

تلقى مؤيدو فرنسا، صدمة كبيرة بانكسار الجيش الفرنسي أمام القوات النازية، وأصبحت القوات العليا في الشرق بقيادة فيشي الذي دفع بطائراته لمساعدة راشد علي

١ ـ يوسف سالم، ٥٠ سنة مع الناس، الطبعة الثانية، ص ١٦٥ ـ ١٦٦.
٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٣٨.
٣ ـ غسان تويني، كتاب الاستقلال بالصور، ص ٧٧.

الكيلاني في العراق، وفي عام ١٩٤١، أخذت القوات الفرنسية الفيشية تواجه الجيش البريطاني المؤلف من الاستراليين والهنود... بالإضافة إلى قوات فرنسا الحرة بأمرة الجنرال كاترو (المتزوج من امرأة يهودية)، وإذا بالدم الفرنسي يسيل تحت أوامر تشرشل، وإذا به يتفوق على الفرنسيين الفيشيين، ويحظى بالتقدم على حساب الامبراطورية الفرنسية[١].

الفقرة الخامسة ـ فرنسا تدين هللو، وبريطانيا تدين سبيرز

يظهر بأن انقسام الرأي حول لبنان، في كل من فرنسا وبريطانيا، جعل معتمدي هاتين الدولتين يتصرفان بعيداً عما هو مرسومٌ لهما، وعليه فإذا كانت فرنسا قد انزعجت من هللو، فكفت يده وأبعدته على الفور، فإن بريطانيا ـ تشرشل، لم تكن مرتاحة لما أقدم عليه سبيرز بدعمه استقلال لبنان وحريته، فإذا بالدولة اللبنانية تمنحه الجنسية اللبنانية تقديراً لمواقفه. وقال أحد الرسميين البريطانيين الذين شهدوا أحداث تشرين الأول ١٩٤٣ «لا شك أن الحكومة اللبنانية كانت مدعومة من سبيرز في حين كانت لديه تعليمات من الخارجية البريطانية بأن يقنع الحكومة اللبنانية بالامتناع عن سلوك ذلك الطريق. لقد قال بغرور ظاهر أن رياض الصلح، رئيس الحكومة، لم يخطّ خطوة واحدة من دون نصيحته. أني أعتبر سبيرز مسؤولاً بنسبة ٧٥ بالمائة عن كل تلك المشاكل»[٢] وقال دف كوبر، سفير بريطانيا لدى اللجنة الوطنية الفرنسية: «إن تصرف الجنرال سبيرز بدا وكأن سياسته كانت إخراج الفرنسيين من سوريا ولبنان بمساعدة أهل البلد. وهذه لم تكن سياسة وزارة الخارجية، ولا كانت سياسة رئيس الوزراء، لكن محاولة اقناع الفرنسيين بهذه الحقيقة كانت عبثاً ما دام سبيرز باقياً في بيروت»[٣] أما تشرشل فكتب يقول أن سبيرز «يبدو كأنه عدل عن كل سياسته الأوروبية وأصبح الذعر من فرسٍ مريض غير قابل للشفاء» وتم استدعاء سبيرز للعودة إلى بلاده في كانون الأول ١٩٤٤.

---

١ ـ د. جوزف الياس، المرجع السابق، صفحة ٥٣٨.
٢ ـ فريد الخازن، الميثاق الوطني، ص ٦٣٧.
٣ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ٦٣٨؛ عصام خليفة، المرجع ذاته، ص ٤٨.

الفقرة السادسة ـ احتفال الاستقلال في ٢٢ تشرين الثاني بدل أول أيلول

كانت الدولة اللبنانية تحتفل في أول أيلول من كل عام بمناسبة نيل الاستقلال لأنه بذلك التاريخ تم إعلان دولة لبنان الكبير وسيادته ورسم حدوده الكبرى، واعتراف جمعية الأمم الضمني فيه، لكن تم نقل المناسبة إلى ٢٢ تشرين الثاني، أي بعد الحصول على الاستقلال التام وإنهاء حالة الانتداب[١].

الفقرة السابعة دولة الرئيس سامي الصلح يشاهد نعيم مغبغب يرفع علم لبنان على سطح البرلمان بتاريخ ١٩٤٣/١١/١٨

يقول دولة الرئيس سامي الصلح انه بتاريخ ١٩٤٣/١١/١٨ اقتحم الحاجز امام منزل رياض الصلح , حيث كان الاملون هناك . وكان على ظهر جواده يسير امام مسيرة لم يعرف لبنان نظيرها ولما وصلت تظاهرة بيروت الكبرى التي كنت اقودها امام مجلس النواب ، قام نعيم مغبغب الذي كان يتسلق سطح المبنى بانتزاع العلم القديم ورفع علم لبنان المستقل الذي تكرس بشكله الجديد في منزل صائب سلام وسرعت الموسيقى تعزف النشيد الوطني واقتحمت الجماهير مجلس النواب وتوالت الخطب عام ١٩٤٣ لكن اذا كان نعيم قد رفع العلم وسط الهتافات والزغاريد فانه رفع بدمه الحديد والنارعام ١٩٤٤ كما سترى

---

١ ـ لحد خاطر، آل السعد، ص ٢٨٥؛ غسان التويني، الاستقلال، ص ٣٢.
٢ – سامي الصلخ المرجع ذاته ص ١٠٧، ١٠٨

الفصل الرابع

نعيم مغبغب رافع علم الاستقلال على قبة المجلس النيابي

الفرع الأول ـ معركة الكرامة (٢٧ نيسان ١٩٤٤)[١]

الفقرة الأولى ـ الحشود تواكب النائب يوسف كرم

لم يستطع أنصار الانتداب، احتمال ما توصل إليه الوضع، والسير قدماً نحو الاستقلال، وسارعت الدول القريبة والبعيدة للاعتراف بهذا الاستقلال فانصبت المقررات في محاولة لشق صفوف اللبنانيين، وإظهار بأن قسماً كبيراً جداً منهم لا يزال يناصر الفرنسيين. وعقدوا العزم على إعادتها إلى سابق عهدها، وأخذوا يتحينون الفرصة المؤاتية لإظهار هذه المواقف. وكانت الفرصة السانحة، مناسبة نجاح النائب يوسف كرم وتوجهه للمرة الأولى إلى المجلس النيابي، على أثر وفاة حبيب جعجع نائب بشري بتسيير لمظاهرات. وقد ذهب هنري فرعون إلى زغرتا لإقناع يوسف كرم

---

١ ـ جميع الجرائد الصادرة في ذلك التاريخ أرَّخت تلك الحادثة، أنظر النهار الأحد الصفحة الأولى والثانية ٣٠ نيسان ١٩٤٤؛ ـ البيرق ٢٩ نيسان، استقبال حفيد البطل يوسف كرم؛ ـ الديار، العدد ١٦٠٤ السنة الثالثة، السبت في ٢٩ أيار ١٩٤٤ الصفحة الأولى والثانية، وصفت كيف بدأ الرصاص ينهمر؛ ـ البيرق بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٤، حذف منها عدة أسطر من قبل الرقابة، بيروت، تاريخ ٢٧ نيسان ١٩٤٤، وصوت الأحرار؛ الهدف؛ الصياد.

بوجوب عدم المجيء بوفود كبيرة، وقد اقتنع كرم وقرر المجيء بهدوء، لكن الاستغلال لهذه المناسبة، كان من قبل المتآمرين[١].

عندما وصل النائب كرم إلى بيروت بادر المتآمرون إلى استقباله بمظاهرات كبيرة، بالرغم من رفضه لهذا الاستعراض، لكنهم لم يأبهوا له، حتى أن البعض منهم جاء راكباً على الخيل مرتدياً ثياب القرون الوسطى ومعهم نساء تزغرد وترقص، وكان كل من الياس مدور ومحمد أديب على رأس جمهور من الحدث ومعهما جورج يزبك وجمهور آخر من حمانا برئاسة عبد الله يوسف طنوس يستقلون سيارات مع أعلام فرنسية، وكانوا يطلقون الرصاص ابتهاجاً بانتظار النائب الجديد.

ترجاهم النائب كرم وقف إطلاق الرصاص ورفع العلم اللبناني دون سواه، وكانت الجموع ممتدة من المعاملتين حتى الدورة، وجسر بيروت، وقد رفضت مطالب كرم وأكملت سيرها وجهتها ساحة النجمة.

وكان موظفو الأمن العام الفرنسي يحرسون تلك المظاهرة مطلقين الرصاص بغزارة من أسلحتهم الحربية.

الفقرة الثانية ـ الخطة للإطاحة بالحكومة وبالرئاسة

كانت الخطة التي رسمها المتظاهرون بتاريخ ٢٧ نيسان ١٩٤٤ تقضي باقتحام المجلس النيابي أولاً، ثم مقر الرئاسة، بعد قطع أسلاك الهاتف، وكان الأمر سهلاً لأن درك القصر استخدموا للمحافظة على الأمن في أنحاء المدينة، ولم يرجعوا إلا بعد فشل الهجوم على المجلس، وعبرة ذلك أن الحارس هو الله[٢].

الفقرة الثالثة ـ مغبغب، ينزع العلم الأجنبي ويضع مكانه علم الاستقلال

تقدم موكب النائب يوسف كرم إلى بيروت، وأخذت تنضم إليه الوفود المشاركة على طول الطريق وخاصة في النهر والأشرفية، حيث كان المواكبون يطلقون الهتافات

١ ـ بشارة الخوري، حقائق لبنانية، الجزء الثاني، ١٩٦٠، ص ٨٨.
٢ ـ بشارة الخوري، المرجع ذاته، الجزء الثاني ١٩٦٠، ص ٨٨.

لصالح كرم وفرنسا وينشدون «فرنسا أم الدنيا عموم اعتزوا يا لبنانيي» ولدى وصول الحشود إلى المجلس النيابي حاولوا اقتحامه، وكانت الأجواء تشير بأن الأسوأ سيحصل، وخاصة عندما اندفع أحد المتظاهرين وهو محمول على الأكتاف وتمكن من نزع العلم اللبناني المرفوع على سارية المجلس بعد تعديله، أي العلم الجديد وألقاه على الأرض مما استفز عناصر الشرطة والأشخاص الموجودين داخل المجلس، فما كان من نعيم مغبغب إلا إعادة العلم اللبناني إلى مكانه فوق باب المجلس الرئيسي. عندما رأى أحد الجنود الفرنسيين، العلم الفرنسي يهوي على الأرض حتى اعترته الحمية فرفعه وصعد به لإعادته إلى مكانه، فعاجله نعيم مغبغب، قبل أن ينجح بمهمته، برصاصة فهوى أرضاً فيما ألقى أحد أذناب الانتداب قنبلة حطمت باب المدخل، وأصيب نعيم مغبغب بجروح في وجهه، فنقل إلى مستشفى الدكتور محمد خالد لإسعافه، وتضميد جراحه، وبعدما عولج رفض البقاء في المستشفى وأصر على الرجوع إلى المجلس «وعدنا معاً لمتابعة الجلسة التي يتبارى فيها النواب في الكلام ضد الانتداب واستنكار ما حصل، ولما دخلنا إلى المجلس أصر نعيم على أن ينزل إلى القاعة ليُري النواب ماذا فعلت الجماهير في الخارج، لكن الأمور تطورت إلى الأسوأ، مما حمل الجنود الفرنسيون المتمركزون في بناية الهاتف من الجهة الجنوبية للمجلس إلى إطلاق النار على المدافعين، فتصدى لهم عناصر الشرطة ومنهم حسين عبد الساتر الذي أخذ يصرخ بصوته الجهوري، مستثيراً نخوة رفاقه مثل صالح سيف الدين وضاهر مشيك وخالد الكردي الذين كانوا تحت قيادة الضابط عبد اللطيف حمدان».

الفقرة الرابعة ـ مغبغب «كتب بالدم العلم على قبة البرلمان»

في مقال له نشره في جريدته الاقدام تحت عنوان «من مجنون إلى مجنون» قاصداً نفسه والجنرال هللو في الفعل المدان الذي أقدم عليه. وقد أورد «أن أبطال بشامون يذكرونك أبداً، فالأمير مجيد والأستاذ أبو شهلا ورفاقهما مدينون لك بالكثير من الشهرة التي اكتسبوها منذ ذلك الخبر»... وأضاف «صدقني يا عزيزي المسيو أني أقدر نبوغك وأعجب به، وأخوك بالنبوغ نعيم مغبغب يهديك أيضاً تحياته العطرة لأنه لولاك لما وصل نبوغه الذروة، ولما كتب بالدم على عتبة البرلمان تاريخ هذا النبوغ»[١].

١ ـ مجلة «الاقدام»، الذكرى الثانية للاستقلال ١٩٤٥.

الفقرة الخامسة ـ المؤرخون يصفون كيف رفع مغبغب العلم

أولاً ـ الشيخ خليل تقي الدين

كثُرت الروايات حول «رفع علم الاستقلال». ولكن يُشير الجميع إلى دور نعيم مغبغب المقدام فيها، غير أنهم اختلفوا في وصف هذا الدور، مما يقتضي العودة إلى من وصفه بتاريخ حدوثه.

«إليك لبنان هذا ما كنت تطلب وإلى هذا كنت تتوق، فإليك ما جاءت بها الأيام، في ساعتين من الزمن، ويزفها هدية رافعة إلى هذا الاستقلال الناشئ.

«إليك تلك الأماني الغاليات حققها في لحظة من لحظات التاريخ، لن ينساها التاريخ متى قدت ضلوعه من صخور لبنان، وعبثت شفتاه من أصفى ماء أجراء قاعه، سما على أكتاف أخوانه، أشبال لبنان، إلى حين كان يسمو منذ هيبته ويرفرف علمه الحبيب، فلما لم ير له أثراً ولا ظلاً، أعاده إلى مكانه تحت رصاص الخونة المارقين، المتساقط كالمطر عليه، فما اهتزت له يد، ولا انثنى له عزم بل استنفر، اختلط دمه بالأحمر القاني من ألوان لبنان وارتد وقد صفق العلم في مكانه من جديد، أو قد القى بين بيت وصي تتلقفه ذراعان مفتوحتان بل ألف ذراع وتلقاه في المستشفى سرير أبيض ومبضع الجراح».

هذا ما كتبه الشيخ خليل تقي الدين بتاريخ ١٧ أيار ١٩٤٤ في مجلة الصياد أي بعد مرور أسبوعين على حادثة ٢٧ نيسان ١٩٤٤ في المجلس وهو يذكر بالتفصيل أن العلم الأجنبي كان فوق المجلس، فنزعه مغبغب ووضع مكانه علم الاستقلال لكن تم إنزاله.

وقف نعيم على أكتاف أخوانه ووضع علم البلاد على قبة المجلس حيث قال تقي الدين: «متى سما على أكتاف أخوانه، أشبال لبنان» إلى حيث كان يسمو منذ هنيهة ويرفرف علمه الحبيب، فلما لم ير له أثراً، أعاده إلى مكانه، فسقط وابل من الرصاص ظلت أثر الرصاصات في جبينه وعلى كتفه.

هذه الحادثة يرويها أهله والمقربون منه، لأنهم على علم بكيفية حصولها.

ثانياً ـ المحامي إبراهيم شقير: «بعد أن قيدوك عاماً عدت إلى جهادك حراً»

تحت هذا العنوان كتب المحامي إبراهيم شقير في جريدة «الاقدام» الصادرة نهار الخميس في ٢٣ آب سنة ١٩٤٥، خبر إطلاق سراح صاحبها مع نشر صورته وقد ذيلها بالقول: رسم عميد «الاقدام» الأستاذ نعيم مغبغب بمناسبة خروجه من سجن القلعة بعد أن قضى سنة كاملة من جراء الحكم عليه من القضاء العسكري الفرنسي بسبب حوادث ٢٧ نيسان سنة ١٩٤٤ المشهورة وأخذت هذه الصورة أثناء إصابته على باب البرلمان عندما أنزل العلم الفرنسي الذي علقه المستعمر على بابه.

وأضاف يقول: أخيراً تفككت السلاسل التي كانت تقيد الصديق الزميل الأستاذ نعيم مغبغب فخرج من سجنه الأثيم الذي حجز حريته سنة كاملة كابد خلالها العنف والهوان والإرهاق والتعذيب في أبشع صورها.

وعاد هذا الوطني الكبير إلى حومة النضال، يقارع بقايا الاستعمار وأذناب المستعمرين بالروح وبالعقيدة وبالإيمان التي كانت سلاحه الصادق والتي نذرها لوطنه العربي لا يطلب عنها لا جزاءً ولا شكراً سوى ما يحفظ له المخلصون من أبناء أمته من تقدير وإعجاب.

كنت أول من لقي نعيماً بعد خروجه من سجنه مساء الاثنين ضاحكاً لم يؤثر فيه هول ولا تنكيل ولم تهون من عزيمته مرارة الظلمة التي قضاها في «الزنزانة» لا يبصر سوى أربعة جدران وكوة صغيرة في سقفه ترسل إليه ضوءاً ضئيلاً لكي يقاوم شيطان الموت الأسود البربري.

ويعود نعيم اليوم، ولبنان في أمسِّ الحاجة إلى نضاله ونشاطه لأن أفاعي الرجعية التي قاومها زمناً قصيراً عادت تضخ فحيحها وتنفث سمومها، وقبل أن يتصدى لها عمل على هرس رأسها حتى لا يقوم لها قائمة.

وإذا كان القائمون على الأمر قد قصروا بواجباتهم تجاهك يا أخي نعيم فلا شك بأن تاريخ النضال القوي سيوفيك حقك ويحفظ لك ما أسديت لوطنك من جهاد مبرر وعمل وطني مشكور.

ثالثاً ـ الأستاذ سعيد فريحة

تحت عنوان «ذكرى عزيزة» كتب سعيد فريحة: تلوح في يوم ٢٧ نيسان ذكريات عزيزة وأعتقد أن أعزها وأغلاها وأجدرها بالتكريم هي ذكرى البطولة الفذة التي كتبها بدمه ولسانه وساعديه الوطني الكريم الأستاذ نعيم مغبغب.

لقد أعطى نعيم في ذلك اليوم التاريخي درساً حقيقياً في الوطنية، في التضحية، فليعذرنا بعضهم إذا أخذنا عن هذا المناضل الحقيقي الدروس التي نحب والتي تتفق مع مبادئنا وعزتنا القومية، ولم نأخذ عن غيره وخاصة في هذه الأيام دروساً ما ذكرتها لأنها لا تتفق مع الفكرة التي كان هذا «البعض» يناضل من أجلها.

إننا لا نحيي ذكرى نعيم مغبغب، ذكرى بطولته وتضحيته فحسب، بل ذكرى الدماء التي بذلها في أقدس الأقداس وكان ثمنها ما نعرف ويعرف الناس جميعاً.

تقدر كمية الدماء التي نزفت من جراح الأستاذ مغبغب في المجلس بأربعة لترات، ومع ذلك فقد أبى أن يغادر الساحة الا بعد أن توارى آخر خائن.

يعرف القراء الكرام الزميل العزيز الأستاذ نعيم مغبغب صحفياً قديراً ومحامياً لامعاً ولكنهم لا يعرفونه مجاهداً باسلاً فهناك فئة قليلة تعرفه كذلك وهي التي اشتركت معه في حوادث ١١ تشرين في بشامون. أما اليوم فقد عرفه كل الناس وأصبح اسمه على كل شفة ولسان لأنه أول من دافع عن كرامة بلاده وذاد عن مركز الندوة اللبنانية وأبطل المؤامرة الدنيئة الفاشلة التي دبرها القوم الضالون وقد أصيب بجراح بالغة ورغم الإصابات العديدة لم يترك الساحة الا بعد أن اطمأن إلى أن أعداء البلاد قد تفرّقوا وهو الآن بمستشفى الجامعة الأميركية يلقي على كل من يعقد السلام عليه بابتسامة حنينة ويسأل عن أحوال البلاد، وقد زاره في المستشفى الوزراء والنواب والوجهاء والأعيان والصحفيون والشباب وقدموا باقات الزهر.

في السابع والعشرين من نيسان إلى سنتين خلتا، حاولت السياسة الاستعمارية على طريقتها البغيضة وأسلوبها المهلهل، العليل، أن تخنق الدفعة التحريرية في لبنان، وأن تكبل الانطلاق القومي في طريق الاستقلال والحرية، رأى المستعمر حينذاك أن

الفرصة المؤاتية على أحسن ما تكون وأنه بالاتكال على من غرر به من عليلي النفوس ومرض الوجدان يستطيع أن يبلغ بمؤامراته إلى ما يصبو ويروم، ولكن قد فاته أن هذا الساحل الأبي والجبل الأشم، فيه من لا يهاب الموت ويهزأ بالحديد والنار ويرد إليه الطعنة أضعاف أضعاف.

في مثل هذا اليوم توهم المستعمر وأذنابه أنهم يستطيعون الاحتيال على الشعور الحي، فأرادوا أن يأخذوا البلاد بعلمها المفدى. ولكن رصاصة من يد أبية أردت الرخيص الجبان صريعاً مضرجاً بدمه، وظل علم هذا البلد يخفق منادياً حيا على الجهاد، واليوم يوم لبنان.

وإذا كنا نذكر، وإذا كان علينا أن نجهر بجميل فإن لبنان سيظل يردد على كرّ الأيام وسير الزمان، بأن نعيم مغبغب افتدى بدمه رمز الأرز العربي، ومنذ ذاك آمن المستعمر أن لبنان هو هذا الوارع العنيد للفكرة الاستقلالية، وأنه ـ أي المستعمر ـ وتابعيه قد طووا في أعماق القبور ولا أمل لهم بالرجعة[١].

رابعاً ـ الصحافي مجدلاني

عتب مجدلاني في جريدة الحياة الرياضية على الحكومة الاستقلالية لعدم تكريمها نعيم مغبغب، موزعة أوسمة الجهاد على الأعضاء والمحاسيب على هواها، وحاجبة إياها عن المجاهدين الحقيقيين. ومما قاله مجدلاني في جريدة الحياة الرياضية التي أصبحت خبراً من الحزب الاشتراكي ما يلي:

ما أشبه الليلة بالبارحة.

أخي نعيم...

أظنك قرأت بعض أسماء «المجاهدين» الذين أهدت الحكومة إليهم وسام الجهاد وأعجبك نضالهم ومروءتهم وتلك النخوة التي لا تماثل، وتلك الشجاعة التي لا تعادل، وكيف دافعوا عن الندوة بدمائهم وكيف فدوا الوطن بنفوسهم، وكيف سهروا الليالي تحت وابل الرصاص وألقوا القنابل على الأعداء ونسجوا بضلوعهم خيوط الله ولم يبدلوا

١ ـ جريدة الهدف، عدد ٨٩٨ تاريخ ٢٩ نيسان سنة ١٩٤٦.

القبعة بالطربوش أو العباء ولم يضجروا ولم يعودوا إلى سابق عهدهم ويعيشوا بميثاق وعدهم ويظنوا الاستقلال سلعة تحمل أو لباساً يلبس فيخلع أو مبرراً يستثمر أو موطناً يستعمر. أظنك قرأت أسماءهم وهم مجاهدون مخلعون يستحقون الإجلال والأوسمة.

أما أنت فلست جباناً يجب أن تلغى، ولا خائناً يجب أن تسجن، وليس الإلغاء لغير الجبناء، ولا السجن لغير الخونة، من أطلق سراحك؟ من لمس جراحك؟ من رأى سلاحك، من شاهدك تدافع عن الندوة دفاع الموت وتثور على المستعمر حتى التضحية؟ كذب التاريخ ما كنت إلا متربصاً عنيداً تنتظر النصر من ربك بدل أن تخونه بجهد يدك.

وقال متهكماً على المسؤولين:

أخي نعيم: خنت نفسك، علام قتلت نفسك بالذل وغذيتها بالخنوع؟ لا عاش شباب فكل المصيبة فيهم ويعقدون عن الجهاد وبعد لكل حادث حديث، سر حديث يقلب أصول النص، ويجهر حقيقة التاريخ أما أنت فنفوا عنك، لعل هذه الجراح التي في وجهك هي خير وسام في خدمة لبنان.

خامساً ـ الرئيس سامي الصلح

«ولما وصلت تظاهرة بيروت الكبرى التي كنت أقودها أمام مجلس النواب، أقدم نعيم على تسلق جدار مبنى المجلس، بمعاونة الشباب الموجودين هناك، فانتزع العلم الفرنسي ووضع مكانه العلم اللبناني الذي تكرس بشكله الجديد في منزل صائب سلام. وشرعت الموسيقى تعزف النشيد الوطني، واقتحمت الجماهير مجلس النواب وتوالت الخطب»[1].

ولما عاد نعيم إلى الأرض، أقدم أحد الجنود السنغاليين، على نزع العلم اللبناني، عندها بادره نعيم بإطلاق النار عليه، مما حمل رفاقه على توجيه نار بنادقهم صوب نعيم فجرح في رأسه وجسمه، فهاجت الجماهير الغاضبة أمام البرلمان فاقتحم نعيم مجلس النواب، ودمه يسيل على وجهه، شاهراً قنبلة، وبدا كأنه يلاحق النائب جورج عقل،

١ ـ سامي الصلح، لبنان العبث السياسي والمصير المجهول، ٢٠٠٠، ص ١٠٨.

فالتف حوله النواب، مهدئين غضبه، وذهب بعد ذلك في سيارته «الفورد أبو دعسة» إلى مستشفى الجامعة الأميركية، وقد عاونه زهير عسيران فضمدت جراحه وعاد لإكمال محاربته. أخذت القوات الفرنسية تلاحق نعيم مغبغب بتهمة إطلاق النار وتمزيق العلم الفرنسي، لكن في الواقع، إن نعيم مغبغب عندما أصيب في وجهه وسال دمه، استعان لوقف النزيف بمنديله، الذي تلطخ بالدماء، فرماه أرضاً، لكن التقارير التي رفعت إلى المفوضية الفرنسية العليا، قالت أنه رمى العلم الفرنسي أرضاً، وحرص الناس على دوسه بأرجلهم، فادعت النيابة العامة العسكرية عليه بجرم إهانة الرمز الفرنسي، وإطلاق النار على الجنود الفرنسيين، فما كان من مغبغب سوى التواري عن الأنظار، لكن السلطة تمكنت من اعتقاله ووضعه في سجن القلعة في رأس بيروت وأحيل للمحاكمة، لكنه هرب من سجنه بمساعدة أحد حراس السجن ويدعى شفيق الحلبي، من بشامون، إذ أعطاه منشاراً، فنشر حديد شباك السجن وفر هارباً منه[1].

سادساً ـ الأمير مجيد أرسلان

أشاد الأمير مجيد أرسلان أثناء مقابلة في تلفزيون لبنان، مع عادل مالك، ببطولة نعيم مغبغب، رافع علم الاستقلال فوق قبة البرلمان واعتبر بأن نعيم هو تاريخ «ظلمه التاريخ» كما أكد مواقفه الباسلة في معركة فلسطين عام ١٩٤٨، وتفانيه بشجاعة نادرة.

سابعاً ـ الرئيس عادل عسيران

كذلك، حيى الرئيس عادل عسيران، بطولة نعيم مغبغب، في مقابلة تلفزيونية أجريت معه، واعتبر بأن التاريخ ظلمه.

ثامناً ـ الرئيس كميل شمعون

كان الرئيس كميل شمعون في ذلك التاريخ وزيراً للداخلية، فلزم مكتبه يراقب بقلق تطور الأحداث، متأهباً لتفريق التظاهرة إذا لزم الأمر، ولم يكن يملك الامكانيات الكافية، فالجنود اللبنانيون لا يزالون بإمرة الفرنسيين ومجمل عدد الدرك لا يتجاوز

١ ـ حسين حمية، نعيم مغبغب، ثالث شهداء الوطن، الأفكار، ص ٤٥.

١٨٠٠ رجل، موزعون على كافة الأراضي اللبنانية، بينما رجال الشرطة وعددهم ٦٥٠ موزعون على العاصمة وصيدا وطرابلس. واعتبر إزاء هذه الحالة، بأن الأعجوبة فقط قد ساهمت في منع حصول الكارثة، على الحكومة وعلى المجلس النيابي وعلى البلاد.

عند الساعة الثالثة، وصل المتظاهرون وعددهم يناهز العشرين ألفاً إلى ساحة مجلس النواب بعدما اخترقوا كل الحواجز الحائلة دونها، وبدأوا يلوحون بالأعلام الفرنسية، وعلقوا أحدها على مدخل المجلس واشتد ضغطهم على الحرس محاولين الوصول إلى الباب. تقدم أحد رجال الجيش الفرنسي، في زيه الرسمي معتلياً أكتاف بعض المتظاهرين المسلحين ووجَّههم في ظل علم فرنسا صوب باب المجلس. فلما صار على بعد خطوات منه انطلقت رصاصة صرعته فتوقف الهجوم وبدأ تبادل الرصاص بشدة. أخذ المتظاهرون يطلقون النار على الدرك، وبدأ رجال الأمن العام الفرنسي وبعض رجال الجيش يعاضدون المتظاهرين من سطوح البنايات المجاورة ونوافذها.

لم ينقضِ نصف ساعة على بدء الاشتباك، حتى تمكنت الحكومة من السيطرة على الموقف بعد سقوط خمسة قتلى و١٧ جريحاً، فضلاً عن عدد مجهول من الفرنسيين وأنصارهم نقلتهم سياراتهم، واعتقل عدد من المتآمرين والمتظاهرين.

وعلق وزير الداخلية على شجاعة نعيم مغبغب بالقول إنه قام بدور البطل «الأسطوري»[١]. ويروي طبيب شمعون عن لسانه، تلك الحادثة فيقول: «أعطى ملازم أول إشارة الهجوم (أظهر التحقيق ما بعد أنه كان سورياً في القوات الفرنسية) بعد أن حمله المتظاهرون على أكتافهم، إلى أن وصل إلى باب البرلمان، فانتزع العلم اللبناني، وحاول رفع العلم الفرنسي مكانه لكنه أردي على الفور برصاص نعيم مغبغب، النائب

١ - كميل شمعون، مذكراتي، المرجع السابق، ١٩٨٨، ص ٣٠.
أقيم في السراي الصغير احتفال رسمي يوم سفر شمعون والوفد المرافق. حيث أدت كتائب من قوى الأمن الداخلي والشرطة تحية الشرف لهم، ودع شمعون وزير الخارجية بحرارة وتأثر، وودع ممثلي البلدان الأجنبية الحاضرين، وقد تبعه موكب سيارات من المرافقين وموكب السيارات الرسمية التي أقلت أعضاء البعثة إلى الحدود الفلسطينية، وصل شمعون إلى القاهرة أولاً، وتمكن من حضور جلسات اللجنة التحضيرية لمباحثات الوحدة العربية المجتمعة في الاسكندرية، قبل أن يغادر إلى بريطانيا في ٢٧ أيلول ١٩٤٤.

والوزير فيما بعد ... وفي اللحظات التي تلت، بدأ تبادل إطلاق النار ما بين رجال الدرك والمتظاهرون وعناصر الأمن، خلال نصف ساعة، سيطرة الحكومة على الوضع، لكن الاشتباكات أسفرت عن سقوط خمسة قتلى وعشرات الجرحى، من بينهم نعيم مغبغب الذي أصيب بطلقتين في ذقنه وكتفه»[١].

في الليلة نفسها، أنكر الجنرال بينيه، أمام رئيس الجمهورية اتهامات شمعون مهدداً بتعليق التعاون مع الحكومة اللبنانية طالما بقي وزيراً في الحكومة، فتم إيفاد شمعون إلى لندن على عجل.

عند الساعة الخامسة، اتصل وزير الداخلية بالهيئة البريطانية المسؤولة في ظروف الحرب العالمية السائدة يومئذ، عن حالة الأمن اللازمة لسير العمليات العسكرية، وأبلغهم الدور الذي لعبه الفرنسيون في تطور أحداث ذلك النهار.

اتصل البريطانيون بالفرنسيين، بهذا الشأن. وفي مساء اليوم نفسه تقدم الجنرال بينيه من رئيس الجمهورية بمذكرة نفى فيها اتهامات كميل شمعون، وأعلن رفضه التعاون في نقل السلطات والمصالح الباقية تحت يد الانتداب إلى الحكومة اللبنانية، ما دام كميل شمعون وزيراً للداخلية. ويظهر بأن شمعون قدم كبشاً للمحرقة، بالإضافة كانت شؤون البلاد الداخلية قد أوجدت، منذ فترة من الزمن، جواً من الخلاف الدائم تقريباً في قلب الحكومة.

تاسعاً - قائد الدرك العميد نخلة مغبغب[٢]

يصف الحادثة بالقول:

كان هناك اجتماع في مجلس النواب وأحاطت قوى الأمن العام والجيش الفرنسي بالبرلمان في ساحة النجمة وكان النواب والوزراء مضطرين إلى الدخول من باب يعلوه العلم الفرنسي. حاول نعيم مغبغب التدخل لدى شخصيات برلمانية أو

١ - زيدان كرم، كميل شمعون بقلم طبيبه، ص ٢١.
Chamoun Camille, Crise du Moyen-Orient, Paris 1963.
٢ - مجلة الجيش، العدد رقم ١١٩/١٥ تشرين الأول ١٩٩٤.

حكومية لإزالة العلم الفرنسي فلم يلق آذاناً صاغية، فاضطر للتسلق فوق بوابة الحديد التي لا تزال حتى اليوم في المجلس النيابي، وأزال العلم الفرنسي، وشك مكانه العلم اللبناني ثم انسحب إلى الساحة. في هذه الأثناء رأى جندياً من القوات المشتركة غير اللبنانية يحاول إعادة العلم الفرنسي إلى مكانه وقبل أن يزيل الجندي الأجنبي العلم اللبناني ليضع مكانه علم الدولة المنتدبة، أطلق نعيم الرصاص عليه وأرداه، وعلى الأثر انهال الرصاص على كل الموجودين في ساحة النجمة مما أدى إلى وقوع ضحايا عديدة من بينهم ستة شهداء من الدرك بقيادة المقدم نصري شمعون. وأصيب نعيم مغبغب في جبينه وصدره وكتفه، وعندما خلت الساحة صعد إلى سيارته فورد أبو دعسة، وتوجه نحو الجامعة الأميركية لمعالجة جراحه، فجأة أوعز له بأن يبتعد عن بيروت لأن النوايا تجاهه سيئة مما اضطره لمغادرة بيروت إلى عين زحلتا لكن نصبت القوات الأجنبية كميناً له بعد الكوع في عين داره، واعتقلته وأودعته السجن سنة كاملة، وبعد المحاكمة أفرجت عنه.

وكتب الرئيس بشارة الخوري: عينت أول جلسة للمجلس النيابي بعد الانتخاب الفرعي يوم الخميس في ٢٧ من نيسان واتخذت الحكومة، قراراً بمنع التظاهرات، وعدم استعمال السلاح من قبل قوى الأمن إلا في حالة التعدي عليها، وعدم دخول المجلس إلا لحاملي البطاقات، ووزعت الشرطة وقوى الدرك في محيط البرلمان، وكان الجيش والأمن العام لا يزالان بيد الفرنسيين. دخل يوسف كرم مصحوباً بعدة سيارات من جسر بيروت، رافعين العلم اللبناني القديم، أي العلم الفرنسي الذي تتوسطه الأرزة، وساروا إلى البرلمان واخترقوا الحواجز حتى وصلوا إلى حاضنه، وكان هناك شخصاً آخر يحمل العلم الفرنسي، وحاول أن يرفعه على باب المجلس، وأراد الجمع اقتحام الباب الحديدي والدخول بالقوة، فأطلقت قوى الأمن النار في الفضاء، وأطلق نعيم مغبغب من الداخل، بعض القنابل اليدوية فخرج، وتفرقت الجموع مع علمها القديم. وقيل إن الفرقة السنغالية المرابطة لحراسة دار التلفون الفرنسية اشتركت بإطلاق النار من الجهة السفلية على المجلس النيابي.

واختلط الحابل بالنابل، وقطعت أسلاك التلفون ولحسن الحظ سيطر الدرك اللبناني على الموقف بسرعة فائقة واعتقل بعض المتظاهرين. انتهت الجلسة وذهب

الوزراء إلى السراي الصغيرة، ولدى نزولهم من السيارات أطلقت صوبهم العيارات النارية من مجهولين، ولولا حكمة الحكومة لوقعت حوادث لا تحمد عقباها. ولكن قوى الأمن ورجال العدل تداركوا الوضع، وأحيلت الدعوى على المجلس العدلي، وتوارى نعيم مغبغب عن العيان، وأخذت السلطة الفرنسية تتعقبه لإحالته على المحكمة العسكرية، وفي اليوم الثاني، زار نعيم مغبغب، رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري الذي لطف خاطره، وهنأه على موقفه ونصحه بأن يبقى بعيداً عن الأبصار حتى نتدبر أمره دون أن يوقفه الفرنسيون.

عاشراً - النائب علي بزي

وما ذكرنا نعيم مغبغب، ذكرنا موقفك المعروف أمام قبة هذا البرلمان تدافع عن علم لبنان وعز استقلاله بدمك وحياتك، وذكرنا الوفاء النادر وكيف أنك تعرضت وتصديت مراراً لموت لم تعبأ به ولم تهنئ وكنت تسلم بأعجوبة[1].

حادي عشر - النائب التويني

«... نعيم مغبغب أسطورة من أساطير هذا البلد في الجرأة في الوفاء في العلم في الاندفاع. نعيم مغبغب مواطن ما عرف أن يطاطئ رأسه تجاه أي رئيس[2].

ثاني عشر - النائب جان عزيز

نعيم مغبغب أراد أن يموت وحاول أن يموت مراراً ومرات أراد أن يموت في عهد الاستقلال عندما انبرى للأجنبي يطلق عليه النار لأنه رفع فوق قبة البرلمان علماً غير العلم اللبناني. وأراد أن يموت نعيم مغبغب عندما دعاه داعي الوطنية إلى فلسطين فكان في مقدمة المجاهدين المخلصين، وكان في كل ساحة، بل وفي كل دقيقة مستعداً أن يموت فداء لقيمة من القيم الكبرى في هذا البلد.

١ - الدور التشريعي التاسع، العقد الاستثنائي الأول، محضر الجلسة التاسعة ١٩٥٩.
http://Localhost:19191/LebanondataP9/1995P59F19/002HTM.

٢ - المرجع ذاته.

ثالثة عشر ـ الأستاذ إميل يوسف عوّاد[1] (شاهد عيان)

قال الأديب إميل يوسف عواد أنه كان برفقة كل من قيصر الجميل وشقيقه توفيق يوسف عواد، السفير والأديب المعروف، على سطح الشركة الكائنة في المبنى العائد للرهبنة المارونية، قرب البرلمان، يراقبون المظاهرة، وقد شاهد بأم العين نعيم مغبغب، ينزل بيده العلم اللبناني عن قبّة البرلمان، وقد انهمر عليه الرصاص فأصيب واهتمّ به كثيرون لحين تم نقله إلى المستشفى.

رابعة عشر ـ الحادثة على لسان الشعراء

كانت الديار تعمد دوماً للتذكير ببطل الاستقلال نعيم مغبغب وفي عام ١٩٩٩، وبذكرى الاستقلال نشرت قصيدة للشاعر جرجس طانيوس أبو جوده الذي كان أطلقها إلى نعيم مغبغب، برفعه علم البلاد على قبة البرلمان[2].

ناموا بحمى الدستور برغد وسكون ... بعد التعب تبقى الرياحة طيّبي
ناموا وعَ طعم النوم مشتاقة العيون ... ناموا على مخدّة حرير مذهّبي
ناموا بعد ما تحققت كل الظنون ... والشعب لبّسكم عباية مقصّبي
ناما وقوموا عَ وطن ناعم حنون ... قومة لبوءة عَ ولادا مسرسبي
سكّروا المجلس وعملولو حصون ... ووقفت النواب خلف المصطبي
والعبد يلّي «هويّتو» من الكمرون ... سنكتو لنايب كريم مصوّبي
وحطّوا رجالات الكريمة بالسجون ... وحطّوا عَ باب السجن حارس مغربي
مشهد وضعني بين عال وبين دون ... وطّيت راسي وقلت يا راسي اختبي
عبي بقلب السجن ما غمّض جفون ... واليعربي حارس عَ خيّو اليعربي
والأجنبي دخّان غليونو آتون ... وقاعد متل «طهماز» خلف المكتبي
صرخت قلت با الموت يا بدنا نكون ... أحرار من أمة الشمم فيها ربي

١ ـ تمت المقابلة في دار المنهل، الأشرفية بحضور المحامي الأستاذ حبيب الياس الخوري، بتاريخ ٦/١١/٢٠٠٠.

٢ ـ الديار، السبت ٢٧ تشرين الثاني ١٩٩٩.

وبالعز كاس الموت زهرة زيزفون ... ولا الذل يعطيني ولاية مطوّبي
إلا وعلمنا لاح بوادي بشامون ... ووقفت على ديالو رجال مشوربي
وقلنالهم يا قوم يكفاكم جنون ... عصر العبودية مرق والملعبي
إن كانت قضية دين تانوفي الديون ... وإن كان استعمار لا تتعذبي
أهون علينا ندوق كاسات المنون ... ولا بسراي البرج يحكم أجنبي
وشاب صار الموت قدّامو يهون ... وعَ قبة المجلس بيزحف دبدبي
مين هالشاب القوي الشهم المصون ... عرفناه نعيم مغبغب الحر الأبي
وحامل علمنا وأرزتو تلوح الغصون ... ورفعو عَ قصبي من بقايا المقصبي
ونزّل علم دولة صديقه من قرون ... وضبّوا بلباقة كل روح مهذّبي
وسلّموا مع احتراموا «للبارون» ... طوينا علم بالحال ورفعنا علم

وتفاخرت أمجادنا بلبس العبي

جريس طانيوس أبو جودة

الفقرة السادسة ـ الحادثة كما روتها الصحف

أولاً ـ غسان تويني

تسلق بعض الشباب إلى سطح البرلمان لإنزال العلم اللبناني ورفع العلم القديم مكانه، فتصدى لهم البعض وفي طليعتهم نعيم مغبغب[1] كذلك تم وضع صورة نعيم مغبغب المجروح ومعضود الرأس، وذكريات الحادثة تمت بتاريخ ٢٧ نيسان ١٩٤٤، أمام البرلمان في محاولة لإنزال العلم اللبناني، والتصدي لها[2].

ثانياً ـ جريدة الشمس تاريخ ١٩٦١/٧/٣٠

كان لبنان يتلمس خطواته الاستقلالية الأولى، وما زالت عيون الأجنبي وأنصاره تترصد الفرصة لعرقلة سير الاستقلال، وفي ٢٧ نيسان ١٩٤٤ سنحت الفرصة، وهكذا

١ ـ غسان تويني، كتاب الاستقلال، ص ٧٨.

٢ ـ لبنان، قرن في صور (١٩٠٠ ـ ٢٠٠٠) دار النهار للنشر، ص ٤٣.

تخيل للعملاء. فاستغل الأذناب المناوشات وحاولوا تركيز العلم الفرنسي على سارية بناء المجلس النيابي اللبناني، فما كان من نعيم مغبغب إلا أن استل مسدسه وأردى الضابط الفرنسي قتيلاً [جندي سنغالي] ثم اعتلى الأكتاف وركز العلم اللبناني بعد أن نزع العلم الأجنبي... وعندما ارتفع نعيم يشك علم العز والفخار، علم الأرز الحر المستقل بعد أن مزق بالرصاص من أراد لعلم لبنان الهوان، فكان أن أصيب آنذاك بجراح ما زالت عزيزة على قلب لبنان... لولا البطولة الوطنية عند نعيم، لكان ذلك اليوم وصمة عار في تاريخ لبنان.

ثالثاً - إنعام رعد

قاتل الله الأحقاد ومن زرعها في الشوف في ربيع ١٩٤٤، جرح نعيم أمام البرلمان وهو ينزل العلم الفرنسي ويرفع علم لبنان الحر وإنه رأى أحد الجنود المرتزقة قتيلاً.

رابعاً - جريدة بيروت تاريخ ٢٧ نيسان و٣ أيار ١٩٤٤

تظاهر المأجورون أمام البرلمان وسقط عدد من القتلى والجرحى في ساحة النجمة، وقد نقل الزميل نعيم مغبغب على الرغم منه إلى المستشفى، لكنه عاد ليحضر الجلسة العمومية بعد أن ضمدت جراحه، لكن الجلسة كانت قد انتهت وأشارت هذه الجريدة إلى إرسال عدد كبير من برقيات الاستنكار من جونيه والشوير وبنت جبيل، وطرابلس التي طالبت بالتجنيد الإلزامي، علماً بأن الرقابة آنذاك أقدمت على طمس كلمات كثيرة في هذه الجريدة[٢].

خامساً - جريدة البيرق تاريخ ٢٩ نيسان ١٩٤٤

أشارت جريدة البيرق، أن عدد الأشخاص الذين أصيبوا بجراح من جراء إصابتهم بالرصاص هم: السادة المفوض شريف رمضان، والشرطيون سعد الله الياس خليل وبشارة قزي وكمال حاطوم، وأحد الجنود المتطوعين، والزميل نعيم مغبغب الذي نقل إلى المستشفى، وقام المسؤولون الرسميون بزيارته في المستشفى للاطمئنان على صحته.

سادساً - جريدة الديار

أشارت كذلك جريدة الديار إلى تلك الواقعة[١].

الفقرة السابعة - كلمة الرئيس رياض الصلح عن الأحداث

بعد عقد الندوة، ألقى رياض الصلح كلمة جاء فيها: يؤلمني أيها الإخوان ويؤلم كل لبناني أن يكون في هذه البلاد بعض الخونة الذين يتهجمون على قدس الأقداس، وهو هذا المجلس النيابي الذي نفتديه بدمائنا. لقد ظن هؤلاء الخونة أن حلمنا ضعف وأن سكوتنا عجز. لقد عملنا كل ما يمكن عمله أثناء الانتخابات وبعدها حتى لا يراق دم لبناني في ساحة البلاد، لكن هذا الضغط الذي ينسبونه إلينا كان حلماً ووطنية ومن المؤسف أن يصبح هذا العهد عرضة للخونة ولكننا سنعمل ونعمل ليلاً نهاراً.

لقد كان بإمكاننا وإمكان رئيس مجلس النواب وكل عضوٍ فيه أن نأتي بجماعتنا ورجالنا وأن نضرب بيد من حديد على هذه القبضة الصغيرة من الخونة، لكننا تركنا الأمر إلى الحكومة حتى لا يسيل دم لبناني.

أيها السادة لقد وضعنا خاتمة للحلم وسنضرب كل خائن مهما علا مقامه وربما سيراق في هذا السبيل دماء، ربما سأقتل أنا، أو يقتل بعضكم...

وقد علق منير تقي الدين، على هذا الخطاب بالقول: إن الذين كانوا على اتصال وثيق برياض الصلح كانوا يلمسون منه شعوره بأنه سيتعرض للاغتيال. لقد كان في أوقاته الخاصة يبوح بهواجسه تلك ويوصي بعض أخوانه باتباع سياسته الوطنية إذا ما أصابه سوء. وكنا في أغلب الأحيان نعاتبه على شعوره التشاؤمي فيجيب مبتسماً: وهل تريد أن يموت رياض الصلح بالملاريا أو الكريب؟[٢]

١ - جريدة الديار، العدد ٦٠٤ السنة الثانية، السبت في ٢٩ نيسان ١٩٤٤، علماً بأن جريدة النهار صعبة القراءة في الجامعة الأميركية، وأن جريدة العمل لعام ١٩٤٤، مفقودة هناك.
٢ - منير تقي الدين، الجلاء، ص ١٦.

الفقرة الثامنة ـ محاولة الفرنسيين التنصل من مسؤولياتهم

حاول الفرنسيون التنصل من مسؤولية ما حصل، فاذاعوا بياناً خطيراً عن حوارات نيسان، خاصة بعدما تم نقل الجنرال كاترو المعروف عنه بحنكته وسياسته الواقعية في سورية ولبنان. ولهذه الأسباب الهامة وافق ديغول على نقله وعين مكانه الجنرال بينيه المشهور بممارساته الاستعمارية، وكانت الشائعات تطلق مستعرضة تاريخه. فوزع الفرنسيون بياناً لمحاولة التنصل من المسؤولية التي ألقاها عليهم الشعب اللبناني، ومما جاء في البيان:

« إن الحوادث المؤسفة التي جرت في بيروت في ٢٧ نيسان ١٩٤٤ أخذت في الأفكار اضطراباً كبيراً. فقبل أن يصار إلى أي تحقيق وبتسرع أقل ما يقال فيه أنه لم يكن نتيجة التفكير، أسرع البعض بإلقاء مسؤولية هذه الأحداث على السلطات الفرنسية. وربما زاد من تشويش الأفكار ظهور مقالات في بعض الصحف بلغت شدتها حداً متناهياً لذكر وقائع مخالفة للحقيقة.

فالمندوبية الفرنسية العامة وهي واقفة دائماً موقف الحياد إزاء الأمور الداخلية، تقف أمام هذه الحوادث الأليمة موقف المشاهد المتجرد. فمنذ اتفاق ٢٢ كانون الأول ١٩٤٣ قامت السلطات الفرنسية بإخلاص تام بتنفيذ العهود التي قطعها الجنرال كاترو، وقد اشتركت بجميع الوسائل في المهمة التي شرعت بها الحكومة لتأمين استقلال البلاد.

والحكومة اللبنانية تعرف بأي روح يجري هذا التعاون منذ خمسة أشهر، وقد شهدت بذلك أمام الملأ مراراً، فمن المؤلم والحالة هذه أن تكون قد وجهت لفرنسا تهم لا أساس لها وأن يكون قد تسنى لبعض الصحف البيروتية أن تثير بهذا الشأن جملة افتراءات مؤذية، حتى أن لفظة الصداقة التقليدية التي طالما وجدتها فرنسا عزيزة، عندما يقصد بها لبنان، قد هزأوا بها.

لقد فتحت السلطات الفرنسية تحقيقاً بمؤازرة السلطات البريطانية وهذا التحقيق سيمكن من وضع الأمور في نصابها بالتنزه عن روح الحزبية والوقوف في مستوى سام من العدل والحق...»[١].

---

١ ـ منير تقي الدين، الجلاء، ص ٦٣ ـ ٦٤.

الفقرة التاسعة ـ الكتائب والنجادة يذيعون بياناً موحداً[١]

إلى الشعب اللبناني،

شاء بعض اللبنانيين والمأجورين ممن اعتادوا الصيد في الماء العكر افتعال تظاهرة أقيمت بعض ظهر اليوم فأقدموا على أعمال من العار القيام بها وتسببوا بحوادث لها أسوأ الأثر في الأنفس. وإزاء هذه الحالة تستنكر منظمتا النجادة والكتائب اللبنانيتان، مناورات الصنائع الخبيثة مجددتان العهد أمام الله والضمير على دعم استقلال لبنان وصون كرامته، عاش لبنان مستقلاً.

رئيس النجادة الأعلى	رئيس الكتائب اللبنانية
الإمضاء أنيس الصغير	الإمضاء بيار الجميل

لعب الدكتور أنيس الصغير دوراً وطنياً هاماً أثناء حوادث لبنان في سبيل الاستقلال، فكثيرون يذكرون مواقفه الصريحة في مكافحة الطائفية البغيضة، فاستحق شكر لبنان، لكن المسؤولين عن العهد آنذاك لم يوفوه حقه[٢].

الفرع الثاني ـ تداعيات فتنة ٢٧ نيسان ١٩٤٤

الفقرة الأولى ـ شمعون سفيراً في بريطانيا

إن الظروف مجتمعة، كانت كافية لاقتراح تسمية كميل شمعون سفيراً مفوضاً في لندن، وقد كلفته الحكومة السورية بالمهمة ذاتها، بانتظار تعيين مفوض رسمي عنها لدى لندن[٣].

---

١ ـ بالنسبة إلى نشاط الأحزاب، أنظر د. تقلا زيدان مداخلة حول «بعض الأحزاب السياسية في معركة الاستقلال»، في اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان ١٩٩٦، ص ٥٠٥. بما قاله: «سوف نظل أسرى العقد نفسها والمعوقات إياها... «حتى» يتسنى لقوى حية المضي بلبنان جديد حتى أهدافه النهائية؛ كذلك أنظر جان شرف، حزب الكتائب اللبنانية. دار العمل، بيروت ١٩٨١.

٢ ـ منير تقي الدين، الجلاء، ص ٦٥.

٣ ـ كميل شمعون، مراحل الاستقلال، ص ١٣؛ ـ مقابل تعيين شمعون في لندن، تم اختيار أحمد الداعوق على رأس مفوضية باريس، بالنظر لمكانته السياسية، وكان قد درس في باريس. الهندسة، وهو عاقل ومعتدل في تصرفاته، ويعرف الذهنية الفرنسية في السياسة، وينتمي إلى الطائفة السنية وفي تعيينه اعتبارات شخصية ومذهبية.

الفقرة الثانية ـ احتفالات الحلفاء في أوروبا كادت تنقلب دماء في لبنان

كادت احتفالات الحلفاء في أوروبا تنقلب حوادث دامية في لبنان، لقد دامت ثلاثة أيام، وكانت الأعلام الفرنسية منتشرة في كل مكان، وكانت الصيحات موجهة ضد اللبنانيين، وكان المتحمسون أكثر من غيرهم، اتباع ديغول، وكان العسكريون وهم يرتدون ألبسة مدنية وترافقهم مجموعة من الأطفال والبنات، يخترقون شوارع بيروت على سيارات تابعة للجيش الفرنسي وهم يصيحون، عاش ديغول، نحن رجالك يا ديغول، البلاد بلادك يا ديغول، وجرت محاولات للقيام بمظاهرات في الأحياء المسيحية بقصد إثارة فتنة طائفية بين المسيحيين والمسلمين، استعملت الحكومة اللبنانية كل الوسائل للمحافظة على النظام وعلى الأمن، واضطرتها الاصطدامات التي وقعت في اليوم الثالث بين أفراد الجيش الفرنسي وأفراد الفرقة الفلسطينية التابعة للجيش البريطاني التاسع للتدخل، فأنزلت إلى ساحة الشهداء الدرك والشرطة، مما اضطر الفرقة البريطانية للانسحاب، أما الفرنسيون فلم ينسحبوا إلا بعد أن أطلق الدرك النار[١].

الفقرة الثالثة ـ إنزال جيوش فرنسية في لبنان (المفاوضات والامتيازات)

فيما خص الاضطرابات الحاصلة في دمشق، إنها لا تقل خطراً عما هي عليه في بيروت، لكن ذلك لم يمنع فريقاً من الضباط الفرنسيين من مهاجمة البرلمان السوري بواسطة القنابل اليدوية، واللافت ظهور الشيوعيون الداعمون لأية عملية تؤدي إلى عدم الاستقرار، فبانت بوضوح الأعلام الشيوعية إلى جانب الأعلام الفرنسية. وهذه الحالة زادت سوءاً لسببين أولهما، أن الجنرال بينيه زار الجنرال ديغول قبل عودته إلى بيروت، وأن رئيس الحكومة المؤقتة زوده بتعليمات خاصة بالمفاوضات الرامية لعقد الاتفاقات المتعلقة بالامتيازات الفرنسية في حقول الثقافة والاقتصاد والاستراتيجيا. وثانيهما، الأنباء عن وصول نجدة فرنسية، وإنزال جيوش إلى لبنان الأمر الذي أثار حفيظة أميركا وبريطانيا، ويقال إنهما اعترضتا باسم حكومتيهما على الإنزال هذا. لكن الفرنسيون رفضوا إعطاء أي تعهد، خاصة وقد

---

١ ـ كميل شمعون، مراحل الاستقلال، طبعة ثانية ١٩٩٧، ص ١٨٧ و١٨٨.

انتهت الحرب، مما قد يفسر بأنه مقدمة لأزمة سياسية جديدة، وبالتالي وحده التضامن العربي والتهديد بالاضراب الشامل في كل الشرق الأوسط، يمكن أن يؤدي إلى استقلال الشرق[١].

الفقرة الرابعة ـ مغبغب يفضح مخطط ضرب سوريا واحتلالها

أشار إلى هذه الحادثة محمد شقير في رثاء نعيم مغبغب، حين قال «الاتزال تذكر يا نعيم... في دمشق وفي غرفة السيد صبري العسلي وزير الداخلية يومذاك، أما زلت تذكر يا نعيم أي دهشة ارتسمت على وجهه وهو يقلب بين يديه أوراق خطط ضرب سورية واحتلالها». وتابع شقير يقول: أما أنا فلا أزال أذكر حينما عاد إليها وزير الداخلية وقد استنسخ الأوراق يسأل عن تكاليف تلك العملية، فأجبته ألف ليرة فقط للشخص الذي أجره السيارة، ذهاباً وإياباً، هذا أنت يا نعيم، كما كنت دوماً ويوم كان النضال نضالاً وطنياً يقارع الاستعمار بسلاح الحديد والنار[٢].

الفرع الثالث ـ ملاحقة نعيم مغبغب وسجنه لسنة كاملة

بعد حادثة البرلمان، في ٢٧ نيسان ١٩٤٤، وإصابة نعيم مغبغب، أدخل إلى المستشفى، وبعد خروجه، زار فخامة الرئيس بشارة الخوري الذي نصحه بالابتعاد عن الأنظار، لأن السلطات الفرنسية تلاحقه، لكنه قبض عليه وأودع في سجن القلعة، وبمعاونة أحد رجال الدرك[٣] تمكن من نشر حديد شباك السجن وهرب إلى عين زحلتا.

---

١ ـ أما يوسف سالم، في كتابه ٥٠ سنة مع الناس، ص ١٩٩، فيقول: «معاهدة مركز ممتاز، هذا ما كان يخشاه رجال الاستقلال ويرفضونه، إن بريطانيا لا تزال بحاجة إلى ديغول وجيشه، وهي في غمرة الحرب، لذلك وعدته بشيء لا تملكه هي نفسها، ذلك هو طبع القوي حين يتصرف بالضعيف وحريته وحياته».

٢ ـ حمية، مجلة الأفكار، العدد ٢١٧، ص ٤٢.

٣ ـ يقال بأن الدركي، أحد حراس السجن، يدعى شفيق الحلبي من بشامون.

توجه مغبغب إلى بيت خالته حَرَم توفيق بك رعد في عين زحلتا، استلّ سلاحه وأخذ يطلق النار في الهواء، فتجمع الناس عنده والتقوا به فقال لهم «كل من عنده قطعة سلاح فليحملها ويجيء إلى هنا»، وقد تجمع ما يزيد عن ٣٠٠ مسلح.

الفقرة الأولى ـ ملاحقته إلى عين زحلتا وسجنه

في هذه الأثناء تعقب الفرنسيون خطواته، فعرفوا أنه في عين زحلتا. خابروا الجيش في حمانا، بوجوب ملاحقته. تقدم الجيش من حمانا إلى عين زحلتا وتمركز بالقرب من بيت ثابت، تجاه بيت رعد، وكانت الساعة ٢ بعد الظهر وأخذوا يحفرون المتاريس وبقيت بعض آثارها في الأرض فترة طويلة.

كان نعيم والمسلحون معه يشاهدون الجيش يتمركز في حرش الصنوبر بين بيت ثابت وأوتيل نجوم. أرسل نعيم وراء ضابط درك في عين زحلتا، وقال له «بالمشبرح» احملك كل المسؤولية، اتصل وقل لهم بأن نعيم معه سبعمائة مسلح فلا يجوز أن يبقوا هنا. اتصل ضابط عين زحلتا بالضباط الفرنسيين وأخبرهم بما أفاده به نعيم مغبغب، أعلموا القيادة بأن هناك ٧٠٠ مسلح، وهو يطالب بأن ينسحب الجيش من عين زحلتا، وكانت القيادة تتجنب مقاتلة الناس، وكان الجميع في هيجان، فأعطي الأمر للجيش بالانسحاب والعودة إلى ثكناته، بعدما تأكدوا من موقعه.

كان أهل البلدة، دروزاً ومسيحيين، يتناوبون لحمايته ويرسلون الطعام إليه وإلى حرّاسه الذين معه في بيت خالته.

ذات يوم، وجهت إليه دعوة إلى صوفر، فطلب من وديع نعمان (الذي أصبح لاحقاً عديله) مرافقته بالتاريخ المحدد، أخذه بسيارته وقد رافقتهما هيلين زوجة وديع، وما إن وصلوا إلى الكوع الخفي في قرية العزونية، إذ بشاحنة فرنسية متوقفة وسط الطريق، فضرب نعيم يده على سلاحه، فصرخوا به والرشاشات موجهة إليه، ليترجل. ترجته هيلين حفاظاً على حياته بأن يسلم نفسه أفضل من المقاومة. ألقي القبض عليه، وأبقى السلاح في السيارة واقتادوه معهم. حرسَ جندي فرنسي السيارة، وبقي وديع نعمان (وهيلين) محجوزاً لمدة ساعتين، ثم سمح له بالذهاب. وعندما عاد إلى عين

زحلتا أخبر بما حصل مما حمل المسلحون على العودة إلى منازلهم، وسرى جو من الخوف، كان يلاحق كل شخص يتكلم عن نعيم مغبغب، وبقي معظم الأهالي بعين زحلتا لا يعرفون عنه شيئاً لمدة طويلة (كما يرويه أحد الأشخاص).

بعد مدة سنة أوردت إحدى الجرائد سطرين عن محاكمة نعيم مغبغب في العدلية، ففرح الناس لمعرفتهم أنه لا يزال حياً، وبتاريخ المحاكمة، تجمعوا وتوجهوا إلى العدلية في بيروت بواسطة حافلات أتت من بعقلين، وكان على متنها أكثر مما في داخلها.

الفقرة الثانية ـ محاكمته وإطلاق سراحه

ويذكر نخلة مغبغب، بأن قوات الانتداب اعتقلت نعيم مغبغب ووضعته في سجن القلعة، ومن ثم أحيل إلى المحكمة العسكرية وعلى الرغم من إتقانه اللغة الفرنسية رفض إلاّ أن يتكلم باللغة العربية، فاضطرت المحكمة العسكرية التي كانت بعهدة ضباط فرنسيين إلى إحضار مترجم، وسجن مدة سنة كاملة[١].

وصل الأنصار إلى كاراج الأمان، في ساحة الدباس، وذهبوا إلى العدلية (حيث مقر رئاسة الوزارة حالياً)، ولاقتهم جموعٌ كثيرة من بيروت. بعد نصف ساعة، أذيع بمكبر الصوت، أن الأبواب فُتحت لأقاربه من عين زحلتا، فدخل جمع غفير، ملأ المكان.

سكوت مبرح، فتحوا القفص الحديدي على اليمين، فظهر نعيم أمام الحشود وكان قد أرخى ذقنه (سكسوكة)، فهاتج الجميع وتعالت الهتافات، وكان يلوح لهم جميعاً، فرح الجميع، مما حمل رئيس المحكمة طلب السكوت وإلاّ أخلى القاعة، وكان جميع القضاة فرنسيون. طلب أحدهم منه: يا مغبغب هل كلفت محامياً للدفاع عنك، فأجابه «منشان إيه، أنا محامي ونصف ما في لزوم، فقال يجب أن توكل محام، فرد بصوت أعلى، أنا محامي ونصف، عندها تقدم اثنان من المحامين...» ولم نعرف ماذا حصل.

بعد فترة أخذنا نسمع أنه يقول إخرس إخرس لوكيل الادعاء، وبدأت الناس تصرخ براءة، براءة يا نعيم.

١ ـ العميد نخلة مغبغب، قائد الدرك، مجلة الجيش العدد رقم ١١٥/١١٩، تشرين الأول ١٩٩٤.

قال المدعي العام الفرنسي، راح اسألك سؤالاً واحداً لا غير من «دفعك إلى هذا العمل، الشيخ بشارة أم رياض الصلح، أم عبد الحميد كرامي أم كميل شمعون؟»

فأجابه لا أحد، سوى شجاعتي. إنني رأيت العلم يُنزل عن البرلمان، أنت مدعي عام فرنسي وشفت علم بلادك ينزل عن برلمانك، فماذا تفعل لو كنت مكاني؟ أمام الدبابات ماذا تريدني أن أفعل أن أتجابن وأتراجع أم أقدم للدفاع عن رمز دولتي. هذا واجب أديته، وفي هذه الأثناء أخذ الشعب يصرخ براءة يا نعيم. عندئذ، رن الجرس، فلم تسكت العالم. فكتب على لوح: (إعطاء الحكم بالبراءة يوم الثلاثاء حتى سكت الجمهور وانصرف الناس).

مع العلم أنه يتم رفع البرنيطة دلالة للاحترام فيما لا يجوز رفع الطربوش في أي ظرف كان، فرفعه مذلة واحتقاراً. وحينما التقى جبران التويني، نائب المفوض السامي، رفع طربوشه فغضب هذا النائب واشتكاه إلى شارل دباس لأن الطربوش لا يرفع[1].

كان نعيم مغبغب، إبان محاكمته واضعاً على رأسه طربوشاً، الذي يرمز إلى العروبة والعرب، وضد النزعة العثمانية، رفض نزعه عن رأسه وقد اعتبر القضاة أن ذلك يشكل مساً بكرامتهم، أما هو فلم يتزحزح عن موقفه رافضاً قطعياً، نزع الطربوش[2].

يروي منح الصلح من ذكريات تقي الدين الصلح، حيث قال: سمعت مرة من أحد المقربين به ينصحه بنزع الطربوش، فسأله العم لماذا؟ قال كرامة خاطر إخواننا المسيحيين يا بيك فإنهم يفضلون البرنيطة! ضحك تقي الدين قائلاً بالعكس هؤلاء

١ ـ منح الصلح، جريدة الرياض، ١٦ يناير ٢٠٠٨، العدد ١٤٤٥٠.
http://www.alryadh.com2008-1-16article30938shtml.

٢ ـ ذكر المحامي عمر الزين في كتابه «تقي الدين الصلح، سيرة حياة وكفاح»، فقال إن ذكريات تقي الدين الصلح تشبه رمزية استقلالية، التي جابت ذكريات ابن عمه الكبير رياض. يقول تقي الدين: مرة سمعت أحد القوات من المحيطين به ينصحه بنزع الطربوش فسأله نعيم لماذا، قال كرامة خاطر أخواننا المسيحيين، يا بك، فإنهم يفضلون البرنيطة، ضحك تقي الدين قائلاً: بالعكس، فإن هؤلاء المسيحيون الذين تتحدث عنهم وخاصة من أبناء الجبل كلهم مثلي، ومثلك من لابسي الطربوش والطربوش عز في الجبل، وأضاف مبتسماً لا تنس أن الطربوش نمساوي، ثم ألا ترى حبيب أبو شهلا كيف يصر على لبس الطربوش من أجل كسب ناخبي المصيطبة من أبناء محلته؟

المسيحيين الذين تتحدث عنهم وخاصة من أبناء الجبل كلهم مثلي وهم من لابسي الطربوش. والطربوش عز في الجبال ليس عندنا في بيروت. وأضاف مبتسماً لا تنسى أن الطربوش نمساوي، ثم ألا ترى حبيب أبي شهلا كيف يصر على لبس الطربوش من أجل كسب ناخبي المصيطبة من أبناء محلته[1].

في اليوم المحدد لإعلان الحكم، تجمع الناس في عين زحلتا، بوجود الحافلات الضرورية، وجهتهم بيروت، بغتة، وصل نعيم بمفرده، فتعالت الزغاريد وعمت الفرحة. ونشرت جريدة الاقدام، مقالاً عن سجن نعيم مغبغب، بعنوان «بعد أن قيدوك عاماً عدت إلى جهادك حراً» بقلم المحامي إبراهيم شقير.

الفرع الرابع ـ التهاني الرسمية

الفقرة الأولى ـ خطاب القائم بأعمال رئيس الجمهورية، في وداع بشامون

أما ذاك الفتى النبيل الذي ترك عمله السلمي «وروب المحاماة في العاصمة وارتدى ثوب الجندي المجاهد فتولى قيادة المتطوعين وأخذ على عاتقه مهمة تدريبهم فأحسن القيادة وأحسن التدريب. كان طيلة أيام الجهاد متخذاً من الأرض وأشواكها فراشاً أحب إلى قلبه العامر بحب لبنان من فراشه الناعم، ومن السماء لحافاً ومن حرارة إيمانه الوطني دفاعاً عن تلك السنديانة القائمة على مدخل بشامون مقراً لقيادته يواصل منه ليله بنهاره ساهراً متيقظاً لدرء الطوارئ مقدماً خير مثال لرفاقه في النضال والتضحية مقابلاً المخاطر بصدر رحب ووجه باسم، مقاوماً دبابات المعتدين ومصفحاتهم بجرأة لامتناهية وبسالة نادرة معرضاً حياته لرصاص البنادق وقنابل المدافع في كل لحظة غير عابئ بالموت في سبيل وطنه وذوداً عن استقلاله. ولا أعتقد بعد هذا أن هناك من حاجة إلى تسمية من أعني فقد عرفتموه جميعكم ولكن لا بأس أن تكون تحيتي هذه موجهة باسم الحكومة والشعب إلى الشاب النبيل والمحامي اللامع الأستاذ نعيم مغبغب. لقد استحق هذا البطل المجاهد بكل جدارة شكر الحكومة وتقدير الوطن. وسجل لنفسه في تاريخ لبنان صفحة ناصعة البياض وفضلاً لا ينسى ومجداً لا تمحوه يد الأزمان.

١ ـ جبران تويني، بعد ٢٥ سنة، ص ٦٦.

الفقرة الثانية ـ شهادة المؤتمر الوطني اللبناني

«هذا المجاهد الباسل هو نعيم مغبغب، الذي لعب في حوادث تشرين ١٩٤٣ ثم في حوادث نيسان ١٩٤٤ دوراً أقل ما يقال فيه أنه نادر.

جاهد نعيم مغبغب بتعليمه وفكره وجاهد بيديه وجسده، كان الحركة ـ البركة الدائمة بين العاصمة وبشامون، كان من القادة القلة الذين عاشوا الموقف العصيب الحاسم بكل جوارحهم، وكانوا على قدر العزيمة يضعون أرواحهم على أكفهم ويسيرون.

العدد ١٠ من نشرة المؤتمر الوطني اللبناني

تاريخ ٣٠ كانون الأول ١٩٤٥.

مجلة الصياد

وكانت البطولة التي أظهرها الزميل الأستاذ نعيم مغبغب، صاحب «الاقدام» أثناء الحوادث كافية لأن تمحو عن جبين لبنان عار الخونة المأجورين.

الفقرة الثالثة ـ مغبغب يخاطب هللو: من «مجنون إلى مجنون»

في الذكرى الثانية للاستقلال، وبعد سنة من إطلاق سراحه، كتب مغبغب رسالة إلى هللو تحت عنوان «من مجنون إلى مجنون» يفند فيها «النوابغ» انطلاقاً من معيار «الجنون» ومما جاء فيها:

عزيزي المسيو هللو

لا يخيلن إليك أني أحط من قدرك عندما أدعوك بلقب أطلقته راضياً على نفسي، فالجنون في رأي بعض العلماء منتهى النبوغ، وأنا وحقك أنبغ أهل زماني، لأني قدرت سلفاً ما كان يخبّئ لنا ولكم القدر، أيام كانت طفرتنا الوطنية ونزقكم الاستعماري يمهدان لحوادث ١١ تشرين ١٩٤٣.

أنت أيضاً من أنبغ زمانك، لأنك عرفت أكثر من سواك كيف توحد صفوف هذه الأمة، وتدفعها بكلتي يديك في طريق الاستقلال، إلى الهدف الذي كنت أنا نفسي أخشى أن لا تصل إليه بسنين، وكم كان أسفي شديداً عندما دعيت إلى مغادرة هذه البلاد قبل أن أتمكن من مصافحتك وتهنئتك على ذلك.

ولقد حاول الذين جاؤوا بعدك أن يصلوا إلى مستوى نبوغك، ولكني لم أجد فيهم حتى الآن من يستحق أن أخلع عليه اللقب الذي خلعته بكل طيبة خاطر عليك.

إن أوليفيه روجيه مجنون أجل، ولكنه مجنون عادي... فهدم المنازل والدور والمعابد على رؤوس الناس الآمنين، وإطلاق يد «العبيد» في القتل والنهب والتشنيع، جنون مبتذل جداً، بالنسبة إلى اختطاف رئيس البلاد الشرعي تحت جنح الظلام، وإلقائه مع وزرائه ونوابه الشرعيين أيضاً في أحد السجون، لتحكيم إميل اده مثلاً في مكانهم.

صدقني يا عزيزي المسيو، إني إلى الآن أقدر نبوغك وأعجب به، وأخوك بالنبوغ نعيم مغبغب يهديك أيضاً تحياته العطرة، لأنه لولاك لما بلغ نبوغه الذروة، ولما كتب بالدم على عتبة باب البرلمان تاريخ هذا النبوغ.

وصدقني أيضاً إن أبطال بشامون يذكرونك أيضاً، فالأمير مجيد والأستاذ أبو شهلا ورفاقهما مدينون لك بالكثير من الشهرة التي اكتسبوها منذ ذلك الحين.

وإذا كان هناك من لا يقدرك حق قدرك، ومن يشك في أنك على شيء من النبوغ، فهؤلاء هم مواطنوك الذين انقطعت علاقاتنا الطيبة بهم، وبخاصة جماعة الجزويت وغيرهم من الاستعماريين، لأنهم أشاروا عليك بأمر لم تعرف كيف تنفذه، وأخفقت في تدبير المؤامرة التي كانوا يعلقون عليها كل آمالهم.

لقد قالوا لك حينئذ أبطش واقتل، فشعب هذه البلاد كالعبيد لا يخضع إلا للقوة، وإذا تدخل غريب فارمه في البحر فما عرفت كيف ترضيهم من هذه الناحية.

ونحن نغتبط كل الاغتباط لرؤيتهم ساخطين ناقمين، لأن السخط والنقمة دليل على الإخفاق، وأنا المجنون أصفق طرباً لساعة النبوغ التي أنقذتنا فيها من ابتساماتهم الساخرة، تلك التي كانت تحز في جلودنا الحساسة بما هو أشد ألماً من حذ السكاكين.

وأود لو تراني أضحك ملء شدقي، عندما أمر بأحدهم وأراه خافض الرأس وليس عملي من قبل الشماتة، ولكنه وليد عاطفة كتبها الجور زمناً وأطلقها الانفجار.

وأنا أكتب إليك هذه الرسالة في الجريدة التي ولَّدها نبوغك، وأرجو أن تصل إليك وتقرأها بإمعان، وإن كنت لم تتعلم العربية حتى الآن، فانتظر رجوع بونا أنطون من أميركا وكلفه بقراءتها وترجمتها لك، لأنها ورأسك من أطيب الرسائل التي يكتبها مجنون عبقري لزميل له.

وختاماً أرجوك إبلاغ سلامي وتقديري للجنرال ديغول، وقل له أن اسمه ما يزال محفوراً على صخور نهر الكلب، إلى جانب اسم رمسيس وسنحريب ونابليون الثالث، ولكني أشك في رغبة أبناء البلاد بالاحتفاظ به إلى جانب هذه الأسماء كأثر من آثار الأجيال.

مجنون

الفقرة الرابعة ـ وزارة التربية تفرض تدريس حادثة رفع العلم

أدخلت وزارة التربية في المناهج التعليمية لمادة التاريخ للصفوف التكميلية والثانوية لطلاب المدارس الخاصة والرسمية، شرحاً عن معركة الكرامة التي حدثت بتاريخ ١٩٤٤/٤/٢٧، مبرزة دور نعيم مغبغب الأساسي فيها، وكيف أقدم على رفع علم الاستقلال على قبة البرلمان اللبناني عوضاً عن العلم الأجنبي، وقد أشارت كتب التاريخ إلى هذه الواقعة، الأمر الذي لم يرق للنافذين آنذاك، فأصدروا أوامرهم الجازمة بوجوب تمزيق الصفحة حاملة هذا الخبر لطمس الحقيقة. وقد مزّقت فعلاً من الكتب بعد مرور ثلاثة أشهر على إصدارها.

الفقرة الخامسة ـ «الاقدام»: الوقوف ٥ دقائق صمت الساعة ١١ من يوم الأحد ١١ تشرين الثاني ١٩٤٥، إجلالاً لشهدائنا

في الذكرى الثانية للاستقلال، المصادف يوم الأحد في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٥، صدر بلاغ أوردته جريدة «الاقدام» أنه «في تمام الساعة الحادية عشرة قبل ظهر الأحد الواقع فيه ١١ تشرين الثاني ١٩٤٥ تبطل الحركة ويلزم الصمت في كافة أنحاء الجمهورية اللبنانية لمدة خمس دقائق وذلك إجلالاً لروح الشهداء الأبرار

الذين سقطوا فداء استقلال الوطن اللبناني أثناء حوادث تشرين الثاني عام ١٩٤٣»[1]

الفرع الخامس ـ شهداء وجرحى الاستقلال

الفقرة الأولى ـ شهداء فترة الاستقلال ١٩٤٣

أوردت جريدة «الاقدام» أسماء الشهداء الذين استشهدوا فداء الاستقلال، وتحت عنوان «في موكب المجد» استهلت الجريدة قولها: يبارك اللّه هذا البلد! ما دعاه الواجب يوماً وتقاعس، ولم يبخل بثمن ولم يضن بتضحية، يسترخص أبناؤه الحياة في سبيل العزة والكرامة. يقدم المال والروح، لا أملاً بعوض بل دفاعاً عن حق مغتصب وعملاً لبناء دولة يتناسق حاضرها وتاريخ أمنها الغابر المجيد.

وبالأمس، في حوادث تشرين الثاني ١٩٤٣، سارت كوكبة جديدة، ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، من كواكب المجد، لتحتل مكانها في لائحة الشرف. فإلى أرواح الشهداء الخالدين منهم وإلى الأحياء حاملي أوسمة الجهاد بجروحهم اعتراف لبنان بفضلهم «يقصد هنا الجروح في وجه وجسد نعيم مغبغب وغيره ممن تفانوا بالعطاء».

- جبل لبنان: سعيد خليل فخر الدين (عين عنوب).
- بيروت: عيسى مصطفى الناطور، عبد أمين حمادة، محمود خضر الكردي، فؤاد سلطاني مخزومي، إبراهيم نجيب البابا، رؤوف علم الدين.
- طرابلس: سليم مصطفى صابونه، كمال عبد الرزاق الضناوي، عباس إبراهيم الحبوشي، فوزي قاسم شحود، محمد علي حسين خضر، أحمد صابر كلثوم، ثروت عبد الغني الأفيوني، وديع خاطر بركات، رشيد رمزي حجازي، عبد القادر مصطفى الشهال.

١ ـ جريدة الأقدام، السنة الثانية العدد ٢٦٤، الأحد ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥.
في العام الثاني للاستقلال أي ١٩٤٥، أقدمت بلدية بيروت على إعادة قطعة الأرض الكائنة بجوار دائرة التلفون والتي كانت السلطات الفرنسية قد استملكتها لتشيد عليها بناء خاصاً لهذه الدائرة، وأجاب الجانب الفرنسي بأنه لا يرى مانعاً من التخلي عن الاستملاك وإعادة الأرض إلى البلدية، على أن يعاد إليها المبلغ الذي دفعته.

ـ صيدا : سعيد عبد اللطيف البزري، شفيق ديب محجوب الأرقدن، ثروت إبراهيم الصباغ.

الفقرة الثانية ـ جرحى فترة الاستقلال ١٩٤٣

بيروت : عبد الغني عيتاني، عزت أمين السوقي، محمود محمد شعيب، عبد الرحمن أمين نويتو، فاطمة زين حجازي، محمود زين حجازي، حسن علي حسين، سلم محمد الدايخ، محمد سليم المرارة، محمد طرابلسي، أحمد شعبان، محمد عبد عبود، بشارة بربع الله، عبد اللطيف بربر، حسن سعد الدين هاشم، عبده أحمد حسن، حيدر أحمد نعمان نادر، حسن أحمد نعمان نادر، محمد هاني عون الغندور، خضر سليم عضاضة، مصطفى علي الشامي، مصطفى الصيداني، يوسف مارون، إميل الكك، خليل إبراهيم نعيم، علي محمد سنجر، محمد الكردي، عارف عطا اللّه، ميشال بليط، عباس حسين غلام، جمعة رمضان، حسن البدوي، مصطفى حسن عزو، حليم عربيد، محمد السردوك، انترانيك زبديان، يوسف العسراوي.

طرابلس : الشيخ زين العابدين دندشلي، حسن رويساتي، سعد الدين عمر النداف، وفيقة عمر النداف، آمنة محمد الدالي بلطة، أوفة هاشم النقوزي، أحمد صالح، عبد اللطيف بيضون، نهديه بدوي سنجر، حكمت علي الصباغ، عفيف عبد الغني الجردلي، كريمة خليل الخولي، الشيخ محمد علي سنجر، غازي حسن اليمن، فاطمة فواز، محمد حمرة كالو، عمر محمد كرجيه، خديجة سليم بوجي، ساره محمد الانجباز، أحمد محمد حجازي، نعمة أبو نصار، حسن إبراهيم مكاوي، سميح بسيوني، أمين سليم شرارة، محمد أحمد زكي النعوزي، ملكة حسن الميش، سعاد الحاج الدندشلي، حسين محمد حسن.

الفصل الخامس

دور جريدة «الاقدام» في الجلاء

نود الإشارة بصورة مقتضبة إلى الدور الذي لعبته جريدة الاقدام العائدة لنعيم مغبغب في المطالبة بجلاء الجيوش الأمنية عن لبنان وسوريا، في عهد الجمهورية الأولى للاستقلال، فالمقالات التي وردت تظهر تلك المعاناة، كما تشير إلى ما حصل في دمشق، مما يثير الدهشة والاستغراب.

الفرع الأول ـ الجدال حول الجلاء[١]

إذا كان للحرب العالمية الثانية الأثر المباشر على استقلال لبنان عام ١٩٤٣، فإن معطيات خارجية أيضاً ساعدت في جلاء الجيوش الأجنبية عن أرضه.

أثار موضوع الجلاء جدلاً كبيراً بين اللبنانيين[٢]، الذي كانت قواسمه المشتركة، بين جميع الطوائف، الدفاع عن الاستقلال[٢] وفي جلسة مجلس الأمن المنعقدة في ١٧ كانون الأول ١٩٤٤، تمت الموافقة على الاقتراح الأميركي بوجوب جلاء كافة الجيوش

١ ـ منير تقي الدين، الجلاء، الطبعة الثانية، ص ٢٥٥.
٢ ـ د. محسن إبراهيم، المرجع ذاته، ص ٢٧٧.
٣ ـ فارس ساسين، سليم تقلا، ص ٢٨٨ و٢٨٩.

البريطانية والفرنسية عن سوريا ولبنان في أقرب وقت ممكن، على أن تجري بدون تأخير لهذه الغاية مفاوضات مستقلة، وكان قد ألقى حميد فرنجية، وزير الخارجية، خطاباً شرح فيه سياسة لبنان ولاقى التصفيق الحاد من جميع الوفود، مطالباً بضرورة احترام استقلال لبنان، وعلى الأثر عقد كميل شمعون مؤتمراً صحافياً في لندن، موضحاً فيه قضية لبنان وسوريا[١]. كان يوسف سالم برفقة حميد فرنجية في الوفد الذي سافر إلى باريس للمطالبة بجلاء الجيوش الفرنسية، وبينما كانا هناك، كانت بعض الأقلام تشن عليهما حملة وعندما أتما مهمتهما، رجعا إلى لبنان وقدما استقالتيهما، معترضين على مماطلة الحكومة بالشكل الذي كان يحصل فيه[٢].

أصر لبنان على رفض توقيع أي معاهدة مع فرنسا قبل الجلاء بالرغم من أن الفرنسيين والبريطانيين كانوا يصرّون على ذلك. ففي صيف ١٩٤٤ غادر الجنرال سبيرز لبنان إلى بلاده في إجازة، وفور عودته نقل إلى بشارة الخوري بحضور رياض الصلح، طلب حكومة صاحبة الجلالة رسمياً بإنهاء حالة الانتداب مع الحكومة الفرنسية فأجاب رئيس الجمهورية بأننا لن نعمل بهذه النصيحة مطلقاً، ويجب أن ننتظر انتهاء الحرب، ونطلب أن يكون لنا كلمة في معاهدة الصلح كدولة حرة مستقلة. ويظهر بأن تشرشل كان يرمي إلى توقيع اتفاق بين فرنسا وسوريا ولبنان، يعطيهما استقلالاً محدوداً شبيهاً بالمعاهدة الموقعة بين بريطانيا والعراق عام ١٩٢٠، لكن سبيرز كان على موقف آخر، فقد دعى لاستقلال هذين البلدين، وكان يهدف إلى إخراج فرنسا من لبنان وسوريا، وكان يتظاهر بأنه ينفذ أوامر تشرشل في حين أن الوضع لم يكن إلى هذا الحد[٣].

---

١ ـ منير تقي الدين، الجلاء، الطبعة الثانية ١٩٩٧، ص ٢٠١.

٢ ـ يوسف سالم، المرجع ذاته، ص ٢٥٦.

٣ ـ مسعود ضاهر، البعد الإقليمي لاستقلال لبنان، ١٩٤٣، الجامعة اللبنانية، ص ٥٦٢؛ وكانت مسألة المصالح المشتركة موضع بحث، فكتبت جريدة صوت الأحرار بتاريخ ٨ كانون الأول ١٩٤٤ «الإدارة المالية الفردية تترك بعد ٢٠ سنة الموازنتين اللبنانية والسورية حرتين من كل دين ومن كل دين عمومي داخلي أو خارجي، فيكن على الحكومتين أن تواجها المستقبل بكل ثقة وأن تجابها الموجبات الثقيلة التي يفرضها الاستقلال... ويجب أن يهيمن على الجمارك تشريع يكون من صنع الأمة دون سواها».

بعد أربع وعشرين ساعة على جواب رئيس الجمهورية اللبنانية، كما أشرنا، حضر بينيه وصرح بأن الحكومة الفرنسية ترغب في عقد معاهدة مع لبنان تقوم مقام الانتداب، وذلك لتغطية العلاقات الماضية، ووفقاً للوعود التي قطعت من قبل حليفتهما بريطانيا، وبأن فرنسا تدعو لبنان إلى فتح باب المفاوضات للوصول إلى هذه النتيجة، فأجاب رئيس الجمهورية أن لبنان دولة مستقلة وهو لا يرغب في عقد معاهدة مع أية دولة من الدول قبل انتهاء الحرب والتئام مؤتمر الصلح، وبعدئذ يفتح باب البحث في المعاهدات.

الفقرة الأولى ـ انتصار اليسار في فرنسا

حصلت تغيرات جذرية في السياسة العالمية، ففي فرنسا بعد أن دخل ديغول، دخول الأبطال الفاتحين، تحول من رئيس حكومة مؤقتة انفرد بتأليفها وحلفائه، إلى وزير أول في حكومة مسؤولة أمام جمعية تأسيسية يهيمن عليها الشيوعيون والاشتراكيون. وبالفعل، بعد اتهام ديغول أمام اليساريين بتاريخ ٢٠/١/١٩٤٦، ترك الساحة للأحزاب اليسارية، وأبرق رئيس الوفد إلى رئيس الجمهورية في ٢٠ أيار ١٩٤٦ مذكراً أن الفرنسيين أظهروا روح التساهل في المفاوضات وأن الاقتراحات المسجلة أعلاه بلغت الحد الأدنى، ننصح بالقبول فوراً ومع التسهيلات اللازمة يحصل جلاء القوى الفرنسية قبل الثالث من حزيران ١٩٤٦، أي تاريخ الجلاء الإنكليزي، ويحصل جلاء القوات الباقية في أول كانون الثاني ١٩٤٧، وعلى هذا الأساس جرى تبادل الرسائل بالموافقة بين وزيري الخارجية، أما الاتفاق النهائي، فتم توقيعه في ٢٤/١٢/١٩٤٨، في الكي دورسيه بين وزير الخارجية اللبنانية فرنجية الذي كان برفقة أحمد الداعوق، وجورج بيدو وزير الخارجية الفرنسية.

الفقرة الثانية ـ انتصار حزب العمال في بريطانيا

موجة الاشتراكيين والشيوعيين، اجتاحت بريطانيا، فإذا بتشرشل نظير زميله ديغول يخسر الانتخابات، ويعطي مكانه لحزب العمال الذي أحرز فوزاً كاسحاً، واتخذ الموقف

نفسه الذي اتخذته فرنسا بالنسبة إلى قضية الجلاء[١] إلى حد كبير وغابت وجوه كثيرة كتشرشل وحتى الجنرال سبيرز لم يتمكن من الحصول على مقعد في مجلس العموم.

دعمت الولايات المتحدة الأميركية قضية الجلاء واقترحت في مجلس الأمن بإجراء مفاوضات مستقلة لهذه الغاية، نال هذا الاقتراح أكثرية سبعة أصوات، لكن الوفد السوفياتي برئاسة فتشنكي استعمل حق النقض ضد القرار الذي أوحى بسحب فرنسا وبريطانيا قواتهما فوراً وقد وصف المفاوضات بأنها ستكون «تكتيكية»[٢].

الفقرة الثالثة ـ انتهاء الحرب في ٨ أيار ١٩٤٥ ودخول قوات فرنسية إلى لبنان

حالما تم إعلان انتهاء الحرب في ٨ أيار ١٩٤٥، عمت الفرحة البلاد، رغم بعض التصرفات المتهورة، ووصلت إلى الحكومة أخبار استقدام الفرنسيين لثمانمئة جندي سنغالي إلى الشرق على ظهر الباخرة «جان دارك»، بعدها وصلت سفينة حربية فرنسية في ١٧ أيار، وقد عاد الجنرال بينيه إلى بيروت في ١٠ منه. قدم وزير الخارجية هنري فرعون، مذكرة احتجاج شديدة اللهجة إلى المندوبية الفرنسية، وقام بزيارة دمشق، فرد الفرنسيون بإرسال مذكرة إلى الحكومتين، أشاروا فيها إلى أن فرنسا تحافظ على مصالحها الثقافية والاقتصادية والاستراتيجية، وكانت قد احتفظت (بالوحدات الخاصة للمشرق) أي القوات اللبنانية المقاتلة عند تسليم «المصالح المشتركة». رفضت فرنسا تسليم «القناصة» وسائر الوحدات المشتركة إلى الحكومة اللبنانية والسورية، ما لم يتم توقيع معاهدة معهما[٣].

الفقرة الرابعة ـ التظاهرات وردات الفعل

ردة فعل اللبنانيين، كانت إضراب شامل في بيروت، لثلاثة أيام والتظاهرات عمت البلاد، نسّق لبنان وسوريا موقفيهما تجاه الفرنسيين، فإذا بالسادة بشارة الخوري وشكري القوتلي وعبد الحميد كرامي، وجميل مردم وهنري فرعون وصبري

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٨٨.
٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٩١.
٣ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٨٥.

العسلي (وزير الداخلية) وأحمد الشراباتي (وزير المعارف)، توافقوا للاجتماع في بيت السيد حنين الصحناوي في شتورة، يوم الأحد في ٢٠ أيار. والجميع كان يتوجس من الموقف الفرنسي، وتم استغلال فرار أحد المجندين السوريين من صفوف الجيش الفرنسي، في ٢٥ أيار، فبادرت فرنسا لضرب دمشق بالقنابل والطائرات الحربية لعدة أيام، فدمرت المنازل وسقط القتلى بالمئات.

تضامن لبنان الحكومي والشعبي مع سوريا، وأعلن الإضراب لمدة ٥ أيام من ٣١ أيار إلى ٤ حزيران وسارت عدة مظاهرات[١]. كانت السلطات البريطانية تعبر دوماً عن رغبتها في سحب قواتها، لكن لبنان وسوريا أصرا على الانسحاب المشترك، كي لا يترك أي مجال للافرنسيين بالانفراد والبقاء في لبنان، وكانت بريطانيا إذا ما انسحبت فإنها ستذهب إلى فلسطين، بينما الجيش الفرنسي عليه الذهاب مسافة أطول بكثير إلى مارسيليا[٢].

الفقرة الخامسة ـ إعلان قرار الجلاء

بتاريخ ١٣ كانون الأول ١٩٤٥ بينما كان المجلس النيابي منعقد، بوجود الحكومة، ويناقش الميزانية، فوجئت الرئاسة بإعلام من رئاسة الجمهورية أن فخامة الرئيس قادم إلى المجلس. وقد رافقه جورج حيمري مدير الديوان، والزعيمان شهاب ونوفل فاستقبلهم النواب بحرارة، وبعد ذلك أعلن رئيس الوزراء البلاغ المشترك الصادر عن حكومتي بريطانيا وفرنسا، غير أن هذا البلاغ لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية.

الفرع الثاني ـ المفاجآت الأمنية

الفقرة الأولى ـ أوليفييه روجيه يقصف دمشق

خلافاً لرأي ديغول، وتعطيلاً لعملية الاستقلال في سوريا أقدم الجنرال أوليفييه روجيه، ممثل فرنسا في دمشق وذات الميول الإنكليزية، بما يتعلق بفلسطين، على دفع الجنود السنغاليين الفرنسيين لمهاجمة مواقع الجيش السوري.

١ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٨٦.
٢ ـ غسان تويني، المرجع ذاته، ص ٨٨.

وصلت الأخبار من بيروت إلى باريس، بأن مواقع القوات الفرنسية في سوريا تعرَّضت للهجوم، وحصلت معارك ضارية خلال الليل، بدعم من الجيش السوري ومن فرق خاصة بالمدنيين. كما حصل اعتداء على الجنرال أوليفيه روجيه، من قبل مجموعة من الدرك السوري، وهجوم على البرلمان وبنك سوريا وقيادة البوليس والسراي.

على أثر ذلك أرسل تشرشل إلى ديغول رسالة بتاريخ ١٨ أيار ١٩٤٥ يطلب فيها وقف النار فوراً، لعدم زعزعت الأوضاع. وبتاريخ الأول من حزيران أرسل الرئيس ترومان رسالة إلى ديغول بشأن الحوادث الدائرة في سوريا ولبنان، طالباً منه إصدار الأوامر إلى قواته بالخلود إلى السكينة بهدف التوصل إلى حل نهائي.

في الوقت الذي شعر فيه البريطانيون، أن فرنسا عازمة على وقف القتال في سوريا، سارعوا إلى إرسال إنذار للفرنسيين بهذا المعنى، مما أزعج الجنرال ديغول، وطالبهم بوقف تحركاتهم ضد القوات الفرنسية هناك، تأميناً للمصالح المشتركة[١].

الفقرة الثانية ـ رسالة الجنرال ديغول

بتاريخ الأول من حزيران ١٩٤٥ وجه الجنرال ديغول إلى قائد الوحدات الفرنسية في الشرق الرسالة التالية:

"En vue d'éviter qu'il y ait collision entre les forces britaniques et les forces françaises nous vous invitons à donner aux troupes françaises l'ordre immediat de cesser le feu et de se retirer dans leurs cantonnements. Quand le feu aura cessé et que l'ordre sera rétabli nous serons disposés à commencer des discussions tripartites à Londres"[٢]

بثت الإذاعة البريطانية أخباراً عن النزاع الدائر في سوريا اعتبرها ديغول مهينة لفرنسا، وأضاف أنه لا يجوز لها ذلك، في الوقت الذي رفض فيه السيد إيدن مقابلة المبعوث الفرنسي ماسيغلي، لمفاتحته بهذا الموضوع، وفي الوقت نفسه لم تصل رسالة السيد تشرشل إليه إلا في الساعة الخامسة، أي بعد مرور ساعة على إذاعتها.

ـ ١ Charles de Gaulle, Mémoires de Gaulle, Le salut 1944 - 1946, p. 191 et s.

ـ ٢ Charles de Gaulle, Ibid, p. 192.

وأرسل ديغول إلى بينيه، القائد الفرنسي في سوريا تعليمات صريحة خاصة بالإجراءات المتخذة، يقول فيها:

"Ne pas reprendre le combat à moins qu'elles n'y fussent contraintes; conserver leurs positions contre qui que ce soit; n'accepter en aucun cas les ordres du commandement anglais"

وقد عبر بمضض عن سوء العلاقة مع بريطانيا.

"Mais tous partagèrent la tristesse irritée que j'éprouvais moi-même à voir La Grande-Bretagne abimer les fondements de l'alliance".[١]

أوردت جريدة الاقدام تحت عنوان: «اجتماعات سياسية مشتركة هامة، هل لقضية الجلاء علاقة بهذين الاجتماعين».

عندما كان رئيس الجمهورية بشارة الخوري في البقاع برفقة وزير الداخلية، ذكرت جريدة الاقدام:

«إنه عاد إلى بيروت فجأة وبعد أن أقام في مكتبه بعض الوقت انتقل إلى قصر وزارة الخارجية واستقبل الكونت استروروغ نحو أربعين دقيقة وعلقت الجريدة بالقول: هل للجلاء علاقة؟

وكان سعادة المستر الن شون الوزير المفوض في دمشق، قد عاد إلى بيروت صباح الجمعة واستقبل الكونت استروروغ في المفوضية مقابلة طويلة.

وبعد انقضاء الاجتماع غادر الكونت استروروغ المفوضية البريطانية واستقل المستر شون سيارته عائداً تواً إلى دمشق. وتوجه الأول إلى وزارة الخارجية لمقابلة الوزير. وتعلق الأوساط السياسية على هذين الاجتماعين أهمية ويعتقد البعض أن الأحاديث دارت حول جلاء الجيوش الحليفة.

وكان الجلاء على نار حامية، لا بد من تحقيقه بأقرب وأقصر وقت ممكن!»

ـ ١ Charles de Gaulle, Ibid, p. 193.

الفقرة الثالثة ـ مغبغب يخاطب أوليفييه روجيه

لم يقتصر مقال نعيم مغبغب في الذكرى الثانية للاستقلال، على المسيو هللو فقط، إنما طال أيضاً زميله السيد أوليفييه روجيه الذي أقدم بدون سابق إنذار على قصف العسكريين السوريين والمدنيين، كما أسلفنا ومما قاله:

قارن نعيم جنون هللو، بجنون أوليفيه، ذاكراً: «إن أوليفييه روجيه مجنون، أجل ولكنه مجنون عادي... فهدم المنازل والدور والمعابد على رؤوس الناس الآمنين وأطلق يد العبيد في القتل والنهب والتشنيع جنون مبتذل جداً بالنسبة إلى اختطاف رئيس البلاد الشرعي».

الفقرة الرابعة ـ مغبغب يطالب بجلاء البريطانيين والفرنسيين في وقت واحد

أخذت جريدة «الاقدام» تطالب مع المطالبين بجلاء جميع الجيوش الأجنبية عن لبنان، ففي كلمة اليوم، كتب أديب بعيني مقالته تحت عنوان «القوات البريطانية والفرنسية يجب أن تجلو في وقت واحد»، حدد فيها الوعد الذي قطعه مستر تشرشل الوزير البريطاني الأول في حينه وسترايدن وزير الخارجية، وفقاً للسياسة البريطانية الصريحة تجاه سوريا ولبنان، وتطبيقاً لمبادئ الأطلسي وشرعة مؤتمر سان فرنسيسكو التي ضمنت استقلال وحرية كل دولة كبيرة أو صغيرة مثلت عضواً في مؤتمر الأمم المتحدة المذكور، لاسيما وأن الحرب في الشرق الأقصى قد انتهت. يذكر المقال بأن وزير الخارجية الأسبق هنري بك فرعون أشار في مجلس النواب في الدورة الاستثنائية أن الكونت ستروروغ قال له أن الجيش الفرنسي يجلو عند جلاء الجيش البريطاني، لكن لم ترد أية إشارة تؤكد ذلك من فرنسا، كما وجه بالمقابل انتقاداً للحكومة اللبنانية التي تعطي اهتماماً لاستعادة المصالح المشتركة أكثر من الجلاء، وخلص المقال لمطالبة الحكومة البريطانية إلى حل المشاكل كلها مع الفرنسيين، وأن يصير جلاء جميع القوات الأجنبية في وقت واحد[1].

١ ـ جريدة الاقدام، ٢٢ آب، ١٩٤٥.

الفقرة الخامسة ـ المسيحيون يتخوفون (مؤتمر بكركي ٢٩ أيار ١٩٤٥)

كان لأحداث دمشق العظيمة، التي ذهب ضحيتها عدد كبير من الجنود السوريين، ردات فعل عنيفة، ليس فقط ضد الجنود الفرنسيين المعزولين في سوريا، وضد الفرنسيين في الجزائر، إنما بدأت تظهر أحداث طائفية، في سوريا وفلسطين، وإزاء المعارك الدائرة بين الجيش الفرنسي والقوات السورية، سارعت فرنسا إلى تعزيز وجودها، فأرسلت جنودها لمساندة قواتها في سوريا. أخافت هذه الحملات الدول الكبرى كالولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، فأبديا اعتراضهما، فرفض الفرنسيون أي تفسير، مما كاد يؤدي إلى أزمة سياسية كبيرة. إزاء هذه التشنجات الدولية، أخذت تظهر الانقسامات الطائفية من جديد، ولم تتوقف أمام تبادل الآراء المتناقضة، إنما تعدتها وأخذت الاعتداءات الطائفية تظهر، مما أقلق المسيحيون وأخافهم، فإذا بهم يتوجسون شراً مما يحصل وانغمست الأحزاب اللبنانية في تيارات مختلفة[1].

بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٥، اجتمع في بكركي الرؤساء الروحيون للطوائف المسيحية وهم غبطة البطريرك الماروني أنطوان عريضة، صاحب النيافة الكردينال أغناطيوس بتوني بطريرك السريان الكاثوليك، وصاحب الغبطة البطريرك أغاجانيان للأرمن الكاثوليك، وصاحب السيادة المطران صايغ متروبوليت بيروت للروم الكاثوليك، وعدد من الأساقفة، وبالرغم من عدم اشتراك بطريرك الروم الأرثوذكس يمكن تسمية هذا المؤتمر بالقمة الروحية المسيحية لأنه شارك فيه معظم الطوائف الكاثوليكية.

واتخذت القرارات التالية بإجماع الحاضرين:

١ ـ تأييد استقلال لبنان وسيادته التامة.

٢ ـ التعاون الصادق مع الدول المجاورة.

١ ـ د. إبراهيم محسن، الأحزاب اللبنانية بين الصحوة الوطنية والإيديولوجيا الطائفية، ١٩١٤ ـ ١٩٤٦، دولة لبنان الكبير، الجامعة اللبنانية، ص ٢٧٧؛ ـ إن نغمة الطائفية كانت ولا تزال موضوعاً ساخناً بين اللبنانيين، وركزت صوت الأحرار بتاريخ ٩ نيسان ١٩٤٤ على هذه النغمة في الوظائف العامة.

٣ ـ حفظ العلاقة الودية مع الدول الحليفة التي اعترفت باستقلال لبنان وسيادته، راجين من الدولة الفرنسية وباقي الدول الحليفة تأييد استقلاله.

٤ ـ توطيد الالفة والسلام بين جميع الطوائف والعناصر اللبنانية.

٥ ـ تأييد الحكومة اللبنانية في كل الأمور العائدة لخير لبنان وازدهاره.

٦ ـ عقد معاهدة مع دولة فرنسا، لما فيه مصلحة البلدين.

الفقرة السادسة ـ الخوراسقف أنطوان عقل رسولاً إلى المغتربين

كان الإكليروس المجتمع في بكركي يميل إلى الفرنسيين ويعتبر نفسه بعيداً عن كل ما يمت بصلة إلى البريطانيين، ففي الاجتماع، كان الميل إلى جبهة اده المتعاونة مع الفرنسيين، وبعيداً عن تأثيرات سبيرز البريطاني، قرر المجتمعون، إيفاد الخوراسقف أنطوان عقل إلى المغتربين[١] اللبنانيين يشرح لهم الهواجس من الأخطار المحدقة، ولاستنهاضهم لنصرة لبنان. وبتاريخ ١٤ تموز ١٩٤٥، سافر عقل إلى فرنسا ومنها إلى لندن وإيرلندا الشمالية وكندا والولايات المتحدة الأميركية. توجست الدولة اللبنانية من الأمر، فلم تجرؤ على محاربة البطريرك مباشرة، فأخذت تحارب معارضيها، وفرضت مراقبة مشددة على الصحف وكانت تحجب أصوات المعارضين والمنتقدين، وكانت تعتم على تصاريح الخوراسقف وتعارض تصرفاته وتتهمه في وطنيته[٢].

أما النقاط الخلافية فكانت تدور حول الأمور التالية:

أولاً ـ الاعتراض على خطوة البطريرك، بإرسال موفد يمثل لبنان إلى الخارج.

---

١ ـ كان الخوراسقف أنطوان عقل صحافياً، أسس مجلة بالفرنسية سنة ١٩١٩، ويساعده في التحرير ميشال شيحا، والمحامي إميل الدويهي. أنشأ عام ١٩٣٢ جريدة يومية باسم «الاتحاد اللبناني» ولاقت معارضة كبيرة فأقفلها، وأخذ ينشر مقالاته في جريدة اسمها Alliance Lib-anaise. أسس مستشفى القديسة تريزيا في الحدث ومأوى العجزة الماروني في فرن الشباك ١٩٥١.

٢ ـ مذكرات الخوراسقف أنطوان عقل عن إيفاده من البطريركية إلى المغتربين، جمعت بقلم لحد خاطر، حزيران ١٩٥٠؛ ـ د. رتيب عمون عيد، الخوراسقف أنطوان عقل، مجلة «رسالة السلام» ٢٠١٠.

ثانياً ـ الاعتراض على اقتراح تقي الدين الصلح، بإنشاء جنسية عربية موحدة لبلدان الجامعة العربية.

ثالثاً ـ الاعتراض حول ما أوردته الصحف بإنشاء هيئة أركان حرب مشتركة واحدة للجيشين اللبناني والسوري، لكن الأستاذ فارس الخوري، رئيس الوزراء السوري، صرح للصحافة بأن كل دولة تحتفظ بجيشها بصورة مستقلة عن الأخرى، فيكون لسوريا جيشاً مؤلفاً من ٢٠ ألف وللبنان جيشاً مؤلفاً من خمسة آلاف.

رابعاً ـ الخلاف حول الضمانة الدولية التي طالب بها مؤتمر بكركي

أكد الخوراسقف أنطوان عقل، في مقابلاته على النقاط التالية: حق البطريرك بإبداء رأيه وهو يعبر عن ما لا يقل عن ٣٥٠ ألف مسيحي في قضايا الحرية والاستقلال، من الضروري رفع المراقبة عن الصحف، من الضروري أيضاً محاربة الميول غير اللبنانية، وأن الأحداث الطائفية التي جرت هي التي أخافت المسيحيين ودعتهم للمطالبة بالضمانات، وأخذ يطالب الأمم المتحدة ويحثها في اجتماع مجلس السلام، للوقوف على حقيقة ما يجري، فقد سفكت الدماء لأجل إنشاء الدول الصغيرة، فمن الضروري معرفة شعور المسيحيين وعواطفهم، عندما تدعى الدول الكبرى إلى وضع أسس السلام لرفاهية جميع الشعوب، وكان يشدد دوماً على استقلال لبنان بعد الاحتفال بالنصر على ألمانيا. جرت حوادث مفجعة ومؤسفة بين السوريين والفرنسيين، وتسلمت القيادة البريطانية إدارة الأمن في سوريا وحجزت الجنود الفرنسيين في ثكناتهم، ونهبت بعض المدارس، وانسحبت العائلات الفرنسية إلى لبنان، كما انسحب بعض الرهبان والراهبات إلى فلسطين، وقامت الدعاية في الراديو والصحف والشركات البرقية تصف الحالة هناك بأشكال مختلفة، فتدخلت الجامعة العربية وقررت اتخاذ تدابير لم تلبث حكومتا لبنان وسوريا أن أعلنتا تنفيذ تعليمات الجامعة، وتابعت المشاورات بين دمشق وبيروت، بينما انقطعت مع فرنسا، محدثة في سوريا اصطدامات دامية، أما لبنان فكان في حيرة من أمره كما يقول الخوراسقف أنطوان عقل، يعتصم بالصبر والرصانة معتمداً على حكمة وسهر بطريركه.[١]

---

١ ـ نعوم مكرزل، مؤسس جمعية النهضة اللبنانية، وكان بين الحاضرين، سلوم مكرزل صاحب جريدة الهدى.

تابع عقل سفره، وبدأت الانتقادات تنهال عليه داخلياً وخارجياً، فسارعت الحكومة إلى الطلب من وزارة الخارجية في الولايات المتحدة الأميركية، بسحب جواز سفر عقل، مما يضطره للعودة إلى لبنان. أمام خطورة هذا الوضع دعت الجمعيات اللبنانية من قبل اللجنة الوطنية للاجتماع في قاعة النهضة اللبنانية في نيويورك في ١٥ و١٦ أيلول ١٩٤٥، ووجهت الدعوة لسعادة الوزير اللبناني المفوض الدكتور شارل مالك لسماع رأيه في الموضوع.

احتاط الصحفيون العرب في الولايات المتحدة حول دور الخوراسقف عقل، فأقدمت جريدة التلغراف للاتصال بالديمان لمعرفة رأي البطريرك، وخلصت للقول بصراحة أن الموارنة لا يقبلون إلا أن يكونوا في طليعة الاستقلاليين، وهم يقاومون كل فكرة ترمي إلى تحويل هذا الوطن عن اتجاهه الجمهوري الديمقراطي الصحيح، وعن تعاونه مع الدول العربية لتحرير كل قطر عربي.

الفقرة السابعة ـ حصول الجلاء في ٣١ كانون الأول ١٩٤٦ (أول عام ١٩٤٧)

وبالتالي، على أثر التدخلات البريطانية إلى جانب سوريا ولبنان، لحمل الفرنسيين على الانسحاب بدون توقيع أية معاهدة، اضطرت السلطات الفرنسية إلى الجلاء عن سوريا عام ١٩٤٥، وعن لبنان في ٣١ كانون الأول ١٩٤٦، واستلم قيادة الجيش الكولونيل فؤاد شهاب، بعدما كانت الفرق اللبنانية، تابعة للجيش الفرنسي[١]. بالواقع إن الاتفاق المفاجئ بين فرنسا وبريطانيا في ١٣ كانون الأول ١٩٤٥ لتقاسم النفوذ، وللجم التدخل الأميركي السوفياتي، هو الذي دفع هاتين الدولتين الأخيرتين للضغط على مجلس الأمن في شباط ١٩٤٦، بوجوب إتمام جلاء بريطانيا وفرنسا قبل نهاية عام ١٩٤٦ وفي آذار من تلك السنة تم إنشاء «المجلس الإسلامي الأعلى» وحصل توافق مع الأحزاب اللبنانية حول عملية الجلاء[٢].

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٣٩.
٢ ـ د. محسن إبراهيم، المرجع ذاته، ص ٢٧٧ و٢٧٨.

الفصل السادس

نعيم مغبغب مجاهداً في حرب فلسطين (١٩٤٨)

الفرع الأول ـ مغبغب مراسلاً صحفياً في حرب فلسطين

كان نعيم مغبغب مفعماً بالروح العربية الصحيحة، وقد نشأ في مصر مع والده، هرباً من جور العثمانيين، كانت العروبة المتراس الذي انخرط في صفوفه كل الذين آمنوا بالحرية والاستقلال، والانعتاق من النير العثماني، وفي هذا المحيط تربى نعيم مغبغب على حبه للعروبة والعمل في سبيلها، كونها شكلت نبراساً لحرية الشعوب واستقلالها. من هنا اشتراكه في المعارك بين العرب والإسرائيليين عام ١٩٤٨. وقال فؤاد كرم في نعيم مغبغب مشيراً إلى معركة فلسطين ١٩٤٨، «وحيث لبنان وشعب لبنان، أعطيته الجليل الجميل، ومنحته دمك الذي أهرق على مذبحه، وأعطاك محبته وعاطفته وإخلاصه»[١]. فإذا كان قد اختار الاشتراك بتلك المعارك، فلاقتناعه بحق الشعب الفلسطيني[٢]،

١ ـ حسين حمية، نعيم مغبغب، ثالث شهداء الوطن، مجلة الأفكار، رقم ٤٦.
٢ ـ يراجع تقارير وليم بل، الذي كان يعمل منذ عام ١٩١٥ في شركة ستاندارد أويل (شركة أميركية للنفط)، مقره العدس، أصبح فيما بعد مندوباً خاصاً للخارجية الأميركية. أورد رفض المسلمين والمسيحيين القاطع لتوطين اليهود في فلسطين: أنظر تقريره رقم ٤ تاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩١٧، وتقريره رقم ٩ تاريخ ٢٤ كانون الأول ١٩١٧، منشورة في مؤلف نزار سلوم تحت عنوان: «المسألة السورية» استراتيجية في المختبر، من الوثائق الفرنسية والأميركية ١٩١٨ ـ ١٩٢٠، دار فكر للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، ص ١٣٣.

باسترداد أرضه، حينها اختارته الدولة اللبنانية للقيام ببعض العمليات المحددة، فأرسل كملحق صحافي لتغطية أخبار القتال، لكن ما إن بدأ القتال حتى وضع القلم جانباً، وأخذ عنوة بندقية أحد الجنود، وهمّ للقتال متقدماً أمام الجيش. كما يروي ابن عمه أمين المغبغب الذي رافقه آنذاك، ولا بد هنا من إلقاء نظرة سريعة على تلك الحرب التي رافقه فيها من عين زحلتا حسين محمود كرامي وتوفيق صوما الذي أصيب في المعارك بالصمم طيلة حياته، نتيجة دوي القذائف، وطانيوس عبد الصليب من المريجات قرب عين زحلتا.

الفرع الثاني ـ الحرب الفلسطينية وتداعياتها

كان للحرب الفلسطينية ١٩٤٨ الأثر الواضح على مجمل القضايا الرئيسية في الشرق الأدنى، في تلك الفترة الزمنية حصل زلزال هائل في المنطقة على أثر إعلان وزير المستعمرات البريطانية موافقة حكومته على إنهاء الانتداب على فلسطين والخروج منها بأسرع وقت ممكن، بعدما عرضت القضية الفلسطينية أمام هيئة الأمم المتحدة، التي قررت اختيار لجنة تحقيق دولية صدر على أثرها اقتراح تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وصدقت الجمعية العامة بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ على قرار التقسيم. رفض العرب هذا القرار، ودخلت جيوشهم إلى فلسطين في ١٥ آذار ١٩٤٨، تاريخ انتهاء حكم الانتداب. وبتاريخ ١٤ أيار ١٩٤٨، أعلن بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية في قاعة متحف تل أبيب، قيام دولة إسرائيل على مبدأي الحرب والمقاومة ومنتصف ليل ١٤ ـ ١٥ أيار ١٩٤٨، أعلنت «الهيئة التنفيذية لمجلس الشعب» في تل أبيب قيام دولة عبرية باسم «إسرائيل». تحركت الجيوش السورية والسعودية والأردنية والعراقية والمصرية واللبنانية، نحو حدود فلسطين واندلعت الحرب النظامية بين الدولة العبرية والدول العربية.

لم تكن إسرائيل وحدها في الحرب، بل كانت مدعومة من الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي، وبريطانيا، ومعظم دول العالم، وحينما تقدمت القوات العربية نحو الحدود اليهودية، تحركت الأطراف لاستصدار القرارات والتهديد بالعقوبات. كانت الدولة العبرية منظمة، ذات قيادة سياسية عالية الخبرة مع بعض من

أركان الحرب الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية، ومجهزة بالعتاد، تمتلك مصانع أسلحة، وكانت القوات البريطانية البحرية والجوية تؤمن حماية لها.

مقابل ذلك كان الوضع العربي مفكك، يفتقر إلى رؤية موحدة، والمجموعات العربية المقاتلة تفتقر إلى العتاد وإلى خطة موحدة، والملفت الأسطورة التي أطلقها العرب، ومفادها أنهم كانوا على وشك الانتصار فأطلقوا على تلك الحرب «النكسة»، أما إسرائيل فاعتبرتها حرب التحرير.

لن نتطرق إلى تفاصيل تلك المعارك الخارجة عن موضوعنا، إنما نركز على ما خص دراستنا من مقاومة الجيش اللبناني. يشير الفريق صالح صائب الجبوري أن اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش اللبناني كان بإمكانه إرسال عدداً أكبر من الجنود، لكنه يفتقر إلى الذخيرة، وأورد الخالدي بأن لبنان مع صغر حجم جيشه، وضع خطة دفاعية قبل ثلاثة أسابيع لمرحلة القتال الأولى (١٥ أيار ـ ١١ حزيران) ثم اشترك فوج القناصة الثالث (٤٣٦ من الضباط والجنود) مدعوماً بالفوج المدرع (٤ مدرعات و٦ دبابات) لاسترداد قرية المالكية على الحدود اللبنانية، وكان ذلك في ٤ حزيران ١٩٤٨.

بتاريخ ٥ آب كتب فوزي القاوقجي رسالة إلى عبد الرحمن عزام، الأمين العام لجامعة الدول العربية ورد فيها: «رابط جيش الإنقاذ على جبهة طولها ١٤٣ كلم يتصل بها ١١ طريقاً رئيسية... فيها خيرة أراضي الجليل على الإطلاق وأكثرها سكاناً وأخصبها تربة. وإن تخفيض عدد جيش الإنقاذ إلى النصف لا يحل مشكلة العتاد التي تخبط فيها هذا الجيش. تدركون هذا متى علمتم أن موجودنا من العتاد الحالي ١٨ طلقة لكل بندقية إنكليزية و٤٥ فرنسية و٦٥٠ طلقة للرشاش وبدون أية طلقة لمدافع الهاون على أشكالها». وطالب بإصلاح فوري للأوضاع، ويختم رسالته بقوله: «وإني بانتظار قراركم بهذا الشأن أتخلى عن القيادة وينوب عني المقدم شوكت شقير، وفعلاً تغيب القاوقجي عن قيادة جيشه من ٥ آب إلى ٢٥ منه، ولم يعد إليها إلا بعد تدخل الملك عبد الله آل سعود[١].

١ ـ وليد الخالدي، المرجع ذاته، ص ١١١.

من ٢٩ إلى ٣١ تشرين الأول، هوجمت قوات جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي في الجليل الأعلى والأوسط ونتج عن عملية حيرام خلال ٣ أيام إخراج جيش الإنقاذ مما تبقى من الجليل في أيدينا، وأخضعت بذلك الجليل بأكمله، وتعبر القوات الإسرائيلية الحدود اللبنانية، وتحتل نحو عشرة قرى لبنانية في شريط حدودي يحاذي «اصبع الجليل» الشرقي ويمتد من المالكية إلى نهر الليطاني. ويدون بن غوريون في «يوميات الحرب» أنه بتاريخ ٣٠ تشرين الأول، «لم يحرك الجيش السوري ساكناً خلال يومي المعركة الجليلية لكنه بدا لا يريد سوى الاحتفاظ بما عنده، ويضيف القاوقجي أنه هرب إلى لبنان، وليس معروفاً بعد ما إذا كانت المالكية في أيدينا، لكنها ستسقط في أيدينا[١].

أما صالح صائب الجبوري فيقول في مذكراته أنه بتاريخ ٣١ تشرين الأول، «الانتكاس الأخير غير المنتظر الذي أصاب الجبهتين الجنوبية والشمالية أضعف الأمل في تحسين وضع الجيشين العراقي والأردني، المحاطين بالقوات العبرية، من ثلاث جهات: الشمال والغرب والجنوب، أما الجهة الرابعة وهي الشرقية فإنها أصبحت من الشمال من ناحية طبرية». ومسك الختام في تشرين الأول حين اعترف مجلس الجامعة العربية بحكومة عموم فلسطين ودعوتها في ٣ منه إلى الانضمام إليها[٢].

كان للنكسة آثاراً سلبية وخيمة على الدول العربية فإذا بمحمد نجيب ينقلب على الملك فاروق في مصر بتاريخ ١٩٥٢/٧/١٢، وبدأت موجة الانقلابات العسكرية المتسارعة في سوريا اعتباراً من عام ١٩٤٩ حين أقام حسني الزعيم بالانقلاب، وبعد مئة يوم تبعه انقلاب جديد بقيادة سامي الحناوي، وبعد فترة إذا بالانقلاب الثالث بقيادة فوزي سلو، الذي كان تحضيراً للانقلاب الرابع بقيادة أديب الشيشكلي، أما الانقلاب الخامس فحصل في حزيران ١٩٥٥، وقضى بإعادة هاشم الأتاسي للحكم، وفارس الخوري السياسي المحنك رئيساً للحكومة. وصلت آثار النكسة إلى العراق والأردن، حين تسلم الملك حسين مكان والده طلال بتاريخ ١٩٥٢/٨/١٢. لكنها

١ ـ وليد الخالدي، المرجع ذاته، ص ١١٩.
٢ ـ وليد الخالدي، المرجع ذاته، ص ١٢٠.

كانت أقل وقعاً على لبنان من باقي الدول العربية، ومرد ذلك، أغلب الظن، إلى الانتصار الذي أحرزه بالرغم من صغر حجمه.

الفقرة الأولى ـ قرار الدول العربية بالتدخل في حرب فلسطين

اتخذت الدول العربية قراراً بالتدخل لإنقاذ فلسطين من السيطرة الصهيونية بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٤٨ وبدأت عمليات التنسيق بين القيادات العسكرية، عقد اجتماع عسكري سوري لبناني مشترك في القصر الجمهوري السوري في دمشق حضره وزير الدفاع الأمير مجيد أرسلان والأمير فؤاد شهاب قائد الجيش ووزير الدفاع السوري أحمد الشراباتي، بحضور أركان الجيش السوري، وقام الأمير مجيد في اليوم التالي بتفقد الجيش اللبناني في الجنوب.

الفقرة الثانية ـ قرار اللجنة السياسية العربية في دمشق بالتدخل

بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٤٨ اتخذ ممثلو اللجنة السياسية العربية في دمشق قراراً بالتدخل لإنقاذ فلسطين من السيطرة الصهيونية، بالرغم من اختلاف وجهات نظر الدول العربية ومصالحها.

وبالوقت ذاته كان رئيس الوزراء رياض الصلح وحميد فرنجية يحضران اجتماعات اللجنة السياسية في القاهرة.

لم يتمكن الرؤساء العرب من اتخاذ موقف موحد، نتيجة للخلافات. لكن في الموعد المضروب للانسحاب البريطاني وإعلان قيام دولة إسرائيل كان مفترض دخول الجيوش العربية إلى فلسطين. بتاريخ ١٥ أيار ١٩٤٨، سارع الأمير مجيد أرسلان والرئيس رياض الصلح، للاتصال بالملك عبد الله الذي اشترط دخوله حرب فلسطين أن يضمها إلى مملكته، مما أثار معارضة السوريين، ومع ذلك اقتنع الملك عبد الله بدخول الحرب بدون مطامع توسعية.

١ ـ عاطف أبو عباد، الأمير مجيد أرسلان ص ٢٤٩.

الفقرة الثالثة ـ فوزي القاوقجي: قائد جيش الإنقاذ

تسلم فوزي القاوقجي قيادة جيش الإنقاذ بتاريخ ٧ كانون الأول ١٩٤٧، وجال على العواصم العربية لتلقي الدعم والأسلحة الثقيلة، وقد تسلم في بيروت من وزير الدفاع، مدفعين عيار ١٠٥ من الطراز الفرنسي ومدفعين أميركيين من عيار ٥,٧ على «موتور» وبعدها مدفعين آخرين من الصنف نفسه، وقد ساهمت هذه المدفعية كثيراً في المعارك التي خاضها جيش الإنقاذ[1].

الفقرة الرابعة ـ الجيش اللبناني في ساحة القتال

عزمت الحكومة اللبنانية للمشاركة في حرب فلسطين، رغم ضعف الجيش اللبناني، آنذاك، وهو بالكاد يمكنه المدافعة عن الحدود اللبنانية في مواجهة عصابات الهاغانا اليهودية المدربة والتي كان العرب يستهينون بها، تمكن الجيش اللبناني من التقدم إلى رأس الناقورة باتجاه نهاريا وترك جيش الإنقاذ منطقة عمليات الجيشين الأردني والعراقي في القدس وجوارها وانتقل إلى محل عمليات الجيش اللبناني على الساحل باتجاه رأس الناقورة نهاريا ـ عكا.

كانت المعركة باتجاه المرابطة ذات الموقع الاستراتيجي، بحيث تستطيع القوة المرابضة فيها تهديد بنت جبيل وجبل عامل ومستعمرة المنارة والطيبة.

وفي ليل ١٥ ـ ١٦ أيار استطاع المجاهدون بقيادة النقيب محمود زغيب الذي استشهد على أرض المعركة استرجاع المالكية.

الفرع الثالث ـ مغبغب عضواً في لجنة الطوارئ في فلسطين

الفقرة الأولى ـ مهمات مغبغب في لجنة الطوارئ

أنشئ في بيروت مكتب فلسطين الدائم بإشراف الدكتور سليم إدريس، ولجنة الطوارئ التي ضمت نعيم مغبغب وشفيق الأرناؤوط ومعروف سعد وعماد الصلح،

١ ـ عاطف أبو عماد، المرجع ذاته، ص ٢٤٨.

ومحمد شقير، وعلي بزي وزهير عسيران، ومحمد شاكر بيضون والدكتور محمد خير النويري وغيرهم، وعنيت بشحن السلاح والعتاد والذخيرة وحشود المتطوعين إلى فلسطين، بالتنسيق مع السلطة اللبنانية والحاج أمين الحسيني[1].

الفقرة الثانية ـ مغبغب فدائي في فلسطين

التحق نعيم مغبغب بموكب المجاهدين في فلسطين. كلفه وزير الدفاع الأمير مجيد أرسلان والجنرال فؤاد شهاب قائد الجيش، وقائد جيش الإنقاذ فوزي القاوقجي بمهمات فدائية، فأظهر شجاعة فائقة حينما كان يخترق خطوط الهاغانا الصهيونية ويعود مع إحداثيات مكنت جيش الإنقاذ من اختراق العمق الفلسطيني والانتصار في معركتي لوبيه وتل الشجرة وتحرير الناصرة، مما سمح له أيضاً الدخول إلى الناصرة، فقرعت أجراس كنيسة البشارة. ومما يذكر أنه قام بعمليات متقدمة جداً جداً، وهو كان قد تمرس على القتال في ظل قيادة الجيش المصري، وخاض معارك مع هذا الجيش في السودان، مما أكسبه خبرة وحنكة قتالية متفوقة، ففي إحدى العمليات داخل فلسطين، تمكن من زعزعة أحد المراكز الصهيونية وقتل عدد من أفراده، فلاحقته المخابرات وأطلقت الرصاص عليه، وحاصرته.

تمركز جيش الإنقاذ في أماكن عديدة في الجنوب اللبناني، والشمال الفلسطيني، وقد انضوى فيه عدد وافر من المتطوعين اللبنانيين والعرب، وأهم المعارك التي خاضها، هي معركة المالكية التي تعتبر إحدى القرى السبع اللبنانية التي تنازل عنها الفرنسيون للانتداب الإنكليزي، وضمّت إلى فلسطين بموجب معاهدة «نيوكامب ـ بوليه» وهي قرية صغيرة ذات موقع استراتيجي بامتياز، تقع في شمالي فلسطين المحتلة جنوبي ـ غربي الحدود اللبنانية عند مفترق الطرق التي تصل لبنان بفلسطين في القطاع الأوسط من الجهة اللبنانية، وهي تسيطر على الطرق المؤدية إلى عيترون وبنت جبيل وبليدا وتلك المؤدية إلى عكا وصفد والناصرة. كانت المالكية تتضمن

١ ـ عاطف أبو عماد، المرجع ذاته، ص ٢٤٧ و٢٤٨.

معسكراً للجيش الإنكليزي، الذي انسحب منها في آخر شهر نيسان من العام ١٩٤٨[1].

ففي المالكية، كان هناك مفرزة صغيرة من فوج اليرموك الثاني، بقيادة المقدم السوري أديب الشيشكلي. لقد كانت تلك المفرزة تسيطر على المالكية، لكن الصهاينة قاموا بهجوم كبير ومفاجئ في ١٢ أيار، واحتلوها.

الفقرة الثالثة ـ مغبغب «وراء خط القتال»

كان نعيم مغبغب برفقة مجموعة مؤلفة عادة من خمسة أشخاص يقوم بالتسلل إلى خلف المواقع القتالية للهاغانا، ويعطي تعليمات للجيش اللبناني الذي تمكن بواسطة مدفعيته من التصويب بشكل دقيق، مما أوقع ٨٦ قتيلاً على أرض المعركة، الأمر الذي ساهم في سقوط المالكية[2].

تمكن الجيش اللبناني من صد القوات المهاجمة، وكان الأمير مجيد وزير الدفاع يتفقد الخطوط القتالية، وتمّ توجيه ضربة عسكرية إلى قرية الخروبعة (المجيدية) التي يمتلكها الأمير وبهدف هدم الجسر الذي يربط القرى اللبنانية بشمال فلسطين. انهزمت القوات المهاجمة وخلفت وراءها ستة قتلى وستماية كيلوغرام من المتفجرات وعدداً من المعدات المختلفة وجرح جندي لبنانيٍ واحد، ونشرت وزارة الدفاع بلاغاً أوضحت فيه أن عملها انحصر بالدفاع عن أرض الوطن.

الفقرة الرابعة ـ مغبغب وأرسلان في سيارة واحدة مكشوفة

قرر الأمير مجيد بتاريخ ٢٨ أيار استعادة المالكية، فوضع القوات المتواجدة في حالة تأهب بعدما تم تجهيزها بالعتاد والذخائر، وبعد اجتماعه بقائد الجيش فؤاد شهاب، وبقائد جيش الإنقاذ فوزي القاوقجي، إذ سيكون لفوج البادية وللسرية

١ ـ مقابلة عادل مالك مع الأمير مجيد أرسلان، تلفزيون لبنان، في الستينات.
٢ ـ حسين حمية، نعيم مغبغب، ثالث شهداء الوطن، مجلة الأفكار، رقم ٤٨.

الدرزية ولفوج قطين مهمتهم العسكرية كقوة احتياطية في معركة المالكية بقيادة المقدم شوكت شقير. اشتركت في هذه المعركة كتيبة مشاة من الجيش اللبناني بقيادة المقدم جميل الحسامي، وفصيلة مدفعية ٧٥ ملم، سرية مدرعات، ومفرزة هندسة، قدمت هذه الكتيبة من قطاع الناقورة إلى عيتا الشعب ورميش وصولاً إلى بنت جبيل أما القادة فكانوا هنري شهاب وجميل عيد وفرنسوا جنادري وميشال أبو طقة ورعد الهاشم وكامل زين الدين وسعيد نصر الله وفؤاد لحود وعزت القسماني وشوكت شقير.

وعند الساعة الثانية عشر ظهراً اجتمع الأمير مجيد وفؤاد شهاب وفوزي القاوقجي بالقرب من أرض المعركة، وفي الساعة الواحدة انطلقت الوحدات العسكرية اللبنانية تؤازرها الطائرات السورية وفرق جيش الإنقاذ لمهاجمة القوات الصهيونية، التي ردت بقوة فتعثر سير الحملة قليلاً مما زعج الأمير مجيد، فنزل إلى أرض المعركة برفقة نعيم مغبغب وفوزي القاوقجي في سيارة مكشوفة وأخذ يجوب على مواقع القتال، وفي القرى المحاذية لها، لرفع معنويات المقاتلين، فوصلوا إلى قرية مجد الكروم، فاستقبلهم كاهن الرعية الخوري يعقوب، وأخذت أجراس الكنائس تقرع وتجمهر المقاتلون حول قادتهم، وفي الليل وصل خيالة من آل يوسف الدروز، بعدما علموا بقدوم الأمير مجيد، وأبدوا كل الاستعداد للتطوع في القتال، ثم تابع الوفد إلى الناصرة، حيث استقبلوا الوفود ودقت أجراس الكنائس، علماً أن خط القتال كان على بعد ٢٥ كيلومتراً داخل الأراضي الفلسطينية، وهو يمتد من مجد الكروم ومبروة وترشيحا، وصفد في فلسطين وبليدا وعيترون في لبنان، مقابل مستعمرتي إيالانا وهراوي المحصنتين.

هذه الخطوة أثارت حماسة الضباط والمقاتلين، فسقطت المالكية، بحضور فوزي القاوقجي وفؤاد شهاب وبلغت خسائر العدو ٩٢ قتيلاً مقابل أربعة شهداء وثمانية جرحى من القوى المهاجمة. اتخذ هؤلاء الأشخاص قراراً بالتوجه إلى داخل فلسطين، لكن أمين عام جامعة الدول العربية، وملوك ورؤساء حكومات الدول العربية، تحت ضغط حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية ساروا في طريق الهدنة مع إسرائيل، خاصة بعدما كانت الجيوش العربية تعاني من فقدان العتاد والذخائر وحتى الأطعمة.

أراد الأمير وبعض قادة الجيش اللبناني وجيش الإنقاذ الدخول باتجاه الأراضي الفلسطينية قبل موعد الهدنة، لكن قائد الجيش فؤاد شهاب وهو أدرى بمقدرة القوات القتالية، رفض السير بهذا الاتجاه مما خلق تباعداً مع الأمير مجيد.

أخذ الرئيس رياض الصلح يزايد على ملوك ورؤساء العرب بالنصر الذي حققه اللبنانيون.

تمكن الجيش اللبناني وجيش الإنقاذ، وبمساعدة الجيش السوري، من استعادة المالكية، غير أن قوات «الهاغانا» و«الشتيرن» وغيرها، قامت في ١٩ أيار بهجوم مضاد كبير تخطى حدود المالكية والحدود الفلسطينية إلى بليدا وعيترون فانسحب المدافعون إلى بنت جبيل. عندها، قررت قيادتا جيش الإنقاذ والجيشين اللبناني والسوري استعادتها مهما كلف الأمر وتقرر الهجوم في السادس من حزيران، واشترك في المعركة قائد سرية الجيش اللبناني المقدم جميل الحسامي، واشترك عدد من المتطوعين اللبنانيين، وتم الاستيلاء عليها وهزمت القوات الإسرائيلية، وكانت معركة مشرفة للجيش اللبناني، استشهد فيها قائده هناك النقيب محمد زغيب، والعريف إميل الحلو وسميت ثكنتان باسميهما، وشهيد آخر، وأصيب خمسة رتباء وعريف وثمانية جنود بجروح واستشهد عدد من المتطوعين بينهم، نمر طرفة من بنت جبيل ومحمد ديب عكره من صيدا الذي كان تحت رايته المجاهد معروف سعد.

تحت ضغط قوات الهاغانا، اضطر جيش الإنقاذ للانسحاب وبناء خط دفاعي على طول الحدود الجنوبية للبنان، كما كان الحال أيام الانتداب، وكانت القوات الإسرائيلية قد احتلت ٢٠ قرية في جنوب لبنان، وارتكبت مجازر في صلحا إحدى القرى السبع، حيث بلغ عدد القتلى ٦٥ مدنياً وأكثر من ١٨٠ في حولا، وخاصة في دير ياسين، مما حمل الفلسطينيون للفرار إلى لبنان وسوريا والضفة الغربية وقطاع غزة[1]. وقد نزح ما يقارب ٨٠٠ ألف فلسطيني منهم مئة ألف إلى لبنان وبتاريخ ١٦

١ ـ لإلقاء نظرة سريعة على العلاقات القائمة بين لبنان وفلسطين المحتلة، أنظر «أعمال المؤتمر الوطني» في ١٧ ـ ١٨ تشرين الثاني ١٩٩٩، محاضرات تحت عنوان استقلال الدولة اللبنانية، ومفاوضات السلام المحتملة، منشورات الحركة الثقافية أنطلياس، الطبعة الأولى، كانون الثاني ٢٠٠٠.

تشرين الثاني ١٩٤٨ أصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم ٦٢ قضى بإقامة هدنة دائمة فورية لا يجوز لقوات الأطراف المعنية المسلحة تخطيها، واستؤنفت المفاوضات بين الدول العربية وإسرائيل.

الفقرة الخامسة ـ مغبغب يضع «الاقدام» بتصرف القضية الفلسطينية

لم يقتصر دور نعيم مغبغب على مشاركته بالقتال شخصياً، مدافعاً عن الحقوق الفلسطينية ومناصراً القضايا المحقة، إنما وضع بتصرف هذه القضية، كل إمكانيات جريدته «الاقدام» وتحت عنوان «العرب لن يُقتلعوا من فلسطين، ليُزرع مكانهم صهيونيو العالم»، نشر بتاريخ الخميس ٢٣ آب ١٩٤٥، المقال التالي: القاهرة ـ و.ا.ع ـ علقت اليوم جريدة المقطم على تصريح الرئيس ترومان بشأن مسألة فلسطين بقولها لقد سمعنا بالغزاة الفاتحين الذين يسير الموت والخراب في أثرهم وسمعنا بمن يدخلون بلداً ويغلبون أهله على أمرهم ويحكمونهم بالعدل أو الظلم زمناً طويلاً أو قصيراً ولكننا لم نسمع قط أن أمة متحضرة تقترح أن تقلع أمة من أرضها وتزرع في مكانها أمة أخرى جُمعت من أطراف المعمورة.

هذا جديد في سياسات الدول ومعاملة الشعوب، إن عرب فلسطين وغيرهم لن يرحبوا بأصحاب فكرة إنشاء الدولة الصهيونية، والسماح لعدد كبير من المهاجرين من الاستيطان على أرضهم لأن ذلك يؤدي إلى الإفناء الذي يرفضه الجميع.... فخير للإنسان وأكرم له وأجدى إليه أن يقاومه بكل ما يملك من قوة ويدفعه بما يسعه من حول، وهو ليس الإفناء لعرب فلسطين فحسب بل الاستعباد لشعوب الشرق الأوسط كلها أيضاً.

إزاء الوضع المتأزم تقدمت الدول الغربية، بما فيها الولايات المتحدة باقتراح بوقف القتال وتقسيم فلسطين. وصف الكاتب في جريدة الاقدام الاقتراح الأميركي أن في جوهره مؤامرة على بلد عربي، ثم استطرد قائلاً: إن هذا المشروع لن ينفذ برضى العرب في فلسطين أو في غيرها فتعرف الدول الكبرى هذا حق المعرفة وتنظر بعد ذلك إلى السلام الذي تريد أن تكفله كيفما يتأتى أو يتيسر إذا اضطر العرب جميعاً إلى مقاومة هذا السعي ودرء خطره، وختم الكاتب مقاله مناشداً جامعة الدول العربية الانعقاد لدرس هذه المسألة».

وفي الجريدة نفسها وبالتاريخ نفسه نُشر النداء الذي أطلقه الشباب الوطني بتاريخ ٣١ آب سنة ١٩٤٥[١]، تحت عنوان «نداء عام إلى العالم العربي - فلسطين يجب إحياؤها دولة عربية مستقلة»، وقد جاء فيه:

«أيها العرب

إن فلسطين، هذا البلد العربي المقدس، أصبحت في خطر داهم وأمام مستقبل مظلم. الصهيونيون يعقدون المؤتمرات ويحيكون المؤامرات وينشرون الدعايات الكاذبة في أميركا وانكلترا وفرنسا محاولين بذلك التأثير على سياسة هذه الدول في جعل باطلهم حقاً وهم يطمحون بحكومة العمال بإنكلترا ظناً منهم أنهم سيصلون إلى تنفيذ مآربهم وتحقيق غاياتهم وأحلامهم باستعمار فلسطين العربية وبفتح أبواب الهجرة على مصراعيها لآلاف الصهيونيين المشتتين في أنحاء المعمورة وإنشاء دولتهم اليهودية الموعودة.

أيها المواطنون

ما كادت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها ويكتب النصر للحلفاء فيبتهج العالم وتغمره موجة الفرح بعد كفاح طويل دام ستة أعوام أريقت خلالها دماء الملايين من البشر وجلبت الدمار والخراب لكثير من البلدان دفاعاً عن الحق والعدالة وسعياً وراء السلم الدائم في العالم حتى أعلن السيد ترومان رئيس الولايات المتحدة وخليفة الرئيس روزفلت تصريحه الأخير وتأييده لدخول أكبر عدد ممكن من اليهود إلى فلسطين وهو صاحب ميثاق الأطلسي وداعية الحريات الأربع ورسول الحرية للأمم المغلوبة على أمرها ومعلن حق الشعوب في تقرير مصيرها، والتمتع باستقلالها وسيادتها.

إن السبب الذي حمل السيد ترومان رئيس الولايات المتحدة على تأييده القضية اليهودية هي دعايات الصهيونيين الكاذبة ومناوراتهم المحبوكة فهب ينصرهم على أمة آمنت بحقها على أرضها، وجاهدت للذود عن تراثها، في المرحلة الأولى من مراحل الحلم الذي تتجه فيه أنظار الأمم والشعوب إلى أميركا، محررة العالم من العبودية والفقر

---

١ - جريدة «الاقدام»، ٣١ آب ١٩٤٥.

والجهل، وبذلك انهارت كل الآمال التي علقها العرب عليه وعلى حكومته، هؤلاء الذين ساهموا في نشر الديموقراطية وبذلوا لتوحيدها كل رخيص وغالٍ.

أيها العرب من لبنانيين وسوريين ومصريين وعراقيين وسعوديين وأردنيين: إذا لم تهبوا وتناصروا قضية فلسطين في جميع أقطاركم وأمصاركم، حكومات وشعوباً وأفراداً وجماعات ولم تعملوا على إنقاذها من براثن الصهيونية السامة فستندمون ولات ساعة مندم وتخسرون ركناً من أشد أركان القضية العربية قوة ومتانة ولا تلبث أن تصبح تلك البقعة العربية المقدسة دولة وطنية لليهود ويزول فيها كل أثر للعرب كما تزول مقدساتكم الدينية التي تخص المسلمين والمسيحيين في وقت واحد ويكتب التشريد لمليون عربي وهم أبناء وأصحاب ذلك الجزء الهام من الوطن العربي المقدس وعندها تتحقق أحلام الصهيونية في تهويد فلسطين وإنشاء وطن قومي فيها.

أيها العرب:

إذا تحقق لا سمح اللّه حلم الصهاينة في فلسطين وتمكنوا من أن ينشئوا دولتهم اليهودية المعهودة فستصبح هذه الدولة في عين البلاد العربية ويصبح العرب وبلادهم وثرواتهم تحت رحمة هذه الدولة سياسياً واقتصادياً ومعنوياً وستكون مصدر الشر والفتن والفساد.

لذلك ندعوكم إلى إيقاف هذا الخطر، الذي يداهمكم، عند حده لأنه يقضي إذا استفحل شره على اقتصاداتكم ومقدساتكم وحرياتكم ثم إن هذه القضية الأساسية في حياة الأمة العربية يمكن أن يجري حلها ورجالات البلد خارج الوطن يعانون الضيق والهم وكل مضايقة مهما كانت أهميتها لا يعلق عليها العرب كبير أهمية ما دام الزعماء مبعدين ومعتقلين أو مسجونين. لذلك فليكن شعارنا جميعاً في دعوتنا لتوحيد الجهود وحمل التبعات الجسام المطالبة:

بعودة سماحة الزعيم مفتي فلسطين الأكبر

الفصل السابع

مغبغب من المساندين للجمهورية الأولى والمشاركين في الجمهورية الثانية

الفرع الأول - في الجمهورية الأولى

كان نعيم مغبغب من مساندي الجمهورية الاستقلالية الأولى، إعلامياً ومدافعاً عنها دفاع الأبطال فساند الرئاسة الأولى وعضد رئيس الوزراء والوزراء وكان رئيس الجمهورية يستضيفه في قصر الرئاسة، مفرداً له غرفة خاصة به، وكانوا ينادونه « أنكل نعيم ». لكن الشواذات التي حصلت قادت مغبغب للابتعاد وكانت ذروتها في اغتيال زعيم القوميين السوريين، وبتجديد ولاية الرئيس بشارة الخوري من مجلس نيابي غير شرعي.

الفقرة الأولى ـ التجديد للرئيس بشارة الخوري فجر الأزمة ومغبغب من المعارضين

انفجرت بعد التجديد للرئيس بشارة الخوري أزمة حادة في البلاد. كان الرئيس قد انتخب عام ١٩٤٣ لست سنوات، وكانت البلاد تدين له بالمحبة والإخلاص، خاصة

بعد الجهد الذي بذله والرئيس رياض الصلح لنيل الاستقلال، ثم لجلاء الجيوش الأجنبية عن لبنان عام ١٩٤٦، لكن يظهر بأن السلطة تغري وتفسد، وأتت انتخابات عام ١٩٤٧ المفعمة بالتزوير لتلقي الشك في تلك السلطة، والتي على أساسها، تم التجديد للرئيس بشارة الخوري لولاية ست سنوات جديدة، مما جعل التجديد بحد ذاته عرضة في مضمونه للطعن، مما دفع نعيم مغبغب إلى مجابهة السلطة ومعارضتها، نذكر منها الدعوة للتظاهر ضد السلطة، والعمل بشراسة ضد الموالاة، مستخدماً كل إمكانياته لرفض السلطة القائمة التجديد الذي حصل بأغلبية كبيرة، أفقد الرئاسة بريقها وبددت أمجاد بشارة الخوري، وأصبح بطل الاستقلال، قابعاً في الكسليك يكتب مذكراته، ذات الأهمية البالغة[١].

مع الإشارة أن إقدام الحكومة اللبنانية، على حل حزب «القوميين السوريين» وإعدام زعيمه، وحل حزبي الكتائب والنجادة وغيرهما من التنظيمات شبه العسكرية في البلاد، قاد جميع هؤلاء إلى الوقوف في صف المعارضة[٢]، خاصة بعدما عمّ الفساد والمحسوبيات أرجاء الوطن وسُخِّرت الوظيفة لحماية السلطة.

الفقرة الثانية ـ مغبغب يدافع عن القوميين السوريين (١٩٤٩)

حصل تحرك للقوميين السوريين عام ١٩٤٩، وتم القبض على رئيسهم الزعيم أنطون سعادة، فحوكم بشكل سريع جداً، وعوقب بالإعدام ونفِّذ الحكم فورَ صدوره. أما زملاؤه فقد صدرت بحقهم أحكام قضائية عادية، وترافع عنهم محامون، من بينهم نعيم مغبغب، من تاريخ اعتقالهم وتابع مساعدتهم ودعمهم بكل قوة، حتى بعد انتخابه نائباً في البرلمان. كان شمعون قد تعهد قبيل انتخابه رئيساً، بإخراجهم من السجن، وبعد انتخابه، أكد الوعد، وقال إنه سيطلق سراحهم على دفعات، ويذكر سعيد تقي الدين[٣] أنه كان بصحبة نعيم مغبغب عندما دخل على رئيس الجمهورية، في بيت الدين، لملاحقة موضوع تحرير الأسرى، ويقول «وحلينا رجلين يكره الواحد للآخر،

١ ـ الوزير السابق بشارة مرهج، مؤتمر الجامعة الأنطونية ٢٠٠٩، ص ٩٤.
٢ ـ كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص ٢٤١.
٣ ـ سعيد تقي الدين، أنا والتنين، ص ٨٠.

وبيننا مغبغب، وكان الموضوع تحرير الأسرى، والذي كان يدعوهم سعيد تقي الدين، بالرهائن وليس بالأسرى أو بالمساجين، واستمر الجدال مع الرئيس شمعون، وعنف إلى أن انتهى عندما قال الرئيس سأحاول إطلاق سراح ستة أو ١٢ حسب جو مجلس الوزراء، ويضيف إنه «لما خرجنا أكد لي نعيم بلهجة صادقة أنه إن لم يطلق سراح أسرانا في الأسبوع التالي، فهو سيستعفي من النيابة»، وبالفعل تم الافراج عن ١٢ أسيراً في الأسبوع الثاني[١].

الفرع الثاني ـ مغبغب من المشاركين في العهد الثاني للاستقلال ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦

إذا كان نعيم مغبغب، من مؤسسي جمهورية الاستقلال ومقرباً من رئيسها الشيخ بشارة الخوري، ومن رئيس الوزارة رياض الصلح، فإن هذه العلاقة كانت حميدة وممتازة في أول العهد، وما لبثت أن تلبدّت بالغيوم خاصة بعد التجديد، فإذا به عضواً شرساً في المعارضة، مطالباً باستقالة الرئيس. وفور حصولها ووصول كميل شمعون إلى سدة الرئاسة، أصبح نعيم مغبغب من المشاركين في سياسة العهد الثاني للاستقلال.

الفقرة الأولى ـ أبواب العزة والمجد تفتح له

يظهر بأن البذل والعطاء اللذان أقدم عليهما نعيم مغبغب في معركة الاستقلال ومعركة فلسطين، لم يذهبا سداً، فما إن سنحت الفرصة، حتى كان جزاؤه العادل، وكأن الشعب لا ينسى، فإذا به يرفعه، مقدراً له خدماته وتضحياته، عندما بذل دمه فداء لوطنه فإذا به يترأس بلدية عين زحلتا ويخوض الانتخابات النيابية.

١ ـ على أثر محاكمة رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي انطون سعاده، محاكمة سرية وصورية مع رفاقه القوميين بتهمة إعلان ثورة مسلحة، وذلك أمام هيئة شكلت على عجل، فأصدرت الحكم، وأعدم سعادة في تموز ١٩٤٩ بعد أقل من ٢٤ ساعة على تشكيل اللجنة، مما أثار سخط أعضاء لجنة العفو على الحكم بالإعدام غير القانوني وكان أعنف تلك المواقف تلك التي صدرت عن القاضي تيان الذي استقال من سلك القضاء اعتراضاً على ما حصل.
http:www.mafhoum.com.press4/kadaa.1.htm.

الفقرة الثانية ـ مغبغب، نائباً (١٩٥٣ ـ ١٩٥٧) ووزيراً للأشغال العامة والنقل (١٩٥٥)

ما إن تسلّم كميل شمعون سدة الرئاسة، حتى قرر نعيم مغبغب الترشح عن دائرة الروم الكاثوليك في الشوف فإذا به بمواجهة كمال جنبلاط، الزعيم الدرزي التقليدي، الذي دعم شمعون لرئاسة الجمهورية، وما لبث أن عارضه سريعاً، متذرعاً بضرورة القيام بأولويات يعتبرها أساسية في بدء الولاية، غير أن شمعون رفضها فانقلب جنبلاط معارضاً شرساً له.

انتخب نعيم مغبغب، نائباً عن منطقة الشوف، مما يستوجب إلقاء نظرة سريعة على مجريات الأحداث السياسية التي حصلت في تلك الحقبة، توصلاً لمعرفة الدور الذي قام به أثناءها.

عايش نعيم مغبغب، كنائب للشوف، عصراً ذهبياً، فكانت الأجواء السياسية هادئة ومزدهرة إلى حد كبير، مما عزز الوضع الاقتصادي، فانطلقت العجلة العمرانية والسياحية والزراعية، ولاقت تشجيعاً ودعماً من قبل المؤسسات الحكومية التي كانت ساهرة على إنعاش الوضع الاقتصادي بكل دقة، لقد كان الدخل القومي مقبول جداً وكانت القيمة الشرائية لليرة اللبنانية تفوق تلك العائدة لأي عملة أجنبية، وكانت الليرة تساوي دولاراً أو أكثر بقليل، مما أدهش الرئيس الأميركي آيزنهاور، فازدهر الاقتصاد وحصل التقدم بفضل جهود اللبنانيين المخلصين العاملين بكد وجد في سبيل إنعاش هذا الوطن، فلا آبار بترول ولا أراضي زراعية شاسعة، إنما رجال عاشوا مع الصخور في أعالي الجبال الوعرة فاكتسبوا العزم وحولوها إلى واحة للعطاء وغدا لبنان قبلة أنظار الشرق والغرب، وأصبحت بيروت مفتاحهما بعزة وكرامة. وهذا ليس غريباً على هذا البلد الذي عرف إبان تاريخه الطويل، فسحات من التقدم والازدهار، فعندما تمتع بالطمأنينة، أيام المتصرفية، وفي ظل الدولة العثمانية حتى ساده عصر ذهبي مرموق، لكن مع الأسف إن الأزمات والحروب، كانت وستظل إلى أمد بعيد قدر هذا الوطن، ليدفع من حياته وعيشه، صراع الآخرين على أرضه.

في ظل جو الاسترخاء الاقتصادي هذا قدّر لنعيم مغبغب الوصول إلى مراتب يستطيع من خلالها العمل لتنمية الوضع الاقتصادي العام للبلاد، مما سمح له بخلق مناخ مؤاة للثورة التنموية الاقتصادية ليس في الشوف وحسب، إنما على صعيد لبنان بأكمله بعد تسلمه وزارة الأشغال العامة والنقل، فإذا بعصر مغبغب، يصبح عصر «تعمير الشوف»، وهو عصر الثورة الإنمائية في لبنان بأكمله وإذا به عضواً في لجنة المال والموازنة في الدور التشريعي الثاني لعام ١٩٥٣[١] يساهم في الخطط الاقتصادية العامة.

الفقرة الثالثة ـ مغبغب لا يفرق بين مناصر ومعارض

قال فؤاد كرم في وصفه الحقبة التي كان فيها نعيم مغبغب نائباً ثم وزيراً في وزارة الأشغال العامة، بأنه كان يخدم جميع الناس دون التفريق بين مناصر له أو معارض، ولا ينظر إلى الانتخابات بمقياس تأدية الخدمات: «إنك كنت (لنعيم مغبغب) للجميع، لا تفرق بين مناصر لك ومعارض، ولا ترى في الانتخابات مقياساً لخدمات تؤديها بدون حساب، فتجود على مؤيديك وتمسك يدك عن معارضيك، فيبادلونك المحبة بمثلها ويشيدون لك هياكل من إخلاص ما زالت تقوى وتشمخ، مهما تقادم الزمن».

أما المقدم الركن، رياض حامد تقي الدين فيقول في نعيم مغبغب، إنه «ازدادت شعبيته في صفوف الدروز بشكل ملحوظ وأخذت تقام الولائم على شرفه في مختلف قرى المنطقة، وحتى داخل المختارة، قرية كمال جنبلاط، لدرجة سمحت لبعض الدروز بتسمية «نعيم مغبغب الدنيا والآخر». وكان هو ماهراً في التقرب من الناس يعاملها بالتودد.»[٢]

بعد حل المجلس النيابي، تم دعوة الهيئة الناخبة لانتخابات نيابية بعدما عدل عدد النواب من ٧٧ إلى ٤٤، على أساس ٣٣ دائرة انتخابية، أي ما يعادل نائب واحد

١ ـ الدور التشريعي الثامن. العقد الاستثنائي الأول، سنة ١٩٥٣، محضر الجلسة السادسة.
٢ ـ التجربة العسكرية الدرزية ومسارها التقدمي، الطبعة الأولى ١٩٨٧، مطابع الجبل الأخضر، ص ١٤٠.

لكل دائرة ما عدا بضع دوائر كان لها اثنان أو ثلاثة على الأكثر، وافق جنبلاط على ذلك التعديل، فقسم الشوف إلى دائرتين، دائرة بعقلين ـ جون، وقد فاز فيها جنبلاط وحده من الاشتراكيين، ونعيم مغبغب ودائرة دير القمر ـ شحيم، ورسب مرشحا الحزب أنور الخطيب وفيليب البستاني ونجح إميل البستاني، أما الدامور فقد فصلت عن الشوف وضمت إلى عاليه، كما فصلت عين داره من عاليه وضمت إلى الشوف.

الفقرة الرابعة ـ أرسلان يتقدم على جنبلاط في العهدين الأولين

كان للموقف الذي اتخذه الأمير مجيد أرسلان كوزير للدفاع، في معركة الاستقلال صدى واسعاً أعطاه ثقة شعبية عارمة. صحيح أن كمال جنبلاط تخلى عن إميل اده في اللحظة الأخيرة وصوت مع المطالبين بالاستقلال وبتعديل الدستور، لكن بقي للأمير موقعاً متقدماً طيلة عهدي بشارة الخوري وكميل شمعون.

اتخذ جنبلاط موقفاً صلباً في العهد الاستقلالي الثاني مصراً على تطبيق المبادئ الاشتراكية فوراً ومنذ بدء العهد. لم تلقَ مواقفه الدعم آنذاك، لأنه، على ما يظهر لم تكن الأوضاع السائدة تحبذ مثل تلك الدعوات، مما قاد جنبلاط إلى معارضة العهد طيلة السنوات الست وبدى الشريك الدرزي الأصيل في ذلك العهد عطوفة الأمير مجيد.

الفقرة الخامسة ـ عداوة مغبغب وجنبلاط: سياسية وغير شخصية

كان هناك فارق كبير بين نعيم مغبغب وكمال جنبلاط في أسلوب العمل السياسي وإدارة الحكم والمؤسسات. لقد حصل العداء بين الرجلين، المتنافسين على زعامة الشوف، فإذا كان الأول فقيراً، لا يملك حتى منزلاً يأويه، محامياً وصحافياً، ابن عائلة شوفية عادية ولكنها لعبت دوراً في سياسة البلاد، استطاع استقطاب الجماهير، بحبه الصادق لهم، وعمله الدؤوب لإرضائهم، وهو الذي دافع متطوعاً، مجاهداً، عن حقوق الضعفاء والمقهورين، في مصر ولبنان وفلسطين، واستحصل على كتاب تنويه لشجاعته من قائد الجيش اللبناني آنذاك فؤاد شهاب، وكان قد اندفع بالنفسية ذاتها

للذود عن حكومة الاستقلال عام ١٩٤٣، ولم يتورع عن القيام بعمل بطولي عام ١٩٤٤، برفع علم الاستقلال مجدداً على قبة البرلمان بعدما أردى الجندي السنغالي الذي أنزله. وإذ اندفع متفانياً في خدمة الشوف حتى أصبح «عهد مغبغب» هو عهد تعمير الشوف بامتياز، ومخلصاً بالوقوف إلى جانب الرئيس شمعون في ثورة ١٩٥٨، حتى أثار ليس فقط حفيظة أخصامه، إنما أخصام الرئيس شمعون بالذات، وخاصة فؤاد شهاب، مما أوصله إلى النتيجة المأساوية واستشهاده عام ١٩٥٩. فإن هذه الصورة عن نعيم مغبغب، تقابلها صورة مغايرة عن كمال جنبلاط، ذات الأصول التاريخية، الوارث إرث أجداده وأمجادهم، الدرزي الذي نحت الصخر كالماروني للعيش في أعالي جبال لبنان، ضناً بحريته، وهرباً من الاضطهاد التاريخي الذي يلاحقه منذ انطلاقة الطائفة الدرزية والساعي دوماً للتوفيق بين الواقع والممكن في ظروف تراوحت بين اللين والقساوة، ابن العائلة الجنبلاطية التي أعطت الوطن أشخاصاً مهرة متمرسون بالسياسة، ويكفيه أنه ابن الست «نظيرة جنبلاط» التي كان لها الباع الأكبر في رسم حقبة مهمة من تاريخ لبنان، والفضل والعون في دعم المحتاجين، حتى غدا اسمها يلمع كالشمس؛ وهو المثقف والعالم والفيلسوف، والمتصوف إلى أقصى الدرجات، من الطبيعي أن يرى في نعيم مغبغب الذي استطاع أن يأخذ لنفسه موقعاً متقدماً في منطقة الشوف ليس فقط عند المسيحيين الذين ناصروه، بل أيضاً في خانة الدروز، كما حصل ترابط بينه وبين أصحابه ومحازبيه وأعوانه من أبناء الطائفة الدرزية، فإذا بالرجلين وجهاً لوجه، بعد انقسام البلاد، مما قادهما إلى المواجهة.

ينصب البعض نفسه للقول بأن العداوة بين نعيم مغبغب وكمال جنبلاط كانت عداوة شخصية، فهذا القول غير دقيق، صحيح أنها كانت حادة ومن غير الجائز أن تصل إلى ما وصلت إليه، لكنها بالتأكيد غير شخصية، فقد دافع مغبغب عن جنبلاط ورفض أن يسطر رئيس مجلس النواب في محاضر مجلس النواب أي كتاب تأنيب، إلى جنبلاط، في معرض انتقاده لرئيس الوزراء آنذاك، واستبداله بكلمة اعتذار. كذلك انبرى يدعم موقف كمال جنبلاط فيما خص توفير عمال للتعمير، فلاقى استحساناً كبيراً وتشجيعاً من الرئيس رشيد كرامي.

الفقرة السادسة ـ مغبغب يحصد حسنات وسيئات العهد

كان نعيم مغبغب من الموالين بشدة لسياسة الرئيس شمعون، وبالتالي كان عليه أن يتلقى حسناتها وسيئاتها، وكان مخلصاً في الدفاع عنها يعمل جاهداً لبقاء لبنان، بلداً حراً مستقلاً عن أية مداخلات أجنبية لكن ما حدث عام ١٩٥٦ بتأميم قناة السويس وما استتبع بالوحدة العربية قد هز العالم بأسره، فإذا بلبنان يتلقى الضربات من السياسة الناصرية، وإذا بالمواجهة تقع بين المطالبين بالوحدة والمحافظين على استقلال لبنان وسيادته، في طول البلاد وعرضها.

الفرع الثالث ـ مداخلات النائب نعيم مغبغب البرلمانية «ذات الطابع الاقتصادي»

كان نعيم مغبغب متمرساً في تعاطيه بالشأن العام، فبالإضافة إلى مزاولته المحاماة، امتهن الصحافة، وكان مراسلاً صحفياً «للحلفاء»، وللدولة اللبنانية، ومضى في مهنته يعايش أفراح الناس وآلامهم، فيفرح لفرحهم، ويحزن لبؤسهم، معللاً نفسه بمساعدتهم فيما لو قدر له ذلك. فما إن وصل إلى المجلس النيابي، حتى وضع نصب عينيه، الدفاع عن اقتصاد البلد، ومجمل مداخلاته الاقتصادية كانت تنبع من عمق إحساسه وشعوره، فهو عاش وتربى ووصلت إلى يديه الأموال الطائلة، فلم يقم لها وزناً، وصرفها في سبيل الخير العام، مما يؤكد صحة مطالبته ومعارضته لأي فساد أو رشوة هادفاً دوماً لتحسين أوضاع المعوزين.

الفقرة الأولى ـ مطالبة الحكومة بدعم منتجي التفاح

من غير المستغرب أن يفتتح نعيم مغبغب، خطابه النيابي، بمطالبة الحكومة بإيجاد حل للأزمة التي أخذت تدق أبواب منتجي التفاح، مقترحاً أولاً إعفاء الأخشاب والصناديق من الرسوم، ثانياً، بعدما كانت وزارة الاقتصاد قد حددت عدد صناديق الخشب اللازمة للتفاح، تبين بالواقع أن المناشير المحلية لا تكفي لسد حاجات المنتجين، فتوقف التجار عن شراء إنتاجهم، فما كان منهم سوى إيداع تفاحهم في البرادات، تخلصاً من تحكم التجار. كما أن هناك كمية من الصناديق في المرفأ جرب أصحابها

إخراجها، لكن تبين وجود بعض الصعوبات الناتجة عن عدم معرفة رجال الجمرك بقضية الإعفاء، وكان هناك صناديق واردة إلى البلاد لا تزال في البحر، لكنها لم تكن كافية فطالب مغبغب الحكومة بالإيعاز للجمارك بالإسراع في إخراج الصناديق دون دفع الرسوم وأن تستمر باستقبال الكميات الآتية من البحر[١].

وفي هذا المعرض يقول: يتناقل الناس منذ أيام أخبار تفيد أن الحكومة المصرية حددت كميات التفاح المصدرة من لبنان إلى مصر. فهل لهذه الإشاعات من صحة؟ أم أنها مجرد إشاعات يروجها بعض التجار؟ وهذا ما أسأل الحكومة عنه. فأجابت الحكومة بعدم صحة هذه الإشاعات[٢].

الفقرة الثانية ـ إعفاءات ضريبية لتشجيع المؤسسات

كان هناك مشروع يعفي من ضريبة الدخل، لمدة ست سنوات، المؤسسات القائمة لدى العمل بهذا القانون، وذلك ضمن الشروط التالية:

١ ـ إذا عمدت عن طريق زيادة رأسمالها باكتتاب نقدي جديد في لبنان، لا يقل عن مليون ليرة، إلى زيادة إنشاءاتها أو إنمائها أو تحسينها، أو إلى إحداث مشروع جديد من المشاريع التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج الوطني، ودعم اقتصاديات البلاد وإنمائها.

٢ ـ إذا كان المشروع الجديد يؤمن لمستخدمي وعمال لبنانيين أجوراً تزيد عن مئة ألف ليرة في السنة زيادة عما كان يؤمنه المشروع القديم.

يبدأ الإعفاء اعتباراً من سنة التكليف التي تلي السنة التي يدخل فيها المشروع الجديد حيز الاستثمار، ولا تتناول سوى الأرباح الصافية الإضافية الناتجة عنه، أي القسم من الأرباح الذي يزيد على متوسط أرباح السنتين السابقتين لمباشرة استثمار المشروع.

١ ـ الدور التشريع الثامن، العقد الاستثنائي الأول، سنة ١٩٥٣، محضر الجلسة السادسة.
٢ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الأول، ١٩٥٣، محضر الجلسة الثانية عشرة.

طالب نعيم مغبغب بتعديل هذه الأحكام، لأن هناك مجالاً كبيراً للتحايل على القانون، فوافق أكثرية النواب، وألغيت هذه المادة[١].

الفقرة الثالثة ـ حل أزمة الكهرباء

حصلت أزمة حادة حول قضية الكهرباء، فصرح نعيم مغبغب، في إحدى جلسات البرلمان بأن هناك ناحيتان من الواجب التوقف عندهما: ناحية الكلفة والناحية الفنية، ومن المستحسن أن يحال هذا المشروع إلى اللجان لدرسه، على أن لا تزيد المدة عن ثمانية وأربعين ساعة، ويمكن أن تعقد اللجان جلسة في الغد بحضور الموظفين المختصين من المالية والأشغال، فيتاح للنواب بدرس كل هذه النواحي ويعجلوا فيها ويلقوا على الحكومة مسؤولية التعجيل في التنفيذ وهذا ما حصل بالفعل[٢].

الفقرة الرابعة ـ مدافعاً عن مشاريع وزارتي الزراعة والمعارف

كان لنعيم مغبغب مواقف مشرفة في الدفاع عن مشاريع وزارتي الزراعة والمعارف، ففي إطار تأهيل تلك المشاريع ارتفع صوته قائلاً: يا سادة، الدولة ليست قائمة على وزارة الأشغال العامة فقط، فوزارة الزراعة ووزارة المعارف لديهما أيضاً مشاريع إنشائية هي أكثر أهمية من مشاريع الطرقات لذلك لا يجوز للمجلس إضافة أي طريق ليست بذات أهمية وربما كانت تعود لمصالح انتخابية، وأن تترك مشاريع وزارتي الزراعة والمعارف المهمة[٣].

الفقرة الخامسة ـ منتقداً الاتفاقات مع شركات المحروقات ومدافعاً عن أموال الخزينة[٤]

انصبت انتقادات نعيم مغبغب على نوعية التعاقد مع شركات المحروقات، وإعطاؤها الخصائص والميزات، وبعد طول البحث في هذا الموضوع، عمد إلى مقارنة هذه العقود مع تلك التي عقدت بين الشركة البريطانية الإيرانية والحكومة الإيرانية.

---

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني، ١٩٥٣، محضر الجلسة العشرين.
٢ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني، ١٩٥٣، محضر الجلسة السادسة عشرة.
٣ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني، ١٩٥٣، محضر الجلسة الخامسة عشرة.
٤ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني، ١٩٥٣، محضر الجلسة الثانية.

ركز على إبرام عقود متوازنة، والمحافظة على عائدات الدولة، وعدم الأخذ بالإعلانات التي تطلقها تلك الشركات، بهدف تحبيب الناس بها وحماية مصالحها ومما قاله:

«يستغرب الناس حينما نتكلم عن شركات البترول لماذا يكون لهذه الشركات معاملة خاصة، واتفاقات مبنية على أساس دولي أي بين الدولة والشركة وإذا رجعنا إلى العلاقات التي كانت بين الشركة البريطانية الإيرانية والحكومة الإيرانية نجد أنه كانت لها مبررات وظروف غير ظروف لبنان وسائر البلدان التي تمر فيها أنابيب البترول.

وأعتقد أنه يهم الناس كثيراً أن يعرفوا إذا كانت شركات البترول تعامل في البلاد الأخرى معاملة خاصة فتخرج على قوانين ضريبة الدخل وغيرها كما تخرج على القوانين في بلادنا إننا نود أن نعرف عما إذا كان هناك مبرر؟

ولا أعتقد أن الظروف الحاضرة تبرر استمرار وجود علاقات مبنية على اتفاقات تدعو إلى المفاوضات والمساومة.

لا نود بهذا الاستفسار والتوضيح أن نجادل من أجل دعاية أو من أجل استغلال رأي عام، إنما نريد حقيقة أن نعرف إذا كان هناك مبرر حتى تعامل شركات البترول خلافاً عن باقي الشركات الوطنية، وإذا كان هناك تعاقد، فما هي ضرورة هذا التعاقد! ولماذا لا تخضع للقوانين الوطنية، ولماذا نبحث في تعديل هذا التعاقد، ولا نبحث في الانتهاء منه وإخضاعه للقوانين الوطنية؟

المعروف أن أسعار البترول في كل البلدان التي تنتجه أو يمر فيها هي أسعار رخيصة جداً لا تتناسب مع أسعار بلادنا.

إن من واجب الحكومة أن لا تكتفي بالقول أنها تعارض الشركات بل عليها أن تعرض المسألة من جميع وجوهها وأن تقول لنا لماذا تبقى الأسعار عندنا أعلى من الأسعار في غير بلادنا.

ومن ناحية أخرى أود أن ألفت نظر الحكومة إلى أنه كاد يشيع أن الحكومة تسعى إلى تعديل الاتفاقات لمصلحة لبنان بزيادة الرسوم حتى شرعت هذه الشركات

في حملة دعائية واسعة يلمسها كل إنسان في كل الجرائد ونرى في كل صحيفة إعلاناً وبياناً لشركات البترول، وأخص بالذكر شركة التابلاين.

إن هذه الجرائد تنشر الإعلانات، وإنما ألفت نظر الحكومة إلى الدعاية التي تقوم بها هذه الشركات.

شركة التابلاين مثلاً ترون إعلاناتها هكذا، إنها أنفقت في لبنان المبالغ الباهظة واستخدمت العديد من العمال وإنها تدفع لهم كذا إلى غير ذلك مما يحبب الشركة إلى الشعب، وما هي إلا دعاية يقصد منها مفاوضات تعديل الرسوم.

لذلك أرجو من الحكومة أن تبين كل هذه الأمور وأن تقارن بين أسعار البترول في بلادنا وبلاد أخرى وأسباب فرق المعادلة فيما يخص شركات البترول وغيرها من الشركات. فإذا كان هناك سبب وجيه يمكن أن يقنع الناس نرجو من الحكومة أن تتبناه».

الفرع الرابع ـ مداخلات مغبغب البرلمانية «ذات الطابع القانوني»

انبرى النائب نعيم مغبغب يدافع عن حرمة القانون، ويحذر من التمادي بمخالفته، رافضاً أي موقف يتعارض من قريب أو بعيد مع المبادئ والأحكام القانونية الشرعية. وكان له جولات عدة في هذا المجال، نذكر منها:

الفقرة الأولى ـ تحديد صلاحيات ديوان المحاسبة في معرض تعديل ملاك الدرك[١]

في معرض درس تعديل ملاك الدرك، وضرورة طرحه على ديوان المحاسبة، اعترض النائب نعيم مغبغب، قائلاً بأن ديوان المحاسبة لا يعود له حق النظر في قضايا تدخل في سياسة الدولة، وأن مهمته محصورة في مراقبة النفقات وانطباقها على الاعتمادات المرصدة في الموازنة وفي النظم المالية، وخلص للقول بأن الرأي العام يريد أن يفهم بأن هناك حاجة لزيادة أفراد الدرك وكل معارضة تعتبر بمثابة سياسة التأخير والسياسة الحزبية، وبالتالي

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني، ١٩٥٣، محضر الجلسة الثانية عشرة.

من المستغرب جداً أن نعرقل أشغال الأمن، بالتصويت ضد زيادة ملاكات الدرك، بعدما كان قد تم التصويت على الاعتمادات المرصدة له في الموازنة.

الفقرة الثانية ـ معارضة منح الحكومة الحق بالتشريع الجمركي

عارض النائب نعيم مغبغب منح الحكومة الحق بالتشريع في الميدان الجمركي، مفضلاً إبقاء حق التشريع للنواب، ولدى طرح القانون على التصويت، امتنع عن التصويت[١].

الفقرة الثالثة ـ المطالبة بإلزامية التعليم ومجانيته

انبرى النائب مغبغب، مدافعاً عن حق الناس بالتعليم، سائلاً عن الرسوم التي تتقاضاها المدارس الخاصة، فمن يريد أن يعلم أولاده، فإن القسم الأكبر من مداخيله يصرفها على التعليم، فبالإضافة إلى إيجار البيت فمن له ثلاثة أولاد، لا يسعه أن يرسلهم إلى المدارس، فهو لا يمكن أن يتحمل المصاريف، وطالب الحكومة بإيجاد حل لهذه المشكلة، وقد رفع سؤالاً خاصاً بهذا الموضوع إلى الحكومة.

الفقرة الرابعة ـ قضية رفع الحصانة عن القضاء[٢]

أشار النائب نعيم مغبغب إلى القضية التي كانت الصحف تتجاذبها، والمتضمنة رفع الحصانة عن القضاء، وأرسل سؤالاً للحكومة بهذا الخصوص، وعما قاله، إنه مضت فترة من الزمن، وفي كل يوم تطلع أكثر الصحف وفيها أخبار عن رغبة الوزراء أو بعضهم في رفع الحصانة لا عن الموظفين عموماً، بل أيضاً عن القضاء، بقصد إجراء تشكيلات جديدة في هذا السلك الذي يعتبر إحدى السلطات الثلاثة في الدولة إلى جانب السلطتين التشريعية والإجرائية بل هو السلطة الواجب المحافظة على استقلالها تجاه سائر السلطات أكثر من غيرها.

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني، ١٩٥٣، محضر الجلسة العشرين.

٢ ـ تقدم بالسؤال بتاريخ ١٠ تشرين الأول ١٩٥٣ وردت الحكومة عليه بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٥٣ وبلسان الوزير بشير الأعور وكان عبد الله اليافي رئيساً للوزراء.

ومن المعلوم أن القضاة بشر لهم أعصاب حساسة تتأثر بكل ما يبدل حالهم ومصيرهم فإذا قلقوا لمثل هذا الأمر لم يعد في طاقتهم الانصراف بكليتهم وبالاطمئنان اللازم إلى أداء واجباتهم وهي الحكم بالعدل بين الناس ويتساوى في هذا التأثر القاضي الخائف على مصيره، كشعوره بنقمة تهدده والقاضي الطامح في تحسين حاله، وأن يستفيد كسواه من حظوة، كما يخشى، وإن لم يكن مقصوداً شخصياً بالتشكيلات، أنه يذهب ضحية غايات الآخرين.

ومن المعلوم أيضاً أنه يوجد في القضاء مفتشية عامة كما يوجد مجلس تأديب، كما يوجد مجلس القضاء المستحق حقه كاملاً، ولإنزال العقاب الصارم بكل قاض يثبت عليه الخروج عن جادة الصواب، كما أنه يمكن عدم تثبيت القاضي المعين حديثاً إذا كان عليه أي مأخذ أو يثبت عدم كفاءته، بعد التجربة، فيستغنى عنه.

فمن المؤسف والحالة هذه أن ينشر ما ينشر في كل يوم عن رفع الحصانة عن القضاة بدون أن تعمد الحكومة إلى تكذيب ما ينسب إليها من أغراض وخطط تتعلق بالقضاء أو إلى بيان هذه التحفظات بسرعة وعرضها على المجلس، حتى يقول فيها الكلمة الفصل، قبولاً أو رفضاً، وحتى يضع حداً لحالة القلق التي تهدد القضية كسيف مسلط فوق رؤوسهم فيحرمهم الطمأنينة اللازمة لواجباتهم السامية.

لهذا أسأل الحكومة،

هل إن هذه الحكومة لا ترى في هيئات مجلس القضاء الأعلى ومجلس التأديب ومفتشية القضاء العامة، الكفاية اللازمة لمكافحة كل خلل في القضاء؟.

ـ إذا كان الجواب إيجاباً فلماذا تفكر الحكومة في رفع الحصانة عن القضاة وهل لا يفهم في هذه الحال من رفع الحصانة، رغبة واضحة في الخروج على مبدأ استقلالية القضاء.

ـ إذا كان الجواب سلباً يعني إذا كانت هذه الحكومة لا ترى أن القضاء كفيل بحماية ذاتية وتأديب أعضائه، فماذا يمنع كل حكومة تتولى الحكم أن تقول القول ذاته وأن تعمد إلى رفع الحصانة حتى ينتهي الأمر إلى أن كل حكومة تتسلم مقاليد الحكم

تقدم على التشكيلات التي تراها لازمة، ولو لم تكن السلطة القضائية صاحبة العلاقة راغبة فيها، أو شاعرة بضرورتها وأين يكون استقلال القضاء بعدئذ؟

إني أطلب على هذه الأسئلة جواباً صريحاً حتى يعرف القضاء رأي الحكومة فيه ونواياها نحوه، وإلا فعليها أن تكتب ما ينسب إليها من رغبة في رفع الحصانة وإجراء التشكيلات على ذوقها.

وهو يقول مدافعاً عن القضاء أن غيرة الحكومة على كرامة القضاء، يشاركها فيها المجلس. والبلاد تشعر في الحاجة إلى إجراء تطهير وإصلاح في الجسم القضائي، فيجب تطهير القضاء والمحافظة على كرامته[1].

الفقرة الخامسة ـ المطالبة بإصدار عفو عام عن المحكومين، من المجلس العسكري أيام الانتداب، لأسباب سياسية

رداً على البرقية التي أرسلها المطالبون بإصدار عفو عام عن الذين حكم عليهم من المجلس العسكري أيام الانتداب، قال النائب نعيم مغبغب في هذا الصدد، إن القضاء العسكري المعني كان ينظر في مسائل كثيرة، منها قضايا عسكرية أو مدنية وكانت تحكم أيضاً في مسائل سياسية، لذلك فهو يطالب بالعفو عن الجرائم السياسية، وحتى إنه إذا لم يكن من الممكن تلبية رغبات مرسلي البرقية، فعلى الأقل أن تتخذ وزارة العدلية سياسة متساهلة حول معاملة الذين حكم عليهم من المحاكم العسكرية وذلك لجهة إعادة الاعتبار على سبيل المثال[2].

الفقرة السادسة ـ معارضة إقامة الأبنية في بيروت خلافاً للقوانين المرعية

رفض النائب نعيم مغبغب، القوانين التي تسمح باستبدال هدم البناء المخالف للقانون، بدفع بدل معين، باعتبار أن هؤلاء الأشخاص المخالفون قد أثروا إثراء فاضحاً وخالفوا القانون، وبنوا أبنية شاهقة، فهؤلاء متهمون بالرشوة، ويجب أن يعتبروا

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني سنة ١٩٥٣، محضر الجلسة الثالثة عشرة.
٢ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الأول سنة ١٩٥٣، محضر الجلسة السادسة.

أنفسهم مرحومين جداً حين يسمح لهم بأن يختاروا بين الهدم أو دفع جزاء، مهما بلغت قيمته[١].

الفقرة السابعة ـ مناصرة المعلمين

يقول بأن المعروف في أوساط المعلمين أن لهم ثقة عظيمة في حكمة وعطف وحسن إدارة مدير التربية، لذلك فهو يتوجه للمعلمين بالقول بأنه قد سأل مديرهم عن هذه القضية، فوجد لديه عطفاً عظيماً على قضيتهم، إنما بغير هذا الشكل، وقد تجلى هذا في اهتمامه بترقيتهم، إذ أنه فضلاً عن الموضوع الذي نشأ عن طلب زيادة رواتبهم فقد فتح أمامهم باباً واسعاً لأجل نيل شهادات يحتاجونها، لذلك أصبح الأمر بين أيديهم، وأصبح بإمكانهم أن ينالوا جميع مطالبهم عن هذه الطريق[٢].

الفقرة الثامنة ـ المطالبة بالكشف عن اختلاسات في المطار

قضية الاختلاسات في المطار أشغلت الرأي العام وكل يوم نسمع بشيء جديد، وقد سمعنا أن هناك تحقيقات رسمية، ولم نسمع نتائجها، ومنذ أيام اطلعت على كتاب من المطار إلى إحدى الوزارات يتضمن اختلاسات جديدة بقيمة ٦١ ألف ليرة. لماذا تطميس قضايا اختلاسات المطار على هذا الشكل بينما نرى أن الدركي إذا أخذ ٥ ليرات يوقف في الحال وحتى لا تسمع أحداً أوقف بقضية المطار[٣].

الفقرة التاسعة ـ قانون معجل مكرر لإلغاء المرسوم الاشتراعي رقم ٧٤[٤]

كان المرسوم الاشتراعي المذكور أعلاه يحدد عدد المطبوعات السياسية (٢٥ مطبوعة يومية سياسية وعشرين مطبوعة سياسية مؤقتة) ولا يعطى ترخيص لمطبوعة مماثلة إلا لمن يملك صحيفتين من نوع الصحيفة المطلوب إصدارها ... قدم النواب عبد الله

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني سنة ١٩٥٣، محضر الجلسة الخامسة عشرة.
٢ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني سنة ١٩٥٣، محضر الجلسة الثالثة عشرة.
٣ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني سنة ١٩٥٣، محضر الجلسة الثانية عشرة.
٤ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الثاني سنة ١٩٥٥، محضر الجلسة العاشرة.

اليافي، أديب الفرزلي، بيار إده عبد الله الحاج، اقتراح قانون معجل مكرر يلغي هذ النظام، وتوالى على الكلام عدد من النواب المؤيدين والمعارضين ومما قاله جوزف شادر، أنا لا أفهم لماذا يأتي هذا المشروع ويقضي بإلغاء المرسوم الاشتراعي بصفة المعجل المكرر، لماذا؟ أين هو الخطر الداهم ليقر المجلس هذا الموضوع الخطير في جلسة واحدة، وبربع ساعة؟ ولماذا العجلة؟ ولماذا تريدون سلق الموضوع سلقاً؟ هناك حقوق مكتسبة وتقييد للحرية لأنه لا حرية دون قانون ولا تكون الحرية للمصالح الخاصة وضد المصالح العامة.

أما نعيم مغبغب فقال أرجو أن لا نخلط بين المبدأ وإجراءات المجلس والعمل النيابي. كل قانون يأتي لتحسين أو إزالة حالة كان يجب إزالتها، هذا شأن كل قانون يعرض على المجلس. وليس هذا المشروع مختلفاً عن بقية المشاريع وهذا لا يمنع أن يسير وفقاً للمبدأ العام وإنني أطمئن الزميل الأستاذ عبد الله اليافي بأني مستعد أن أصوت على المبدأ. إنما هناك قضية المعجل المكرر التي لها شروط فإما أن يكون هناك خطر مداهم أو ضرر طارئ أو ظروف يخشى أن تزول من جراء التأخير أو من زوال الفائدة من المشروع ذاته، والبرهان على أنه ليس في هذا ما يستوجب الاستعجال المكرر، وهو الزمن الذي مر على المرسوم المطلوب تعديله الآن. لقد انقضت سنتان ونصف السنة على تطبيقه وأود أن أذكر المجلس الكريم أنه خلال هذه الفترة من الزمن، تولى الحكم طيلة أكثر من نصف المدة المذكورة، الرئيس اليافي وكذلك الزميل الأستاذ بيار اده، أقول هذا لا عتابا ولا ملامة، فربما لم يتحقق من ضرورة التعديل إلا اليوم، ولكنني أقول ذلك برهاناً على عدم ضرورة الاستعجال المكرر، وأرد على الزميل الأستاذ عبد الله اليافي فيما يتعلق بمهن الطب والمحاماة والصيدلة، من الضرورة استصدار قوانين جديدة خاصة بها، لكن لا ضرورة لأن تكون بصفة معجلة ومكررة.

إن القضية من الخطورة بحيث إذا لم نطلع عليها من كل نواحيها خصوصاً وأن من الواجب الاطلاع على رأي نقابتي الصحافة والمحررين، فيعطي المجلس من ثم رأيه في الموضوع وهو مطلع على جميع نواحيه لذلك، فإنني لا أوافق على صفة الاستعجال المكرر.

الفرع الخامس ـ مداخلات مغبغب البرلمانية في مواضيع مختلفة

الفقرة الأولى ـ قضية المختارين والمجالس الاختيارية[١]

دار سجالٌ حول الفقرة التي تسمح إقالة كل «مختار أو عضو مجلس اختياري لم تتوفر فيه أو لم تعد تتوافر فيه الشروط القانونية حكماً بقرار من المحافظ وكذلك من حكم بجرم اقتناء أسلحة أو ذخيرة حربية» قال مغبغب، من المعروف أن تولي الوظائف العامة يحول دونه الحكم على طالب الوظيفة بجرم شائن. أما أن يقال بعزل المختار لمجرد اقتنائه سلاحاً حربياً أو ذخيرة حربية فهذا ليس من العدل، لأنه من المعلوم والمعروف أن اقتناء السلاح الحربي أمر مألوف وضروري في بعض المناطق اللبنانية، وهذا أمر مسلم به واقعياً، على كل حال إن اقتناء الأسلحة الحربية لا يشكل جرماً شائناً في أي قانون من قوانين العالم. لذلك اقترح حذف العبارة الأخيرة من المادة الثانية «وكذلك من حكم بجرم اقتناء أسلحة وذخيرة حربية».

مع العلم أن المختار الذي يحكم عليه بإقتناء أسلحة حربية إنما يحكم عليه بجرم آخر يرافق اقتناء الأسلحة. أما رئيس الحكومة فقد وافق على هذه النظرية بالقول، إن اقتناء الأسلحة شيء واستعمالها لغايات شريرة شيء آخر، إن اللبنانيين متعودون على اقتناء الأسلحة وهذا مع الأسف أمر واقعي، إن إقالة مختار بمجرد اقتنائه أسلحة في بيته لا تجوز لأن اقتناء الأسلحة لا يوجب عقوبة شديدة كفرض العزل أو الإقالة.

الفقرة الثانية ـ الموافقة على السرية المصرفية[٢] بعد الاعتراض عليها

في مناقشة موضوع السرية المصرفية قال مغبغب اعتقد أن أكثرنا يجهل كل أساليب الرأسماليين لتخبئة أموالهم. وإنني بعد البحث مع الزملاء تبين لي أننا على اتفاق، ونحن نوافق على سرية المصارف إنما الصيغة التي جاء بها القانون تحتم على

١ ـ مشروع القانون الوارد بالمرسوم رقم ١١٧١٥ القاضي بتعديل المادتين ٣ و٢١ من قانون المختارين، الدور التشريعي الثاني، العقد الاستثنائي الأول، ١٩٥٦، محضر الجلسة الخامسة عشرة.

٢ ـ اقتراح النائب المرحوم الأستاذ ريمون إده المتعلق بسرية المصارف في الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الأول، سنة ١٩٥٦، محضر الجلسة الثالثة عشرة.

جميع المصارف جعل جميع حسابات زبائنها سرية، إن علانية المحاسبات مع المصارف يمكن أن تتم بالاتفاق، لكن أود أن أعرض حالة أخرى يمكن أن ينشأ فيها دين ويجب المحافظة عليه إنسانياً، مثلاً صدمت سيارة لإحدى الشركات وفيها عشرون راكباً، فهم يشكلون ديناً على صاحب السيارة يمكن أن يقدر بثلاثمئة أو أربعمائة ليرة، هؤلاء لا يمكنهم أن يتفقوا معه بعد الحادث، أنا أعتقد بأنه يوجد أناس يريدون من تلقاء ذاتهم ضماناً لحقوق دائنيهم أن تكون حساباتهم علنية كما هي الآن، ولا يجوز أن نمنع الناس من ترك حساباتهم علنية.

وأضاف، إنني أوافق معالي وزير المال من أن الغرض من سرية المصارف هو تعزيز سمعة البلاد الاقتصادية، ولا يخطر على بال أحد أن يكون هذا القانون وسيلة للتهرب من دفع الرسوم والضرائب لذلك بالإضافة لتعديل الزميل الأستاذ شادر يمكن أن يضاف «ولا يمكنها أن تتذرع بالسرية فيما يتعلق باستيفاء الرسوم والضرائب».

في هذا الإطار وجب توضيح التالي: أننا التقينا الأستاذ ريمون اده في باريس، لأننا كنا في صدد تحضير أطروحة دكتوراه في السرية المصرفية، في الجامعة الكاثوليكية لوڤان لانوف، بلجيكا، واستوضحناه عن أسباب اعتماد هذا القانون، وعن التبرير الاقتصادي المعتمد من قبل مجلس النواب في تبنيه له وقد أجاب بأن الأسباب الحقيقية للسرية المصرفية التي اعتمدها، إنما تكمن في الإطار السياسي الصرف، دون الإطار الاقتصادي، وقد أخبرنا أنه بعد الحرب العالمية الثانية، جاء إلى أوروبا فإذا بمعظم المدن مدمرة، خلافاً للمدن السويسرية، وأنه لاقى في غرفته في الفندق حيث كان يقيم في جنيف عبارة تقول ما معناه أن من رفع الدمار عن المدن السويسرية ليس جيشها ولا حيادها، إنما سريتها المصرفية، واستخلص من ذلك القول، إن الكبار يودون دوماً إيجاد مكان آمن للمحافظة على أموالهم سالمة، وإذا بسويسرا تشكل هذا المكان.

لقد أراد اده اعتماد السرية المصرفية في لبنان كي يودع الكبار وذوي المصالح أموالهم في لبنان، حتى يكونوا معنيين بالمحافظة على تلك الأموال، وبالتالي المحافظة على الدولة اللبنانية، وعليه فأسباب اعتماد السرية المصرفية هي سياسية بامتياز وليست اقتصادية، وبالإجابة على سؤالنا له قال، إنني رجل سياسي وليس اقتصادي،

صحيح أن النتيجة هي اقتصادية أما السبب فهو سياسي خلافاً لما نشر في الأسباب الموجبة لهذا القانون، وقد أخبرنا، أنه عند عرض المشروع، عارض جان عزيز بشدة، قائلاً أترك الناس يا عميد يعيشون كما عاش أجدادنا، فأجابه إنني مستعد يا حضرة النائب عزيز أن أعمل ما تريد وأتركهم كما تقول شرط أن تجلب لنا من يكون بإمكانه إشادة البناء بنفس الطريقة التي كان يشيد بها جدودنا، وعندها سأعدك أنني سأسمح لهم أن يبنوا مثل الجدود، في ساحة البرج! ولدى اعتراض الأمير شهاب مدير عام المالية، كون السرية قد تؤدي إلى التهرب من الضرائب، أجابه قد يكون هذا القول صحيح، وهذه التصاريح جميعها هي مطابقة للواقع لكن الفائدة المرجوة من اعتماد نظام السرية المصرفية، سيكون جباراً وسترونه في المستقبل القريب، وهذا بالفعل ما حصل!

الفقرة الثالثة ـ تقنين مزاولة الميسر[1]

يقول مغبغب، أنا لا أعتقد أن أحداً من النواب ينكر الفائدة التي يجنيها الاصطياف من إباحة القمار شرط أن يقضى على سيئاته المحلية والخارجية وهذا لا يتم إلا بالتصويت على مشروع النادي الوحيد، ويتعاون أصحاب الفنادق الذين يريدون كما نريد نحن أن يستفيدوا من النادي الوحيد.

وكان النائب أديب الفرزلي قد تقدّم بمشروع قانون معجل مكرر بإعادة العمل بقانون أول حزيران ١٩٥٠ المتعلق بإنشاء أندية للمقامرة واستثمارها.

الفقرة الرابعة ـ في تفسير مدة الأربعين يوماً للمرسوم المعجل المكرر[2]

نعيم مغبغب ـ لقد أفاض المجلس في بحث قضية دستورية المرسوم الذي صدر بعد إحالته على المجلس ومرور المدة الدستورية وقد سمعت في جلسة سابقة رأي حضرة رئيس اللجنة الإدارية والعدلية الذي يراهن على أن السلطة الحكومية في هذا

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الأول، ١٩٥٦، محضر الجلسة الثالثة عشرة.

٢ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الأول، ١٩٥٦، محضر الجلسة الحادية عشرة.

المضمار، وإن تكن سلطة محدودة، فإنما يجب أن تكون سلطة فعلية، فقال إن كل تفسير لكلمة طرح تترك المجال مفتوحاً لتأخير القانون داخل المجلس، إما في أدراج رئيس المجلس أو في اللجان أو في مكتب المجلس. وكل تفسير لهذه الكلمة يسمح بأن لا تكون مهلة الأربعين يوماً محدودة وتبدأ من تاريخ معين تجعل من المادة الثامنة والخمسين من الدستور حرفاً مهملاً. نحن لا نبحث في المفاضلة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية بل في مادة دستورية قابلة التطبيق شئنا أم أبينا. قلت إن كل تفسير يذهب إلى أن نقطة بداية الأربعين يوماً هي غير تاريخ وصوله إلى المجلس، كل تفسير غير هذا يفتح الباب في داخل المجلس لشل المادة الدستورية وجعلها كما قلت حرفاً مهملاً، فإما أن يتأخر المشروع في المجلس ذاته عمداً أو في لجنة من لجانه أو يتأخر في إدراج رئاسة المجلس له في الجدول فتصبح المادة وكأنها لم تكن مع أن المقصود منها أن يعتبر المشروع مستعجلاً بمجرد إعطائه هذه الصفة من قبل السلطة التنفيذية وأن ينشر ضمن المهلة المعطاة وإلا ينشر بعد انقضاء مهلة أربعين يوماً دون أن تتمكن الحكومة من استعمال رأيها.

وما دام هنالك تفسيران، أحدهما يعتبر تاريخ إرسال المشروع كبداية للمهلة المنصوص عنها في الدستور والآخر يرى العكس، ولكل من التفسيرين نتائج مختلفة، فأرى أنه من الرجوع إلى المبادئ القانونية المعترف بها بشكل عام، ومن تحكيم المنطق والعقل، أن يعطى للمادة التفسير الذي يترك لها فعاليتها ويمكن السلطة من أن تنشر القانون الذي عينت هي مهلته.

وبما أننا أمام تفسيرين أحدهما يعطي المادة فعاليتها والآخر يعدمها تلك الفعالية فالتفسير الذي يعطي للمادة فعاليتها هو الأصح.

وأعتقد أن في هذا ما يكفي لأن نعتنق فكرة الزميل الأستاذ بشير الأعور التي تؤدي إلى الإبقاء على فعالية المادة، غير أن هناك حججاً أخرى تؤيد وجهة النظر هذه. لقد أبدى البعض تخوفاً من أن يفقد المجلس سلطته التشريعية إذا جرت السلطة التنفيذية على هذا المنوال ومارست هذا الحق المعطى لها في الدستور. إذن لا يبقى للسلطة التشريعية ما تفعله وبهذا يفقد المجلس فعاليته كما قال الزميل الأستاذ غسان

تويني وتنشر القوانين دون درس أو مناقشة. ولكن هل هذا الخطر حقيقي؟ وهل خفي هذا الخطر على المشترع عندما وضع هذه المادة الدستورية.

وتابع قائلاً إن قضية الخطر على صلاحيات المجلس لم تخف على المشترع الدستوري. والواقع أننا من مراجعة المحضر المتعلق بتعديل هذه المادة الدستورية نستدل على أن عدداً من أعضاء الجمعية التشريعية أثار قضية الخطر فأجاب البعض الآخر ومنهم المرحوم الرئيس إميل إده فقالوا بأن لا خطر من وجود هذه المادة ما دام المجلس موجوداً، وما دامت الجمعية التشريعية التي وضعت هذه المادة قد أضافت تعديلاً لها بأن لا يحال المشروع إلى المجلس وأن لا تستعمل السلطة التنفيذية الصلاحية التي نحن بصددها الآن إلا بموافقة مجلس الوزراء. وقد تساءل بعضهم في الجمعية التشريعية بأنه يمكن لمجلس الوزراء بأن يسمي كل مشروع قانوناً مستعجلاً، وقد أجيب على ذلك، ومن جملة من رد على هذا التساؤل المرحوم الرئيس إميل اده إذ قال: إن الحكومة تبقى مسؤولة أمامنا فيصبح الأمر بيد الأكثرية البرلمانية فإما أن تسقط الحكومة أو تصدق على المرسوم.

إذن فالقضية تعود إلى أن موافقة مجلس الوزراء هي الضمانة ضد استعمال هذه المادة إلا في موضع استعمالها وللمجلس أن يحمل الحكومة مسؤولياتها أيضاً. حتى أنه ورد أيضاً على لسان المشترعين فيما يختص بهذه القضية قول بعضهم: إذا كانت الحكومة جعلت القانون مستعجلاً ونحن لم ننته من درسه، فأجيب على هذا القول بأنه ما علينا إلا أن نرد القانون في مهلة الأربعين يوماً.

أما الرد على القائلين بأن وصف المشروع بأنه معجل يعني أن يخضع لموافقة المجلس، فالرد على ذلك بسيط جداً، إذ أن البحث في حق الحكومة بأن تصف القانون بأنه معجل ورد أيضاً أثناء المناقشة في الجمعية التشريعية، وقد أقر المجتمعون بأن من حق الحكومة بأن تجعل القانون معجلاً ويبقى للمجلس أن يحمل الحكومة مسؤولية عملها، ويطرح الثقة أو يرد القانون ضمن مهلة الأربعين يوماً.

والآن أعود إلى تفسير كلمة «إرسال» التي استعملها، والتي تصف الفعل المادي الذي نود أن نجعل وقوعه بداية للمهلة. فكلمة «إرسال» لم ترد في الدستور إنما الذي

ورد هي كلمة «طرح» على المجلس. وقد ذهب عدد من الزملاء في بحث معنى كلمة «طرح» وقالوا إن المقصود من كلمة «طرح على المجلس» ليس إيداع المجلس المشروع إنما المقصود منها شروع المجلس في هيئته الكاملة في بحث المشروع أي عرض المشروع على هيئة المجلس وهي منعقدة بكاملها. هذا هو التفسير الذي يقول به الزملاء الذين لا يرون أن تسري مهلة الأربعين يوماً ابتداء من تاريخ إرسال المشروع إلى المجلس بل من تاريخ شروعنا في هذه القاعة بمناقشة المشروع أو في اطلاعنا في هذه القاعة على المشروع. أعتقد أن الفصل في هذا البحث وفي معنى كلمة «طرح» وبداية مهلة الطرح أعتقد أن الحل في هذه القضية وارد في نص دستوري صريح استعملت فيه كلمة «طرح». فالمادة السادسة والثمانون من الدستور والتي تتعلق بنشر الموازنة بموجب مرسوم في حالة عدم إنهاء دراستها أمام المجلس خلال مهلة معينة، تضمنت النص التالي: ...على أنه لا يجوز لرئيس الجمهورية أن يستعمل هذا الحق إلا إذا كان مشروع الموازنة قد طرح على المجلس قبل بداية عقده بخمسة عشر يوماً على الأقل. إلخ... فالمادة هنا تشترط شرطاً إن لم يتم هذا الشرط لا يعود للسلطة التنفيذية حق نشر الموازنة وهذا الشرط هو ما يلي: ... إلا إذا كان مشروع الموازنة قد طرح على المجلس قبل بداية عقده بخمسة عشر يوماً على الأقل إلخ...» والمجلس قبل بداية عقده بخمسة عشر يوماً لا يكون منعقداً.

وهذه المادة الدستورية المتعلقة بالموازنة لم تكن موضوع جدال في قول المشترع «طرح على المجلس» ولم يقل المشترع أرسل بل قال طرح على المجلس قبل بداية عقده بخمسة عشر يوماً. يستفاد إذن من هذه العبارة الحل الصريح لهذه القضية. فالمجلس قبل بداية عقده بخمسة عشر يوماً لا يكون له وجود في القاعة ولا حتى في اللجان، ومع ذلك يطرح القانون على المجلس، هكذا قالت المادة الدستورية. وما دام المجلس لم ينعقد بعد فكيف يطرح القانون عليه وهو لم يجتمع ولم يسمع حتى بمشروع الموازنة، كيف يتم هذا الطرح حتى في غياب المجلس؟ فالطرح لا يتم إلا بإرسال المشروع من الحكومة إلى المجلس لهذا نحن نعتبر أن النص الدستوري يفسر بداية مهلة الأربعين يوماً بإرسال الحكومة المشروع إلى المجلس. وأن تطبيق هذه المادة يفسر هذه القضية.

ونحن نرى أنه مهما كان من موقف الحكومة في نشر هذا القانون، وقد يكون يختلف عن غيره من القوانين، وقد كان بالإمكان لولا وجود مهلة الأربعين يوماً التي تصيب عدداً من الموظفين، أقول كان بوسع الحكومة أن تؤخر نشر القانون إلا أننا نعتقد أن الحكومة لم تخالف النص الدستوري وأن هذا النص الدستوري هو الذي يخول الحكومة هذا الحق.

أما الأستاذ غسان تويني الذي أخذ الكلام في المجلس النيابي، بعد مغبغب، فقال «إن الزميل الأستاذ نعيم مغبغب أعطى تفسيراً للمادة الدستورية على ضوء المادة السادسة والثمانون من الدستور، وقد أجاد عند شرح كلمة «طرح» مستخلصاً من المادة المذكورة أن معنى الطرح أو الإرسال واحد ما دام التعبير واحد في المادتين الدستوريتين.

الفقرة الخامسة ـ تفاعلات قضية شركة نفط العراق[1]

في معرض بحث موقف الحكومة من شركة نفط العراق قال مغبغب: كلنا قرأنا في الصحف البيانات التي تذيعها شركة نفط العراق في لندن والتي تهدد تارة بنقل الأنابيب إلى سوريا وتارة توضح المبالغ التي تخسرها الحكومة من جراء عملها. وأنا لا أريد أن أعلق على البيانات لأن هذا من شأن الحكومة وحدها. إنما هناك ناحية فرعية أريد أن أبحثها الآن وهي التي تتعلق بإذاعة الشرق الأدنى. لقد استمعت إليها البارحة وإني أنقل حرفياً ما قالته: «إن الحكومة اللبنانية أعلنت في إحدى بياناتها أن ممتلكات شركة نفط العراق أصبحت ملكاً للحكومة اللبنانية ابتداء من أول أيار سنة ١٩٥٦». وهذا طبعاً غير صحيح فالحكومة لم تعلن مثل هذا الخبر وهو مدسوس لأمر في نفس الإذاعة والمشرفين على سياستها. ويتبين من متابعة حديث الإذاعة ناحية الدس حيث تتابع قولها «إن شركة نفط العراق علقت على هذا البيان بقولها إن هذا الأمر غير وارد أصلاً في الاتفاقات المعقودة بين الحكومة اللبنانية والشركة». وغرض المحطة واضح من هذا القول وهي تريد بذلك أن تشيع بين الناس أن الحكومة اللبنانية تتخذ تدابير زجرية

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الأول، ١٩٥٦، محضر الجلسة التاسعة.

اعتباطية لسلب الناس أموالهم وممتلكاتهم. هذا ما سمعته أمس من محطة الشرق الأدنى وإني ألفت نظر معالي وزير الأنباء الأستاذ محمد صبرا لهذا الأمر لأني أعتقد أن هذه الحملة من قبل المحطة مدبرة فهي لا تكتف بما قالته بالأمس فعادت اليوم وتكلمت عن وضع الحكومة يدها على الممتلكات التابعة لشركة نفط العراق مظهرة الحكومة اللبنانية، بمظهر المعتدي، أمام الرأي العام العربي.

أنا أفهم أن تقوم شركة نفط العراق باختلاق الأخبار الكاذبة لأنها طرف في النزاع، وللحكومة أن ترد على مثل هذه الأخبار المختلقة، أما المحطة وهي ليست طرفاً في النزاع الدائر بين الحكومة والشركة فلا أدري لماذا تقوم بمثل هذا العمل لتشويه وجه لبنان وإظهاره بمظهر المعتدي. الذي أريد أن أقوله هو أن للمحطة مراسلين في لبنان لا أعرف من هم، لذلك فالمصلحة تقضي بأن تقوم وزارة الأنباء بتنبيه رجال الإذاعة في لبنان وأن تتخذ كل الإجراءات التي تؤدي إلى منع المحطة من إذاعة هذا التشويش.

الفقرة السادسة ـ إعفاء ضريبي لشركتي التابلاين والأي بي سي[1]

أشار مغبغب إلى نقطة دقيقة جداً في الاتفاق، إذ قال لا أكرر شيئاً مما قاله الزملاء إنما أود لفت النظر إلى عبارة وردت في الأسباب الموجبة وهي «ولما كانت الشركة قد وصفت في نص الاتفاق الأخير المعقود مع سوريا ما يشير بصراحة إلى حق سوريا في فرض الضرائب مقابل العائدات المعينة في الاتفاق»، فكأنما الحكومة بإشارتها إلى هذه العبارة تتخذ من ذلك سابقة لتبرير حق لبنان في فرض الضرائب، فأرجو إما أن تعلن الحكومة سحب هذه العبارة أو فليسجل أن المجلس يرى أنه مهما كان شكل الاتفاقيات بين شركة البترول وسوريا فنحن لا نستمد حق فرض الضريبة من أية سابقة.

الفقرة السابعة ـ قضية المناطق المنكوبة بالزلزال[2]

قال مغبغب بأن هناك خلاف في وجهات النظر، مع مصلحة التعمير التي يترأسها الزميل إميل البستاني، ومع اعترافنا بأن الخطة التي وضعتها مصلحة التعمير هي خطة

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الأول، ١٩٥٦، محضر الجلسة السادسة.
٢ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الأول، ١٩٥٦، محضر الجلسة الأولى.

طموحة ترمي إلى الأحسن، لا يسعنا إلا أن نخالفها، لأننا لا نرى أنفسنا في ظروف تسمح لنا بانتظار الأحسن، بل يجب علينا أن نكتفي بالحسن، وبأسرع ما يمكن من الوقت، لأن أمامنا هدفاً هو بنظرنا مهم جداً، وهذا الهدف هو إكمال البناء وتأمين المأوى للمنكوبين قبل حلول فصل الشتاء.

هناك قرى معدومة، وقرى مصابة، وطالبنا بإسراع تعمير القرى الثانية، لأننا لا نرى ضرورة لإنشائها في مواقع جديدة وأن الخطة التي وضعتها مصلحة التعمير لا يمكن الإسراع بها في إعمار ما تهدم، فالناس يقيمون في خيم وفصل الشتاء على الأبواب، لذلك يجب إعطاء الفرصة للناس لاختيار الطريقة التي يريدونها في التعمير:

أما بالنسبة للتنفيذ، فإننا نعتقد أن الإنسان مهما سلمت نيته ومهما بلغت رغبته في العمل فإنه مدعو حتماً بنداء باطني إلى رؤية الصعوبة في تنفيذ النظرية التي لم يكن مقتنعاً بها، وإلى رؤية السهولة والبساطة في تنفيذ نظريته التي هو مقتنع بها. إننا بروح رياضية نتمنى للزميل إميل البستاني، إتمام خطته، شرط تنفيذها بوقت قصير، وهذا الأمر عسير جداً، نظراً لقدوم فصل الشتاء. والخلاف بيننا وبينه، بأن يفسح المجال لمن يريد تعمير بيته، بأن يعطيه المواد والمال اللازم، خاصة بعدما تبنت الحكومة خطوة تترك للناس أمر تعمير بيوتهم، فلا يجوز حرمانهم من الأموال لذلك. مع الإشارة بأن أجور العمال قد ارتفعت فيما خص الذين يبنون لاحقاً، عما قام به من سبقهم في البناء. أما خطة مصلحة التعمير فكانت باستملاك أرض خالية من كل عوائق وتقسيمها إلى أقسام لا يقل القسم منها عن ٣٠٠ متر مربع لكل بيت، وبناء أبنية جديدة على الطراز الحديث وبتلزيم هذه البيوت لمهندسين ومقاولين، وعوض أن يكون لدينا أربعة آلاف مقاول للمنطقة، يكون لدينا أربعون مقاولاً، لكن هذه الخطة صعبة التنفيذ:

١ ـ هناك عدد كبير من البيوت متلاصقة بعضها ببعضٍ ومساحاتها صغيرة.

٢ ـ ترك الحرية للناس ببناء مساكنهم، طريقة أسهل وأسرع.

الفقرة الثامنة ـ «شهر عسل» بين إميل البستاني وكمال جنبلاط

اعتبر مغبغب، أن هناك «شهر عسل» بين البستاني وجنبلاط ولم ينته بعد، مرده الترخيص لمعمل الترابة في سبلين، وهذا ما دفع جنبلاط بالمناداة بأن البستاني هو «أحسن وزير». ويقول مغبغب، أعود فأتكلم عن موقف كمال بك جنبلاط في شؤون التعمير، إن كمال جنبلاط وإن كان هذا لا يسره كثيراً ـ نائب عن منطقة الشوف. وأنه كان يطالب بنفس ما نطالب به، أما لماذا يسكت عن إميل البستاني؟ هذا هو السؤال، قلت إنهما في شهر عسل لم ينته، لقد تبين من أقوال الأستاذ جنبلاط أنه كان يطالب الأستاذ بستاني ببعض المطالب وكان ينفذها له بسرعة، ونحن لم نطلب منه أي مطلب ثم فسر سبب خروج البستاني من الوزارة لأنه كان صاحب همة عالية حيث ساهم بمنح رخصة إلى شركة الترابة التي ينوي إنشاءها، وقد وعد بمنح رخصة لإنشاء شركة الترابة في سبلين.

الفقرة التاسعة ـ مغبغب يوافق جنبلاط[1]

قال مغبغب تعليقاً عما قاله جنبلاط، إنه يوافق على ما قاله الزميل على رجائه في أن تنصرف أعمال وزارة الأشغال لبناء القرى المنكوبة، ويمكن بالتالي تأخير أعمال شق الطرقات وغيرها بحيث تتوفر اليد العاملة، وإني أشكر الزميل الأستاذ كمال جنبلاط على هذه الفكرة.

الفقرة العاشرة ـ رشيد كرامي: «شهادة حق من نعيم مغبغب»

طالب مغبغب بالإسراع في تشييد الأبنية لكل الناس قبل فصل الشتاء، وعدم انتظار وضع دراسة تفصيلية عامة لتشييد الأبنية، كما يقترح إميل البستاني وفي هذا الإطار قال رشيد كرامي، إني أغتنم فرصة وجود السيد إميل البستاني في هذه الجلسة لكي نتحدث عن بعض الأمور التي يعود أمر البت فيها لمصلحة التعمير،

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الأول لسنة ١٩٥٦، محضر الجلسة الرابعة موضوع البحث، إنشاء مصلحة لإغاثة التعمير، وما يليها من أحداث.

وكنت لا أود أن أتعرض في كلامي لشخص رئيس مصلحة التعمير، لولا أنني سمعت شهادة الحق من الزميل الأستاذ نعيم مغبغب، والتي تجعلني أتفق مع الزميل مارون كنعان الذي سمى رئيس مصلحة التعمير، وزير التعمير. أما مغبغب فأضاف كلنا نعرف واجبات هذا المجلس من الناحية التشريعية، إنما هناك شيء يأتي قبل التشريع وهو حالة عشرات الألوف من المنكوبين، وقد أصبح تصرف مصلحة التعمير ينذر بالقضاء عليهم، لذلك أرجو أن نسير في هذه القضية قبل كل شيء وقبل درس أي مشروع.

الفقرة الحادية عشرة ـ تنظيم الهيئة التعليمية[1]

يقول مغبغب، إن معالجة هذا الموضوع قد يضيع علينا الفرص في تفهم القانون والتفريق بين المدارس المجانية وغير المجانية، لا يجب أن يقال ما شأننا نحن لنسأل المدارس وندقق فيما يرد إليها وما يأتيها من إيرادات لأنه ما سوف يجر تطبيق القانون من أعباء تتحملها الدولة، يبيح لنا سؤال كل مدرسة عن مدخولها لنعرف كيف نفرق بين المجانية منها وغير المجانية. يحق لنا أن نسأل هذه المدارس عن كل قرش يدخل إليها، ولا نقول لنسألها حتى تمنع عنها أرباحها (فصحتين على قلبهم على رأي الزميل الدكتور سليم حيدر) ولكن شرط أن يكونوا قد وفوا حقوق المعلمين وبعد أن يكونوا قد رجعوا عن مطالبة الدولة بتحمل هذه الأعباء. أما أن يجحفوا حق المعلم ويأخذوا المساعدات من الدولة فهذا غير معقول. فإذا ما عدنا إلى البحث في التفريق بين المجاني وغير المجاني، أود أن أذكر معالي الوزير أن بحثنا جرى فيما يتعلق بمساعدات الحكومة، وبأن تكون هذه المساعدات مقدرة بنسبة المجانية التي تثبت فعلاً في أواخر العام الدراسي، وأن هذا الرأي يقضي على كل غرض في التفريق بين المجانية وغير المجانية، فإذا ما اعترفنا من ناحية لرغبة الدولة بالمساهمة وبمسؤوليتها في تحمل الأعباء المالية، فإن ذلك يفسح المجال للاطلاع على حالة كل مدرسة على حدة وعلى حساباتها.

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الثاني، ١٩٥٦، محضر الجلسة الخامسة عشرة.

ويقول مغبغب[1] في معرض مناقشته المادة ١٢ التي تنص على أنه «يثبت المدرس أو المعلم أو أستاذ التعليم الثانوي أو يصرف من الخدمة بعد انقضاء مدة تمرينه.

في حال تثبيته تضم المدة التمرينية إلى خدماته وتستوفى عنها المحسومات المنصوص عليها في المادة ٢١.

وفي حال صرفه من الخدمة، يدفع له المعهد تعويضاً بمعدل شهر عن كل سنة».

إن مدة التمرين طويلة في حالات معينة، وهي للقاضي والمعلم الرسمي والموظف، والسبب في ذلك هو أنه ليس لأرباب العمل في هذه الحالات مصلحة خاصة في صرف الموظفين إن كانوا قضاة أو معلمين رسميين أو موظفين. أما في الحالة التي ينص عليها القانون فيها على مدة التمرين فقد خفض قانون العمل مدة التمرين وجعلها ثلاثة أشهر وذلك لأن لرب العمل مصلحة شخصية في الصرف، فإذا أردنا ترك الحرية وحصرنا دفع التعويض لمدة التمرين فيجب أن يكون هناك رادع وهو عدم وجود مصلحة شخصية.

لذلك، أرى أنه ما دام الصرف من ضمن العقوبات التأديبية يمكن أن يحدد التعويض بمعدل شهر عن كل سنتين إلا في حالة الصرف لمخالفات تأديبية أو عدم كفاءة.

الفقرة الثانية عشرة ـ تنظيم المعاهد الخاصة[2]

قال مغبغب في معرض بحثه إضراب المعلمين، بأنه حضر عدد من المعلمين الجلسة النيابية هذا الصباح وسمعوا المناقشة ونحن لا نسعى إلى تبييض الوجه، إنما نقول الحق من أن هذه المشاريع التي ترغبون بدراستها هي على أهميتها محدودة لا تتعلق بفئة كبيرة. لذلك فإنني أثني على طلب الزميل السعيد عبد الله اليافي بأن يدرس قانون المعلمين الآن.

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الأول، ١٩٥٦، محضر الجلسة الخامسة عشرة.
٢ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الثاني، ١٩٥٦، محضر الجلسة الثالثة عشرة.

وأردف بأن بعض المعاهد تتقاضى مبالغ ورسوماً باهظة لرسم النقل وغيرها، وهناك معهد يأخذ ستين ليرة رسوماً وآخر يتقاضى مائتي ليرة، فرد وزير التربية سليم حيدر، بأن التلاميذ ليسوا مجبرين على الانتقال بوسائل نقل المدارس الخاصة، فرد مغبغب بأن هناك مدارس يكون رسم النقل فيها إجباري على التلاميذ[1].

الفقرة الثالثة عشرة ـ عقبات أمام مصلحة الكهرباء[2]

قال مغبغب، إن «معالي وزير الأشغال العامة الزميل الأستاذ اده، لم يؤد عمله إلى نتيجة، وهذا شعور معظم النواب، فإذا أردنا أن نتحقق من أمر في المصلحة، فمن المعروف أن مصلحة الكهرباء موضوعة تحت إشراف وزارتي المالية والأشغال العامة، فما علينا إلا أن نسأل وزير الأشغال العامة أو وزير المالية، ونستجوبهما. ورفض بأن تؤلف لجنة دون أن نعرف ما هو الأمر الذي ستحقق فيه، فهذا بنظره، مضيعة للوقت.

الفقرة الرابعة عشرة ـ مناقشة البيان الوزاري حول العلاقات مع سوريا

خاطب مغبغب رئيس مجلس الوزراء، بأن المجلس قد سمع رد دولته على الأسئلة التي وجهت إليه، ولا ريب أن المجلس يقدر لباقة دولته في الخلاص من السرد الصريح عن الماضي بالإشارة إلى ما يؤمل أن يحصل، وهو يعرف أننا نعيش منذ سنوات في جو الأمل ولا نرى من القيمين على سوريا خطوة في اتجاهنا. يعذرنا إذن دولة الرئيس أن نقول، إن رده لم يشف الغليل وعندما أراد دولته أن يتكلم عن العلاقات أشار إلى وزير الاقتصاد الحالي وإلى رئيس الوزارة السابق، ولم يذكر المجلس شيئاً عما خبره هو بالذات بصفته وزيراً للاقتصاد.

أما عن قضية الترانزيت، فأود أن أذكر بما أشار إليه عن توصيات الجامعة العربية، كل هذا قديم، ولكنه يذكر أنه توجه إلى دمشق بناء لهذه التوصيات، وعاد وهو يعرف كيف عاد وهو يعرف كيف جرت المفاوضات، فكانوا يدعون المفاوضين

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الثاني، ١٩٥٦، محضر الجلسة الثالثة.
٢ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الثاني، ١٩٥٦، محضر الجلسة السادسة عشرة.

الآخرين إلى غرفة ثانية ودولته جالس في الغرفة الأولى ينتظر. أما قضية الطيران، فاعتقد أن المجلس اكتفى بما ورد على لسان حضرة وزير الأشغال العامة.

هذه القضايا يا دولة الرئيس مع محبتنا لسوريا، ونحن أكثر قوم يفضل تعزيز العلاقات بيننا وبين سوريا، بنوع خاص حتى ولو جاء ذلك على حساب المصالح اللبنانية، هذه العلاقات يجب أن تعرف حتى لا يبقى لبنان موضوع إتهام في كل ما يهم لبنان.

في الاتفاق العسكري، الحق على لبنان، وفي العلاقات الخارجية الحق على لبنان، وفي مفاوضات البترول الحق على لبنان، وفي كل هذه الأعمال وكل هذه العلاقات، وهذه المفاوضات نقف دائماً موقف المتهم المخطئ، فهذا الموقف، موقف التضحية العربية، وقد آن الأوان أن يدافع عن نفسه.

بقدر ما يكون مزعجاً بنظر البعض انقسام الشارع المسيحي في كل المفاصل الأساسية السياسية في لبنان فإن هذا يشكل أحد الميزات التي أعطت هذا الشعب حرية التصرف والاختيار مما أوصله إلى مكانة خاصة لا يجوز التنازل عنها من جراء إلزامهم بالاختيار الواحد دون غيره.

الفقرة الخامسة عشرة ـ دور مصرف التسليف الزراعي والصناعي والفندقي[1]

النبذة الأولى ـ موقف مؤيد

قال مغبغب، إن ما أورده الزميل أديب الفرزلي، هو حقيقي، ولا يظن بأنه صرح بهذه الواقعة إلا بعد أن تحقق من القضية، وهي عبارة عن عملية تسليف من المصرف إلى أشخاص آخرين. فالخطوات الواجب اتباعها واضحة وصريحة، أولاً كما قال الزميل الأستاذ ناظم القادري إن واجب الحكومة أن توفد مفتشاً لكي يتأكد رسمياً من صحة الواقعة وإذا تأكدت الحكومة من صحة الواقعة أصبح الأمر أمامها جلياً. إن ممثلي الحكومة

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الثاني، ١٩٥٦، محضر الجلسة الثالثة عشرة.

في مجلس إدارة البنك مسؤولون تجاه الحكومة، ومن جهة أخرى فإن جميع أعضاء مجلس الإدارة يجب أن يكونوا مسؤولين عن كل قرار يكون مخالفاً للقوانين وفي هذا الأمر لا اجتهاد ولا تفسير وهذا هو قانون الشركات المساهمة الذي ينص على ذلك. فكل عضو يسأل عن عمله، نحن أمام شركة نظامها ناتج عن القانون الصادر عن هذا المجلس ومن النظام الداخلي، من الناحيتين يكون جميع أعضاء مجلس الإدارة مسؤولين عن المخالفة جزائياً وإدارياً ومادياً، وبالإضافة إلى هذه المسؤولية العامة تترتب مسؤولية خاصة على ممثل الحكومة. أما فيما يتعلق بالصفة ذاتها لأنه لا نسميها سلفة بل تسمى صفقة لأنها مخالفة للقانون، فلا مجال للتفسيرات ولا للاجتهادات كما قال الزميل الأستاذ أديب الفرزلي لأنه من المقرر قانوناً أنه لا يلجأ إلى التفسير إلا إذا كان هناك غموض، أما إذا كان النص صريحاً فلا لزوم لا للتفسير ولا للاجتهاد ولا حاجة بأن ترسل الأوراق إلى دائرة الفتاوى في وزارة العدلية. وهذا الأمر يسمى مخالفة وتحايلاً على القانون. أما المسؤولية حتى الآن فهي محصورة بمجلس الإدارة ويطلب إلى الحكومة أن تصرح بأنها ستوفد مفتشاً للتحقق من الواقعة، وإذا تحققت منها يجب أن تطبق القانون، وهذا يعني أنها ستلاحق أعضاء مجلس الإدارة بالمسؤولية وكذلك ممثلي الحكومة.

لذلك، أرجو دولته أن يصرح بهذا الأمر حتى يطمئن المزارعون والفلاحون.

وتابع مغبغب بالقول، بأنه يظن بأن الزميل الأستاذ أديب الفرزلي يوافقه على ذلك، إن رقابة المجلس تنحصر في الإدارة الحكومية أما مصرف التسليف فهو شركة مستقلة، والقانون الذي صدق عليه المجلس هو إجازة للحكومة بأن تساهم في المصرف والمطلوب من الحكومة بوصفها مساهمة أن تتحقق من الواقعة التي ذكرها الزميل الأستاذ أديب الفرزلي، وإذا تحققت منها أن تتخذ التدابير اللازمة تجاه ممثليها، وأن تطبق بحقها القانون الوارد في قانون التجارة عند مخالفة القوانين، وبالنتيجة اعتبار مصرف التسليف، شركة تخضع لقانون التجارة، كغيرها من الشركات التجارية.

النبذة الثانية ـ الانتصار لبعض المتضررين

طالب نعيم مغبغب الحكومة بالتضامن مع قضية المنكوبين، خاصة لأن الإسعافات المقدمة لم تكن كافية، ولأن فصل الشتاء يدق الأبواب، وهو يسأل الحكومة «إذا كانت

مستعدة لأداء المساعدة بدون شروط وفرض ضرائب بنسبة لا تقل عن نصف تكاليف التعمير، وهل هي مستعدة لتقبل مبدأ المساعدة بالنصف على الأقل، على أن تقسط المبالغ إلى آجال طويلة وبفائدة بسيطة، وهل هي مستعدة لمثل هذه المساعدات؟ وقد انتقد بشدة إغفال البيان الوزاري المطروح للثقة، بما يطمئن المنكوبين، وطالب، بعد تحديد القرى المتضررة، التعجيل في تسهيل إعادة البناء، من خلال مشروع معجل مُحال إلى المجلس والبت بالتنظيم المدني لهذه القرى.

وأردف قائلاً: «إن البرقيتين الواردتين من بعقلين وشحيم تثيران قضية التعمير الحيوية، وهي قضية أصبحت شغل الناس الشاغل في منطقة كبيرة من البلاد، فيها عشرات الألوف من المنكوبين، إن الرأي العام لم يرتح بعد إلى هذه القضية، ولا إلى طريقة العمل فيها، وإجابات الحكومة فيها اعتراف بالمخالفات التي وقعت، فإذا لم تعلن الحكومة عن المنهاج العام للتنفيذ الذي اشترطه قانون مصلحة التعمير، فإني سأحول السؤال إلى استجواب».

الفقرة السادسة عشرة ـ موقف واضح من الأحلاف الخارجية والسياسة الدولية[1]

في معرض تعليقه على بيان حكومة الرئيس عبد الله اليافي المقدم لنيل الثقة ركز مغبغب سؤاله على الأحلاف التي يرتضي بها المجتمع اللبناني بأسره، وقد فرق بين الأحلاف العربية التي أثيرت، برأيه بوضوح تام، وينتظر الرأي العام رداً صريحاً عليها، والأحلاف الأجنبية حيث قال «إننا لا نرى في الأفق أي بحث في أحلاف أجنبية، إننا نرى أيضاً أنه لا يمكن لأحد في العالم أن يتقيد مسبقاً بأن لا يدخل في أي حلف مهما كانت الأمور والنتائج المطمئنة التي يربحها من دخوله فيه دفعاً لخطر أكيد ...».

وركز على توضيح السياسة الخارجية التي تقوم بها الحكومة، ففي هذه السياسة قال أنه طرح الزملاء كثيراً من التساؤلات، خاصة من قبل الزميلين غسان تويني

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الأول لسنة ١٩٥٦، محضر الجلسة الثانية موضوع البحث ١٩٥٦، مناقشة البيان الوزاري، الذي يتضمن قضية الأحلاف، وما يتبعها.

وجوزف شادر، وأضاف وأول ما نود معرفته هو الدور الذي يقوم به وزير الخارجية سليم لحود، والدور الذي يقوم به الرئيس صائب سلام الذي كان وزير دولة آنذاك.

الفرع السادس ـ مداخلات مختلفة

الفقرة الأولى ـ وضع مخطط واضح لصرف مساعدات النقطة الرابعة

اهتمت الولايات المتحدة الأميركية، بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٤) بمسألة الدفاع عن الشرقين الأدنى والأوسط في مواجهة الاتحاد السوفياتي، مما أدى إلى دعم تركيا وإيران اعتباراً من عام ١٩٤٧، وتشجيعها للانخراط في حلف شمالي الأطلسي، وهو الهدف الذي تحقق عام ١٩٥٢، وقبل ذلك صدر في شهر أيار ١٩٥٠ «البيان الثلاثي» الخاص بالشرق الأوسط، عن كل من الولايات المتحدة الأميركية، وبريطانيا وفرنسا، القاضي بصيانة واحترام السيادة الإقليمية والاستقلال السياسي لدول المنطقة، وأن الدول الثلاث ستعمل على تنظيم عملية السلام في المنطقة، حرصاً على عدم الخوض في سباق التسلح.

أقدمت الولايات المتحدة الأميركية، خوفاً من تغلغل السوفيات في دول الشرق الأوسط، إذا ما دب الفقر فيها، إلى تقديم المساعدات المالية لتلك الدول وخاصة إلى لبنان، وكانت هذه التقديمات بمثابة مساعدات وليس قروض، وقد قبلها لبنان في عهد الرئيس شمعون.

إزاء الأموال الضخمة التي أرسلتها الولايات المتحدة إلى لبنان، ثار نعيم مغبغب على طريقة صرفها، وكيفية توزيعها، مطالباً بوضع خطة واضحة لهذه الغاية، فبتاريخ ٦ تشرين الأول ١٩٥٣، تحت الرقم ١٢٧، وجَّه سؤالاً إلى الحكومة، مستوضحاً هذه النقاط وردّ عليه رئيس الحكومة عبد الله اليافي، بتاريخ أول كانون الأول ١٩٥٣، أما المطالب التي أثارها نعيم مغبغب فقال فيها:

«ورد في الفقرة ب من المادة الثانية من الاتفاق المعقود بين الحكومتين اللبنانية والأميركية بتاريخ ٢٩ أيار سنة ١٩٥٣، بشأن التعاون الفني بموجب النقطة الرابعة أن

حكومة الولايات المتحدة توافق على أن تؤمن في الولايات المتحدة الأميركية أو في غيرها تدريب لبنانيين تعينهم الحكومة اللبنانية بموجب اتفاقات تشمل برنامج التدريب وعلى دفع النفقات وفقاً لما يتم الاتفاق عليه بين الحكومتين في الحالات الإفرادية.

كما ورد في الفقرة ج من المادة عينها أن حكومة الولايات المتحدة توافق على أن تقدم بالقدر الذي يتفق عليه فيما بعد المعدات والمواد اللازمة لإداء عمل الخبراء على الوجه المنتج إذا كان لا يمكن شراؤها إلا بدولارات الولايات المتحدة.

ثم ورد في المادة السادسة من الاتفاق ما نصه: «تعمل حكومتا الولايات المتحدة ولبنان على أن تذاع في أوسع نطاق أهداف برامج التعاون الفني التي تنفذ طبقاً لهذا الاتفاق ومدى تقدمها، وتنشر الحكومتان كل منهما في بلادها مرة كل سنة على الأقل تقارير دورية عن برامج التعاون الفني التي تنفذ بمقتضى هذا الاتفاق وتتضمن هذه التقارير بيانات عن استخدام الأموال والموارد والمعدات والخدمات».

وحيث أنه مضى على توقيع الاتفاق أكثر من سنتين ولم ينشر بعد أي تقرير رغم الاتفاق الصريح حتى بات الناس تتساءل وتتناقل مقولات ردد صداها بعض الزملاء في هذا المجلس.

لذلك أسأل الحكومة

أولاً ـ ما هي المشاريع التي تم الاتفاق عليها وأيها تم تنفيذها وأيها هي قيد التنفيذ الفعلي، ما هي قيمة الأموال التي ساهمت أو وافقت على المساهمة بها، النقطة الرابعة لهذه المشاريع، وما هي نسبة مساهمة الحكومة اللبنانية من ناحيتها فيها.

ثانياً ـ ما هي قيمة الأموال المفيدة باعتمادها في سبيل التعاون الفني مع لبنان بموجب النقطة الرابعة منذ توقيع حكومة لبنان الاتفاق حتى الآن، وما قيمة ما أنفق أو سينفق منها مثلاً في مشاريع لبنان أو تدريب اللبنانيين؟

ثالثاً ـ كم هو عدد اللبنانيين الذين أمنت النقطة الرابعة تدريبهم بموجب الفقرة ب من المادة الثانية في الاتفاق، وكم منهم تدرب أو يتدرب في الولايات المتحدة أو في سواها أو في أي فرع تدربوا أو يتدربون وما هو مجموع المبالغ التي خصصتها لهم أو أنفقتها عليهم النقطة الرابعة.

رابعاً ـ هل تنوي الحكومة نشر التقرير المفصل المنصوص عنه في المادة السادسة من النقطة، وإلى متى يمكن أن ينتظر الشعب نشر هذا التقرير للاطلاع على ما يجري بموجب الاتفاق.

مقابل التدخل الأميركي بالمساعدات المالية خوفاً من النفوذ السوفياتي، إذ بهذا الأخير يختار التعاطف مع القضية الفلسطينية، بهدف الوصول إلى المياه الدافئة.

الفقرة الثانية ـ في انفجار مقر النجادة

تداعى السياسيون اللبنانيون المعارضون إلى إنشاء «المؤتمر الدائم للأحزاب والهيئات الشعبية»، وذلك تحت شعار الانتصار «لشعوب المغرب العربي»، وفي تلك الفترة أخذت الانتفاضات التحريرية تتحرك في المغرب العربي، لاسيما في الجزائر والمغرب، وكانت الروح الناصرية بدأت تجتاح الشعوب. فبعدما هزم السلطان محمد الخامس سلطان مراكش وأبعدته السلطات المحتلة إلى إحدى مستعمراتها في مدغشقر، نصبت مكانه سلطاناً آخر، فانتفضت التظاهرات منددة بذلك، ودعت أحزاب المعارضة في بيروت «كحزب النجادة» و«حزب النداء القومي» و«الحزب القومي الاجتماعي» و«حركة أنصار السلم» و«جمعية تحرير المغرب»، و«الحزب الاشتراكي» إلى عقد اجتماع داخل قاعة مركز النجادة، لدعم حركات التحرير المغربية؛ وفيما كان جنبلاط يلقي كلمته، دوى انفجار جرح على أثره ثلاثة من الخطباء مع جنبلاط، وهم عبد الله المشنوق والدكتور حبيب ربيز، والدكتورة ابتهاج قدورة ممثلة الاتحاد النسائي اللبناني وتبين أن الانفجار ناتج عن عبوة ناسفة محشوة بالبارود ألقيت من نافذة خلفية، واتهم رشاد قليلات من شباب حي البسطة بإلقائها بتحريض من السلطة، وانتهى المهرجان ببيان استنكار ودعوة إلى الإضراب في اليوم التالي في بيروت وطرابلس وصيدا، وقيام تظاهرة تبدأ من نهاية خط الترامواي في حرش بيروت إلى ساحة رياض الصلح، ساحة الشهداء[1].

وفي إحدى القضايا (أوراق واردة عام ١٩٥٣ ـ المجلس النيابي) إن الحادث الذي وقع أمس هزّ البلاد من أقصاها إلى أقصاها وإننا نستنكره، ويزيد في الاستنكار أنه وقع

١ ـ عزت صافي، طريق المختارة زمن كمال جنبلاط، الصفحة الثانية ٢٠٠٧، ص ١٨٤.

على بيت النجادة، والنجادة منظمة معروفة، وخلافاً لغيرها لعبت دوراً بارزاً وكانت السباقة لخدمة كل قضية عربية.

لاريب أن بحث قضية مراكش هو من حق النجادة وغير النجادة، ولا ريب أن بحث الحالة الحاضرة هو من حقه أيضاً، وأن الحكومة تعرف هذا أو لم تسمع بعقد الاجتماع إلا لأنها كانت تريد أن تقف موقف احترام تجاه حرية الاجتماع خصوصاً عندما تكون الدعوة موجهة من بيت النجادة المعروف بإخلاصه للقضية.

لهذا قلت إن أحداً لم يستنكر الحادث ولا ريب أن المجلس بأسره يلح على الحكومة الحاضرة لكي تضرب بيد من حديد على أيدي هؤلاء المجرمين لأنهم حمقى وأقول حمقى لأن العمل الذي عملوه يُنسب إلى الحماقة أكثر منه إلى الإجرام الحقيقي.

سمعتم السيد عبد الله الحاج يتكلم عن قنابل ألقيت من جهات متعددة هدفها هذا البيت، لا شك أن صغائر الأمور تكبر في عيني عبد الله الحاج لسبب أترك للمجلس وللحكومة تقديره. ويتابع مغبغب فيقول ليس هناك ما يبرر هذا العمل (إلقاء قنابل على بيت النجادة) ولست أثني عليه ولا ألتمس لهم عذراً ولكني أريد وضع الأمور في نصابها حتى لا يستغل المشاغبون فرصة أعمال صبيانية، ولو كانت إجرامية، حتى ينشروا في البلاد بذار الفوضى والفساد. لهذا إذ ألح على الحكومة بالضرب بأيدي من حديد على المجرمين، ألح عليها بذات الوقت أن تكافح كل حركة يأتيها هؤلاء الذين لم يعرفوا القضايا العربية إلا بعد أن أقفل بابها، الناس دافعوا عن مراكش ولم يفكروا بالدفاع عن فلسطين وخلص للقول، إنه بيننا عناصر مخلصة للقضية العربية، دعت للاجتماع اندست بينها عناصر أخرى لم نعلم يوماً أنها خدمت القضايا العربية، ونذكر هذه العناصر التي تتكلم عن قضية مراكش، أن باب فلسطين كان مفتوحاً ولم نر أحداً منهم يتحرك لنصرة فلسطين.

وعلا التصفيق من النواب والنظارة، وعاد التصفيق لأكثر من مرة، مما دفع رئيس المجلس للقول: إني أذكر الجمهور بأنه إذا عاد إلى التصفيق، أخرجه حالاً خارج المجلس، لستم هنا لتشتركوا بالاستحسان أو بالاستهجان، أنتم هنا للاستماع فقط[1].

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد الاستثنائي الأول سنة ١٩٥٣، محضر الجلسة الخامسة عشرة.

الفقرة الثالثة ـ الطعن بشرعية النائب

في معرض درس قانونية وضع بعض النواب، يقول إن المجلس قبل أن يدخل في درس قانونية نيابة الزملاء المعترض عليهم أو عدم قانونيتها، عليه أن يستحصل على بعض الأرقام من اللجنة المختصة التي تقول إن التلاعب قد جرى فيها حتى تنظر فيما إذا كان هذا التلاعب يؤثر على نتيجة الانتخاب أم لا. نحن نعرف مدى هذا التأثير في النيابة والتغيير فيها، فنود أن نعرف فيما لو قبل المجلس بإلغاء نتيجة أقلام للنائب الفلاني مثلاً، فهل أنه يفقد الأكثرية المطلوبة لانتخابه أم لا؟ فإذا عرفنا الأرقام في كل من منطقتي الهرمل وطرابلس، وإذا وقفنا على الأرقام في الصناديق المطعون بها تحققنا من النتائج، وعرفناها إذا كانت تؤثر في نيابة المطعون به أم لا، فإذا اطلع المجلس على كل ذلك أمكنه اتخاذ القرار الملائم[١].

الفقرة الرابعة ـ مظاهرات الطلاب في بيروت[٢]

أخذ نعيم مغبغب يطالب بتأليف لجنة للتحقيق بما جرى، ومما قاله: أود أن تؤلف لجنة لا ينحصر دورها بالشكل إنما باستقصاء الحقائق في موضوع مظاهرات الطلاب وما يتخذ إزاءها وما يرافقها من أمور سياسية كل ذلك يشكل وحدة من المعروف أن كل بلاد العالم التي لم يكتمل نضجها السياسي هي كذلك، فبقدر ما يكتمل نضج البلاد بقدر ما يمتنع الطلاب عن التدخل بالسياسة.

أما البلاد التي لم يكتمل نضجها السياسي فالطلاب فيها مدعوون للاشتراك بالمظاهرات وهذا شأننا وشأن البلاد السياسية التي مثل بلدنا.

ومن المعروف أنه في العهود الماضية فإن الجامعة الأميركية لم تكن منارة للعلم فقط وإنما ملاذاً للحرية، وكان طلاب الجامعة دائماً في طليعة طلاب الحرية الحقة واستقلال البلاد وفي المواقف الوطنية الشريفة.

وفي كل مرة يتظاهر الطلاب بدافع شعور وطني وهذا الدور أدركته الأحزاب السياسية وكل حزب خص الطلاب بفرع من الفروع.

---

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الأول سنة ١٩٥٤، محضر الجلسة الثالثة.

ويجب أن يعرف الدور الذي لعبته بعض الأحزاب في مظاهرات الطلاب الأخيرة ولو كان الطلاب قد تظاهروا كطلاب لوجب السماح لهم. أعتقد أنه يجب أن يعرف تماماً الدور الذي لعبه الطلاب والدور الذي لعبته الأحزاب في المظاهرة وإن تكن تتسم بطابع تظاهرة طلاب غير أنها في الواقع قد تبنتها بعض الأحزاب وفي الطليعة الحزب التقدمي الاشتراكي، وهو الذي عرض الطلاب لهذه المجزرة والمسؤولية تقع عليه.

لذلك يجب على اللجنة أن تجري تحقيقاً واسعاً وأن تفضح الدور الذي لعبته الأحزاب وتكشف عن الذين أطلقوا الرصاص.

الفقرة الخامسة ـ مظاهرات الطلاب ضد «حلف بغداد»[١]

كانت تظاهرات الطلاب ضد «حلف بغداد» تتنامى، وكانت أكبرها وأخطرها تلك التي انطلقت من الجامعة الأميركية في بيروت، وقد سقط في تلك التظاهرة حسان أبو اسماعيل من قرية دير بابا في الشوف، وينتسب للحزب الاشتراكي والثاني مصطفى نصر الله، من بلدة «الطيبة» في الجنوب الذي بقي مقعداً طيلة مرحلة شبابه حتى وفاته. وقد خيم جو رهيب على المدينة، اجتمع جنبلاط مع أفراد من «الجبهة الشعبية الاشتراكية» وقرروا إقامة تظاهرات لمأتم الشهيد ودفنه في مقبرة رأس بيروت؟

كان عبد الله اليافي رئيساً للحكومة ووزيراً للداخلية، فأمر بضبط الأمن وعدم السماح للقيام بأي إخلال أمني، وكان قد عرض تسليم الجثة في بلدته دير بابا، وبالفعل أرسل الجثة إلى البلدة لكن الأهالي رفضوا استقبالها، فأرجعوها إلى بيروت، وبعدها حصل تشييع للجثمان من الأشرفية إلى مثواه الأخير في رأس بيروت، واستمرت المسيرة ساعتان، بعدها كانت كلمات التأبين لمواجهة الحكومة، خاصة تلك التي أطلقها كمال جنبلاط.

غير أن الحكومة كانت ترى بما جرى عمل سياسي صرف وليس مطلبي وكانت تتفادى وقوع أي صدام بالنظر للاحتقان الحاصل في الشارع اللبناني، أما في جلسة

---

١ ـ الدور التشريعي الثامن، السابق ذكره.

مجلس النواب فقد حصلت مشادة كبيرة بين كمال جنبلاط ورئيس الحكومة، بعد أن رفع أمامه صورة كبيرة للطالب حسان أبو اسماعيل وصورة مماثلة لرفيقه مصطفى نصر الله، فتوجه جنبلاط بالغضب للرئيس عبد الله اليافي الذي كان يدافع عن موقف قوى الأمن خلال التظاهرة، ثم تلا فقرات من تقرير رسمي جاء فيه أن بين الطلاب من كان يحمل سلاحاً وأن الرصاص كان ينطلق من نافذة عامة في أحد مباني الجامعة الأميركية. وتابع عبد الله اليافي، لم يكن في وسعنا ترك الشارع للطلاب، فرد جنبلاط غاضباً، أليس لكم أبناء أو أخاً أو أختاً.

وتوجه إلى الوزير ألفرد نقاش وسأله: ألم تكن معارضاً ألا تتذكر أنك كنت تؤيد مظاهرات الطلاب.

وسأل الوزير غبريال المر ألا تدعو إلى إطلاق حرية التظاهر.

والتفت إلى الرئيس اليافي قائلاً أنت كنت تدافع عن حق الشيوعيين في التظاهر، فماذا فعلتم بالأمس وما هي حجتكم اليوم لقد تظاهر الطلاب ضد الأحلاف العسكرية التي تجر بلادنا إلى الارتهان للأجنبي وتعيدنا إلى زمن الاستعمار.

أما لجنة التحقيق فكان قوامها بيار إده (٢٢ صوت)، ناظم القادري (٢٠ صوت)، كلوفيس الخازن (٢٠ صوت)، غسان تويني (٢٩ صوت)، نعيم مغبغب (٢٠ صوت) وكلفت اللجنة بالتحقيق الإداري والسياسي، على أن تقدم بيانها خلال مدة أسبوعين من تاريخ تأسيسها.

كانت السنوات الثلاث الأولى من ولاية الرئيس شمعون، ملؤها الأمن والرفاهية، وقلما نعم لبنان بسنوات مشابهة، باعتراف الجميع من اقتصاديين وسياسيين، لكن حركة الحياة تسير دوماً إلى الأمام، وكانت المطالب تتزايد وكلما تم تلبية قسماً منها، تنبذ أخرى، وهذا معقول ومقبول، لا بل مفروض العمل به، وكانت الأحزاب اليسارية المدعومة من الخارج، تحاول دوماً الإمساك بالحكم، وكان يستعمل الطلاب كوقود لتلك المعارك، فالمظاهرات الطلابية كانت مسيسة، تأخذ لنفسها شعارات طالبية، إنما بالحقيقة كانت تنفذ ما يطلب منها المسؤولون الحزبيون.

الفقرة السادسة ـ اقتراح تعديل المادة ٢ من قانون الإيجار

نصت المادة ٢ من قانون الإيجار على أنه «يمنح شاغل العقار حق الاستفادة من التمديد المنصوص عليه في المادة الأولى بدون حاجة إلى أي معاملة، ويستفيد من التمديد فيما يتعلق بالعقارات المعدة للسكن أفراد أسرة المستأجر القاطنون معه عند وفاته أو عند تركه البلدة الكائن فيها المأجور، ويستفيد من التمديد فيما يتعلق بالمحلات المعدة لعمل تجاري أو صناعي أو لمهنة حرة أو لعمل آخر من يقوم مقام المستأجر من ورثته أو شركاءه إذا أسست شراكتهم قبل تاريخ عقد الإيجار واستمر على العمل نفسه».

تعليقاً على هذه المادة يقول مغبغب، إن إفادة عائلة المستأجر محصورة بالبلدة الكائن فيها المأجور، ويحدث كثيراً أن يموت مستأجر تاركاً عائلة مؤلفة من ستة شباب أو أكثر، لذلك اقترح أن يحذف من النص ثلاث كلمات وهي (البلدة الكائن فيها) وبالتالي إن التعديل المقدم من مغبغب يقول فيه «عند تركه المأجور» بدلاً من البلدة الكائن فيها المأجور[1].

قال مغبغب (بالإضافة) أود أن أعترض على أعضاء لجنة الإدارة والعدل وعلى الزميل الأستاذ جوزف شادر الذي صحح هذا الخطأ في التاريخ، فأقول أن كل عقود الإيجار التي عقدت خلال هذه الفترة التي لا تسري عليها أحكام هذا القانون قد أدخل عليها المؤجر الإضافات التي توازي التخفيضات القانونية المتوقعة، فالعقد الذي تمّ بين مالك ومستأجر اليوم وبالأمس وحتى أول من كانون الثاني ١٩٥٦ حسب المؤجر ما سوف يلحقه من تخفيضات فزاد في قيمة الإيجار الحقيقي، لذلك أرجو أن لا تعتمد أول كانون الثاني ١٩٥٦، بل أن نعتمد تاريخ نشر القانون فقط. ويتابع مغبغب، أريد أن ألفت النظر وأضيف إلى ما قاله الزميل الأستاذ جوزف شادر سبباً آخر، لإلغاء الفقرة الرابعة، وهو بيان سبب هذا التفاوت في البدلات، هناك إيجارات قديمة معقودة، حولها أصحابها من واحد إلى آخر، بمعرفة وموافقة المؤجر، وكلما وافق وسمح المؤجر على تحويل الإيجار زاد بدل الإيجار من هنا أتى التفاوت في البدلات.

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الأول، ١٩٥٤، محضر الجلسة الثامنة.

الفقرة السابعة ـ تعديل الأصول باسترداد المأجور

نصت المادة ٩ أنه «على المالك الذي يريد الاستفادة من أحكام المادة السادسة لاسترداد عقاره المؤجر من الغير أن يدفع للمستأجر تعويضاً عادلاً تقدره المحاكم على أن لا يقل عن خمسة أضعاف الفرق بين البدل الذي يدفعه المستأجر بتاريخ طلب الاسترداد، والبدل الذي تعينه المحاكم للعقار بالتاريخ نفسه على قاعدة بدل المثل، إذا كان الإيجار معقوداً قبل أول تموز سنة ١٩٤٣ وعشرة أضعاف الفرق، إذا كان الإيجار معقوداً بعد هذا التاريخ.

وفي المحلات التجارية والصناعية يحق للمستأجر بالإضافة إلى التعويض المبين أعلاه، تعويض آخر تقدره المحاكم يوازي الخسارة التي تتعرض لها المؤسسة التجارية أو الصناعية من جراء الإخلاء (الخلو والموقع وما إلى ذلك). وعند وجود الإنشاءات الوارد ذكرها في الفقرة الرابعة من المادة السادسة يتوجب على المالك أن يدفع للمستأجر تعويضاً عادلاً عن هذه الإنشاءات».

يعتقد مغبغب في هذا الصدد، بأن هذه المادة بعد تعديلها لا تزال تحتاج إلى فقرتين، فالفقرة التي نصت على المحلات التجارية والصناعية، يرى أن يضاف إليها «ما لم يمارس المستأجر حق الأولوية المنصوص عليها في المادة السادسة». وفي نهاية المادة أن يضاف «وفي كل الأحوال لا ينفذ الحكم بالإخلاء إلا بعد دفع التعويض»، وقد قبل هذان التعديلان[١].

الفقرة الثامنة ـ الضرائب المباشرة وغير المباشرة

أشار بأنه لم تخل البيانات الوزارية من أمر هام وهو المقابلة بين الضرائب المباشرة وغير المباشرة، فالفئة الأولى تبلغ ٣٣ مليون ليرة بينما الفئة الثانية تفوق ٨٤ مليوناً، ويقول بأنه يعتقد أن هذه الحكومة في بياناتها المتكررة أشارت إلى الرغبة في إصلاح ناحية الضرائب لجهة زيادة الضرائب المباشرة وتخفيض الضرائب غير المباشرة

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الأول، ١٩٥٤، محضر الجلسة الثامنة.

التي يتحملها الغني والفقير على السواء، وهو ينتظر من رئيس الحكومة أن تكون له كلمة سواء تظهر انطباق سياسة الحكومة مع ما ورد في بياناتها[١].

الفقرة التاسعة ـ المنح التعليمية لطلاب المدارس

أشار إلى المنح المقدمة للطلاب في المدارس اللبنانية فالوزارة تدفع لهم، أما الذين في الخارج فلهم مساعدات خاصة يصدقها المجلس، وطالب وزارة التربية أن تنشر الإعلان اللازم حتى يعرف الراغبون كيف يتدبرون الأمر في الوقت المناسب[٢].

الفقرة العاشرة ـ زيادة عدد السيارات العمومية

عرض على لجنة الأشغال مشروع قانون بزيادة اللوحات العمومية، ورأت اللجنة أن وسائل النقل لم تدرس علمياً بسبب قلة الإحصاءات. قديماً وزعت ٣٠٠ لوحة لكن الأمر جمد بانتظار الحصول على الإحصاءات. لقد تبين أن هذا الموضوع مثار للعجب وقد تساءلت اللجنة لماذا كان العدد ٢٠٠ وليس ٢٢٥ أو ٢٥٠ لوحة. الدراسة وضعت من قبل مديرية المواصلات، علماً بأنه لا يوجد مواصلات بحرية أو جوية ولا مواصلات منظمة بواسطة السكك الحديدية، لذلك طلب الحصول على دراسة فنية وليس اعتباطية، وطالب بأن لا تكون المخالفات سبباً لإعطاء اللوحات التي بالتالي تبدو مكافأة على مخالفات، ورفضت اللجنة الموافقة إلا بعد الحصول على إحصاءات دقيقة[٣].

الفقرة الحادية عشرة ـ إلغاء السيارات القديمة

بتاريخ ١٣/٥/١٩٥٤، عقدت لجنة الأشغال العامة جلسة برئاسة الأستاذ نعيم مغبغب وحضور وزير الأشغال العامة، درست خلالها مشروع القانون الوارد بالمرسوم رقم ٧٨٢٢، المتعلق بإعفاء السيارات الخصوصية على أنواعها من الرسوم والجزوات الملحوظة في القوانين الحالية لقاء تسلم لوحاتها ورخص سيرها نهائياً، والسبب هو

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الأول، ١٩٥٤، محضر الجلسة الحادية عشرة.
٢ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الأول، ١٩٥٤، محضر الجلسة الثانية عشرة.
٣ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الأول، ١٩٥٤، محضر الجلسة الثانية عشرة.

وجود عدد من السيارات القديمة المتوقفة عن العمل ولم يدفع أصحابها الرسوم المتوجبة، لذا من الواجب منع هذه السيارات من التجول نظراً للخطر الذي يتعرض له الركاب من جراء استعمالها، خاصة وأن هذا الإعفاء لا يضر بمصلحة الخزينة، لأنه من المتعذر تحصيل الرسوم المتوجبة عليها بعد توقفها عن العمل[١].

الفقرة الثانية عشرة ـ في ملاحقة النائب غسان التويني[٢]

قال نعيم مغبغب ـ أعتقد أن الحكومة أدركت أن في هذا المجلس إجماعاً على عدم الموافقة على ملاحقة واستدعاء الزميل الأستاذ غسان تويني أو ملاحقة أي نائب إلا بعد استئذان المجلس.

أما أن يوصف جرم الزميل الأستاذ غسان تويني بأنه جرم مشهود وأن تقول النيابة العامة أن هناك جرماً مشهوداً فيؤسفني أن يكون رأي النيابة العامة في قضية صحفية سابقة هو غير رأيها اليوم في قضية الأستاذ تويني، وأذكر هذه السابقة بإيجاز وهي أن نائباً كتب في جريدته مقالاً اعتبرت النيابة العامة أنه يحتوي على قدح وذم بحقي وقد رفعت دعوى وحولتها النيابة العامة إلى المحكمة فرفض القاضي ملاحقة النائب إلا بعد أن ترسل إليه النيابة العامة الإذن من المجلس بالملاحقة، ثم أتت ظروف أخرى وانتهت الدورة وأتت دورة أخرى وحكم على النائب بأن ما نشره كان كذباً.

فإذا كان الزميل الأستاذ غسان تويني في الوضع نفسه فأعتقد أن هناك اجتهاداً سابقاً بعدم ملاحقة النائب المسؤول عما ينشره في جريدة ولا تجري الملاحقة إلا بعد استئذان المجلس بذلك. إذن هناك اجتهاد حول هذه القضية. وأعتقد أن دولة رئيس الحكومة بحث عن الحل لهذه القضية لأنني رأيته يتصفح الدستور كأنه يبحث عن الحل في الدستور فإذا لم يجده فقد ذكرت له الآن السابقة وإني أربأ بالنيابة العامة، وقد ذكرناها بالسابقة، أن تصر على المخالفة السابقة التي جرت عليها في قضية مماثلة أخرى، لذلك أعتقد أن من واجب الحكومة أن تساهم معنا في إنقاذ القضاء من الوقوع

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني، ١٩٥٤، محضر الجلسة الثانية.

٢ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الثاني، ١٩٥٦، محضر الجلسة الثالثة.

بمخالفته السابقة، ومن أجل الخروج من هذا المأزق، وبما أن الزميل الأستاذ تويني لم يبلغ للآن فمن السهل جداً أن تأتي الدعوى غداً أمام المحكمة ولا تكون مذكرة التبليغ قد عادت إلى المحكمة لأنها لن ترفع هذه المذكرة إلى المحكمة قبل غد أي قبل الجلسة وسنؤجل الجلسة وتطلب النيابة العامة في الوقت ذاته تأجيل الدعوة حتى تأخذ الإذن من المجلس. أيها السادة لا يجوز أن يلاحق الزميل الأستاذ غسان تويني اليوم بينما الزميل الأستاذ كمال جنبلاط قال أكثر مما قاله الزميل الأستاذ تويني ولم يلاحق.

الفقرة الثالثة عشرة ـ مشادة كلامية بين جنبلاط ومغبغب[١]

تناول جنبلاط بعض القضايا، وطالب بتطبيق الاشتراكية كحل للمشاكل في لبنان، وتناول قضية بنيان البيوت الشعبية، والتعليم الشامل المجاني وتشجيع الحركة النقابية والضمان الصحي، والاعتناء بالأطفال والشيوخ وتصنيع البلاد وحماية الإنتاج وسواها من المشاريع، وطالب بأن تعلن الدولة على أنها «دولة اشتراكية» وأن نهجها اشتراكي وجوهر قضيتها اشتراكي، وتساءل لماذا لا يدخل حضرات الوزراء في الحزب التقدمي الاشتراكي، بعدما تناول القضايا الانتخابية وكيف أن الرصاص يرتفع في دير القمر وبيت الدين. أجاب مغبغب، يجب أن تبحث عن الأسلحة في المختارة، لكن رئيس المجلس قال أرجو من حضرة النائب المحترم كمال جنبلاط أن لا يتعرض لمركز الرئاسة الأولى في الدولة وأن يبقى ضمن حدود البيان الوزاري، وبعدما أكمل جنبلاط موجهاً الكلام إلى رئيس الجمهورية قاطعه رئيس المجلس، أرجو من حضرة الصديق كمال جنبلاط أن لا يأتي على ذكر فخامة رئيس الجمهورية في قضايا فرعية من هذا النوع، أما كمال جنبلاط فتابع بقوله أنه يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار العناصر الشعبية الصادقة التي لا تكذب على نفسها وعلى ضميرها.

ـ فقاطعه مغبغب أنت كذاب.

ـ كمال جنبلاط، أنت ومعلمك كذاب.

١ ـ الدور التشريعي الثاني، العقد الاستثنائي الأول، ١٩٥٤، محضر الجلسة الأولى.

ـ الرئيس، حضرة النائب المحترم السيد كمال جنبلاط، الحكومات وجدت لكي تتلقى هي الانتقادات وتوجه إليها. ففي النظام الديمقراطي يكون رئيس الجمهورية غير مسؤول والحكومة وحدها هي التي يوجه إليها الانتقاد. فأرجو من حضرة النائب أن يتحفظ وأن لا يعود إلى مثل هذه الأمور لأن الرئاسة ستضطر لتطبيق أحكام النظام الداخلي في مناسبة ثانية.

الفرع السابع ـ نعيم مغبغب وأموال «صندوق التعمير»

الفقرة الأولى ـ الهزات الأرضية والهزات السياسية

بتاريخ ١٦/٣/١٩٥٦ حصل زلزال في لبنان دمر عدداً كبيراً من المنازل خاصة في الشوف، ناحية إقليم الخروب، والبقاع الغربي، وقد انشق الجبل في أعالي عين زحلتا، على طول يزيد عن العشرين كيلومتراً وصولاً إلى البقاع، وكان يرى بأم العين، انطلاقاً من أوتيل فيكتوريا، وبقي الشق ظاهراً لسنوات عدة.

هبت دول عديدة لمساعدة لبنان في نكبته، وتدفقت الأموال من الدول الصديقة، كما أقدمت الحكومة على فرض ضريبة جديدة عرفت «بضريبة الزلزال» التي دامت لفترة زمنية طويلة.

كانت ضحايا الزلزال تفوق الـ ١٤٠ قتيلاً في مختلف أنحاء الشوف، وأطراف الجنوب والبقاع الغربي، أما عدد المصابين فقد فاق الألف وتهدمت وتصدَّعت آلاف البيوت. كانت حكومة رشيد كرامي قد استقالت، قبل يومين من وقوع الزلزال، وقد بادرت الحكومة المستقيلة إلى تعيين إميل البستاني، الذي كان وزيراً للأشغال في حكومة عبد الله اليافي السابقة، رئيساً «لمصلحة التعمير» التي أنشأتها الحكومة لملاحقة النتائج السلبية للزلزال.

الفقرة الثانية ـ توزيع الإعانات الغذائية بطريقة عادلة[1]

في معرض قوله أمام مجلس النواب عن الإعانات الغذائية قال مغبغب أعتقد أن ما تناوله الزميل الأستاذ الفرزلي يمكن تقسيمه إلى نقطتين، الأولى تتعلق بالإعانات

---

١ ـ الدور التشريعي الثامن، العقد العادي الأول، سنة ١٩٥٦، محضر الجلسة الخامسة.

والثانية بأعمال التعمير، وما يتبعها من كشف وغيره. أما الإعانات في توزيع المواد الغذائية، فإن هذه الكارثة كانت تجربة أخلاقية قاسية، بعد أن ثبت أن الذين يطلبون الإعانات الغذائية ليسوا من المنكوبين ولا من الفقراء، بل الميسورين الذين انتقلوا من العاصمة إلى القرى ليطالبوا بالمساعدات، وهذا أبعد ما يمكن أن يصل إليه الانحطاط الخلقي، وأعتقد أن بين الذين تبرعوا من هم بحاجة أكثر من الذين يطالبون بالمساعدات، وأرجو أن يعرف الذين يقومون بالتوزيع كيف يجب أن يتم هذا التوزيع، لأني أعرف أن هناك من يوزع لأهداف انتخابية دون تمييز بين الغني والفقير.

أما فيما يتعلق بالتعمير، وافتعال هدم البيوت فهذا أيضاً واقعي وقد حرص المجلس أن يضع في القانون مادة تشمل عقوبات مشددة على كل من يقدم إفادة كاذبة أو تصريحاً كاذباً، والذي يفتعل تهدياً في بيته، لا يمكن إلا أن يقع تحت المسؤولية.

ففي سبيل هداية هؤلاء المخطئين الذين سيتعرضون للعقاب، أرجو من رئيس لجنة التعمير أن ينشر منذ الآن في الصحف تنبيهاً إلى هذه المادة حتى لا يُقدم أياً كان على أحداث تصدع في بيته لئلا يقع تحت طائلة العقاب.

وأضاف مغبغب قائلاً:

«طالبنا بأن يتمكن الناس من اختيار الطريقة التي يريدونها في التعمير وأن يفسح المجال لبعضهم أن يبنوا بيوتهم ضمن شروط الأرض والخريطة الفنية حتى يأتي البيت مستوفياً للشروط الصحية، فلا يجب أن نحكم على من توفرت لديه هذه الشروط أن يقضي الشتاء تحت الخيمة وإذا اختار المنكوبون هذه الطريقة كان لهم ذلك ولاحق لنا أن نمنع عنهم المساعدة لا عن سوء نية بل لأن برنامجنا التعميري لا يمكننا من ذلك. أما وقد أخذت الحكومة بوجهة نظرنا ومكنت مصلحة التعمير من إنشاء الأحسن والأفضل حيث لا يمكن إكمال التعمير قبل الشتاء بسبب كثرة التهدم وصعوبة بناء قرية جديدة على أنقاض القرية القديمة، ومن وجهة ثانية فإنها قد وافقت على أن من يريد من المنكوبين أن يعمر بيته في القرى التي لا تحتاج إلى تنظيم جديد تقدم له المصلحة المواد اللازمة وتدفع أجرة اليد العاملة لأنه يعجز عن دفعها. فبالتالي لا يبقى ثمة خلاف بيننا وبين مصلحة التعمير، وتبقى مسألة التنفيذ، آنذاك نرجو الحكومة أن

تتخذ التدابير اللازمة لتنفيذ الخطة التي طلبنا ما يمثل الإخلاص والأمانة والاندفاع التي تعتمده المصلحة لتنفيذ الخطة التي كانت تنادي بها.

وأضاف بالقول:

وطالما وصلنا إلى هذا الحد فأسبق سواي إلى إعطاء البرهان على الروح الرياضية فأقول إنني أتمنى للزميل البستاني تمام النجاح في تنفيذ الخطة التي نادى بها وأنه يسرني جداً أن يكون تنفيذها قد أصبح أكثر سهولة بعد حصرها، وإذا نجح سنكون أول المهنئين له».

ثم تحدث إميل بستاني فاستفاض في شرح قضية التعمير وقال بأنه قسم المنازل المدمرة إلى ثلاث فئات الأولى التي تهدم فيها أكثر من ٥٠ في المئة، ويبلغ عددها ٣٣ قرية وعدد بيوتها ٣٩٨١، والثانية التي تهدم فيها أكثر من ٢٥ في المئة وأقل من ٥٠ في المئة، وعدد البيوت المهدمة، فيها ٣٧٤٦ وعدد القرى ١٧٤٥، والثالثة التي تهدم فيها أقل من ٢٥٪ وعددها ٥٠٤ بيوت في ١٣١ قرية ليخلص إلى النتيجة بأن العملية كبيرة، ولهذا لم يعط الوعود بل سيتم البناء قبل فصل الشتاء المقبل ولن يكتمل إلا بعد مرور سنتين على الأقل. تدخل مغبغب مقاطعاً:

شهر العسل لم ينته بعد.

رد عليه البستاني قائلاً:

لن أنزل إلى هذا المستوى بالرد عليك وأعود لأقول إنني لا أنطوي على حقد لأحد، وإذا تعاونا جميعاً فنستطيع ترميم جميع البيوت المتصدعة وعددها ١٢ ألف تقريباً، وهذه الحكومة في ذاتها التي كنت وزيراً فيها وخروجي منها لا يغير شيئاً بل على العكس يتيح لي أن أتفرغ بكليتي للعمل في مصلحة التعمير وأرجو من كل قلبي أن يكون التعاون فعلياً وشاملاً ودليل ثقة.

طلب نعيم مغبغب الكلام ورد قائلاً:

«كنت أود أن يقابل الزميل إميل البستاني ما بادرته به في كلمتي الأولى بمثلها غير أنه من الناس من لا يعرف كيف يربح وهذا شأنه أود أن أعلق بكلمة بسيطة على

تلميح الزميل البستاني فيما يتعلق بالسلطة فأقول من جهتي بأنني لم أقل أن قضية الإعفاءات يجب أن تحدد الآن بل من حق المجلس في أن يقررها أولاً، والذي أثار النقاش هو قول حضرة الزميل في تصريحه الصحافي في قرية بكاسين والذي جاء فيه: «لا تتأملوا بدفع المال على أساس منحة بل أن ما تأخذونه هو سلفة، وقد أجبته في حينه بأن المادة ١٢ من قانون مصلحة التعمير هي التي تحدد فيما إذا كان المبلغ المدفوع منحة أو سلفة ولكن السيد البستاني شاء أن يقلب هذه الحقيقة ويردها، لن أعود إلى التعمير مرة ثانية، وأتمنى النجاح للزميل البستاني ولكنني أود بأن أجيب بكلمة مختصرة على ما جاء في كلمة الأستاذ كمال جنبلاط وأخذ في الرد عليه لجهة الرواق حتى يرد كمال بك ويتحرى الحقيقة وينبه ذاكرته التي تغفو أحياناً فيقول ما هو صحيح وما هو غير صحيح.

وأضاف:

لقد أشار إلى التعيينات في النافعة وأعتقد أنه كان يعني التعيينات التي جرت يوم كنت وزيراً للأشغال العامة وإنني أذكر أن هذا الأمر تولته لجنة تحقيق وأن التقرير الذي وصفته لا يأتي على ذكرها أبداً. فذكر في معرض حديثه حادثاً ملخصه أن شخصاً من عائلة دمج ورد اسمه في جدول العمال وكان يقبض أجوره في حين أن هذا الرجل توفي وقد ذكر الخبر استناداً إلى جريدته ـ الأنباء ـ وكم كنت أتمنى أن يقرأ غير هذه الجريدة، لأن الحقيقة دائماً ليست في هذه الجريدة، ولما نشرت القضية باشرت فوراً إلى كتابة خطاب إلى وزارة الأشغال العامة طالباً التحقيق في الموضوع راجياً بعد ذلك نشر بلاغ النتيجة حتى تعرف الحقيقة وقد وعدني وزير الأشغال جميل مكاوي بنشره ولكنه لم ينشره بعد ولم أهتم بعد ذلك لاعتقادي أن جريدة الأنباء لم يعد أحد يهتم لأخبارها ولأنها كانت تخاصمني، وكنت قد أقمت عليها عدة دعاوى ربحتها بداية واستئنافاً والأحكام التي صدرت بحق الجريدة لم أنفذها ولم أعمل كما عمل الأستاذ البستاني مع الأستاذ حنا غصن صديقنا ولو فعلت ذلك لأفلست جريدة الأنباء منذ زمن طويل.

عدد العمال لم يكن كافياً لترميم الأبنية المتضررة من الزلزال، فتقدم مغبغب باقتراح يقضي بالتوقف عن أعمال إنشاء الطرق والمباني الحكومية، وتمويل العمال

الذين يعملون فيها، للمساعدة بتشييد وترميم الأبنية المتضررة، بالسرعة القصوى، قبل حلول فصل الشتاء.

الفقرة الثالثة ـ تباين في الأقوال والأفعال بين نعيم مغبغب وإميل البستاني

تمحور الخلاف بين نعيم مغبغب وإميل البستاني حول الخطة الموضوعة لإعادة البناء وللأعمال بعد الزلزال.

وكان البستاني قد تقدم بمشروع يقضي بإعادة تعمير كل قرية على حدة بموجب مخطط تنظيمي جديد وقد رفض المشروع، لأن مثل هذا النظام، مع ما يقدمه من حسنات، لا يمكن إنجازه بالسرعة المطلوبة لإيواء المنكوبين اللاجئين للخيم.

الفقرة الرابعة ـ طرق ومياه وكهرباء إلى ٨٠ قرية في الشوف

عمد مغبغب، كوزير للأشغال العامة (خلال سنة واحدة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥)، والتي كانت تضم الكهرباء والمياه بالإضافة إلى الطرق والمباني إلى إحداث ثورة بنوية غير مسبوقة في الشوف، ففتح الطرق، وجر المياه والكهرباء إلى ما يزيد عن الثمانين مدينة، أو بلدة صغيرة كانت أم كبيرة إلى حد تسمية، كما سبق، بأن تمهد مغبغب مهد تعمير الشوف.

الفصل الثامن
انطلاق ثورة عام ١٩٥٨

سنرى بالتتابع:

ـ الاستعدادات الميدانية

ـ الاشتباكات

ـ المنابر الدولية

ـ تداعيات الثورة العراقية

كانت الأجواء السائدة، في أواخر عام ١٩٥٧، مشحونة بكل أنواع التباينات السياسية والعقائدية المنذرة بأوخم العواقب، فالمعارضة تستعد للمواجهة والموالاة لها المرصاد.

الفرع الأول ـ الاستعدادات الميدانية

نتيجة للأحداث السياسية الضاغطة، دولياً، إقليمياً، وداخلياً، انقسم اللبنانيون بين معارضين للسلطة القائمة، وموالين لها[1]، ولم يكتفوا بالتظاهرات والخطب، بل

١ ـ عوّل شمعون على قوى الأمن الداخلي بقيادة الزعيم سيمون زوين، بعدما اختار قائد الجيش =

تطورت الأمور إلى المواجهات المسلحة، مما جعلهم يصطفون في محورين أساسيين: المعارضة المتكونة من الأحزاب التقدمية الاشتراكية والعروبية والناصرية المدعومة إقليمياً من الرئيس عبد الناصر، والمستندة إلى الدعم السوفياتي العلني، والدعم المستتر من قبل الولايات المتحدة الأميركية، التي كانت تشكل من المستغرب، هدف الهجوم من قبل المعارضة، فقد كانت تساندها وتؤازرها للوصول إلى الحكم.

والموالاة المشكلة من الأحزاب اللبنانية الملتفة حول الرئيس شمعون والكتائب اللبنانية، والقوميين السوريين وأنصار الدرك. كانت تلك الأحداث كأنها، مقدمة لاستبدال السلطة المنتدبة الفرنسية والبريطانية، بنفوذ الولايات المتحدة الأميركية التي توصلت إلى استقطاب كل أصحاب النفوذ، بدءاً بعبد الناصر أحد أهم العروبيين، فكانت ثورة ١٩٥٨ بمثابة إخراج تلك التبدلات والتحولات في السياسة الخارجية والداخلية في لبنان. من هنا فإذ أصبح اتهام شمعون بالعمل على التجديد أو بمحاولة الدخول لحلف بغداد، وكونه وضع البلاد في قبضة الولايات المتحدة الأميركية، فإن هذه الأخيرة حتى ولو ناصرت شمعون، كانت تعمل لمصلحة المعارضة.

الفقرة الأولى ـ اجتماع المعارضة والجيش السوري

قبيل حصول الاشتباك مع القوات السورية، تبين أنه عقد اجتماع بين شبلي العريان وزعماء المعارضة اللبنانية من جهة وضباط سوريين من جهة ثانية، وقد عرف منهم المقدم طلعت حدثي، والمعاون الرئيسي للمكتب الثاني السوري، المقدم برهان رئيس الشرطة العسكرية السورية والملازم برهان بو الحسن، تم خلاله الاتفاق على تقديم ما يلزم إلى اللبنانيين الذين أبدوا استعدادهم للقيام بثورة مسلحة ضد الرئيس شمعون[١].

= الحياد. فرفع عدد قوى الأمن إلى ٢٤٠٠ ضابطاً وأفراداً. وجهزها بالأسلحة الثقيلة، والمصفحات والمدافع) لتصد هجمات المقاومة الشعبية، وكان مدير الأمن العام فريد شهاب، يزود شمعون بالمعلومات التي تكشف ضلوع الاستخبارات المصرية والسورية في أحداث لبنان، أنظر: نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ١٩٦.

١ ـ كان شمعون يستقي المعلومات من قوى الأمن الداخلي، ولم يكن يثق باستخبارات الجيش التي فضلت حصرها بفؤاد شهاب، أنظر: نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ١٩٧.

الفقرة الثانية ـ القنصل البلجيكي في سوريا يهرب الأسلحة إلى الثوار

بتاريخ ١٩٥٨/٥/١٢، أوقف على الحدود السورية اللبنانية، قنصل بلجيكا بدمشق **Desang**، وصودرت من سيارته كمية من الأسلحة، وكان يحمل رسالة موجهة إلى مجهول في بيروت تتضمن تعليمات بوجوب نسف شوارع رئيسية في العاصمة اللبنانية، وكذلك القصر الجمهوري، وكانت تؤكد على ضرورة إلقاء المتفجرات في أنحاء مختلفة من المدينة، وإقامة حواجز في الشوارع واغتيال بعض اللاجئين السياسيين من الشخصيات السورية المقيمة في لبنان، وقد تضمنت الرسالة ما حرفيته:

«إلى حامد»

اشتبكوا مع دوريات الدرك والشرطة بالرصاص خلصوهم من أسلحتهم، تابعوا إطلاق النار طوال النهار، ضرورة نسف سوق الطويلة، شارع الحمراء، وشارع السادات، القصر الجمهوري، منزل بدوي الجبل، وحسن البرازي (معارضان سوريان) وتفجير قنابل يدوية. وبالفعل تعرض مخفر الجمارك على الحدود لاعتداء مسلح قامت به جماعة مسلحة في اليوم نفسه الذي جرى فيه تفتيش سيارة القنصل[١].

أعلنت الحكومة البلجيكية عمق صداقتها للبنان وأن لا دخل لها بنشاط القنصل الذي علم فيما بعد أنه كان يعمل لحساب المخابرات السوفياتية.

طلبت بلجيكا العفو عن القنصل، عن طريق سفارتها. رفض سامي الصلح من حيث المبدأ العفو، بعدما أدانته المحكمة العسكرية وحكمت عليه بالأشغال الشاقة لمدة عشرين سنة، نتيجة تدخله وتهديده للأمن في لبنان. وقد أكد السفير في بيروت أن ملك بلجيكا أوضح أن دول البنلوكس الثلاثة وهي بلجيكا، وهولندا واللوكسمبورغ، ستصوت لصالح مرشح لبنان لرئاسة الجمعية العامة، الدكتور شارل مالك وزير الخارجية، وكان لبنان بحاجة لهذه الأصوات وإلى دعم معنوي دولي، ولدى تدخل الدكتور ألبير مخيبر وزير الخارجية بالوكالة تمت الموافقة على العفو بقرار من رئيس الجمهورية.

١ ـ سامي الصلح، لبنان، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

الفقرة الثالثة ـ السرَّاج يبذل المال والعتاد ويدرب المتطوعين

ألقي القبض على مسلحين يحملون أسلحة وذخائر لا يستعملها سوى الجيش السوري النظامي، وقد أرسلت كميات كبيرة منها إلى محمد حمزة في طرابلس، وعلى شاحنة قادمة من الحدود السورية تحمل أيضاً أسلحة وذخائر مؤلفة من ١٨٨ رشاشاً و١٨٨ بندقية رشاش، و١٨٥ قذيفة إنرغا و١٢٠ كيس خيش تحتوي على ذخائر للأسلحة المذكورة، و٦٠٠ صندوق رمانة هجومية ودفاعية، وأكياس خيش تحتوي على خرطوش للرشاش، و١٢٠ صندوق ديناميت و٦٠ بندقية من صنع فرنسي موديل ٢٦ وتحمل ٢٢ منها عبارة الجيش السوري، و٢٨ صندوق ذخائر من الطراز الكبير، وكان كبار المعارضين يصرحون بأنه يتم تمويل الثورة من قبل عبد الحميد السراج[1].

كما تم توظيف شعارات القضية الفلسطينية، والتي كانت بمجملها في أيدي المعارضة، ولم تكن الدولة اللبنانية تمسك بزمام أمورها، فهي غير قادرة على شن حرب باسم إحدى القضايا الفلسطينية، خلافاً لدول عربية أخرى[2] مع العلم بأن موقفها واضح في مناهضة الكيان الصهيوني.

أغدق عبد الحميد السراج الأموال على الأشخاص الذين اعترفوا فيما بعد أنهم قبضوها مباشرة منه، وقدّم كل أنواع الدعم السياسي والإعلامي إلى قادة الثورة، وأنفق أكثر ما تنفقه أميركا وإسرائيل، وأشاد بشجاعة بعض الذين قبضوا الأموال منه شخصياً، الأمر الذي دفع بعض وزراء الوحدة المصرية السورية في دمشق إلى لفت نظر عبد الناصر، لخطورة ما يجري في لبنان[3].

الفقرة الرابعة ـ الكتائب اللبنانية تدعم شمعون

قطعت المعارضة الأمل في إمكانية إقالة الرئيس شمعون، أو القيام بأي انقلاب عسكري ضده، لأن الإضراب والتجمعات الأهلية آزرته، ودعمته، ليس فقط بالبيانات

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٩٤.
٢ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ١٥٥.
٣ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٩٠.

والخطب إنما بالسلاح والذود عنه بكل ما أوتيت به من وسائل، منها حزب الكتائب الذي لعب دوراً أساسياً وجوهرياً في دعم الرئاسة وأكثر ما يعبر عن هذا الموقف تصريح بيار الجميل، رئيس الحزب الذي كان يقول لا تحرجونا فنضطر للتعامل مع الشيطان، بالإضافة إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي.

الفقرة الخامسة ـ آل تلحوق يرفضون السلاح

عُرض السلاح على آل تلحوق في منطقتي عاليه وسوق الغرب، فرفضوه بواسطة النائب فضل اللّه تلحوق كونه متمسكاً بتقاليد عائلته السلمية العريقة التي تعود إلى تاريخ غابر في الزمن[1].

الفقرة السادسة ـ شمعون يتهم القاهرة ودمشق بالتدخل في الشؤون اللبنانية الداخلية[2]

بتاريخ ١٩٥٨/٥/٢١، عقد الرئيس شمعون مؤتمراً صحافياً، بناء لطلب مراسلي الصحف الأجنبية ووكالات الأنباء وممثلي محطات الإرسال في العالم صرَّح فيه:

«القضية الراهنة، ليست الحكومة الوطنية، وليست هذا الشخص أو ذاك، كما أنها ليست هذا المنصب الرفيع أو ذاك في البلاد، القضية الراهنة هي قضية وجود لبنان حر في الشرق الأدنى، يعيش فيه المسلم والمسيحي معاً في سلام ووئام، بلداً قادراً على تقرير مصيره تقريراً حراً مستقلاً، ونحن نعتقد أن بلداً كهذا في الشرق الأدنى لا يستحق أن تعيش من أجله فحسب، بل أن تستميت في سبيله أيضاً».

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٩٢؛ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٩٤.
٢ ـ من اتهام لبنان بالانضمام إلى حلف بغداد، والنفي الرسمي على لسان الحكومة إلى قمة بيروت لرؤساء وملوك الدول العربية، إلى إقرار مبدأ آيزنهاور ١٤ و١٦ آذار ١٩٥٧، تحول لبنان إلى بلد بالغ الخطورة والتوتر فالمعارضة بمساندة مصر وسوريا تشد الخناق على الحكم، والموالاة تدعمه بلا هوادة، أنظر: نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٨٦.

اتهم القاهرة ودمشق بالتدخل في شؤون لبنان الداخلية اعتباراً من كانون الأول ١٩٥٦، واتهم الشيوعيين بإثارة الاضطرابات، وذكر أنه يمثل السلطات الدستورية ولا نية لديه لتعديل الدستور. أثنى على موقف الجيش وتحدث عن سبب عدم إصداره أمراً إليه لضبط الأمن في المنطقة القريبة من بيروت، وإخلائها من العناصر الدخيلة تجنباً لسفك الدماء البريئة، وقال بأن لدى الجيش السلطة الكاملة للقيام بكل ما يراه ضرورياً للمحافظة على النظام[1].

توترت العلاقة بين لبنان وسوريا بين عامي ١٩٥٤ و١٩٥٨ مما دفع السلطات السورية إلى إثارة بعض المناوشات الحدودية، فأقدمت على إنشاء مخفر للدرك السوري وآخر للمجاهدين، في مزارع شبعا، وأنذرت السكان في شهر أيلول ١٩٥٧، بإلزامية تقديم بيانات عائلية تتضمن قبولهم الهوية السورية بدلاً من اللبنانية، كما أفادت المراجع الأمنية اللبنانية.

إزاء توتر الوضع هناك، توجه وفد من وجهاء شبعا برئاسة رئيس بلديتها إلى دمشق لمراجعة كبار المسؤولين، في القيادة السورية وفي طليعتهم صبري العسلي رئيس الوزراء وأكرم الحوراني رئيس مجلس النواب، لكن محاولتهم باءت بالفشل. بعدها زار الوفد الرئيس سامي الصلح، الذي أكد على ضرورة تمسكهم بالهوية اللبنانية والمحافظة عليها، واعداً بالحد من الضغط عليهم.

اتصل الرئيس سامي الصلح، بالسفير المصري في دمشق محمود رياض وشرح له الوضع، معتبراً هذا العمل مضراً بالجميع لاسيما مصر وسوريا، وهو يسيء إلى العلاقات والمصالح الأساسية للدول المعنية وشعوبها، بما يترك من آثار سلبية على الساحتين العربية والدولية، فالأمر لم يعد قاصراً على إرسال السلاح عبر الحدود وإنما تجاوز ذلك لمحاولة اقتطاع الأراضي وضمها مع سكانها!.

أصدرت السلطات اللبنانية قراراً تحت عدد ٤٩٣ تاريخ ١٩٥٧/١٢/١٥ حثت فيه أهالي شبعا على ضرورة تسجيل كل الحوادث والتجاوزات، والمحافظة على شبعا

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٩٢ ؛ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٩٤.

ضمن الأراضي اللبنانية «بما في ذلك كفردونه، مراح الجلول، قفوه، رمتا، خلة غزالة، فشكول، جورة العقاب، الربعة، بيت الذمة، عرضت... إلخ» باعتبار أن ما يحدث ما هو إلا سحابة صيف سوف تنجلي بسرعة.

الفقرة السابعة ـ مغبغب وسلاح «مؤازرة السلطة»

بعدما رأى شمعون أنه وجهاً لوجه أمام عبد الناصر، وأن هذا الأخير أقدم في صيف ١٩٥٧ على إرسال السلاح والذخائر إلى طرابلس وعكار والبقاع الغربي من المعابر الحدودية المتاخمة للأراضي السورية، وتحويل دير العشاير مركزاً لاستلام الأسلحة والمسلحين في طريقهم إلى الشوف، رأت الحكومة نفسها مضطرة لمواجهة الاضطرابات ساعية لحفظ الأمن والاستقرار في البلاد، وبعدما اتخذ الجيش موقف المحايد أمام المعارضة والموالاة، تولى نعيم مغبغب دعوة أنصار المعارضة في الشوفين الأعلى والأوسط وتزويدهم بتراخيص لحمل السلاح بغية «مؤازرة السلطة» في سبيل مواجهة المقاومة الشعبية[1]. وكان مغبغب قد أسس «نمور الأحرار».

مقابل ذلك، كان التيار التوحيدي يعمل بشكل نشيط لقيام الوحدة العربية الشاملة الجامعة بزعامة الرئيس عبد الناصر، وتعالت المطالبة بها أكثر فأكثر بعدما وضع مشروع الوحدة عملياً على الأرض، فانطلقت الوحدة بين مصر وسوريا. فاعتُبر بأن الفرصة سانحة لقيام الوحدة الشاملة، لكن إذا كانت الجماهير تطالب بصدق وتعمل على تحقيق أهداف الوحدة العربية، فلم يكن ذلك بالتأكيد، هدف الزعماء التقليديين الذين وإن كانوا يرفعون شعارات الوحدة والعروبة. فكان ذلك فقط لكسب ود الجماهير والتعاطف معهم ظاهرياً، دون أن يكونوا في الأساس موافقين على قيام الوحدة الشاملة، كونهم سيفقدون نفوذهم ويذوبون في بحر الوحدويين.

الفقرة الثامنة ـ أحمد الأسعد يوزع السلاح على مناصريه

بتاريخ ١٩٥٨/٥/٢٩ ألقي القبض على أشخاص عديدين، بالقرب من صور، في جنوب لبنان، لاشتراكهم في أعمال فوضوية في قرية قانا وكان بحوزتهم كميات كبيرة من الأسلحة، وقد اعترفوا بأنهم حصلوا عليها من الجهة الثانية للحدود في قريتي

١ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ١٨٠ و١٨١.

الغجر وبانياس السوريتين، وأفادوا بأن عشرين شخصاً من قراهم عبروا الحدود واستحصلوا على أسلحة من عناصر محسوبة على المخابرات السورية بواسطة أحمد الأسعد، وقد جاء المعتقلون من قرية صدّيقين[1].

وبتاريخ ١٩٥٨/٥/٣١ أوقفت قوات الأمن سبعة مسلحين اعترفوا بأنهم ذهبوا مع ١٥٠ آخرين إلى الثكنات العسكرية في بانياس واستلموا ذخائر وبعض المال، وأمروا بالعودة إلى لبنان على متن شاحنة عسكرية للاشتراك في الثورة. ويضيف بالقول: «إن ما ورد أعلاه ليس إلا جزءاً يسيراً من الحوادث المتنقلة التي كانت تقع كل يوم في طرابلس وصيدا وصور والشوف والبقاع والمناطق المتاخمة لسوريا، حسب رأي المراقبين وقد بلغ عدد المسلحين العاملين في مختلف المناطق لغاية أول حزيران ١٩٥٨، ١٠٧٠٠ مسلح حسب الرسالة التي أرسلها قائد الجيش إلى وزير الدفاع الوطني تحت العدد ٢/٣٧٩ س، تاريخ ١٩٥٨/٦/١.

الفقرة التاسعة ـ موقف قائد الجيش فؤاد شهاب حيادي إلا في الشوف

كان الجيش قادراً على سحق الثورة بالقوة، إلا أن القائد الجنرال فؤاد شهاب أصر على أن الجيش اللبناني لا شأن له في دعم موقف العهد ضد المعارضة، بل إن مهمته تقتصر على الدفاع عن البلاد من الاعتداءات الخارجية والحفاظ على الأمن الداخلي، عند الحاجة، لذلك حينما دعي لاستخدام قوى الجيش للقضاء على الثورة، لم يوافق إلا على منعها من الامتداد[2].

وقفت المؤسسة العسكرية على الحياد حيال ما يحصل لحرص قائدها على عدم خوض المعارك مباشرة، مما قد يترك آثاراً سيئة ليس فقط من جراء الدماء التي ستسيل، إنما خوفاً على المؤسسة العسكرية ذاتها، وحرصاً على وحدتها وعزتها. لكن هذا الموقف لقي آثاراً سلبية لدى المقاومة الشعبية المعارضة، وكذلك لدى المؤيدين لأن هذا الموقف أو اللاموقف أصاب الفريقين المتنازعين بالإحباط، ولولا ذلك، لما اندلعت

---

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٩٢.
٢ ـ كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص ٢٤٨.

النيران ولما حصد لبنان القتلى. و«إن الأخطر من هذا أن يكون ما حصل تمهيداً وتشجيعاً لقيام اضطرابات جديدة ويكون لبنان عرضة لأهواء الانتهازيين المرتبطين بولائهم إلى أجهزة تصدر تعليمات بمعزل عن السلطة الوطنية»[1].

هذا وإن موقف الجنرال شهاب لم يكن ذاته في جميع المناطق اللبنانية.

يروي المقدم الركن رياض حامد تقي الدين[2] أنه بتاريخ ٣١ أيار تلقت كتيبة من الجيش المتمركزة في نبع الباروك أمراً بالتقدم إلى دير القمر وبيت الدين لفك الطوق المزعوم عن هاتين البلدتين، فقدم جنبلاط إلى قائد الكتيبة طالباً منه عدم التقدم، ولكن دون نتيجة إيجابية، لأن جواب القائد كان بأنه عسكري يخضع للأوامر وعليه تنفيذها. علم سماحة الشيخ محمد أبو شقرا بالأمر، واتصل بالقائد يستمهله تنفيذ المهمة، ريثما يقابل اللواء فؤاد شهاب، تمت المقابلة فأوقفت الكتيبة تقدمها. اجتمع كمال جنبلاط بالقائد بحضور شيخ العقل في سبلين وتم الاتفاق على الأمور التالية:

- بقاء الجيش في الباروك أولاً ثم الانسحاب إلى عين زحلتا والفريديس.
- بقاء التقدميين في بتلون.
- وضع مخفر من الجيش في بتلون بالتنسيق مع الاشتراكيين لتأمين المارة من المسيحيين.

وبتاريخ ٢٣ أيار ركز حاجز الجيش بقيادة النقيب أنيس أبو زكي وكان المخفر يتألف من الرقيب علي صالح من بريتال ومحمد طليس ويوسف سعود وعبد الرحمن الرز وجورج الشيخ.

«بين كميل شمعون وفؤاد شهاب عداوة بين رجلين مارونيين ورئيسين مارونيين وعهدين مارونيين»[3].

---

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٩٦.
٢ ـ المقدم الركن تقي الدين رياض حامد، التجربة العسكرية الدرزية، ص ١٥٦.
٣ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ١٠٧.

وإذا كان شهاب القائد العسكري قد حافظ على الرئاسة دون السقوط، واضعاً أطراً عامة لا يجوز تخطيها، ضناً بمصلحة البلاد العليا، كمحافظته على عدم تخطي خطوط التماس وعدم السماح للمعارضة بالوصول إلى غايتها، وعدم ترك مطار بيروت ينهار تحت ضغط الثوار، كل ذلك تأكيداً لوجود مصلحة عليا لا يجوز التنازل عنها، فإن الأمر مختلف تماماً في الشوف، والسماح بسقوط عين زحلتا بأيدي الثوار، لا تأثير له على الحياة السياسية العامة، إنما يندرج فقط في خانة المصالح الضيقة التي كانت في مواجهة العهد والرئيس فؤاد شهاب، فإذا بالأوامر تعطى بالتراجع عن عين زحلتا ونبع الصفا، ووضع المنطقة بقبضة جنبلاط، بعد تهجير الأهالي الآمنين من منازلهم ولا ذنب لهم. لم يكن هناك ضرورة لمثل هذا الانسحاب لأن الجيش قادرٌ على سحق أي تمرد في أي لحظة يشاء.

فإذا كان عدم تدخل الجيش عام ١٩٥٢ أدى إلى استقالة بشارة الخوري، واستلام كميل شمعون سدة الرئاسة، فإن ظروف ١٩٥٨ بدت مغايرة، فلم يشأ شهاب تكرار ما حدث، إنما القيام بدور فعال «متغاضياً عن قمع الثورة الدموية التي امتدت ٥ أشهر، تلك هي عداوة الرئيسين»(١).

ثار الجدال مطولاً حول إمكانية الاستعانة بالجيش لصد الثورة الداخلية العارمة الحاصلة في لبنان عام ١٩٥٨، فالموالاة لا ترى بدأ لتدخل الجيش والمعارضة كانت حريصة وخائفة من ذلك، أما قائد الجيش فكان، كما دأب عليه أيام الأزمات يحاول اتخاذ موقف الوسط لئلا تفلت زمام الأمور من يده.

غداة ثورة عام ١٩٥٨، كان الجيش يتمتع بسلطة وصلاحيات واسعة بموجب مراسيم تشريعية وضعت لهذا الغرض، ففي كانون الأول ١٩٥٦، على أثر موجة إلقاء القنابل والمتفجرات التي استهدفت منشآت ومؤسسات عامة رسمية وشوارع وأحياء في عدد من المدن، كلف الجيش حفظ الأمن والنظام ووضع رجال الدرك والشرطة بتصرفه، وقد أعيد العمل بهذا النظام عام ١٩٥٧ ووضعت خطة لمواجهة أي محاولة تخريب مسلحة وتعقب المخلين بالأمن واعتقالهم ومراقبة قبائل البدو والعرب الرحل المقيمين في

١ - نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ١٠٤.

مخيم عند الحدود اللبنانية ـ السورية، فإذا بالمناطق الواجب مراقبتها تتسع وأصبحت قوى الأمن غير قادرة على بسط سلطتها كما يجب.

فإذا كان هاجس ضرورة تدخل الجيش لقمع المعركة خوفاً من امتدادها إلى الأسوأ، خاصة وأن أطرافاً خارجية، سوريين وفلسطينيين، تساعد المتمردين في شوارع بيروت والمدن التي اندلع فيها القتال، وليس من مبرر لعدم دخول الجيش للفصل بين المتحاربين ولجم القتال، وخلق جو من الثقة والاطمئنان لدى البعض، وإلزام المهاجمين على لجم تورطهم في العصيان، لأنه لا معنى لوجود جيش، عندما يترك الناس يتقاتلون ولا يتدخل لتفريقهم، لاسيما وأن المعارضة لاقت الدعم المادي والعسكري والبشري من أسلحة وذخائر وعتاد حربية وقنابل، ومسلحون يربون عن ١٥٠٠ عنصر، بالمقابل لم تعتمد الموالاة على أي دعم خارجي لأن الدعم الرئيسي والمنطقي إنما كان على الجيش، الذي يعود له حماية الحدود والنظام وعدم ترك الأحقاد تتفاقم، خاصة في بلد كلبنان، حيث الانقسام الطائفي، يظهر بسرعة للوجود، فإذا كان ميثاق ١٩٤٣، لا للغرب ولا للشرق، فعلى الأقل، إنه يضمن حياة الناس العزل من السلاح، فلا يجوز تخطيه وترك اللبنانيين يحاربون بعضهم بعضاً ولا قوة رادعة تصونهم.

لكن إذا كان ذلك منطق الموالاة فللمعارضة أيضاً منطقها فهي تسعى بكل ما أوتيت لنشر الفوضى في البلاد لحمل الرئيس شمعون على الاستقالة.

إزاء هذين الوضعين المتناقضين، كان لقائد الجيش الدور الأصعب الممكن اتخاذه، فإذا به يردع الضباط اللبنانيين، بجميع فئاتهم بما يمكن اتخاذه من إجراءات إزاء ما يدور في البلاد(١).

حصر الثوار في منطقتهم، والحؤول دون تجاوز حدود تلك المنطقة، إلى منطقة أخرى قد يلاقون فيها معارضة من بقية القاطنين.

١ - في الواقع بعدما رفض طلب قطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا، واستقالة رئيس الحكومة عبد الله اليافي ووزير الدولة صائب سلام في ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٦، قصد الجنرال شهاب القصر الجمهوري، ولوح بالاستقالة، لكن لم يلق الإيجاب، وكان يفضل البقاء خارج الصراع الداخلي، أنظر: نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ١٧٥.

- عدم السماح للثوار بالتقدم وإسقاط المطار الدولي ليصبح تحت سلطتهم.
- عدم السماح للثوار بمهاجمة القصر الجمهوري وإجبار رئيس الجمهورية على الاستقالة.
- عدم السماح مطلقاً لأي تجاوزات تحصل في عكار بوجه الخصوص، كون معظم الجيش من تلك المنطقة، وخوفاً على السلبيات غير المستحبة.
- عدم السماح للثوار بالتعرض لثكنات الجيش في طرابلس.
- بالمقابل كان للرئيس فؤاد شهاب موقفاً مغايراً فيما خص القتال في الشوف.

لم تكن المؤسسة العسكرية تتعامل مع الثوار إلا من منظار الأخوة الشاملة التي تجمع اللبنانيين بجميع أطيافهم، فهي، وإن تصدت لمواقعهم، فإنما هدفت إلى تحذيرهم وردعهم وليس لقتلهم أو إصابتهم مباشرة، فالمدفعية كانت تستهدف مواقع محاذية لمواقعهم، بغية وقف محاولات احتلالهم للمراكز الرئيسية، فكانت ثلاث شاحنات طحين قاصدة دير القمر تصدى لها مسلحو كمال جنبلاط في الباروك ومنعوا مرور القافلة بإطلاق النار عليها من بلدة بتلون، أخذت مدافع الهاون تحول دون مرور الشاحنات وكانت مدفعية الهاون بعيدة عن موقع القتال، وفي اليوم التالي، تقدمت الشاحنات بصورة سلمية، بعد وصول الرسالة الأمنية إلى جنبلاط، تسمح مرور الشاحنات إلى دير القمر[١].

الفقرة العاشرة ـ المطالبة باستقالة الصلح

حضر معارضون، ومعهم عدنان الحكيم رئيس حزب النجادة، لعند دولة الرئيس سامي الصلح، وأبلغوه أن المسلمين يطلبون منه الاستقالة، باعتقادهم أنه لن يبقى أمام شمعون سوى الاستقالة. حضر الصلح إلى قصر الرئاسة مقدماً استقالته للرئيس شمعون، بحضور الوزير بيار اده. ويقول في مذكراته: «فلا الأيام الثلاثة من اندلاع الثورة ولا الثلاثون، استطاعت إسقاط الحكم، كما كان السراج والسفير غالب

١ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب (مقابلة مع اللواء سامي الخطيب)، ص ١٩٦.

والمعارضون يعتقدون، فخابت ظنونهم ورأوا أن الوسيلة الوحيدة للتخلص من شمعون هي في استقالة رئيس الوزراء، وامتناع المسلمين من تأليف حكومة، فينهار الحكم من تلقاء نفسه، قصدت القصر وقدمت استقالتي للرئيس شمعون» الذي كان يسعى لتأليف حكومة اتحاد وطني تضم المعارضين للفترة الوجيزة المتبقية من ولايته، إلا أن شمعون جمد الاستقالة بضع ساعات.

قام ريمون وبيار اده بدور مهم في التوسط بين الحكومة والمعارضة في الشهر الخامس وأوائل الشهر السادس من عام ١٩٥٨، وقد تم الاتفاق على أن يتولى اللواء شهاب رئاسة الوزارة بصورة مؤقتة لتهدئة الأوضاع، ووافق شمعون على هذا الطرح، لكن ما إن عرفت المعارضة بأن اللواء شهاب سيتسلم رئاسة الوزارة حتى أسرع صائب سلام ورفاقه وأوفدوا مجدداً الوفد نفسه ومعه رفيق نجا، ليقول إلى الرئيس سامي الصلح: «طلبنا منك بالأمس أن تستقيل، أما اليوم فإننا باسم المسلمين نطلب منك أن تبقى في الحكم لمنع شمعون من تحقيق مآربه»[١]. فالثنائية في رأس السلطة اللبنانية كانت تقود إلى الوهن والضعف وعدم إمكانية اتخاذ المواقف الجازمة، فالدولة اللبنانية تركزت على مبادئ الحرية والديموقراطية، مقابل الدول المحيطة بها، المستندة إلى الدكتاتورية ونظام الحزب الواحد[٢]، فإذا بالنظام اللبناني جاء كنقيض لها، فحاولت جهدها للتخلص منه. وبالمقابل حاول لبنان جمع تناقضاته في أحزاب تدّعي الديموقراطية والحرية، إنما في أساسها طائفية بمعظمها، كنتيجة طبيعية للنظام الطائفي المكرس.

الفقرة الحادية عشرة ـ خيبة أمل المعارضة

خاب أمل المعارضة بعدما تعذّر عليها تحقيق غايتها وهي دفع شمعون للاستقالة بخلال ٣ أيام من اندلاع الثورة، وأنهم يستطيعون خلالها إسقاط الحكم، كما اعتقد

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٩٧؛ ـ طالبت المعارضة شمعون بالاعتدال وتكليف شهاب رئاسة الدولة مؤقتاً على نحو ما حصل عام ١٩٥٢، عشية انتخاب شمعون رئيساً للجمهورية وكان جنبلاط أشد المتحمسين لتكرار التجربة، لكن شمعون رفض وبدأت الاشتباكات وكانت حصيلة ٣ أيام منها: ٥٠ قتيلاً و٢٠٠ جريح». أنظر: نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٩٣.

٢ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ١٥٣.

في حينه كل من عبد الحميد السراج والسفير غالب والمعارضون، مما أدى إلى زيادة العنف، وفي ٢٦ حزيران اندلعت اشتباكات في طرابلس أدت إلى تدخل الجيش، ومع مطلع تموز كانت الصدامات الدامية لا تزال في مناطق عدة[١].

الفرع الثاني ـ الاشتباكات

الفقرة الأولى ـ ثورة ١٩٥٨ كانت شريفة[٢]

إبان ثورة ١٩٥٨ كان أسد جمال، أحد أركان الحزب التقدمي الاشتراكي، ذاهباً عن طريق المديرج، وعندما وصل إلى نبع الصفا، احتجزه الشباب هناك، ولما وصل الخبر إلى نعيم مغبغب، أسرع إلى إرسال شخص موضوع ثقة، فاعتذر منه وأوصله إلى الفريديس، لإكمال طريقه.

كذلك قبض على شخص كان بقرب بيت نعيم مغبغب في جيبه قصاصات من الجرائد، وكان يحزم رجليه بالديناميت، فحجزوه، وفوضت مجموعة عارف الزعر بالسهر عليه. في الليل، أتى فؤاد الزعر وكان على اتفاق مع نعيم مغبغب، فأخذ يستجوبه، قائلاً أنا درزي أكثر منك مليون مرة، إذا تكلمت الصحيح نطلق سراحك، فأفاد أنه من المتن يعمل طراشاً، وهوهنا لينسف جسر نبع الصفا. وعند الساعة التاسعة قام عارف الزعر وحسين الدويك وأوصلا الموقوف إلى المديرج ليعود أدراجه.

الفقرة الثانية ـ اشتباك قوى الأمن اللبناني والقوات السورية

بتاريخ ١١ و١٢/٩/١٩٥٧ وصل إلى دير العشائر ١٧٥ نفراً من قوى الأمن اللبناني لوضع حد لعمليات تهريب الأسلحة الواردة من الحدود السورية، والتي كانت تجري منذ مدة في تلك المنطقة. وبتاريخ ١٢/٩/١٩٥٧ هوجمت هذه القوى من عدة

١ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ١٠٠.
٢ ـ مقابلة شخصية مع فؤاد الزعر.

نقاط من الجبال السورية المجاورة، حيث كانت الشاحنات التي يرسلها عبد الحميد السراج ناقلة السلاح ومعززة بجنود نظاميين[١].

ردت قوى الأمن على التعديات، وتبين أثناء المعركة بأن عدد المقاتلين السوريين في ازدياد متواصل بفضل الإمدادات التي أحضرت، مما سبب وقوع رجال الأمن اللبنانيين أسرى.

ويروي سعيد تقي الدين فيقول[٢]: «إن الكميونات التي كانت تأتي بالسلاح من دمشق كانت ضخمة ذات أربعة دواليب، وكان أصحاب البغال الذين ينقلون السلاح من البقاع إلى المختارة يتقاضون مئتي ليرة على النقلة. وفي العودة كان هؤلاء المكاريون يقتلعون البصل ويحملونه على البغال هدية غير مهدية، وكانوا يقطفون التفاح عن الأشجار بقطع الأغصان ثم يحملونها على دوابهم، وقد ثار منهم أصحاب البساتين بأن زادوا السموم في أدوية الرش إلى مئة بالمئة. ومرة أطبق الثوار على بستان يأكلون التفاح فمات منهم كثيرون».

في ١٥/٥/١٩٥٨، وصلت قافلة كبيرة تتألف من ثلاثمئة متطوع وعدد من البغال المحملة بالذخائر إلى الشوف، اعترضتها الطائرات في نيحا. وفي ٢٣/٥/١٩٥٨ توجهت حملة تربو عن الأربعمئة مسلح.. جاءت من جبل الدروز في سوريا، وبينما كانت في سهل البقاع فاجأتها الطائرات. ثم حصلت معركة أخرى في جبل الكنيسة بين مهربي السلاح وقوى الأمن الداخلي، واضطرت قوة من الجيش للتدخل، فضربت بمدفعية مصفحاتها، بعض الجهات المحيطة بقرية مجدل بعنا لمنع تفاقم الحالة.

وكان حصل تسلل بحري من قطاع غزة وتل كلخ وتكرر مراراً. استطاعت البحرية اللبنانية التابعة للجيش اللبناني إلقاء القبض في أواخر أيار، على ثلاثة زوارق تحمل عدداً من الفلسطينيين المسلحين، وكمية من الذخائر.

١ ـ تميز صيف ١٩٥٧، بشتى أنواع الشغب: نسف جسور في الشوف، وسد الطرق وكانت المعارضة تعقد الآمال على ترشيح الزعيم الماروني الكبير، حميد فرنجيه، لكنه أصيب بداء عضال، أوقفه عن العمل السياسي فزاد ارتباك المعارضة؛ أنظر: كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٧.
٢ ـ سعيد تقي الدين، أنا والتنين.

الفقرة الثالثة ـ الهجوم على قصر بيت الدين

في تلك الأثناء، وبتاريخ ١٩٥٨/٥/١٢ مساءً طلبت أفواج المعارضة المسلحة من حامية قصر بيت الدين تسليم سلاحها. رفضت الحامية الطلب وكانت بقيادة الضابط سامي الحشيمي. وفي صباح اليوم التالي، هاجم القصر مجموعة من الثوار ردتهم الحامية على أعقابهم. أعيدت المحاولة في اليوم التالي فلاقت المصير نفسه. عندما اشتدت المعركة بادر نعيم مغبغب إلى المساندة. هاجمت أربع مصفحات الثوار الذين تراجعوا، ولحقت بهم إلى سهل السمقانية، قرب التمثال اليوم، باستثناء شخص واحد يدعى يوسف أبو كروم، ظل يقاتل حتى نفاذ ذخيرته، فطوقته قوات الأمن وألقت القبض عليه، وجلبته إلى مخفر عين زحلتا حيث تواجد نعيم مغبغب، فلما رآه طلب إطلاق سراحه، فتم ما أراد.

بتاريخ ١٩٥٨/٥/١٩، ألقت قوى الأمن القبض على ثلاثة رجال قرب قرية مجدل عنجر، وقد اعترفوا عند استجوابهم أنهم ذهبوا إلى مناطق قريبة من الحدود اللبنانية السورية ليتزودوا بأسلحة وذخائر لنقلها إلى دير العشائر واستعمالها ضد الحكم القائم. وقد دخلت عدة سيارات قادمة من سوريا حاملة أسلحة وذخائر وعناصر مسلحة إلى بيت راعي، شقيق شبلي العريان[١].

الفقرة الرابعة ـ الهجوم على المصنع (مجدل عنجر)

وبالتاريخ نفسه، هاجمت قوة مؤلفة من الثوار، وما يزيد عن مئة سوري، مركز الدرك اللبناني في المصنع لحمل السلطات على إطلاق سراح القنصل البلجيكي، فقتلوا من فيه ونسفوا مركز الجمارك وقوى الأمن، وقد قتل ستة موظفين لبنانيين بهذا الهجوم، وكانت القوة قد أتت من دير العشائر الواقعة على الحدود اللبنانية ـ السورية، بدفع من شبلي العريان الذي وزع عليهم السلاح بمعاونة ضباط من الجيش السوري.

---

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٩٢.

الفقرة الخامسة ـ احتلال قلعة طرابلس، والثوار خط أحمر

أقدمت عناصر مسلحة على احتلال قلعة طرابلس، طوَّق الجيش مداخل المدينة من الناحية الشرقية الجنوبية. آزر سلميان فرنجية ورينيه معوض الثوار بسبب معارضتهما لرئيس الجمهورية، بسبب موقفه منهما إثر مجزرة مزيارة.

كان الجيش والثوار على اتفاق ضمني بصدد حدود انتشار كل فريق، فعندما أطلق الثوار النار على موقع الجيش وقتلوا ثلاثة منهم، أعطى العميد سيمون سعيد أمراً بالدفاع عن النفس، إلا أنه أخضع للتحقيق بسبب خروجه على التعليمات العسكرية، بالرغم من أن تصرفه كان دفاعاً عن النفس بعد الاعتداء الذي تعرض له[١] بمعنى أن حدود الثوار خط أحمر ممنوع تجاوزه.

الفقرة السادسة ـ الهجوم على سوق الغرب (١٩٥٨/٦/٢٧)

كان جنبلاط يهاب من إقدام الدولة، إذا ما اضطرت، إلى الاستعانة بجيوش أجنبية، فاستعجل بحشد جماعته ومقاتلين من جبل الدروز يقدرون بـ ١٠٠٠ مقاتل، بقيادة شوكت شقير، شانا هجوماً على منطقة سوق الغرب، وذلك بتاريخ ١٩٥٨/٦/٢٧، لكن الحزب السوري القومي الاجتماعي، المرابط في أحراج بشامون، تسانده فرقتان من قوى الأمن الداخلي، تصدت للهجوم، ودامت المعركة عدة أيام أسفرت عن تراجع المهاجمين تحت وطأة نيران الطائرات والدبابات والمدفعية، في حين سقط عدد كبير من الضحايا[٢].

الفقرة السابعة ـ معركة بتلون (٦ آب ١٩٥٨)

كان التعاون القائم بين نعيم مغبغب والأمير مجيد أرسلان وثيقاً وصادقاً، يعود جذوره إلى السنين العشر السابقة، حيث كانا جنباً إلى جنب في معركة فلسطين، ومعركة الاستقلال، وها هما يدافعان سوية عن الشرعية اللبنانية، وكان الوفاق قائماً مع الرئيس كميل شمعون، على أنه لا يجوز للمعارضة أن تتسلط على البلاد، لذلك

---

١ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب (مقابلة خاصة مع العميد سيمون سعيد).
٢ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢١١.

وجب وقف التدخل الناصري في شؤون البلاد الداخلية. ترأس الأمير مجيد اجتماعاً في مجدل بعنا لأنصاره ودعاهم في ٦ آب ١٩٥٨ لملاقاته في بيت الدين، لوقف الزحف الجنبلاطي عليها، توجه على رأس رتل من السيارات باتجاه الشوف، تلاقى مع نعيم مغبغب في نبع الصفا، وأكمل سيره إلى بيت الدين. لقد اشترك «الأمير شخصياً، وأظهر شجاعة»[1] بعكس ما يقوله أخصامه، وكانت المناوشة قصيرة في ضهور بتلون ـ كفرنبرخ، حيث كان يقاتل أرسلان، وقرب عين المعاصر حيث كان يقاتل نعيم وأفراد منْ مناصريه مسيحيين ودروز، وما كاد موكب الأمير يصل إلى أحد المنعطفات في تلك المنطقة حتى انهال عليه الرصاص، فقتل مرافقيه أحمد ملاعب وآخر من آل ملاعب أيضاً من بيصور.

انخضت المنطقة على أثر هذه الحادثة فتحرك مشايخ من الطائفة الدرزية، وعلى رأسهم شيخ العقل واجتمعوا بالأمير مجيد في الباروك وألحوا عليه بالتوقف عن القتال والعودة إلى داره، لأنه لا يجوز المتابعة في معركة لا فائدة منها.

وأخبرني شاهد عيان خلافاً لما تتداوله الكتب التاريخية بأن الأمير مجيد أرسلان بعدما وصل إلى مفرق حاجز بتلون انهمر الرصاص عليه فأكمل طريقه إلى كفرنبرخ وتجمّعت الوفود الشعبيّة حوله وألقى بهم خطاباً وكان يلبس كوفيّة وعقال ومعه المعدلة، في منزل آل عماد.

ـ المصالحة بين أرسلان وجنبلاط

وخوفاً من استفحال الخلاف وتحوله إلى شقاق دموي بين أبناء الطائفة الواحدة، خاصة أن كرسي الرئاسة الأولى هي للموارنة، فليس من داع إلى خلق نزاع بين أبنائها، مما حمل الشيخ محمد أبو شقرا (شيخ عقل الطائفة الدرزية) إلى إرسال موفدين إلى الأمير مجيد مباشرة بعد مقتل مرافقيه، اجتمعوا به في الباروك، ووجه نداء إلى كل من جنبلاط وأرسلان والأعور يدعوهم فيه إلى وقف القتال حقناً للدماء فعاد أرسلان إلى مقره في خلده بتاريخ ١٨/٥/١٩٥٨ وأعلن المصالحة مع جنبلاط.

---

١ ـ سعيد تقي الدين «أنا والتنين»، ص ١٠٠.

الفقرة الثامنة ـ مناوشات البصيل (قرب عين زحلتا)

تجمع ما يزيد عن ٤٠ شخصاً من الثوار عند أديب المشرفية، وكانوا يريدون التوجه مساءاً إلى مخفر عين زحلتا، عرفت بهم القيادة، فوجهت فرقة بقيادة العقيد أبو طقة، وكان معه قائد السرية وهو من زغرتا، فأرسلا ٣ مصفحات إلى شق العجوز، فتوقف الزحف.

الفقرة التاسعة ـ معركة الفريديس

يروي السيد عواد أبو كميل الملقب بـ «الحصان» والذي شارك في القتال (وابن أخته حليم رزق الله) ما يلي:

كان توفيق عماد من العزونية يتردد دوماً لعند نعيم مغبغب، وكنت أنا عند نعيم أيضاً، عندما طلب منا التوجه إلى بيت الدين لتحرير السراي من الهجوم الجنبلاطي، فذهبنا، وأجبرنا القوة المهاجمة على التراجع حتى السمقانية، وأسرنا يوسف أبو كروم، فطلب منا نعيم المحافظة على كرامته وإعطائه ليأكل، وبعدما وصلنا إلى مشارف المختارة، أعطيت الأوامر لنا بالانسحاب، وكنت مغتاظاً، فبعد مسيرة يومين من العذاب والرصاص، إذا بالأوامر تعيدنا إلى نبع الصفا.

كنا نقوم بحراسة منزل نعيم مغبغب في نبع الصفا، ومعنا فريد حمادة برفقة خمسة أو ستة أشخاص من مزرعة الشوف، وبعقلين وكفرحيم فأصبح عدد المقاتلين الدروز يضاهي عدد المسيحيين، نذكر كمال غضبان وحسن الدويك، وسليمان عساف من الورهانية وشباب من آل عماد.

بعد فترة، أخذ الرصاص ينهمر من تلة الحصن، فوق بيت نعيم مغبغب، فوصل الضابط مع العسكر وأخذوا يتسللون إلى القلعة، وطلبوا مساعدتنا فطلعت أنا وتوفيق عماد. كانوا يرمون على الهاون ٦٥/٨٢.

أعطى الضابط الأمر بالتقدم، فلم يستجب أي من الدركيين، فتقدمت منه شخصياً على المتراس، ورأيت أحد الأشخاص مصاب برجله، وهو ابن أبو غادر ابن

المختار، فطمأنه نعيم مغبغب، طبب جراحه، ثم توجهنا لحراسة الفيريديس وكان قد وصل الجيش ووافق على ما نقوم به.

وبدون سابق إنذار، انسحب الجيش بدون علمنا، وقال لي الضابط بوطقة، إننا سننسحب انتبهوا لا تذهبوا إلى أكثر من بتلون ولا تتحرشوا بالثوار.

وما إن نزلنا إلى بيوتنا في الفريديس، حتى أخذ الرصاص ينهمر علينا من الباروك ومن فوق تلال الفريديس، طلع المسلحون للدفاع عن أنفسهم، بقينا ٣٦ ساعة وأرغمناهم على الانسحاب من الضيعة، بعدها هاجمنا آلاف المسلحين ونحن كنا ١٧ شخصاً، وبقينا ثلاثة أيام نقاوم، فقلت الذخيرة والعتاد، مما سمح لهم بالدخول إلى الفريديس، وقد أصبت أنا في رجلي. أتى بعض الدروز وأخذوني إلى المختارة كأسير، وبقيت ٣٦ يوماً وكان في رجلي الرصاص، وما زال فيها حتى اليوم، فطلبت من الطبيب أن يرسلني إلى بيروت وإلا سيضطرون لبترها.

أخذوا يساومون على تبادل الأسرى، فأخلى لهم الرئيس شمعون ٢٦ أسيراً بينهم محكوم بالإعدام وآخر ضابط اسمه حسين الحاسر.

وفي اليوم الثاني حمَّلني كمال جنبلاط كتاباً إلى الدكتور إميل الرياشي ولمّا وصلت إلى عين دارة تعالت الزغاريد والقواص، وأخذني خالي حليم رزق الله، ومخايل جدعون، إلى الدكتور أنطوان سعيد لمعالجة رجلي، وبقيت قصيرة ٣ سنتم وكان يلزمها وصلة. وبعد خروجنا من المستشفى ذهبنا إلى عين داره وبقينا خمسة أشهر في أنطش الكنيسة، وكنتِ متزوجاً منذ تسعة أشهر، فولدت زوجتي في عين داره، عند بيت جريس أبرام.

بعدها سمحوا لي بالعودة إلى الفريديس لأن جميع الدروز يسلمون علينا وعادت الأمور إلى نصابها.

في محلة ضهر البربر فوق عين زحلتا هناك متاريس قوية تشرف على جميع المناطق، أتت طائرة حربية وقصفت الموقع، فانسحب المقاتلون، وقتل شخص اسمه عيد من تنورين (كانوا أربعة من تنورين) وهو كان متمترساً في قلعة مقابل شقيف «حياك

الله» فلما انسحبت قوات نعيم مغبغب لم يعلم بذلك، فوصل الجنبلاطيون إليه قرب عين العدس، فألقوا القبض عليه وقتلوه.

وكان هناك شاهين كبول، أخ المختار حسين كبول، بحوزته بارودته، وصلوا إليه وأخذوا البارودة وتركوه، وهو الذي أخبرنا بأنهم قتلوا عيد في عين العدس، فحمله يوسف نجم خاطر وغيره إلى عين زحلتا، ثم أرسل إلى قريته.

بعد قصف متراس «ضهر البربر» من قبل طائرة حربية، تراجعت الجبهة، فأخذ الناس يتركون منازلهم إلى مجدل المعوش ودير مار مارون في المعوش والمريجات.

الفقرة العاشرة ـ معركة عين زحلتا ـ الصفا في ١٩٥٨/٧/١٢

بقيت عين زحلتا، خالية من أهاليها، ومن طرفي النزاع، مدة يومين، ذهب على أثرها بعض منهم برفقة كاهن الرعية كامل سعد والخوري يوسف (الكاثوليكي) إلى المختارة لملاقاة كمال جنبلاط، حيث أبلغوه أن مقاتلي نعيم مغبغب تراجعوا عن عين زحلتا، وأنهم يريدون إبقاء الضيعة على الحياد.

أخذ الجنبلاطيون يتوغلون إلى معبور سلمان فوق نبع القاعة، وكان مقاتلو نعيم يحرسون المنزل، وقتل عندها بشارة مغبغب في المنزل ذاته، بعد فترة يومين قيل بأن الجيش سيتدخل، لكنه لم يفعل فطلب نعيم من أنصاره التراجع.

وصلت فرقة من الجيش من ثكنة أبلح عن طريق العليق بين بمهرين والأرز ودخلت الساحة حتى بيت ثابت. أطلق أفرادها النار على الصنوبر المجاور لأسباب أمنية.

كانت أم الياس غنطوس، وأم فارس شاهين مختبئتين في القبو عند إبراهيم الياس، وعندما علموا بأن الجيش وصل إلى عند أوتيل نجّوم وتوقف، فتشجعتا وخرجتا من مخبئهما.

ثان يوم الساعة الرابعة، كانت ليلة رهيبة بالقواص، فانسحب الجيش من كل المنطقة ومترس قرب مستشفى العزونية.

مهد الجيش لانسحابه بإطلاق نار كثيف جداً في الليل، وكان عبارة عن أصوات بارود دون قذائف، مما خلف جواً من الهلع والخوف لدى مواطني عين زحلتا، فإذا بهم يهربون إما سيراً على الأقدام وإما بواسطة سيارات الشحن التي كانت تقلهم إلى «القاطع» أي إلى مجدل المعوش وكفرنيس، وبصورة خاصة إلى دير مار مارون في مجدل المعوش، الذي استقبل المهجرين. لم يقتصر الانسحاب من عين زحلتا على أنصار المغبغب، بل شمل الموالين لجنبلاط الذين توجهوا صوب الباروك، وإذ بعين زحلتا خالية كلياً من أهلها، ما عدا بعض المسنين القابعين في منازلهم. بعد ثلاثة أيام اتصل ملحم قبلان كرامي وتوفيق كامل سعد بالخوري الكاثوليكي الذي كان يسكن في أنطش كنيسة عين زحلتا، وبعض وجهاء البلدة، وذهبوا إلى المختارة للقاء كمال جنبلاط وطلبوا تحييد عين زحلتا. أخذ أهالي عين زحلتا بالعودة إليها تدريجياً، معارضين وموالين، لتدب الحياة فيها من جديد.

يروي شاهد عيان هو عزيز منصور فرام من مجدل العاقورة في منطقة جبيل معارك نبع الصفا كما يلي: طلب مني الأستاذ نعيم توزيع الخرطوش قبل يوم من الهجوم على ضهر بربر، حيث كان هناك متراس فيه «هوتشكيس» ويطل على كل المنطقة المقابلة بشكل واضح. حملت الخرطوش بعربة رياض سعد، وذهبنا معاً، عزمنا رياض لنشرب قهوة في منزله، وعندما انتهينا إلى الساحة، التقيت بأمين الكوكاش من العزونية، يقال له أمين عبد الله، وقال لي أنه قتل فريد صعب، بين عينيه، كان في الدرك، أخذ فرقة معه ولما صعدوا إلى الفريديس قتلوه رفاقه، اعتقدوه من الخصم! وصلت إلى بيت إنعام رعد كان درك عين زحلتا يأكلون كرز أمام البيت، ولما وصلت عرفوني، وكان أحد الدركيين ضد المغبغب، فقال لي كلام ناب عنه، فأجبته بالمثل عنه وعن أسلافه، وقلت في نفسي إذا مد يده إلى البارودي، فأسدده قبل أن تصل يده إليها، قام أحد الدركيين الآخرين واسمه الياس وقال نريد أن نأكل كرز، وإذا لا تريد فيمكنك الذهاب إلى المهنية.

وصلت إلى ضهر بربر، قرب المتراس، وكانت الشمس تميل إلى المغيب، نادى أحد الأشخاص يا شاهين، فلم يرد، قال لا تقوسوا عليه، قد يكون من رفاقنا، ذهبنا ثلاثة أشخاص إلى الشخص الرابع، ولم نكن نعلم من هو، ولم نعرفه، قمت وركضت

إلى أحد رفاقي وكان الرصاص يلاحقني، وقتل في حينه، عيد أبي يونس من العاقورة، فنزلت إلى عين زحلتا والتقيت الأستاذ نعيم، وأخبرته بمقتل عيد، في تلك الأثناء وصلت بوسطة فيها بعض الشبان من العاقورة من بينهم أبي أسعد أيوب عساكر، سلمت عليهم وسألتهم لماذا آتون إلى هنا، وقلت لهم إننا أغراب هنا، يجب العودة، وقد بدأت بعض المشاكسات، فتدخل أمين الكوكاش لترطيب الأجواء، وأخبرت الأستاذ نعيم، وعدنا إلى العاقورة في شاحنة مع البواريد.

ومما قاله، كانت كلمة السر تمر بسهولة إلى الثوار، وعندما قتل المرحوم بشارة المغبغب، في منزل نعيم مغبغب، وكنت بجانبه، مرّ وفد من الثوار إلى المختارة من قرية عين داره، ولم يحترموا جثة أحد المقاتلين، فلما رجعوا، ربطوا لهم أهالي عين داره وقوسوا عليهم وساندهم أهالي اغميد، فتدخل عندها جميل التياني الذي كان مع الثوار، واتصل بنبع الصفا وسويت القضية.

كان جنبلاط يستقدم مقاتلين غير لبنانيين، وكما صرح فؤاد شهاب قائد الجيش آنذاك، أن هناك ما يزيد عن ١٥٠٠ مقاتل عبروا إلى مواقع الثوار.

صعد الثوار ووصلوا إلى قرية الفريديس وأشعلوها، وصلوا إلى بيت سليم مارون وكان بيته على الصفصافة، فقتلوا ابنه على الدرج، وجرحوا خمسة أو ستة، ووصلت النار إلى البيوت، وكان قد وصل كمال جنبلاط إلى الفريديس، فوقف أمام منزل سليم مارون فطلب حمايته فأخذه معه إلى المختارة، وكان لا يزال هناك (إلى اليوم).

قتل شخص من بمهرين فريد صعب وكان شجاعاً ومقداماً على بيادر الفريديس، لم يستطع الشباب سحبه من أرض المعركة، فصفى دمه.

الفقرة الحادية عشرة ـ الوثيقة السرية

أحداث الشوف تركت انطباعاً لدى رئيس الجمهورية بحقيقة العلاقة المترجرجة مع قائد الجيش، ففي بادئ الأمر انتصر الجيش على المقاومة، وهذا أضعف الإيمان، لكن مغزاه يبقى للدلالة، فبالنسبة إلى كميل شمعون ساومته الشكوك حول علاقته بقائد الجيش، وما رافق أحداث الشوف ودور الجيش فيها، في خضم المعلومات المتضاربة التي وصلت إليه من قيادة الدرك، مما قاده للتأكيد بوجود تواطؤ ضمني بين فؤاد شهاب

وكمال جنبلاط. ففي بدء المعارك كان هناك بطارية مدفعية للجيش عند تخوم عين داره، منعت تقدم الثوار إلى عين زحلتا، حيث كان مقاتلو نعيم مغبغب، وكان جنبلاط قد خسر معركته الأولى وتراجع رجاله إلى الباروك بعدما منيو بخسائر، لكن شمعون كان يسأل عن مغزى عدم تحرك الجيش، وقد اقتصر عند هذا الحد، ولم يتعقب أنصار جنبلاط الذي بقي مهيمناً على الجزء الجنوبي من الشوف، وعلى خطوط مواصلات تربط قرى في المنطقة بعضها ببعض. لكن وصل إلى مسامع شمعون بأن هناك اتفاقاً سرياً وقعه فؤاد شهاب وكمال جنبلاط وجّه بموجبه تعميماً داخلياً خاصاً إلى مسلحيه في ١٥ حزيران ١٩٥٨ تناول تفاوضاً حول إدارة العلاقة بينهما في تلك المنطقة. فاتح شمعون قائد الجيش في أمر التعميم، فأنكر معرفته به. لكن شمعون لم يصدق بالتزامن مع تلقيه أنباء أخرى عن تقدم كان يحرزه مسلحو جنبلاط للوصول إلى عاليه، أما ذاك الاتفاق، فقاد شمعون إلى زيادة دعمه للآلة العسكرية الأخرى المتمثلة بالدرك بقيادة سيمون زوين، وقد زاد عديدها إلى ٢٤٠٠ رجل ضباطاً ورتباء وأفراداً، وأصبحت القوة الضاربة لحماية الشرعية والدفاع عنها ضد المقاومة الشعبية. ومن جهة أخرى، اضطلع مدير الأمن العام فريد شهاب بدور رائد في الدفاع عن الشرعية، فكان يزوده بكل المعلومات التي كانت تكشف ضلوع الاستخبارات المصرية والسورية في الأحداث اللبنانية. لم يكن الرئيس شمعون يثق بالاستخبارات العسكرية التي فضلت حصر معلوماتها في عهد الرئيس فؤاد شهاب، ومع ذلك بقيت امرأة أنطون سعد رئيس الشعبة الثانية، تزور القصر باستمرار[1].

أما مضمون الوثيقة السرية فقد كشف عنها د. عباس أبو صالح في مؤلفه الأزمة اللبنانية عام ١٩٥٨، في ضوء وثائق يكشف عنها للمرة الأولى، عام ١٩٩٨، صفحة ٢٧٢ وذلك على أثر اجتماع جنبلاط مع قائد الجيش الجنرال شهاب ومما جاء فيها:

حضرة الصديق الكريم العقيد شميط المحترم

أرجو أن تأخذوا علماً أن اجتماعي البارحة مع اللواء شهاب أسفر عما يلي:

١ - يضع الجيش على الهضبة المحيطة بفندق نجوم قوة صغيرة.

٢ - تبقى نقطة التفتيش في بتلون على حالها.

١ - نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ١٩٦ وما يليها.

٣ - طريق عين زحلتا - بيت الدين تصبح حرة تماماً لانتقال المدنيين غير المسلحين والمؤن ونرفع نحن عن جانبيها مباشرة أي مخفر أو نقطة مسلحة.

٤ - يحق للقوة الموجودة على الهضبة غربي فندق نجّوم أن ترسل من وقت لآخر دورية آلية حتى بيت الدين (لا يتجاوز عددها ٣ آليات).

٥ - يترك الدرك تمركزهم على هضبة الكرسي جنوب شرقي بيت الدين ويلتحقوا بثكنتهم في قصر بيت الدين، ولا يتجاوزوا، وفقاً لاتفاق سابق، حدود مساكن البلدة، يمكنهم أن يبقوا خمسة من رجالهم فقط للمراقبة على هذه الهضبة.

٦ - قوة الدرك في بيت الدين لا يجوز زيادة عددها مطلقاً.

٧ - الدركيون الذين يرسلون خارج بيت الدين بإجازة أو بداعي المرض ينتقلون بواسطة آليات الجيش وكذلك في العودة إليها.

٨ - سير المسلحين من رجالنا على الطريق ممنوع بين الساعة الثامنة صباحاً والسادسة مساء.

٩ - تنقلات رجالنا من مراكزهم الأمامية إلى مراكز الاستراحة في الخلف تجري بين الساعة السادسة مساء والثامنة صباحاً.

١٠ - لا يدخل الدرك عين زحلتا ويكتفي بمركز للدرك في الصفا وينحصروا فيه.

١١ - المنطقة الممتدة بين عين زحلتا - المديرج تكون خالية تماماً من اتباع مغبغب والجيش هو وحده المسؤول عن هذه المنطقة وليس الدرك، ويحرص الجيش على أن لا يتسلل رجال نعيم مغبغب إلى الصفا.

مؤيدوننا الذين اضطروا لترك منازلهم بسبب اضطهادهم من قبل الدرك وعصابة مغبغب في قرى عين دارة - العزونية - اغميد - عين زحلتا - والصفا يعودون إليها، ويوفر الجيش سلامتهم وطمأنينتهم.

ملحق رقم (٢١)

صورة عن مضمون الاتفاق بين قائد الجيش اللبناني فؤاد شهاب وقائد الانتفاضة الشعبية في الشوف كمال جنبلاط يقضي بتولي الجيش مهمة تأمين الطريق الرئيسة بين المديرج وبيت الدين لتنقل المدنيين أثناء النهار.

المصدر: تراث كمال جنبلاط ملف رقم ٤٣٠٤.

الفقرة الثانية عشرة ـ فؤاد شهاب وعداوته لشمعون ومغبغب[١]

تدخلت القوات المسلحة مساندة للثوار في الشوف، وقد حصلت التجاوزات التالية:

١ ـ الطائرات تقصف «الهوتشكيز» الرشاش المركز في تلة ضهر بربر، وهي الكاشفة على منطقة الشوف والمغطية لكل المداخل والمخارج بصورة واضحة، بحيث لا يستطيع أحد التجول بمعزل عن رؤيته من هذا الموقع.

٢ ـ المصفحات تقصف متاريس المقاتلين الموالين في ضهور قرية مجدل المعوش، المواجهة لقرية كفرنبرخ، حيث تمركزت إحدى المصفحات وأخذت تقصف المتاريس، الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر، قبل وصول المقاتلين إلى مراكزهم، وكانوا يتناولون العشاء، وكانوا يرجعون عادة إلى مراكزهم حوالي الساعة السابعة مساء.

٣ ـ كانت القوات الأمنية تتمركز على جسر نبع الصفا، فإذا بقائدها، وبدون سابق إنذار، يطوق منزل آل يمين، المقابل لموقعهم، يفتشه ويحاول القبض على أحدهم، الذي كان يعتبر المساعد الأيمن لنعيم مغبغب، فحصل جدال مع أهل البيت وكان الشخص المطلوب غائباً.

٤ ـ أوقفت سيدة من آل يمين كانت تتوجه يومياً من نبع الصفا لزيارة أهلها في قرية عين داره وتعود بعد الظهر، فتم استنطاقها لمضايقتها، وذلك بعيد وصول القوات المسلحة إلى المنطقة.

٥ ـ أوقفت أحد المقاتلين في سكن نعيم مغبغب، واقتادته إلى مقرها في العزونية، وما إن وصل الخبر إلى نعيم حتى هرول إلى مركز القيادة، وحصلت مشادة كبيرة مع المسؤول هناك، قبل أن يفرج عن المقاتل.

٦ ـ سرت إشاعة بأن القوات المسلحة والطائرات الحربية ستقصف سكن نعيم مغبغب، في نبع الصفا، ولم تكن مجرد إشاعة فقط بعدما دكت المتاريس، فكان المقاتلون يخشون حراسته ليلاً فلجأوا إلى منزلي الخوري فيليب زخور، وشفيق زيدان. كل ذلك حصل بصورة حصرية، بعد الاتفاق بين كمال جنبلاط وقائد الجيش.

---

١ ـ أنظر: نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ١٠٣.

الفقرة الثالثة عشرة ـ محاصرة القصر الجمهوري

لكن موقف شهاب كان مغايراً إزاء رئاسة الجمهورية على أثر الهجوم على القصر الجمهوري، طالب شمعون بتدخل أميركا تطبيقاً للمعاهدة الموقعة بين البلدين، لكنها لم تستجب ولم تتحرك، إلا بعد حصول الانقلاب العسكري في العراق[١].

يروي إميل مغبغب[٢]، أنه بعد حصول الانقلاب في العراق، أخذت الإذاعات تتحدث عنه باكراً، صعد إلى غرفة الرئيس، وكانت الساعة الواحدة والنصف ليلاً، ولدى طرقه الباب، صرخ الرئيس من الداخل مين، فأجاب أنا إميل، فأجابه، (هل نعيم به شي) فقال له كلا، لقد حصل انقلاب في العراق. ويضيف أننا كنا سهرانين في القصر الجمهوري، سمعنا ضجيج دبابات، مع فرقة من المقاتلين أرسلها نعيم مغبغب، وكان

---

١ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٩١.

٢ ـ مقابلة مع الأستاذ إميل مغبغب في فرن الشباك، ٢٠٠٠.

تعرف إميل مغبغب، على الرئيس شمعون يوم زفاف نعيم مغبغب، وكونه حاملاً إجازة في العلوم السياسية والإدارية من جامعة القديس يوسف، استدعاه الرئيس وعينه سكرتيره الخاص بعد أن لفت انتباهه إلى: «يا ابني أنا بدي غامر في عمرك وأعطيك وظيفة أكبر منك» فأجابه مندهشاً، إنشاء الله، ولم يجسر حتى أن يقول «فخامة الرئيس».

يذكر أنه مرة، استقبل المطران عبد، مطران طرابلس للموارنة، وكان له موعد مع الرئيس، وجلس معه في الصالون فسأله قائلاً مين في غيرك موظفين في القصر، فقال له يا سيدنا في القصر لا يوجد سوى جورج بك حيمري المدير وأنا والمرافق، فقال وإميل مغبغب، فنظر إليه باستغراب قائلاً له، أنا يا سيدنا «إميل» فاندهش المطران باعتقاده أنه موظف قديم، فقال له «بارك الله فيك كنت منتظراً أن أرى شاباً بالخمسين وكان يومها في الثلاثين من العمر.

وكان إميل يمثل رئيس الجمهورية عندما يطلب منه ذلك، في الأفراح والأتراح، ففي مرة بعثه ليمثله في مأتم في كنيسة مار مارون في بيروت، ذهب في سيارة الرئاسة، وعندما وصل إلى دار الكنيسة التقى المير مجيد أرسلان خارج القاعة، لأن الفقيد كان من أصحابه، وكان البروتوكول يقضي بأن يجلس أمام المير، فطلب إميل من المير بأن يقوم هو بدور تمثيل رئيس الجمهورية، لأنه رفض أن يجلس في كرسي أمامه. وعندما رفض المير مطيعاً، طلب منه عدم الدخول إلى الكنيسة لئلا يحرج في الجلوس أمامه واقتنع المير ولم يدخل الكنيسة.

كان إميل مسؤولاً عن تحديد المواعيد والاستقبالات. كان الرئيس رشيد كرامي يناديه «الشيخ إميل». ذات مرة كان الجنرال شهاب على موعد مع الرئيس فجاء باكراً، فجلس في مكتبه حيث طلب له إميل فنجان قهوة، وكان في المكتب ثلاثة تلفونات، وكان يرد عليها في الوقت نفسه، فنظر إليه الجنرال شهاب وقال: Je voudrai avoir un Emile comme vous chez moi وبالفعل خدم معه ستة أشهر بعد انتخابه رئيساً للجمهورية، ولكن السياسة قضت بعد ذلك بأن يترك القصر.

الضابط فؤاد كيوان موجود معنا، خرجت إلى الشرفة، فلقيت القصر مطوق بالدبابات، تريثت قبل إعلام الرئيس، طلع العقيد جميل (من بعقلين) كان رفيقاً في المدرسة، فقال جايين نحافظ على القصر لقد سمعنا أنه سيحصل هجوم عليه، فقلت له هجوم على القصر، وكانت المدفعية مصوبة إلى القصر.

في هذا الوقت كان الرئيس شمعون قد نزل بالبيجاما، من غرفته سائلاً عن الموضوع، فقال له: فخامة الرئيس حراسة زائدة، فقال الرئيس أشكركم وبصفتي القائد الأعلى للقوة المسلحة آمركم بالرجوع إلى ثكناتكم.

عندها انهمر الرصاص بغزارة على القصر، اختبأ الوزراء في الطابق السفلي، ما عدا الأمير مجيد أرسلان والوزير كاظم الخليل، ونعيم مغبغب، الذين أخذوا السلاح ودافعوا عن القصر مع الرئيس مما حمل مجلة إيطالية على الكتابة بأنه عندما تتأزم الأحوال، يكون للرئيس طائرة خاصة ليهرب بها إلا في لبنان حيث يقوم الرئيس بحمل السلاح شخصياً، وكان العنوان «الرئيس الذي يقوص»[1].

الفقرة الرابعة عشرة ـ الحياة في القصر الجمهوري

تنامى إلى مسامع الجنرال فؤاد شهاب خبر الهجوم على القصر الجمهوري، فعمل بسرعة على التصدي له، معتبراً أن اعتقال الشرعية أمر مرفوض سياسياً، وأية محاولة عسكرية فعلية لإنهاء ولاية رئيس الجمهورية قبل حلول أجلها، سوف يتصدى لها بقوة، فماتت تلك الخطة قبل أن تبصر النور، وبقي شمعون مستنفراً في القصر خلف متاريس ضخمة أعدت خصيصاً لمواجهة أي احتمال.

وصف إميل مغبغب الحياة في القصر الجمهوري كما يلي: لم يكن في القصر سوى جورج حيمري، أنا والمرافق، وهذا كان كل جهاز القصر، لم يكن هناك موظفين بعد، فنقل جورج حيمري إلى الجمارك، وبقيت مع رئيس الجمهورية، وعندما استلم البريد كنت أفتحه وأقرأ كل شيء حتى كنت آخذ الرسائل إلى البيت لإكمال العمل، ومطالعة الجرائد وتلخيص ما يتوجب تلخيصه. وزاد إننا كنا نعيش في القصر الجمهوري عيشة

١ ـ مقابلة مع الأستاذ إميل مغبغب في فرن الشباك، عام ٢٠٠٠.

تقشفية، ولم نكن نتطلع إلا ما هو القدر الضروري، وبالحد الأدنى ولم نعش عيشة الملوك والأمراء التي قد يتصورها البعض[1].

الفقرة الخامسة عشرة ـ شهاب يطلب إجازة

كان الجنرال فؤاد شهاب قد سبق وطلب إجازة ليبتعد عن الساحة والمناورات التي كانت تتم في قيادة الجيش. رفض سامي الصلح، بوصفه وزيراً للدفاع هذا الطلب، وعند السؤال عن البديل عرض شهاب، اسم العميد سمعان، الملحق العسكري في واشنطن، أو اللواء عادل شهاب. تداركاً لأي إحراج أقدم الصلح على إعداد مرسوم بتعيين الزعيم جميل لحود، الذي كان يتمتع بثقة كل الأطراف، قائداً للجيش بالوكالة، بعد ترقيته إلى رتبة لواء. إلا أن المرسوم لم ينفذ لأن الرئيس شمعون كان قد اقتنع بأن الجنرال شهاب صرف النظر نهائياً عن طلبه.

الفقرة السادسة عشرة ـ تراجع بعض أركان المعارضة عن تموضعها

رأى بعض أركان المعارضة أن الثورة لا مجال لنجاحها، فالرئيس شمعون، لم يعلن يوماً أنه سيجدد، ولم يعلن صراحة انضمامه لأية أحلاف بما فيها حلف بغداد، وأنه عازم على البقاء إلى آخر يوم من ولايته، وأن الجيش لن يسمح بتجاوز الحدود، خوفاً من فلتان زمام الأمور، وعدم استطاعته السيطرة، بالحد الأدنى على الوضع، وإن أحياء

١ ـ خدمت بإخلاص حتى أني تركت القصر الجمهوري نظيف اليد، لا أملك حتى إيجار منزلي، وكنت أدرّس في مدرسة المخلص اللبنانية في بيروت لإعاشة عائلتي.
مكافأة لإخلاصي، عندما استلم الرئيس كميل شمعون الوزارة سنة ١٩٧٥، وأخذ جناحاً بالقصر الجمهوري في بعبدا، أول اتصال قام به، مطالبتي بالتوجه إلى بعبدا، وقال لي، كنت ولا تزال سكرتيري الخاص.
حصلت احتجاجات كون إميل كاثوليكي والمركز هو للموارنة، لكن شمعون لم يتوقف عند هذا الأمر، في أحد الأيام تقدم أحد الأمراء وأعطى إميل شيكا بعشرة آلاف ليرة فرفض استلامه، وعندما وصل الخبر للرئيس شمعون، قال أنا أعرف شو عندي.
ذات مرة، دعي الرئيس شمعون إلى كنيسة مار مارون، وطلب مني مرافقته، وكانت مظاهرات وجموع كثيرة أمامه، فتحمس إميل وأخذ يرجع الناس ليسهل مرور الرئيس، فاعترض شمعون قائلاً، إنها ليست شغلتك إنها شغل الدرك، يجب أن تمشي معي، فكرامتك من كرامتي.

بيروت الغربية، وإن أصبحت تحت يد المعارضة، فذلك لا يؤثر على الحركة العامة في البلاد، وبالرغم من استيلاء الثوار على أراضي لبنانية واسعة، فالحالة لا تستأهل المضي أكثر، خاصة وأن الثورة الشيوعية على الأبواب، فلا يجوز المضي في المغامرة، لاسيما وأن المدة المتبقية من رئاسة شمعون، لا تزيد عن بضعة أشهر، مما حمل بعض زعماء المعارضة لاتخاذ موقف آخر أمام هذه المعطيات، أملاً بتجنب مآسي ومتاعب أكبر تحل بالبلد، فإذا بالرئيس صائب سلام، خوفاً من الانزلاق في زواريب الطائفية في لبنان، بصورة أكبر مما وصلت إليه الحال، آثر اتخاذ موقف مغاير لما كان قد اتخذه سابقاً.

الفقرة السابعة عشرة ـ جنبلاط يهاجم المعارضة البيروتية

شن جنبلاط هجوماً عنيفاً على الرئيس صائب سلام واصفاً إياه بشتى الأوصاف، واتهمه بجميع التهم، بعدما عدل سلام في موقفه، عندما رأى عدم جدوى الحرب القائمة، وعدم جواز إكمالها وإراقة الدماء هدراً، وعندها بدأت صفوف المعارضة تتفكك. وفي تصريح للأسوشيتدبرس الأميركية، هاجم كمال جنبلاط المعارضة البيروتية، لأنها لم تساعده عندما حاول الوصول إلى العاصمة، بعدما قاد العملية بـ ٥٠٠ مقاتل مدرب، ما عدا الأنصار، والسبب أن المعارضة هناك لم تكن مدربة، مما اضطره إلى سحب قواته بعد الهجوم، خاصة عندما واجه بمفرده قوى الأمن[1].

الفقرة الثامنة عشرة ـ الأسعد يترك صفوف المعارضة

كذلك أقدم أحمد الأسعد على الانفصال عنها، كما صرح نجله كامل في مجلة الريفو دي ليبان حين كشف عن الخلاف في صفوفها، لاعتبارات سياسية وحزبية.

الفقرة التاسعة عشرة ـ عسيران يحاول التخلص من العهد

بينما حاول أحمد الأسعد التملص من المعارضة، سعى عادل عسيران للتخلص من العهد.

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٦١.

الفرع الثالث ـ المواقف الدولية

الفقرة الأولى ـ اللجوء إلى جامعة الدول العربية (أول حزيران ١٩٥٨)

التأمت جامعة الدول العربية بناء لطلب لبنان بتاريخ ١٩٥٨/٦/١، في بنغازي في ليبيا، وكان الوفد اللبناني يتألف من بشير الأعور، وزير العدل، رئيساً ومحمود علي حمادة الأمين العام المساعد لوزارة الخارجية، ونزيه لحود سفير لبنان في تونس، وإدوار حنين عضو مجلس النواب، وعدد من المستشارين، لكن لم تكن الاجتماعات ولا القرارات على المستوى المنشود، ولم تنجح مساعي محمد أحمد محجوب، وزير خارجية السودان في حل الخلافات[1]. والنتيجة لم تكن مستغربة، إزاء التناقضات الحاصلة بين الدول العربية، وعدم قدرة لبنان، الدولة الأضعف، على إيجاد الوسيلة الفضلى لدعم موقفه[2] خاصة بعدما تراجعت بعض الشرائح المسلمة داخل الدولة اللبنانية عن دعم السلطة الشرعية آنذاك.

الفقرة الثانية ـ الشكوى إلى مجلس الأمن (٨ حزيران ١٩٥٨)

بعدما تعذّر صدور أي قرار ملموس عن جامعة الدول العربية، قدّمت الدولة اللبنانية شكوى إلى مجلس الأمن[3]، الذي انعقد بتاريخ ١٩٥٨/٦/٨، لهذه الغاية. أعطي الكلام لشارل مالك، مندوب لبنان، فقال «إن الحكومة اللبنانية جربت جميع الوسائل لوضع حد للتدخل الواسع فلم تفلح، وأنتم مسؤولون عن استقلالنا ومصيرنا، وعن السلام في المنطقة وربما العالم». وقد تضمنت مداخلته عشرة آلاف كلمة.

رد عليه الدكتور عمر لطفي، مندوب الجمهورية العربية المتحدة، قائلاً إن وزارة الخارجية اللبنانية تحاول أن تعطي صفة دولية لمشكلة داخلية صرفة لتجذب انتباه الرأي العالمي إلى الوضع في لبنان. وأنكر لطفي تزويد بلاده المعارضة بالسلاح، وأنه ليس من الصعب الحصول على السلاح ما دامت التجارة به منتشرة بشكل واسع ومسموحة في

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٩٨.
٢ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ١٥٤.
٣ ـ كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص ٢٤٩.

أنحاء العالم... يتناقض كلام لطفي مع واقع الحال اللبناني كما سبق الإشارة إليه، بالإضافة إلى أن شراء السلاح يتطلب أموالاً طائلة.

فاجأ موقف مندوب الولايات المتحدة الأميركية في مجلس الأمن، الوفد اللبناني، حين اعتبر بأن حكومته ليس لديها أي فكرة عن التدخل في الشؤون اللبنانية الداخلية، أما بشأن خطاب مالك، فاعتبر بأنه مزعج وخطير ومرفق بالمستندات والوثائق الثبوتية.

وموقف مندوب الاتحاد السوفياتي كان بالطبع ضد الحكومة اللبنانية، مذكراً بأن لبنان أخفق أمام جامعة الدول العربية. فرد عليه مندوب العراق قائلاً إن قرار مجلس الجامعة لم يكن جماعياً، وإن قراراته غير ملائمة، والحقيقة أن الأردن والعراق أيدا اعتراض لبنان في بنغازي.

تقدمت أسوج بمشروع قرار بتاريخ ١٩٥٨/٦/١٠ تضمن إرسال فريق مراقبة دولي إلى لبنان، ليضمن حدوده من التسلل غير الشرعي للأشخاص والأسلحة وما إليها.

- وفي موقف آخر اعتبر مندوب الولايات المتحدة الأميركية أن التدخل حصل من قبل سوريا وليس من قبل مصر، وهناك معركتان أساسيتان تدوران في لبنان، وأن المدفعية تستخدم ضد القوات الشرعية اللبنانية.

- رد عليه المندوب السوفياتي، بأن التدخل إنما حصل من قبل الدول الأوروبية، مشيراً إلى الأسطول السادس الأميركي.

وبالتالي قرر مجلس الأمن بتاريخ ١٩٥٨/٦/١١، بأكثرية عشرة أصوات وامتناع الاتحاد السوفياتي، إرسال فريق من المراقبين بصورة عاجلة إلى لبنان.

رفعت الجلسة، لكن شارل مالك، طلب مجدداً إبقاء، القضية على جدول الأعمال. أعلن داغ همرشولد، أنه من الممكن إرسال مراقبين إلى لبنان من جهاز المراقبة في القدس.

وبالتالي قرر إرسال جماعة من المراقبين لوضع تقرير عن الحالة، وحاول داغ همرشولد، الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة، أن يقوم بنفسه بمفاوضة الطرفين للتوصل إلى حل، لكن تدخل الأمم المتحدة لم يثمر[١].

الفقرة الثالثة ـ الولايات المتحدة تتخذ موقفاً وسطياً بين شمعون والمعارضة

اتخذت الولايات المتحدة موقفاً وسطياً بين رئيس الجمهورية كميل شمعون والمعارضة، وكان باستطاعتها، لو أخذت موقفاً حازماً أن تضع حداً للأحداث التي تدور في لبنان بما لها من نفوذ، لكنها كانت تعد لصفقة غير ظاهرة مع عبد الناصر، الذي أعلن كرهه واشمئزازه عما يحدث في لبنان، وكان الهدف إضعاف كلاً من شمعون والمعارضين، بهدف فرض فؤاد شهاب مرشحاً للرئاسة، مع الإشارة أنه إذا كان النفوذ الفرنسي سائداً أيام الانتداب، فإن بريطانيا ساهمت بكل قواها لإزاحة الفرنسيين. ومنح لبنان استقلاله. لكن ما لبث الدور البريطاني بالتراجع أمام التدخل الأميركي. لقد كانت بريطانيا عاجزة عن مساعدة الرئيس شمعون، آنذاك، حتى ولو رغبت في ذلك لما استطاعت، فلقد أصابها الوهن الشديد خلال مرحلة الحرب الباردة وبالرغم من المصالح النفطية الواسعة التي تعود لها في المنطقة[٢]، فإن دورها السياسي بدأ بالانحصار.

الفقرة الرابعة ـ المراقبون الدوليون في لبنان

وصل المراقبون الدوليون إلى لبنان، بقيادة الفريق الجنرال أودبول النروجي، اتخذوا لهم ١٧ مركزاً رئيسياً في طرابلس وصيدا على الساحل وشتورا وبشري وزحلة وصغبين في الداخل ومرجعيون على الحدود، وكان من الطبيعي أن ينكفئ المسلحون فلا يتجولون في النهار، وكانت عمليات التسلل للأسلحة والجنود قد أصابها بعض الجمود، نتيجة لعدم إمكانية فرض نتائج إيجابية، وبالمقابل، أعطيت الأوامر إلى فريق المراقبين بأنهم يعملون في مخطط لتهدئة الخواطر وتسوية النزاع ولو على حساب فريق دون الآخر![٣].

---

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٩.
٢ ـ د. رغيد الصلح، المرجع ذاته، ص ٨٢.
٣ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٩.

الفقرة الخامسة ـ اعتذار همرشولد عن الإقامة في قصر بسترس

بتاريخ ١٩٥٨/٦/١٩ وصل داغ همرشولد، الأمين العام للأمم المتحدة، إلى مطار بيروت، فاستقبل رسمياً من الحكومة والدبلوماسيين.

توجه تواً إلى قصر الرئاسة، حيث اجتمع إلى الرئيس شمعون الذي ألح عليه بوجوب تدخل الأمم المتحدة لانقاذ لبنان بصورة فعلية، وذلك بإقامة حواجز لمنع المسلحين الذين يعملون لإثارة الفتن الطائفية وهدم كيان لبنان. عرضت عليه الحكومة الإقامة في قصر بسترس، اعتذر وفضل الإقامة في فندق «بيارتس» في جناح خاص، مما يمكن تفسيره بأنه كان يخبئ شيئاً ما ضد مصلحة السلطة اللبنانية.

وفي اليوم التالي، زار رئيس الوزراء واعتبر بأن الوضع لم يعد لمصلحة أحد، لا للبنان ولا لسوريا ولا لمصر، مما يفرض اتخاذ جميع الإجراءات لوقفه. وأكد بأن صمود الحكم في لبنان سوف يساعد على الخروج من عنق الزجاجة، لم يلتقِ المعارضون، ثم غادر متوجهاً إلى القدس فعمان ومنها إلى القاهرة حيث التقى عبد الناصر لمدة أربع ساعات[1].

الفقرة السادسة ـ تضارب الآراء بين همرشولد وشمعون

في لقائه بالرئيس شمعون، أثار هذا الأخير التناقضات الواردة في البيان الذي أعده المراقبون بناء لطلب همرشولد، خاصة وأن المراقبين كانوا يتصرفون كالسواح، يقضون أوقاتهم في الاستجمام بعيداً عن المراكز، وحتى الذين كانوا على الحدود البحرية لم يفعلوا شيئاً، مما حدى بوزارة الخارجية إلى إصدار بيان يحتوي على ٥٦ واقعة تبين التدخل الخارجي، وثبوت التسلل، ومصادرة الأسلحة.

الفقرة السابعة ـ الجميل ينتقد تقرير المراقبين الدوليين[2]

إزاء المغالطات الواردة في تقرير المراقبين الدوليين، مقارنة مع ما كان يحدث بالواقع، أقدم بعض السياسيين اللبنانيين للتنديد بهذا البيان، ومنهم بيار الجميل، رئيس حزب الكتائب اللبنانية الذي رفض مثل هذه الأقوال غير الصحيحة والمخالفة

١ ـ كمال الصليبي، المرجع السابق، ص ٢٤٩.
٢ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٢٠٧ و٢٠٨.

للواقع، وطالب بمزيد من التصرفات الصحيحة، ومما قاله: «إن من حقنا أن نعتبر على الأقل بعد عودة همرشولد من زيارة القاهرة، أن تقرير المراقبين يعوزه التجرد، وأن نشاطهم داخل الأراضي اللبنانية واتصالاتهم بزعماء المعارضة يشكل تدخلاً سافراً في شؤوننا الداخلية وتعرضاً لسيادتنا وختم انتقاده بقوله: الخراب يعم البلاد يوماً بعد يوم بينما الأمم المتحدة والمراقبين يتفرجون على خرابها.

وفي اليوم ذاته أي في ١٩٥٨/٦/٢٤ عقد بيار الجميل مؤتمراً صحافياً وجّه فيه اتهاماً للجمهورية العربية المتحدة، مشيراً بأن العلاقة بين لبنان وسوريا منذ عام ١٩٤٣، ليست سوى نضال لبناني ضد التوسع السوري، الذي بدأ عام ١٩٤٧، عندما عارضت سوريا مرور أنابيب النفط في أراضيها لتصب على الشاطئ اللبناني، كذلك عام ١٩٤٨ عندما أرادت منع لبنان من توقيع اتفاقية النفط مع فرنسا، وسنة ١٩٤٩ عندما قامت بتشجيع وتمويل ثورة مسلحة هدفها ضم لبنان إلى سوريا، وأعلنت من طرف واحد إلغاء الوحدة الجمركية، وعام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ حين قامت بتدريب العصابات وتنظيم شبكة واسعة للتجسس في لبنان، وعام ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦، عندما حاولت بالتحالف مع مصر فرض قيادة عسكرية مشتركة على اللبنانيين، وعام ١٩٥٦، حين باشر المكتب الثاني السوري حركة إرهاب واسعة النطاق ضد لبنان.

وأضاف الجميل، خلال تلك الحقبة لم يكن مشروع آيزنهاور، ولا التجديد موضوع مثار ولم يكن شارل مالك، فالهدف كان استقلال لبنان. فمرشحو المعارضة وضعوا حملتهم الانتخابية سنة ١٩٥٧، تحت رعاية وصور عبد الناصر، التي كانت تتصدر مهرجاناتهم، والتي كان يحملها أنصارهم، وتعاقبت المهرجانات والتظاهرات الانقلابية على حد قول خطباء المعارضة، نخص بالذكر منها مهرجان الغبيري، ومهرجان الطريق الجديدة، وتظاهرة الثلاثين من أيار.

مصلحة لبنان تقضي بإقامة أفضل العلاقات مع جميع الدول وبصورة خاصة مع الدول العربية وفي مقدمها سوريا ومصر شرط ضمان استقلاله، وعلى الطوائف أن تضمن بعضها بعضاً، ولا يجوز لأي فريق أن يفرض إرادته على الآخر، وعندما يقتنع اللبنانيون بالإخلاص للبنان وحده يكون الحل.

الفقرة الثامنة ـ البطريرك الماروني يحذر وينتقد الشكوى المقدمة

أطلق البطريرك الماروني بولس المعوشي، من مقره في بكركي، بتاريخ ٢٤ أيار تحذيراً إلى الدول الغربية من التدخل بالشأن اللبناني، وأوفد نائبه إلى السفير الأميركي، وسفراء الدول الغربية في بيروت معترضاً على شكوى الحكومة اللبنانية المقدمة إلى الأمم المتحدة، لأن الخلاف، برأيه داخلي بين السلطة الحاكمة وأكثرية الشعب اللبناني، ولا صحة اطلاقاً لما تتذرع به الحكومة في شكواها، من أن الأزمة تعود إلى تدخل الجمهورية العربية المتحدة في الشؤون اللبنانية[١].

وفي هذا السياق، أصدر بياناً جاء فيه: إن غبطة البطريركي الماروني والشعب اللبناني بأسره يعارضان بشدة هذه الشكوى ويدافعان عن استقلال لبنان وكرامته، ولا يسمحان أبداً بأن يصبح لبنان كوريا ثانية، نتيجة للسياسة الخارجية والداخلية التي تتبعها حكومته.

لا يكفي أن تكون الأزمة قد خرجت من أيدي اللبنانيين لتصبح بين أيدي الجبارين المتصارعين، فالأميركيون في إرسالهم قواتهم إلى لبنان حجتهم الأولى والأخيرة الاطمئنان إلى ما جرى في العاصمة العراقية، وبيان الحكومة السوفياتية ضد التدخل الأميركي سيصبح يوماً الأداة التي يقال أنها عملت على إخراج قوات الأسطول السادس من لبنان. هذا ما دفع رئيس الولايات المتحدة آيزنهاور إلى إرسال موفده الخاص روبرت مورفي إلى بيروت، مما يدل على القلق الواضح الحاصل في التطورات الداخلية في لبنان. لكن مثل هذه التطورات كانت تستلزم القيام بخطوات داخلية من قبل المسؤولين اللبنانيين سواء كانوا يعارضون تدخل الجمهورية العربية المتحدة في الشؤون اللبنانية الداخلية، أم يعارضون التدخل الأميركي، أن يلتقوا حول مفاهيم جديدة لاستقلال جديد، فإذا كان العالم يفتش عن حل لتلك الأزمة، فعلى المسؤولين اللبنانيين أنفسهم التفتيش عن الحل بإخلاص ووطنية، فالحاجة كانت إلى أبطال وطنيين أكثر من الحاجة إلى قوات دولية أو إقليمية[٢].

١ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ٩٨.

٢ ـ ميشال أبو جودة، «الحاجة إلى أبطال استقلال جدد» ضمن ٢٠٧ مقالات وتاريخها.

صحيح أنه بعد الاستقلال، استطاع لبنان إلى حد كبير رسم سياسة معتدلة ومقبولة عربياً ودولياً، وتوصل إلى مستوى اجتماعي واقتصادي مرموق نتيجة نشاط أبنائه داخل الدول العربية وخارجها، وصحيح أنه لم يحصل فيه ما حصل في الدول العربية المجاورة، كالعراق والأردن وسوريا، ومصر بعد النكسة، من انعكاسات سياسية حادة، والتي أدت إلى تولي العسكر الحكم للسيطرة على الوضع[١]، لكن بالمقابل لم يستطع لبنان إيجاد القيادات الموحدة والعملاقة التي بإمكانها أن تضاهي ما أفرزته بعض الدول العربية كمصر، من خلال عبد الناصر، الذي قلب المجتمعات العربية والإسلامية رأساً على عقب، وكان له أكبر الأثر في المجتمع اللبناني، مما عرقل سير الحكم وشل أوصاله.

الفقرة التاسعة ـ المؤتمر الصحفي لشمعون (١٩٥٨/٦/٢٥)

في المؤتمر الصحافي الذي عقده بتاريخ ١٩٥٨/٦/٢٥، صرح الرئيس شمعون بأن الدولة اللبنانية لن تطلب تدخلاً عسكرياً في لبنان، خارج نطاق الأمم المتحدة. إن النزاع يؤثر على السلم والاستقرار في الشرق الأوسط، وعليه فليس من العدل أن نضع كل هذا العبء على أكتاف الدولة اللبنانية وإذا احتجنا إلى مساعدة فإننا سنطلبها بمقتضى المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة. إن الثورة هي محاولة جدية من جانب القاهرة لوضع يدها على سياسة لبنان الخارجية التي تتبدل في المستقبل حتى بعد انتخاب رئيس جديد للجمهورية. وبالنسبة إلى همرشولد، قال إنه بدا متفائلاً ولكن حتى الآن لا يمكننا أن نشاطره تفاؤله. كذلك صرح شمعون لمجلة «نيوزويك» الأميركية، أن هناك ما يقارب ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ مسلح تسللوا إلى لبنان، وهم من المتطوعين السوريين واللبنانيين المقيمين في سوريا وأن الثوار يملكون ٣٠ ألف قطعة سلاح تتراوح بين الرشاشات ومدافع الهاون والمدافع المضادة للطائرات[٢].

١ ـ فريد الخازن، المرجع ذاته، ص ١٥٤.

٢ ـ نقولا ناصيف، كميل شمعون آخر العمالقة، ص ١٠٠.

ازدادت حدة الاشتباكات في مناطق القتال، في حلبا وصيدا والشوف، فأعلنت الحكومة أنها لن تعدل الدستور، وقدم عشرون نائباً طلباً بتكليف قائد الجيش تأليف حكومة جديدة. وقد أعلن رئيس مجلس الوزراء سامي الصلح، بأن الحكومة لن تعدل الدستور وذلك تفادياً للإعلان عن الرغبة في التجديد، والتي كانت من أسباب اندلاع الثورة[١].

ولدى سؤال مجلة «نيوزويك» الأميركية عما إذا كان سيغادر رئاسة الجمهورية في ٢٣ أيلول، أجاب بالإيجاب، وهز رأسه، واتهم الجمهورية العربية المتحدة بأنها تنوي إقامة نظام هزيل في لبنان لدمجه بسهولة[٢].

الفقرة العاشرة ـ تصريح شارل مالك في نيويورك

في تصريح له أمام محطات الإرسال في نيويورك، قال شارل مالك، إننا لا نريد أن تتخلى الأمم المتحدة عن مساندة الشعوب المضطهدة ولبنان وشعبه في الطليعة، وهو بحاجة إلى عون ومؤازرة، وإننا نحتاج إلى سبعة آلاف رجل لإغلاق الحدود، حتى نتمكن بعد ذلك من التفرغ لاستتباب الأمن في الداخل، ويعتقد أنه من واجب الأمم المتحدة العمل بحزم في لبنان. وأضاف أن حكومته لا تعارض إرسال قوات دولية إلى لبنان حتى ولو ضمت عدداً من الروس، خاصة إذا كانت هذه القوة تضمن عدم تسرب المقاتلين إليه عبر الحدود[٣].

أرسل شارل مالك إلى وزارة الخارجية برقية تفيد، أن ثمة اتفاقاً تمّ توقيعه بين عناصر من قوى الأمن وكمال جنبلاط، أتاح لهذا الأخير بأن يمد بعض الثوار في بيروت

---

١ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ٩٨.

٢ ـ نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ١٠٠.

٣ ـ قال ميشال أبو جوده: «إن اللبناني الذي انتخب رئيساً للأمم المتحدة ورقي من منصب وزير خارجية لبنان ليكون الشخص الثالث عشر يرئس دورة الجمعية العمومية للمنظمة الدولية، كان حصيلة إدارة النخبة العالمية المتحضرة، رئيساً لها، في الوقت الذي ينكره بعض اللبنانيين وبعض العرب. إنه فوق الخصومة اللبنانية والخصومة العربية والخصومة الدولية، إنه سيسعى جهده طيلة سنة للدورة يراقب خصومات الكبار، وأمين «بطرام» الوادعة الدكتور شارل مالك الذي انتخب بتاريخ ١٦ أيلول ١٩٥٨ لأعلى منصب في العالم ينكب على خدمة لبنان ومنطقته والعالم بأسره،».

بالسلاح ويدعم موقفهم، وعلى أساس أن تخرج قوى الأمن من المنطقة المسماة محرمة، عندما يحين موعد الهجوم الذي أعده كمال جنبلاط انطلاقاً من منطقته شملان ـ عيناب ـ سوق الغرب ـ الشويفات ـ خلدة، بغية الاستيلاء على مطار بيروت الدولي، وفي الموعد المحدد، أي في أوائل تموز. بالفعل، قامت جماعة جنبلاط بهجوم عنيف، فتسلق أفرادها مرتفعات شملان، وعددهم يربو على ١٠٠٠ مسلح، فتصدى لهم مقاتلو الحزب القومي السوري الاجتماعي وقوى الأمن وهزموهم.

الفرع الرابع ـ تداعيات الثورة العراقية

شهدت منطقة الشرق الأدنى بأسرها، تسابقاً نحو الحرب، ليس في لبنان وحسب، إنما وبشكل خاص في العراق، حيث حصل ما لم يكن بالحسبان، وهو انقلاب عسكري حيكت خيوطه بسرية تامة.

فبتاريخ ١٩٥٨/٧/١٣، صدرت الأوامر في بغداد إلى اللواء عبد الكريم قاسم، القائد المساعد لفرقة المدرعات الـ ١٩، وصديق اللواء عبد السلام عارف، قائد الفرقة ٢٠، التوجه على رأس الجنود إلى الأردن، وكان من حظ اللواء قاسم أن استدعي اللواء الداغستاني قائد الفرقة ١٩ إلى بغداد بذلك التاريخ، فتسلم قاسم القيادة. كانت الفرقة ١٩ متمركزة على بعد ٢٠ كلم شمالي بغداد، على مقربة من أحد السجون. أما الفرقة ٢٠ فكانت على وشك الوصول إلى الحدود العراقية الأردنية. أقدم اللواء قاسم، في الليل على إخراج المساجين سراً وزودهم بالسلاح، ونقلهم بالشاحنات العسكرية، وأنشأ منهم فريقاً من المشاة لدعم فرقة المدرعات، إذا لزم الأمر، وبطريقة ظلت سراً حتى الآن عبرت فرقة عبد السلام عارف جسر الملك فيصل في الثالثة من صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ فساندتها فرقة اللواء قاسم واستولت على محطة الإذاعة، فأذاعت نبأ الانقلاب والانتصار، ويبدو أن تسابقاً حصل بين الفريقين للاستيلاء على السلطة.

لم تتابع العملية سيرها كما كان مرسوماً لها، بحيث أقدمت القوات العراقية المتمردة على تطويق بغداد والقصر الملكي وأطاحت بالملك، وتعددت الروايات حول

كيفية حصول هذا الانقلاب وكيفية اغتيال الملك فيصل الثاني وعبد الله والأسرة المالكة، وبعد يومين اكتشف أمر نوري السعيد، متنكراً بزي امرأة، فقتلته الجماهير في شوارع بغداد، وكان الانقلاب يؤيد عبد الناصر.

بعد فترة وجيزة نشب خلاف بين قائد الانقلاب اللواء عبد السلام عارف، واللواء عبد الكريم قاسم. وقد بدا هذا الانقلاب في حينه لمصلحة مصر فازدادت حماسة المعارضين اللبنانيين خاصة الداعين منهم للوحدة[1]. حرصت الحكومة اللبنانية، بعد ثورة العراق، على سلامة البلاد، فأصرت على الولايات المتحدة الأميركية بإلحاح، بالقيام بتعهداتها لإرسال قوة عسكرية تحمي الكيان اللبناني من الانهيار[2].

الفقرة الأولى ـ شمعون يطالب بالتدخل الأميركي[3]

يسمح الدستور لرئيس الجمهورية اللبنانية، بطلب المساعدة الخارجية، مؤقتاً، عند الضرورة القصوى. طلب الرئيس شمعون من مجلس الوزراء منحه تفويضاً لطلب المساعدة العسكرية المؤقتة من الدول الصديقة نظراً لخطورة الأوضاع، بعدما مر شهران على الاضطرابات والعصيان، بغية وقف الأعمال العسكرية الجارية في لبنان، من خلال الاتفاقية اللبنانية ـ الأميركية، أما الأسباب التي قدمها شمعون لتبرير طلبه إلى الولايات المتحدة فهي:

أولاً ـ منعاً لتدفق الأسلحة والذخائر والمساعدات العسكرية والعناصر المقاتلة من سورية إلى لبنان، يطلب إلى واشنطن العمل على تبني مشروع إغلاق الحدود.

ثانياً ـ في حال تعذر ذلك (أي عدم الأخذ بالبند الأول) بعدما تكون واشنطن قد مارست ضغوطاً فاعلة على مصر من أجل وقف التدهور الحاصل، يطلب إلى الولايات المتحدة التدخل العسكري ولربما يكون هذا التوجه، وإن لم يحصل، بمثابة ضغط أكثر فاعلية لاحتواء الأزمة والعمل على إنهائها.

---

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٩.
٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٢٩.
٣ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٩.

استدعى شمعون سفراء الدول الثلاث الكبرى، أميركا وبريطانيا وفرنسا، وأبلغهم طلبه نزول القوات الأميركية على الأراضي اللبنانية، لرفع الخطر المتأتي من المعارك الناشطة في لبنان، وذلك حسب أحكام المادة ٥١ من شرعة الأمم المتحدة، بعد ترددها في حسم خيارها بهدف إدخال المنطقة في جو من الفوضى، مما يسهل التحكم بزمام المبادرة، وهذا ما شجع الانقلابيين في العراق، ومن ورائهم الأحزاب الشيوعية، بهدف إحداث تغيير سياسي دراماتيكي، لم تكن الحكومة اللبنانية تفكر بأي إنزال عسكري بانتظار ما سيحصل في العراق، ولم يكد يصل الأمير مجيد ارسلان وزير الدفاع إلى منزله في خلده، حتى رأى الأسطول الأميركي في البحر، والسبب الذي دفع أميركا للتدخل، هو بالطبع الأحداث الحاصلة في العراق وذلك لحماية مصالحها النفطية في الخليج. إن إنزال هؤلاء الجنود لم يضع حداً للثورة في البلاد، بل أوقف فقط التدخل الخارجي، وما إن انقطعت الثورة عن اتصالها بالخارج حتى تغلبت الصيغة الداخلية[1].

الفقرة الثانية ـ الولايات المتحدة الأميركية وعبد الناصر[2]

ميل عبد الناصر للغرب، كان مرتقباً، والولايات المتحدة الأميركية هي الأقرب إلى كسب مودته خاصة وأنها عاونته للاستيلاء على السلطة، ضد البريطانيين، وهذا ما عبر عنه محمد حسنين هيكل في جريدة الأهرام، الناطقة باسم مصر، بتاريخ ١٩٥٨/٦/١٧، نقلاً عن السفير الأميركي في القاهرة، ريموند هيبر، الذي كان قد طلب منه عبد الناصر سؤالاً محدداً لحكومته، عما إذا كانت ستساعد مصر إذا وقعت في أزمة ما، فكان الجواب صريحاً في المقابلة التي حصلت لدى عبد الناصر

---

١ ـ كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص ٢٤٩.
٢ ـ كان عبد الناصر بعيداً عن الغرب في أول عهده لكن بنظر فؤاد شهاب عليه التقرب من الولايات المتحدة الأميركية، وإذا تعامل مع الغرب يستطيع أن يؤثر على سوريا والأردن من أجل مناهضة الشيوعية، وأبدى فؤاد شهاب أمله أن تقبل الولايات المتحدة الأميركية بمساعدة مصر، أنظر وثيقة رقم ١٠٧١/٥ من محفوظات الخارجية البريطانية، أوردها محمد حسنين هيكل، وأشار إليها نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ١٧٧.

بتاريخ ٢ أيار ١٩٥٨ واطلع على حديث اللواء عارف المسجل مع عبد الناصر الذي يتضمن استعداد عارف بالانضمام بشكل أو بآخر، للجمهورية العربية المتحدة، فما كان من اللواء قاسم إلا أن زجه بالسجن وحاكمه بعد ثلاثة أيام من وقوع الانقلاب[1].

فاجأت أحداث العراق عبد الناصر ومعظم المراقبين الدوليين، لاسيما موقف عبد الكريم قاسم المعادي للغرب، مما أخاف عبد الناصر، من إمكانية بروز من هو متقدم عليه في المواقف المعادية للغرب، فيتخطاه، خاصة وأن الناصرية بحد ذاتها فرضت نفسها، وبفترة وجيزة، من خلال عدائها للغرب، ومما زاد الخوف بصورة حقيقية، تغلغل السوفيات عسكرياً وثقافياً من خلال المنح الجامعية التي توزع على الطلاب، ليكونوا نواة للتبشير الإيديولوجي، فرأى عبد الناصر أن الأمور أخذت في التسابق نحو من يلقى العطف السوفياتي أولاً، فأخذ ينسق المواقف مع الولايات المتحدة الأميركية خوفاً من الهيمنة السوفياتية وبأن الولايات المتحدة الأميركية، ستساعد مصر كما يفعل الصديق وكان موقف الولايات المتحدة إبان العدوان الثلاثي صريحاً بمساندة مصر[2].

سارعت الولايات المتحدة الأميركية، بعد انقلاب العراق، للحد من الهجمة السوفياتية فكشفت عن زنودها لمساعدة الدول العربية وفي طليعتها مصر، فأخذت تلبي كل ما يتوافق مع الموقف المصري، وعلى هذا الأساس أتت الموافقة على قائد الجيش الجنرال شهاب للرئاسة. الأمر الذي جعل الدولة اللبنانية المحسوبة على واشنطن، تشعر بالغبن، كون واشنطن قد تخلت عنها، وعن الرئيس شمعون[3].

---

١ ـ سامي الصلح، لبنان، ص ٣٢١.

٢ ـ سامي الصلح، لبنان، ص ٣١٢.

٣ ـ بعد ١٥ تموز، وإنزال القوات الأميركية في بيروت، ازداد المعارضون بالمطالبة بإلحاح على استقالة شمعون في الحال، لكن الرئيس أصر على البقاء وإكمال مدة رئاسته حتى ٢٢ أيلول، أنظر كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٥٠.

الفقرة الثالثة ـ شهاب ينسق مع الأميرال الأميركي

بعد انقلاب العراق في ١٤ تموز ١٩٥٨، أنزلت القوات الأميركية في بيروت في ١٥ و١٦ منه، وبعد يوم واحد وصل روبرت مورفي، وكيل وزارة الخارجية الأميركية إلى بيروت، موفداً من الرئيس آيزنهاور للقيام بكل جهد لإعادة السلام والهدوء إلى الحكم ومساعدة شمعون بذلك[1]. تم اتصال بين قائد الجيش اللبناني فؤاد شهاب والأميرال الأميركي، هولواي، لوضع خطة الإنزال بالتعاون منعاً لحصول أي احتكاك مع القوات المسلحة[2].

الفقرة الرابعة ـ السفير الأميركي يحول دون التقدم إلى أماكن الثوار

طلب السفير الأميركي، ماكلنتوك، من الأميرال هولواي قائد القوات البحرية الأميركية التي نزلت إلى لبنان، عدم التقدم إلى معاقل الثوار، فرد عليه الأميرال بأنه لا يتلقى الأوامر منه، وقد صدرت من حيث يجب أن تصدر وتم تنفيذها.

الفقرة الخامسة ـ التدخل الأميركي ألزم السوفيات بالاتزان

كان للتدخل الأميركي في لبنان وقعه لدى المعارضين، إذ أخذ الاتحاد السوفياتي يحسب ألف حساب قبل القيام بأي تحرك. وبعد يوم من الإنزال، تم التواصل بالرئيس شمعون، وبرئيس الوزراء سامي الصلح، وبأقطاب المعارضة، لإيجاد حل ولانتخاب رئيس جديد. هذا الموقف ظهر جلياً في التعاون الأميركي ـ الناصري على حساب الموقف العراقي.

الفقرة السادسة ـ نزاع بين مالك ومكلنتوك

كان لشارل مالك، خلال مدة إقامته لـ ١٣ عاماً في الولايات المتحدة الأميركية، إمكانية الاتصال بجميع المسؤولين، نتيجة صداقاته، الأمر الذي أزعج سفير الولايات

---

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٥١.

٢ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٣١٧.

المتحدة في لبنان، مدعياً بأنه يتم تجاوزه، فأخذت التقارير المرسلة منه، تناقض مواقف شارل مالك، مما اضطر الولايات المتحدة الأميركية إلى إرسال مورفي لتقصي الوضع، لكن من الطبيعي أن يتأثر مورفي بموقف السفارة، أكثر منه بوزير الخارجية اللبنانية، وكانت له علاقة جيدة مع عبد الناصر ومتفقاً معه في كل مواقفه[١].

الفقرة السابعة ـ عبد الناصر يرحب بعملية الإنزال

قد يبدو مستهجناً القول بأن عبد الناصر لم ينزعج من إنزال القوات الأميركية في لبنان، فهو كان متخوفاً من المد السوفياتي في المنطقة من خلال انتشار السلاح، وخلق نواة للإيديولوجيات الماركسية، وبعدما شاهد ما حصل في العراق من تسابق نحو كسب ود الاتحاد السوفياتي، لا لشيء سوى كرهه للغرب، فأيقن أنه من الأفضل مد الجسور مع هذا الغرب، كونه أقل ضرراً من الهجمة السوفياتية، مع ما قد تخبئه من أمور قد لا يحسب لها حساب[٢]. لكن الإنزال لم يضع حداً لا للقتال ولا للمطالبة باستقالة الرئيس شمعون.

الفقرة الثامنة ـ انزعاج سوري من التقارب الأميركي ـ المصري

لم تكن سورية مرتاحة لما يجري بين عبد الناصر والسلطات الأميركية، لإيجاد مرشح توافقي هو فؤاد شهاب، لأن ذلك، لم يكن الحل المنشود بنظرها، ولأن أجهزتها كانت تخطط لاستمرار العنف والفوضى حتى نهاية ولاية شمعون، خاصة وأن الدستور لا يسمح لقائد الجيش بالترشح للرئاسة الأولى ما لم يكن قدّم استقالته قبل ستة أشهر من تاريخه، فأعطت تعليماتها لأنصارها في لبنان بقصف مجلس النواب خلال جلسة الانتخاب في ١٩٥٨/٩/٢٣، لكن تدخل عبد الناصر المباشر مع سورية حال دون ذلك. وبالتالي فإذا كان مورفي قد وصل بتاريخ ١٦ تموز، بعد نزول القوات الأميركية بيوم واحد، وقام بالاتصالات مع المعارضين والموالين، فإنه عاد إلى بلاده في ٣١ تموز،

---

١ ـ سامي الصلح، المرجع ذاته، ص ٣١٨.

٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٩.

فإن المجلس النيابي اجتمع في بيروت وانتخب فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية، لكن المعارضة استمرت على حالها لكن بوتيرة أخف[١].

الفرع الخامس ـ شهاب رئيساً للجمهورية

الفقرة الأولى ـ انتخاب شهاب رئيساً للجمهورية

زيارة مورفي، في أحد جوانبها الهامة كانت لتسويق انتخاب الجنرال فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية، كحل للأزمة المستقرة، وقد لاقى اقتراحه قبولاً لدى معظم اللبنانيين. وقبل الموافقة النهائية، حاول الأميركيون ترشيح الدكتور يوسف حتي، الذي يلقى تأييد كمال جنبلاط، لكن هذا الترشيح كان بمثابة جس النبض لمعرفة ردة الفعل، وقد أدّى إلى بعض التحفظات فصرف النظر عنه. وكذا القول بالنسبة لترشيح بشارة الخوري، الذي أيده البطريرك المعوشي، وعارضه بعض السياسيين، كما تم اقتراح اسم جواد بولس، الذي لم يلق الموافقة أيضاً، وبالتالي لم يبق في الساحة سوى فؤاد شهاب الذي أيده الأميركيون وعبد الناصر بالدرجة الأولى، وتم انتخابه من قبل جميع النواب، موالين ومعارضين، مع الإشارة بأن المعارضة كانت قد عقدت آمالها في أول الأمر على ترشيح الزعيم الماروني الكبير حميد فرنجية، أحد أعضائها الذي أصيب فجأة بداء عضال أقعده عن العمل السياسي نهائياً[٢].

انتخب الرئيس شهاب بعد تعديل الدستور لهذه الجهة، وقد لاقى ترشيحه تأييداً من شمعون الذي طلب من النواب المؤيدين له، وهم أكثرية، انتخابه بمن فيهم النائب نعيم مغبغب، وقد أيده زعماء المعارضة من صائب سلام، وكمال جنبلاط، ورشيد كرامي، بعدما اتصل بهم شهاب شخصياً، علماً بأن علاقته كانت علاقة مودة إبان الثورة وفيها وبعدها.

---

١ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٥٠.

٢ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٧.

الفقرة الثانية ـ إده يتهم شهاب بالتخطيط للوصول إلى الرئاسة[١]

في الوقت الذي كان ينظر إلى قائد الجيش، فؤاد شهاب، كخشبة الخلاص في ثورة عام ١٩٥٨، ويعول عليه لإعادة الاستقرار والأمن إلى البلاد، لم يفت ريمون اده باتهامه بالتخطيط للوصول للرئاسة، فإذا كان قد أضاعها عام ١٩٥٢، فالوقت سانح عام ١٩٥٨، فموقف الحياد الذي اتخذه بين الموالاة والمعارضة، زادت شعبيته لدى المعارضة وقررت دعمه، لقد كان حياد فؤاد شهاب، برأي ريمون اده، الوسيلة الوحيدة التي توصله إلى كرسي الرئاسة، لأن البرلمان لم يكن يعرفه، ولا سبق له أن اقترع قبل فؤاد شهاب لعسكري، كما أن معظم النواب لم يعرفوه في حينه، ولم يتعاملوا معه على أساس أنه رجل سياسي[٢].

الفقرة الثالثة ـ شمعون «بطريرك» المسيحيين

اكتسب شمعون عطفاً مسيحياً منقطع النظير، فأصبح بطريرك المسيحيين، الذين يناؤون الوحدة العربية، فاكتسب حالة من الصعب تجاوزها، وكانت تشكل حجر الزاوية في الحاجة إليه لتسيير شؤون البلاد داخلياً من قبل الرئيس شهاب أم من سواه. فما أن انتخب شهاب رئيساً للجمهورية حتى قرعت أجراس الكنائس حزناً على طي ولاية كميل شمعون وكان شهاب يسمعها في طريق عودته من مجلس النواب إلى منزله في جونيه[٣].

الفقرة الرابعة ـ التناقض في المواقف

لم يكن الهدف من الإنزال الأميركي في بيروت دعم شمعون ومساندة تجديد ولايته، السبب الذي اتخذته المعارضة كشعار لها في تلك المعركة، إنما لحماية الرعايا

١ ـ كان فؤاد شهاب أقرب إلى المعارضة منه إلى الموالاة، لكنه كان مقتنعاً أن التسوية يجب أن تتم بين السياسيين المتقاتلين لا بواسطة الحل العسكري من خلال الجيش، أنظر: نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ١٩٣.

٢ ـ نقولا ناصيف، ريمون اده، الجمهورية الصغيرة، ص ٣٤٧.

٣ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ٢٢٧.

الأميركيين، وآبار البترول المسيطرة عليها، فدخل لبنان مباشرة في المظلة الأميركية، المقابلة للسوفيات الذين بادروا للمطالبة بانسحاب تلك القوات. أما على الصعيد الداخلي فالتناقض كان في أبهى مظاهره، فإذا قابل المسيحيون انتخاب شهاب بأجراس الحزن، لاقت الأحياء الإسلامية هذا الحدث بإطلاق النار والأهازيج ولافتات التأييد والاحتفالات في الشوارع[١].

النبذة الأولى ـ تجاه المارينز

إذا كان الإنزال الأميركي في بيروت لا يمت بصلة للسياسة اللبنانية، إلا أنه كحدث كان بالغ التأثير على المجموعات اللبنانية، فإذا أقدمت المعارضة اليسارية على الاعتراض والتظاهر، فإن اليمين المسيحي رأى فيه انقاذاً، خاصة بعدما اندلعت شرارة الثورة في العراق وغرقت شوارعه بالدم والدبابات. فالحجارة والأخشاب من جهة، والأرز والرياحين من جهة ثانية. عدم تجرؤ المارينز للخروج من شاحناتهم في بعض النواحي الغربية للعاصمة، يقابله تنزههم كسياح في المنطقة الشرقية، تلك هي الصورة عن واقع المجتمع اللبناني بجميع شرائحه.

النبذة الثانية ـ ما سمعه مورفي من المسؤولين اللبنانيين

شملت جولة مورفي البطريرك الماروني، ومفتي الجمهورية ورؤساء الجمهورية السابقون والوزراء النافذون، وصائب سلام، وعبد الله اليافي، وكمال جنبلاط، وكان بالتأكيد يسمع ما كانوا يرددون. فإذا كانت المعارضة تتشكى من انحياز شمعون للغرب، ومناداته بمبدأ آيزنهاور واتهامه بمحاولة تمديد ولايته من خلال تقسيم الدوائر الانتخابية والفوز الساحق فيها، كانت الموالاة تسمعه، اعتراضها على تدخلات الجمهورية العربية المتحدة بالشؤون الداخلية وإقدام عبد الناصر وحكام سوريا على إرسال السلاح والمتطوعين لزعزعة السلطة اللبنانية، والتهريب الذي لم يكن من مجال لصده، والخوف من التمدد الشيوعي، خاصة وأن السوفيات أصبحوا على مقربة منهم، فالمتسللون بالآلاف يزرعون القنابل والخوف والرعب في البلاد.

١ ـ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، ص ٢٢٧.

النبذة الثالثة ـ مورفي والتغيير الجذري للسياسة الأميركية في الشرق

وكأن اسم مورفي يحمل بالنسبة إلى اللبنانيين جوهر التفكير الأميركي في الشرق القائم على تغيير وتعديل موقع المساندة، إذ طلب إليه مجدداً سنة ١٩٧٥ مقاربة وجهات النظر بين السياسيين اللبنانيين (قيل إنه هو من كان يحمل فكرة تهجير المسيحيين لحلول الفلسطينيين مكانهم في ثورة لاسترجاع فلسطين عن طريق جونيه). أما سنة ١٩٥٨ كان الجو في آب حاراً وبدأ مورفي مشاوراته للسؤال عن الرئيس البديل الممكن انتخابه، بينما كان يصطحب الاسم في جيبه فلم يكن أبداً في الخط الذي يظن الناس أنه موجود لأجله، إنما من أجل نقيضه.

النبذة الرابعة ـ حيال خطاب مالك[١] في الأمم المتحدة

لدى عرض القضية اللبنانية أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة، بسبب تدخل مصر في الشؤون اللبنانية، وكما هي العادة لدى اللبنانيين، انقسام ومواقف متناقضة في مواجهة المواقف المصيرية، فإذ لاقى خطاب وزير خارجيته التصفيق من مندوبي الأمم المتحدة والابتهاج لدى قسماً من اللبنانيين داخل البلاد، رأى فيه القسم الآخر المتمثل بالمعارضة صورة قاتمة[٢]. كان اختيار شارل مالك لوزارة الخارجية، بحد ذاته، إعلاناً عن منحى العهد في السياسة الخارجية... فإذا كانت مصر تتحفظ تجاه الغرب وتقترب من المعسكر الشيوعي، إذ بلبنان، يؤكد تضامنه وتحالفه مع الغرب[٣] وابتعاده عن الاتحاد السوفياتي، مما دفع المعارضة اللبنانية للقيام بكل ما يحرج السلطة التي يرأسها شمعون.

---

١ ـ أنظر انتقادات سعيد تقي الدين في مؤلفه أنا والتنين، ص ٩٨، حول الشكوى في الأمم المتحدة.

٢ ـ رسالة كمال جنبلاط تنتقد بشدة خطاب شارل مالك، وكذلك سعيد تقي الدين، في مؤلفه «أنا والتنين» ١٩٩٩ أنظر صفحة ٩٧ وما يليها، حيث قال: «لا أعرف في تاريخ الخزي عاراً ركب دولة مثل ذلك الذي نزل بالجمهورية اللبنانية في شكواها من التدخل الشامي ـ المصري».

٣ ـ كمال الصليبي، المرجع ذاته، ص ٢٤٦.

الفصل التاسع

استشهاد نعيم مغبغب (٢٧ تموز ١٩٥٩)

تعددت الروايات حول حادثة استشهاد نعيم مغبغب، مما يدفعنا للتوقف أمام التصريحات الرسمية والقضائية والبرلمانية، لفهم ظروفها، وبالتحديد تصريحات وزير الداخلية آنذاك، ريمون إده، ومرافعات المحامي جوزيف مغبغب (النائب لاحقاً) أمام المجلس العدلي، وتصريحات بعض النواب في البرلمان اللبناني.

الفرع الأول ـ دعوة مغبغب إلى مؤتمر المغتربين في بيت الدين ٢٧ تموز ١٩٥٩ واستشهاده

الفقرة الأولى ـ استبعاد وزير الداخلية عن المؤتمر[١]

نظمت الدولة مؤتمر المغتربين في مقر بيت الدين بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٥٩، الملفت أنها لم تبلغ وزير الداخلية ريمون اده بهذا المؤتمر، بالرغم أنه يدخل في صلب صلاحياته، فهو المعني بتنظيمه، وتنظيم سير المركبات والحشود الوافدة وتسهيل وصول

---

١ ـ تاريخ لبنان السياسي كما يرويه كبار السياسيين. فؤاد شهاب في الشوف لأول مرة ومقتل نعيم مغبغب.

http://www.almustakbal.com/raymond/histoire_libanpolitique19html.

الرسميين والمحافظة على الأمن، لقد صرح إده بأنه لم يدع إلى هذا المؤتمر فقصد فخامة الرئيس شهاب للاستفسار.

الفقرة الثانية ـ تكليف سعد بتنظيم المؤتمر

صرح الرئيس فؤاد شهاب، على لسان وزير الداخلية ريمون اده، بأنه كلف أنطون سعد، رئيس المكتب الثاني بالإشراف على هذا المؤتمر وتنظيمه، وذلك لتخفيف الأعباء عن كاهل ريمون اده، وكي يجعله يستريح من شدّة الإرهاق.

لم يتخذ سعد أي إجراءات لتنظيم السير وحفظ مرور الرسميين في تلك الموقعة بالذات، على ما أجمعت عليه كل الأخبار المتناقلة بهذا الخصوص.

الفقرة الثالثة ـ تفويض الحزب الاشتراكي بتنظيم السير

تخلفت الدولة عن القيام بواجباتها في تنظيم الحشود الوافدة للمؤتمر في تلك المنطقة، وفوضت أمر تسهيل وصول السيارات والرسميين، إلى الحزب الاشتراكي مع شاراته الخضراء.

الفقرة الرابعة ـ شميط يصر على اصطحاب مغبغب إلى بيت الدين

كان مغبغب من الفرحين بقدوم رئيس الجمهورية للمرة الأولى إلى الشوف، فأراد أن يعبر عن الترحيب والاستقبال خاصة وأنه نائب الشوف، وبدل الذهاب إلى بيت الدين، صرَّح بأننا نريد استقبال فخامته هنا في بلدتنا، فجلب أغصان الصنوبر وشيد قوسي نصر في ساحتي البلدة، وزينهما بأغصان الأرز، التي استجلبت من أرز عين زحلتا وتجمهر عدد كبير من أبناء البلدة ومحازبيه، والجميع مغبوطين بهذا الحدث، لا يصدقون أن هذه الساحات التي كانت منذ فترة زمنية مسرحاً للتقاتل وإطلاق النار، أصبحت اليوم تقيم أقواس النصر والفرح، والأخوة، وكانت بعض النسوة تزغردن فرحات، لطي صفحة الزمن الماضي البغيض، وإذ بنعيم مغبغب بأبهته وجلاله يروح ويجيء بين محازبيه مبتسماً، يسلم عليهم، يتمشى في ساحة البلدة، والجموع تلحق به في كل خطوة يخطوها، وكأن هناك سحر يقرِّبها إلى زعيمها.

سمعنا بالأفكار التي كانت متداولة بأن نعيم مغبغب يريد الذهاب إلى قصر بيت الدين، لكن أهله وأصحابه وأصدقاءه حاولوا ردعه، لذلك أقدم على إنشاء قوسي النصر في عين زحلتا، قائلاً إننا هنا، سنستقبل الرئيس شهاب في بلدتنا عين زحلتا، ولن نذهب إلى قصر بيت الدين. كنا وإياه في ساحة عين زحلتا فتركها متوجهاً لزيارة راهبات القلبين الأقدسين في مدرسة القديس كيرلس، التي تبعد عدة أمتار عن الساحة، عدنا إلى المنزل في أول عين زحلتا، وجلسنا على الشرفة، في الطابق الثاني، حيث كانت على مستوى الطريق العام وبعد ساعة من الزمن شاهدناه في سيارته على طريق فرعية ينعطف أمام منزلنا، وجهته الطريق العام المؤدية إلى بيت الدين، وقد وجَّه السلام للجميع وأكمل سيره يلحق بسيارة أخرى مجهولة منا، وجهتهما بيت الدين، فانتابنا القلق، وتساءلنا عمَّا يفعله؟ ولماذا غيَّر وجهة سيره؟ ووقفنا جميعاً نراقب مشدوهين.

«توجهنا نحو الساحة مستفسرين عما حصل، فقيل لنا، إنه كان واقفاً في الساحة، حين مر رئيس أركان الجيش اللبناني آنذاك، يوسف شميط، الذي خفف سيره، وسأله عما إذا لم يكن يريد الذهاب إلى الحفل، مصراً عليه بمرافقته، مشدداً بوجوب الحضور، ويداه تؤكدان عليه باللحاق به، ثم إطمأن وقد تمهل لكي يعتلي سيارته ويلحق به، وهكذا اعتقد، بأنه برفقة أمينة، فصعد إلى سيارته ومعه سائقه فؤاد الزعر ومرافقه من آل سعد، متجهاً إلى بيت الدين»[1].

الفقرة الخامسة ـ حادثة الاغتيال[2]

قبول نعيم مغبغب بالمشاركة مرده طي صفحة الماضي، وإظهاراً بأنه لا يضمر أي حقد أو ضغينة تجاه الرئيس الجديد، خاصة وقد كانت له مواقف سلبية منه. وما أن وصل إلى مفرق معاصر بيت الدين، حتى التقى بجمهور كبير من الناس ينتمون إلى

١ - يروي سائق نعيم، أنه قال له في السيارة بأنه يشعر بأن هناك مؤامرة عليه، النهار، تاريخ ٩ آب ١٩٥٩.

٢ - جريدة الجمهورية، ٢٨ تموز ١٩٥٩، كيف قتل نعيم مغبغب؟ وجريدة بيروت، مات النائب نعيم مغبغب وقع الحادث على بعد مئتي متر من قصر بيت الدين.

الحزب التقدمي الاشتراكي زاحفون إلى قصر بيت الدين للمشاركة مما أدى إلى ازدحام السير وتوقفه. في هذه الأثناء تعرَّفوا إليه فأخذوا يتهامسون والشر يتطاير من وجوههم. ترجل من سيارته قاصداً سيارة شميط. فجأة، التفَّ المحتشدون حول سيارته شاهرين السكاكين والمسدسات. أطلق سليم عزام (نصر) النار من مسدسه، أصابه في رأسه، فوقع أرضاً، وأكمل عليه الجميع بالسكاكين والحجارة والعصي ولم يدعوه إلا جثة هامدة. سرى النبأ المشؤوم سريان النار في الهشيم في القرى المجاورة، خاصة في قصر بيت الدين، كما أصيب رياض سعد الذي لحق به في سيارته الخاصة، ونوى البعض الإجهاز عليه، أما سائقه فؤاد الزعر فترجل من السيارة، واقتاده المحتشدون إلى جنب الطريق مع المرافق، وعفوا عنهما وأفاد لاحقاً بأنه شاهد شخصاً يلبس بدلة كاكية مع قتلة المرحوم نعيم.

بعدما أفرغ الجمهور حقده على نعيم مغبغب، تركه جثة هامدة، ممزقة، مضرجة بالدم، على قارعة الطريق، وابتعد خوفاً مما حدث. كانت الدولة غائبة تماماً، لا وجود لها ولا من يشير إلى تحرك من قبلها. أمام هذا المشهد المشين، تجرأت صبية من منزل مجاور لمكان وقوع الجريمة، وبتشجيع من أهلها على أخذ حرام، لتغطية الجثة. «وقد أفادتني حديثاً، بأنها لا تزال حتى اليوم، وبعد مضي خمسون عاماً، تهتز وترتجف لذكرى ذلك المنظر المنكود». إن اغتياله بأبشع صورة يجسد شناعة ما جرى[1].

في عين زحلتا، كانت الجموع لا تزال بحركة دائمة لاسيما في الساحة، وعلى غفلة بما حصل. في تلك الأثناء، مرت سيارة بداخلها رياض سعد وهو مصاب بنزيف في رأسه، دون أن تتوقف. أخذ المحتشدون يتساءلون عما حدث، وتوجس بعضهم شراً. اتجه خليل محبوب مغبغب، وسليم أيوب مغبغب إلى مخفر الدرك في عين زحلتا للاستعلام، أكد لهما ضابط المنطقة بأنه لم يحصل ما يعكر الأجواء، وأن نعيم مغبغب بخير. رجعا إلى الساحة، وكنا موجودين هناك. في تلك الأثناء، لوحظ أن بعض المسلحين يتجهون إلى أعلى البلدة، لكن بدون معرفة السبب. أخذ خليل محبوب يروح ويجيء دون هدف، ثم قصد مجدداً المخفر، فردد له المسؤول ما أسمعه إياه في المرة

١ - تمّ بناء مزار مكان وقوع الجريمة.

الأولى، وقد أقسم بشرفه العسكري بأن شيئاً لم يحصل. رجع إلى الساحة، والشك في ذهنه، وكان وجهه متجهماً داكناً، فأشار إلينا بوجوب الذهاب إلى المنزل، فتوجهنا إلى بيت زوج خالتنا نجيب معوشي، قرب منزل عيسى غانم، وكان هناك أشخاص عديدون. بدأ الخبر ينتشر فاغتاظ الجميع، وبدأوا يتجمهرون بنية قطع الطريق، وبإحراق أقواس النصر المعدة للاستقبال. وما هي إلا لحظات حتى بادرت مصفحات الجيش إلى احتلال جميع طرق عين زحلتا، ووزع أفراد الجيش على المفارق ولم يترك مدخل صغير إلا وضبط، وقطعت الكهرباء وحل الظلام، باستثناء أنوار عربات الجيش الكاشفة المتنقلة طوال الليل، تمنع أي تحرك ولا تجيز لأي كان حتى الخروج من منزله، فكان المنظر رهيباً بعدما استفاقت الدولة بكامل عديدها وعدتها، منقضة على عين زحلتا، بعد غياب كامل أدى إلى وقوع الحادثة المروعة.

كان رئيس الحكومة، رشيد كرامي في طريقه إلى قصر بيت الدين، عندما وصل إلى حيث حصلت الجريمة، وكانت أرتال السيارات لا تزال محتشدة، نصحه الحاضرون بعدم مواصلة سيره، فعاد إلى دارته في صوفر واتصل ببيت الدين وبقوى الأمن التي سارعت إلى تطويق المنطقة، ومنعت الدخول أو الخروج منها.

الفقرة السادسة - رواية الحادثة على لسان وزير الداخلية

أغرب ما في قضية اغتيال نعيم مغبغب، ما جاء على لسان ريمون اده وزير الداخلية[1]. فقال أنه سمع يوماً، بأن رئيس الجمهورية سيحضر إلى الشوف حيث يقام مهرجان لتكريم المغتربين في قصر بيت الدين، وهناك جنبلاط بالمختارة، وشمعون في دير القمر، وتلك كانت الزيارة الأولى للرئيس شهاب إلى الشوف، إذاً هناك تدابير كان علينا اتخاذها.

وأضاف أنه حالاً اتصل بالرئيس شهاب وقال له: فخامة الرئيس قيل لي بأنك ذاهب إلى الشوف، هل هذا صحيح؟ أجاب نعم، أنا ذاهب إلى الشوف غداً. ولكن أنا وزير الداخلية وليس عندي خبر، فقال أنت تتعب وتشتغل كثيراً ولا أريد أن أزعجك

١ - تاريخ لبنان السياسي، المرجع المذكور.

وأعذبك، فقال له إده، يا فخامة الرئيس واجباتي هذه، فقال كلا المكتب الثاني سيهتم بهذه الأمور. فقال له، يا فخامة الرئيس أصبحت اليوم مدنياً وطالما أصبحت كذلك كل شيء له علاقة بالأمن وبشخصك الكريم صار من صلاحياتي. فقال كلا، أخذنا الاحتياطات اللازمة، المكتب الثاني أيضاً، فقال اده، إذن أنا لست مسؤولاً، فقال كلا أنت لست مسؤولاً. ويشير مصدر موثوق، بأن الرئيس شهاب، عندما علم بمقتل نعيم مغبغب، طلب أنطون سعد، وصفعه على وجهه، على مرأى من الجميع.

وأردف إده قائلاً: إنني بقيت في المكتب في السراي، حتى الساعة السادسة وبعد ذلك طلعت إلى بيت الدين لأن اللياقة تقضي بذلك وعندما وصلت إلى كوع بيت الدين، رأيت ازدحام سيارات فسألت، ما القصة؟ قالوا: قتلوا نعيم مغبغب.

طبعاً نزلت من السيارة وهناك بعض الناس الذين عرفوني وأخذوني جانباً وأخبروني بأنه كان أمام سيارة نعيم مغبغب سيارة الزعيم شميط وحدث ما حدث، ولم يستطع أحد أن يدافع عن نعيم مغبغب، وقتل بالضرب والعصي، ولم أستطع الوصول إلا سيراً على الأقدام، مشيت تقريباً ربع ساعة، لأن الطريق كانت مسدودة وعندما وصلت إلى بيت الدين كان رئيس الجمهورية واقفاً مع بيار الجميل والمسؤولين يتقبلون التهاني من المغتربين.

بادرني الرئيس شهاب قائلاً: وأنت يا وزير أين كنت؟ قلت له أين كنت؟ في مكتبي فقال ألم يخبروك بما حصل؟ فقلت له الآن عرفت بما حصل، فقال ولكن أنت مسؤول عن الأمن فقلت له إني أذكرك باتصالي بك وأنت قلت لي بأن المكتب الثاني سيهتم بالأمن ولا لزوم لي بأن أهتم لهذا وأنا عندي مشاكل أخرى ولكن أنا لا مانع عندي ولا أتهرب من المسؤولية وإذا كنت تريدني أن أهتم بالأمن، تعطي أمراً للعسكريين بأن يكونوا تحت تصرفي وينفذوا أوامري وتقول لوزير الدفاع الذي كان رئيس الوزارة بأن يوافق على أن أهتم أنا بالأمن وأعطي أوامر للجيش، فقال حسناً، ورشيد كرامي عندئذٍ قال: أنا موافق خذ كل التدابير اللازمة، وليس عندي مانع.

«أجبته أن هذا لا يكفي أريدك بأن تبعث تجيب الضابط المسؤول وتبلغ قائد الجيش عادل شهاب بأنه من اليوم وصاعداً يأخذ الأوامر مني بما خص قضية الأمن. وقل

لرئيس المكتب الثاني أنطون سعد وأظن بأني لمحته هنا، وأنا لا أتكلم معه، أبعث وراءه وأفهمه وقل له معي لا يوجد مزح الأمر سينفذ. إذ به يأتي بأنطون سعد ويقول له: من الآن فصاعداً تأخذ أوامرك من معالي وزير الداخلية وكل الأوامر التي يعطيك إياها يجب أن تنفذ حرفياً، وبلّغ كذلك عادل شهاب، وأنا حالاً لأني أعرف الشوف وأعرف منطقة الشوف طلبت جيشاً فقالوا: ليس عندنا جيش هنا، فقلت له كتير منيح، إذن أنا عندي شخص هنا لي ثقة به يدعى الكولونيل حرب كان موجوداً في البقاع. اتصلت به وقلت له أريدك أن تأتي حالاً مع مصفحات والعسكر الذين في استطاعتك أن تأتي بهم معك إلى الشوف، وعندما يأتي اتصل به وأعطيه مكان إقامتي»[١].

اجتمع الوزراء دون رئيس الحكومة، وانتقل بعدها الوزيران ريمون اده وبيار الجميل، إلى صوفر فاجتمعا برئيس الحكومة وتباحثا معه في الحادثة، خاصة بعدما حصلت اشتباكات في عين زحلتا وبعض قرى الشوف، فقطعت الطرقات في أماكن عديدة وحطمت أقواس النصر لاسيما في الكحالة وعاليه والدامور وعين زحلتا... وسرت شائعات بأن الوزيرين اده وجميل، سيستقيلان من حكومة لا تستطيع فرض سيطرة القانون ولا تستطيع فرض الأمن، ولم يكن لها أي وجود، ولو شكلي في منطقة الاحتفال، وكونها تنازلت حتى عن تأمين السير إلى الحزب الاشتراكي.

عندها أخذت القوى الأمنية تفتش المنازل، خاصة منازل مناصري المغدور، الذين لحق بهم النصيب الأوفر، فأوقفت عدة أشخاص على ذمة التحقيق، وصادرت بنادق حربية وذخيرة، وقنابل وبنادق صيد وخناجر.

طالب بعض النواب باستقالة الحكومة، لعلة تقاعسها وعدم إمساكها بالنظام فقد كانت تعلم علم اليقين، بأن فئات كبيرة مختلفة النزعات والميول السياسية ستحضر إلى ذلك الاحتفال، لاستقبال رئيس الجمهورية الذي يزور الشوف للمرة الأولى، فلم يكن يوجد أي أثر للجيش وقوى الأمن في تلك المنطقة، حتى لتسهيل السير، أو لتفتيش السيارات، فكأنها قد تعودت عدم سلوك تلك الناحية، منذ ثورة عام ١٩٥٨،

---

١ - تاريخ لبنان السياسي كما يرويه كبار السياسيين. فؤاد شهاب في الشوف لأول مرة ومقتل نعيم مغبغب.

http://www.almustakbal.com/raymond/histoire_libanpolitique19html.

إذ إن أجواء تلك الثورة لا تزال طاغية، فلم تتحرك الدولة لتتحمل مسؤولياتها واتخاذ التدابير اللازمة لتدارك أي حادث أمني قد يقع بين تلك الجموع وكان من بينهم نعيم مغبغب الذي كان يصفه أخصامه «بشرير عين زحلتا» و«صحيح أن مبدأ «لا غالب ولا مغلوب» كان قد أوصل البلاد إلى شيء من الأمن والاستقرار، وصحيح أن هذا المبدأ أوقف الثورة والحرب الأهلية والثورة المضادة، لكن الآثار السلبية على الأرض لم تعالج كما يجب، فالأحقاد لا تزال تعتمل في النفوس[١]. وبعد اغتيال النائب نعيم مغبغب، في مطلع عهد الرئيس شهاب، راقب جنبلاط ما حدث والذي ينتظره، شاء رئيس البلاد اعتبار الحدث قرباناً كتب على المسيحيين تقديمه على مذبح الوحدة الوطنية[٢].

كان من الطبيعي أن تُتهم الحكومة بهذا الحادث، وأن يقضي الوزير إده طيلة الوقت في مقر بيت الدين مطالباً بإجراء تحقيقات سريعة واتخاذ التدابير اللازمة لمنع تعكير جو الأمن. وقد أصدرت الحكومة البيان التالي:

«حوالي الساعة السادسة من مساء السابع والعشرين من تموز (يوليو) الجاري وبينما كانت جماهير المدعوين والوفود متوجهة إلى قصر بيت الدين لحضور الاستقبال الذي أقيم تكريماً لوفود المغتربين، تعرقل سير السيارات، عند مفرق معاصر بيت الدين وكان بين الأشخاص الذين وقفت سياراتهم بسبب تعذر السير النائب نعيم مغبغب الذي ترجل من سيارته وعندها حصل اشتباك أدى إلى مقتله، وقد سيطرت قوى الأمن على الموقف وقبضت على نفر ممن اشتركوا بالحادث وسلمتهم إلى السلطة القضائية التي باشرت التحقيق، والتحريات جارية للقبض على الآخرين وقد اتخذت جميع التدابير المشددة للمحافظة على الأمن والنظام في تلك المنطقة، والحكومة إذ تأسف لهذا الحادث تدعو الأهلين لمساعدتها على المحافظة على الهدوء والسكينة، وتعلن بأنها ستضرب بكل قوة على كل من تسول له نفسه الخروج على النظام والقانون وقد أعطيت الأوامر إلى قوى الجيش والأمن بإطلاق النار دون إنذار على كل من ينقل سلاحاً حربياً».

١ ـ حمية، سلسلة، رقم ١٦، صفحة ٤١.
٢ ـ روبير نجيم في ذكرى ٢٢ عاماً على غياب كمال جنبلاط، النهار، ٢٤ أيار ١٩٩٨.

الفقرة السابعة ـ التويني يطالب الرئيس بتعزية آل مغبغب[١]

عند علمه بالحادث تقدم غسان التويني من رئيس الجمهورية في بيت الدين وطلب منه الذهاب لتعزية عائلة المغبغب قبل عودته إلى بيروت لأن المغدور ناضل كثيراً تجاه وطنه من فدائي في فلسطين إلى رئيس الحرس الوطني في بشامون إلى رافع علم بلاده فوق البرلمان، إلى سجنه تعسفياً سنة كاملة، كل ذلك في سبيل وطنه، غير أن الرئيس رفض طلبه ويضيف التويني بأن مقتل المغبغب كان سبباً لمعاداته الشهابية[٢].

توجيهات وزير الداخلية: «مغبغب قتل بحادث سيارة»

يقول ريمون اده، «إنه بعدما انتهى حفل المغتربين عند الساعة التاسعة تقريباً، وبعدما تفرقت الناس، أبلغني رئيس الجمهورية بأنه يجب أن لا أخبر أحداً بوجود حادث قتل حتى لا يخاف المغتربون». وأعطى الأوامر لبث فكرة مقتل نعيم مغبغب بحادث سيارة، تلافياً لحدوث اضطرابات في الشوف، فكان أن شاع الخبر بحسب التوجيهات.

بقي رئيس الجمهورية مع المغتربين، وعندما حانت ساعة العودة وكان من المفترض سلوك طريق عين زحلتا حيث نصبوا له أقواس نصر حسب التقاليد والوفود تنتظره هناك. لكن طبعاً بعد حادثة الاغتيال اختفت الوفود وأطفئت الأنوار في المنطقة المسيحية فلم يبقى أحد لاستقباله. توجّه أنطون سعد إلى الرئيس قائلاً: «أنا يا فخامة الرئيس أقترح بأن تعود عن طريق دير القمر». أما وزير الداخلية فخالف هذا الطرح: «وأنا أقترح بأن تعود بحسب الخطة المرسومة أي عن طريق عين زحلتا إلا إذا كنت تعتبر نفسك يا كولونيل سعد بأنك أنت مسؤول عن مقتل نعيم مغبغب، وإلا فمما تخافون؟ على كل حال بما أنني صرت مسؤولاً عن الأمن وأنا أرى بأن تعود يا فخامة الرئيس عن طريق عين زحلتا لأنك لست مسؤولاً عن مقتل نعيم مغبغب».

١ ـ النهار، مقال ميشال أبو جودة، في حمى الأمير.
٢ ـ تصريح في مقابلة تلفزيونية أجراها تلفزيون الجديد بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ٢٠٠٧ في موضوع علاقة غسان تويني مع رؤساء الجمهورية؛ ـ ومقالنا: غسان تويني عن الشهيد نعيم مغبغب، «رافع علم الاستقلال»، النهار ٢٢/١١/٢٠١٠.

فقال: «حسناً». فقلت له: «الدليل بأنه لا يوجد شيء وإني سآخذ الاحتياطات سأذهب قبلك بخمس دقائق وسآخذ موتوسيكلات معي حتى يظنوا بأني أنا رئيس الجمهورية عندئذٍ إذا كان هناك ضرب رصاص أو خطر على الطريق سيضربونني أنا دون أن يعلموا من أكون وأنت تمر بعدي بخمس دقائق». فقال: «مثلما تريد». ركب هو ورشيد كرامي ولا أعلم أين ذهب بيار الجميل واتفقنا بأن نجتمع في وزارة الدفاع في بيروت حتى تأخذ الحكومة التدابير اللازمة وقلت له: «لا يجوز بأن نظهر ضعفاً ونهرب وأنا لذلك سأمشي عندما تأمر بأنك ستمشي عندئذ أسبقك بخمس دقائق وأنت تلحقني وأنا أنتظرك في صوفر ومن هناك نذهب كلنا سوياً إلى وزارة الدفاع». فقال: «حسناً سننفذ أوامرك يا معالي الوزير». فقلت له: «شكراً فخامة الرئيس».

«وهكذا حصل، ركبت في سيارتي وأخذت أربع موتوسيكلات حتى يعتقدوا بأني رئيس الجمهورية وإني أمر بتلك القرى وهكذا حصل. مررنا في عين زحلتا وطبعاً كان الظلام مخيماً وأزالوا أقواس النصر ولا أحد على الطريق ولكن عرف بأن رئيس الجمهورية مار. مررنا دون أن يحصل شيء وانتظرته أنا على المديرج وعندما جاء سبقته إلى أوتيل صوفر» عندئذ قلت له: «كيف كان المشوار؟ إن شاء الله لم تنزعج»؟ فقال: «كلا ماشي الحال». فقلت له: «أرأيت لم يحصل لك شيء وهؤلاء العسكريون يخافون كثيراً والظاهر بأنك تخاف مثل أنطون سعد، فما قصتكم أنتم العسكريون تخافون كثيراً»؟ فقال: «حسناً ولكن الآن نريد أن نرى التدابير». فقلت له: «أنا سأنزل إلى وزارة الدفاع».

نزلنا إلى وزارة الدفاع وتابعنا ماذا يحصل وعادوا وبلّغوا بأن الأوامر تصدر عني. هم ذهبوا وناموا وأنا عدت فطلعت ورأيت الكولونيل حرب في أوتيل صوفر وقلت له: «أريدك أن تحاوط لي القرية الفلانية والقرية الفلانية والأوامر هي إذا طلع شخص من بيته وهو يحمل السلاح تنبهه أول مرة وثاني مرة وثالث مرة وإذا ما وقف تطلق عليه النار».

«في اليوم التالي صباحاً، شخص لا أعرف اسمه طلع من منطقة أغميد فأنذره الجيش ولم يقف، أطلقوا النار فأردوه. وبهذه الطريقة جمدت الحالة لأن هنا عندما

يموت مسيحي يجب أن يموت مسلم والعكس بالعكس. طبعاً لم أقتل هذا الشخص ولكن الظروف قضت بأنه خالف الأوامر وأحسّ الناس والمسيحيون خاصة بأن القوة موجودة وكذلك أحس الدروز وكل واحد بأنه لم يعد يوجد مزح بأن يقتل أحدهم الآخر فهناك جيش وحكومة وأوامر، ودلعة ما بقى في. طبعاً أنا لم أكن مسروراً في أن يقتل درزي ولكن أنا واجباتي أن أحافظ على الأمن وهي كانت ولم يحصل شيء ولم يضرب أحد الآخر وابتدأ التحقيق. طبعاً الذين اغتالوا نعيم مغبغب قاموا بعملهم هذا وهربوا بنفس الوقت إلى سوريا وفيما بعد حوكموا ولكن حتى الآن لم نستطع أن ننفذ الحكم».

الفقرة الثامنة ـ شمعون يطالب بتوقيف جنبلاط

اجتمع نواب الوطنيين الأحرار في منزل الرئيس كميل شمعون في السعديات لتدارس الوضع، وطلب شمعون رسمياً ضرورة توقيف جنبلاط والقتلة فوراً حسماً للفتنة.

سرت أنباء بأن سيارة رسمية مموهة وزعت صور زعيم المختارة كمال جنبلاط، بعد الحادث، وكان بداخلها أشخاص شهدوا تفاصيل الجريمة، لا بل أن أحدهم قال للقتلة قطعوه شقفتين، وحتى أن أحد هؤلاء شارك في الجريمة.

وسرت شائعات بأن المشتركين في الجريمة، لجأوا إلى دار المختارة، ليكونوا بحماية كافية من قبل أنصار جنبلاط، وأن بعضهم تم تهريبه إلى جبل العرب في سوريا، بمساعدة زعيم راشيا الدرزي شبلي العريان، مما حدى بالبعض للمطالبة باقتحام قصر المختارة واستدعاء كمال جنبلاط شخصياً للتحقيق، واللجوء إلى القوة للقبض على المشبوهين وتنفيذ المذكرات الصادرة.

الفقرة التاسعة ـ استنكار المسؤولين[١]

أخذت الاستنكارات تتوالى من المسؤولين فور شيوع الخبر، قال رئيس الحكومة رشيد كرامي، بأن الحكومة تبدي أسفها على فقيد البلاد النائب نعيم مغبغب والذي يزيدني أسفاً الظروف التي أحاطت بالحادثة الأليمة، فزاد هولها وشدتها في بلد

١ ـ حسين حمية، الأفكار، سلسلة الاغتيال السياسي رقم ١٦.

كلبنان، يعيش في جو نريده أن يكون مفعماً بالمحبة والوفاء، حتى يشعر اللبنانيون جميعاً بأنهم في هذا الوطن متساوون في الواجبات والمسؤوليات، ولبنان الذي عرف على أنه بلد العلم والثقافة والمحبة والإنسانية والعقل والمنطق، لا يمكن لأحد من أبنائه أن يقبل بمثل هذه الأساليب أو يسكت عنها لأنه إذا عادت مثل هذه العقلية، فإن مصيرنا ولا شك إلى زوال[١].

أما وزير الداخلية، فكشف عن الإجراءات الجارية والتحقيق المستمر في ظروف هذه الحادثة والفاعلين، وقد صدرت مذكرات توقيف بحق بعض المتهمين، وأكد بأن الأمن مستقر، وأنه لن يتوانى لحظة واحدة عن القيام بالواجب، دون انحياز أو خوف، وعن كشف الفاعلين والاقتصاص منهم بأقصى سرعة.

أما بيار الجميل[٢]، فقد اتهم عناصر غريبة بتسميم الجو في لبنان لغايات مشبوهة، وأنه على ثقة بأن الشعب اللبناني الذكي والذي أدهش العالم برقيه، سيحبط مساعي هذه العناصر بدليل إحباطه كل ما سبق قيامه من هذا النوع وعدم اهتمامه بالشائعات الكاذبة التي تحاول النيل من الوحدة الوطنية، فهذه الحوادث قد أثرت على موسم الاصطياف وعلى وضع الاقتصاد اللبناني أيضاً، إلا أن الحكومة تبذل كل جهدها لإزالة الأثر السيء الذي خلفته هذه الحادثة والبحث جار حالياً بيننا حول المصلحة الوطنية العليا والسبل التي تعيد الأمن في البلاد.

علي بزي المقرَّب جداً من نعيم مغبغب قال بأن هذا الأخير كان مثال الجرأة والإقدام ومثال الوفاء المجسم للأصدقاء، كما كان في مقدم المخلصين لهذا البلد، وهو من لم يرد أن يرفع على قبة المجلس النيابي علماً غير علم لبنان.

أنور الخطيب، قال إنه من الخير أخذ الأمور بالتؤددة والحكمة لأنه يخشى من أن يرافق الحالة في الشوف أي تطورات لن تكون في مصلحة أحد.

---

١ - أصدرت الحكومة بياناً يتضمن تحذيراً صريحاً لمستغلي حادث الشوف حزبياً وطائفياً، أنظر النهار، ٤ آب ١٩٥٩.

٢ - واجه بيار الجميل ضغوطات كبيرة من محازبيه تدعوه للاستقالة من الحكومة بسبب مقتل نعيم مغبغب، أنظر النهار، ٥ آب ١٩٥٩.

هنري طرابلسي رفيق نعيم مغبغب، في اللائحة الانتخابية أصر على الحكومة باتخاذ التدابير اللازمة، وإلاّ سيدعوها للاستقالة قطعاً لأي نقاش.

قحطان حمادة، الذي كان أيضاً زميل مغبغب في اللائحة الانتخابية فصرح، بأن عدداً من المعتقلين هم من أنصاره وأنصار المير مجيد أرسلان، وأنصار المغبغب نفسه، وطالب بإطلاق سراح الأبرياء الذين ما برحوا موقوفين إدارياً.

رأى بشير الأعور، أن الاغتيال السياسي ذو حدين، لأن مسبب هذا الاغتيال اليوم قد يكون غداً ضحيته، وتساءل فمن الذي يظن أن خيمة زرقاء قد نصبت فوق رأسه تقيه الشرور وتدفع عنه الأذى والبلية، ولم يتهم الأعور أحداً لكنه أكد أن مسؤولية اكتشاف الفاعلين تقع على عاتق الحكومة محذراً من مغبة السير على قاعدة الاغتيالات السياسية رحمة بلبنان قبل كل شيء آخر، لأن لبنان لا يستطيع أن يتحمل هذا الوزر الثقيل لافتاً إلى أن نعيم مغبغب هو الرجل الذي نكس راية فرنسا في أوج سطوتها على هذا البلد ليحل محلها راية الأرز.

علق الرئيس صائب سلام، على الدعوات للإضراب العام، فقال، إني إذ أستغرب أي دعوة إلى الإضراب في هذا الظرف الذي تقوم فيه الحكومة بكامل واجبها، أستنكر أي عمل كهذا يؤدي إلى تعكير الأجواء وإثارة الفتن، واغتنم هذه الفرصة وأبدي مرة أخرى استنكاراً للجريمة التي ذهب ضحيتها المرحوم نعيم مغبغب. فأنا لم ولن أقر يوماً الاغتيال السياسي، وإذا كنت صلباً في جميع مواقفي السياسية فإنني أيضاً أشجب أعمال الفتن في كافة الظروف والأحوال وهذا تاريخنا حتى في أثناء الثورة الدامية التي اضطررنا فيها لحمل السلاح دفاعاً عن كياننا وعقيدتنا تجاه الضغط والإرهاب والتعسف من قبل الحاكمين.

دعى نسيم مجدلاني إلى الهدوء والسكينة وترك قضية نعيم مغبغب للقضاء لاسيما وأن الحكومة جادة في القبض على المجرمين وأن الدعوة للإضراب سوف تضر بالمصلحة العامة.

الدكتور فؤاد عون قال: إنني أضم صوتي إلى صوت من طالبوا ويطالبون بالاقتصاص من القتلة وأؤكد أن العدالة ستأخذ مجراها ولاسيما في عهد يثق اللبنانيون بأنه سيكون عهد عدل وحكمة وإخلاص وطني، فكلنا نشعر بأن الموقف السياسي من

الدقة بحيث يحمل كل مواطن على أن يستأنف الجهاد من أجل المحافظة على الوحدة الوطنية والكيان اللبناني، ومقاومة كل من تسول له نفسه بأن يستغل هذا الحادث لبث بذور التفرقة وإشاعة الحقد بين أبناء الطوائف المختلفة مع ما قد يجر ذلك من كوارث يجب أن يتنبه لها كل عاقل.

الدكتور ألبير مخيبر، طالب بإعلان الحداد على القانون والدستور.

هاجم جان عزيز الاغتيال السياسي واستنكر جريمة اغتيال نعيم مغبغب.

قال محمود عمّار إن أساليب الاغتيال السياسي ذات حدين، فإذا ما اتبعت في بلد ما، فمن شأنها أن تغرقه بفيض من المآسي والنكبات لا أول لها ولا آخر مطالباً الحكومة بالضرب بشدة على أيدي الجناة.

الفقرة العاشرة ـ الإضراب واستنكار الحادث[١]

سارت مظاهرات في الجبل وبيروت ورأس بعلبك مستنكرة الجريمة، فما كان من قوى الأمن سوى تفريق المتظاهرين واعتقال بعض العناصر من حزبي الوطنيين الأحرار الذي كان ينتمي إليه مغبغب والقومي الذي كان يعاونه مستندين إلى قانون منع المظاهرات، وإحالة الموقوفين إلى القضاء.

ناقش حزب الكتائب موضوع اغتيال مغبغب، خاصة أن الأجواء لم تكن قد استقرت بعد، فطالب رئيسه بيار الجميل بإيضاحات حول التدابير التي اتخذتها الحكومة للاقتصاص من الجناة، وتساءل عن الخلل الذي كان سائداً قبل وقوع الحادث، ومن المسؤول عنه، وأكد على وجوب معاقبة كل من ساهم من قريب أو بعيد في مقتل مغبغب.

رأى الحزب السوري القومي في موقف الحكومة تقاعساً عن أداء واجبها وذلك بالتغاضي عن الأعمال المخلة بالأمن، مما قد يشعل الفتنة في لبنان، فمن واجب السلطة أن تنهض لأداء مهمتها في بسط سلطة القانون وهيبة الحكم لحماية المواطنين في أرواحهم وأموالهم من شرور المخربين، ولاسيما من طغمة تدعي الاشتراكية والتقدمية،

١ ـ كتب مارك رياشي في النهار ٤ آب ١٩٥٩، أن نعيم كان يثق أنه بحمى الدولة وبحمى القانون، وحمل المسؤولية للدولة التي فسحت له الدخول إلى الموت بالطريقة التي قبل بها.

بينما دأبها إحراق لبنان وإراقة دماء أبنائه ونشر الفوضى والفتنة في أرجائه واستنكر الحزب هذا الأسلوب الدنيء من الاغتيال السياسي وهذه الجريمة البشعة التي وقعت على مرأى من السلطة مهددة جوهر وجودها في الصميم، ومودية بحياة نائب من ألمع نواب لبنان، وحمل السلطة مسؤولية قطع دابر المجرمين والإجرام وضرورة القيام بواجبها، وإلا فإن عجزت عن القيام به فيزول مبرر وجودها.

الفرع الثاني ـ التحقيقات القضائية والملاحقات[١]

الفقرة الأولى ـ إحالة القضية إلى المجلس العدلي

فور وصول الرئيس شهاب إلى قصر الذوق، دعى مجلس الوزراء إلى عقد جلسة استثنائية قرر خلالها إحالة القضية إلى المجلس العدلي. وقد صدر بالفعل المرسوم ١٨٢٨ تاريخ ١٩٥٩/٧/٣١ قضى باعتبار الاغتيال اعتداء على أمن الدولة وإحالة القضية على المجلس العدلي.

كُلف القاضي جورج ملاط التحقيق في تلك القضية التي هزت المجتمع اللبناني عامة ومنطقة جبل لبنان بوجه خاص،

وكان قاضي تحقيق جبل لبنان قد قام بالتحقيق الأولي، والكشف على مكان وقوع الجريمة ومعاينة الجثة، وبعد تكليف ملاط بالتحقيق، كشف على موقع الجريمة مجدداً، وأوعز للقوى الأمنية في الضابطة العدلية، بنقل الجثة إلى إحدى المستشفيات في بيروت، وقد نقلت إلى مستشفى الكرنتينا.

الفقرة الثانية ـ الإجراءات الأولية

أقدمت السلطات الأمنية على تطويق وعزل مكان وقوع الحادث، ومنعت مرور السيارات، حيث قام مدعي عام جبل لبنان بالكشف على الموقع وبمعاينة الجثة، ثم نقلها إلى المستشفى الحكومي لتشريحها والكشف عليها.

١ ـ كتب غسان تويني في النهار، تاريخ الأول من آب ١٩٥٩، أن القانون وحده يقود للهدوء والطمأنينة والاستقرار، وأنه وحده متى تسلحت به الدولة يقطع الطريق على كل مؤامرة.

تم تشريح الجثة في مستشفى الكرنتينا، بحضور قاضي التحقيق العدلي، جورج ملاط، وثلاثة أطباء شرعيين منهم هنري صعب فتبين بأن المرحوم نعيم مغبغب تعرض لثلاث إصابات قاتلة، الأولى برأسه بضربة قاسية وقوية أحدثت نزفاً داخلياً، والثانية بطعنات عديدة قوية في ظهره وبطنه بآلة حادة كخنجر أو ما شابه، والثالثة بطلقات نارية متعددة في صدره وبعض أنحاء جسمه صادرة من مسدس حربي وبأن جمجمته كانت محطمة ونزعت رصاصتان من زنده، وإنه مصاب بطعنة سكين، كانت ظاهرة في أعلى زنده لجهة الكتف، وعنقه كان سليماً، كما أصيب برصاصتين في الرأس والخد، أما جسده فلم يكن مصاباً. وصرح ملاط بأنه لا صحة لما قيل أنه ذبح ذبحاً.

ثم استخرجت الرصاصات، كأدوات للجريمة، وضمت إلى الملف، وما إن انتهى التشريح، حتى أمر قاضي التحقيق العدلي بتسليم الجثة إلى ذويها الذين كانوا ينتظرون خارج المستشفى مع الأنصار مطلقين صيحات الغضب ومطالبين بالثأر من الفاعلين، وقد نظم ملاَّط محضراً حسب الأصول ووقعه مع الأطباء المكلفين.

علقت جريدة «البناء» بأن رصاصات الإقطاع الجاني صرعت من عرَّض صدره للرصاص أيام الاستعمار مراراً فأخطأه رصاص الفرنسيين وأخطأه رصاص اليهود في فلسطين، ولكن صرعه رصاص الإقطاع الغادر[1].

وأوردت جريدة «التلغراف» بأن هناك عدة روايات حول كيفية مقتل المغبغب، منها أن مجهولاً أنزله من السيارة وألقاه أرضاً وانهال عليه بالضرب، في تمام السادسة من مساء الاثنين، عند مفرق الباروك من جهة بيت الدين، بمساعدة جمهور كان في مهرجان استقبال الرئيس، وقد أسرع رجال الدرك، لكن بعد فوات الأوان، وبعد تفريق الجمهور، وجدوا جثة النائب مغبغب على الأرض[2].

كان بين المغتربين الوافدين إلى مهرجان قصر بيت الدين صحافياً يلتقط صوراً للجمهور، فلاحظ أناساً يدورون حول شيء ما، بدون أن يدري التفاصيل، فأخذ

١ - حمية، المرجع السابق، رقم ١٦، ص ٤١.
٢ - حمية، المرجع السابق، رقم ١٦.

يلتقط صوراً لهؤلا، وقد سلمها إلى المحقق جورج ملاط، علها تساعده في كشف الجريمة.

النبذة الأولى - آل مغبغب يرفضون تسلم الجثة

رفض الأهل تسلم الجثة قبل القبض على الجناة والقتلة، محملين الدولة مسؤولية ما حدث من جرّاء تقاعسها في ضبط الأمن مما أدى إلى حصول تلك الجريمة.

النبذة الثانية - رسالة غسان نعيم مغبغب إلى الرئيس شهاب

وجه غسان، ابن الشهيد البالغ ثمانية أعوام، كتاباً مفتوحاً إلى رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب، تحت عنوان «لا أحب الدماء» ومما قاله:

يا فخامة الرئيس

أمس كنت أنتظر عودة أبي من بيت الدين ليروي لي أخبار مهرجانات الشوف، قال لي قبل أن يذهب أن اليوم سيكون تاريخياً، لأنك لست رئيساً كالرؤساء تدخل مقر الرؤساء. إنها صفحة من تاريخ لبنان، يكتب فيها تاريخ جديد، ولم يشأ أبي أن يكون غائباً عن الحدث.

كثيرون قالوا له لا تذهب.

ولكنك أنت تعرف لماذا ذهب، ذهب حتى لا تكون لفريق دون آخر، هكذا قالوا لي.

وقال لي أبي أن الذين يريدون احتكار صداقتك وإبعاد الناس عنك وختم عهدك بخاتم حزبيتهم، وفرض أنفسهم وإرادتهم على حكمك كله كثيرون، وأن خير وسيلة لتحريك منهم في التقرب منك، وجعلك فوق الأحقاد والضغائن التي يتاجر بها البعض، وإطفاء نيران الثورة التي يريدون إبقاءها مستعرة حتى يستمر تهويلهم بها.

وتصرف أبي وكان باسماً وكأن الثورة قد انتهت.

وفي ظنه، وظننا أنها انتهت فعلاً!

كنت أنتظر أمس أن يعود ليروي لي كيف كان كل ذلك، ولكن أبي لم يعد أمس ولا عاد اليوم ولن يعود.

قالوا لي إنه مات.

ثم منعوني حتى من أن أراه وأن أقبله مرة أخيرة، وأضمه إلى صدري كما كان يفعل ابن جيران لنا، لا أنساه من سنة أو سنتين، رأيته يودع أباه الكهل، وقالوا لي ولأخي أننا أصبحنا اليوم بعد ذهاب أبي رجالاً، ترى ماذا ينتظر من الرجال.

سألتهم لماذا لا أرى أبي قبل دفنه، قالوا لي أنه لن يدفن، وسألتهم لماذا، قالوا حتى تصبح رجلاً، ما تراني أفعل وعمري ثماني سنوات.

علموني في المدرسة أن أصلي، وأن أطلب لأبي الغفران، وأن أطلب الغفران حتى للذين أساؤوا إلي، حتى يغفر لي الله ما أسأت.

ولكنه كيف يمكنني ألا أسمع ما يقال حولي.

بعض ما يقال حولي يجعلني أسأل.

أليس لهؤلاء أبناء مثلي يفتقدونهم إذا هم لم يرجعوا في المساء،

أوليس لهم أبناء كانوا يعيشون مثلي، ويموتون والغصة في أنفسهم لو لم يتح لهم أن يشاهدوا أباهم ويعانقوه، ولو بعد وفاته لماذا إذن فعلوا به كل ما فعلوه.

سمعت اليوم قصصاً وحكايات يقشعر لها بدني الصغير.

وتذكرت ما يقوله الناس من أن الفرق بين الدولة والثورة هو أن القاتل في الدولة تحكم عليه المحكمة فيعدم وأن القاتل في الثورة يؤخذ منه ثأر قتيله وتكر سلسلة الدم وسبحة الرؤوس.

يا فخامة الرئيس:

يا رئيس الدولة

لا أحب الدم، لا أحب الدم،

لا أريد مأتماً لأبي، أريد أن أودعه، قبل أن يجف جلده على عظمه، وأريد ساعة يصلى عن نفسه، أن أظل على إيماني بأن الله رحوم غفور فلا يحل في نفسي، محل الإيمان، الحقد، ومحل الثقة بالإنسان طبش الدم».

النبذة الثالثة ـ مأتم وطني رسمي مهيب بغياب رئيس الجمهورية وأهل الفقيد

رفض الأهل تسلم الجثة قبل القبض على الجناة فانبرت الدولة لتشييع الفقيد، وأقامت له مأتماً مهيباً رسمياً وسط تدابير مشددة، غاب عنه رئيس الجمهورية، في مطرانية بيروت للروم الكاثوليك في محلة رأس النبع، وتقدم المشيعين رئيس المجلس النيابي عادل عسيران، ورئيس الحكومة رشيد كرامي، والوزيرين ريمون اده وبيار الجميل، وبحضور لفيف من النواب: جوزف سكاف، جورج الهراوي، بيار اده، شفيق ناصيف، البير مخيبر، كلوفيس الخازن، رضا وحيد، رشيد بيضون، جان حرب، نهاد بويز، تقي الدين الصلح، علي بزي، خاتشيك بابكيان، كامل الأسعد، بشير الأعور، فيليب تقلا، هاشم الحسيني، ديكران توسبط، محمود عمار، باسيل عبود، جوزف شادر كما حضر عدد من الوزراء السابقين هنري فرعون، جواد بولس، وبعض ممثلي الدول العربية والأجنبية ومحافظي بيروت وجبل لبنان ورئيس المجلس البلدي في بيروت ومدعي عام التمييز إميل هنود، ووفد قيادة الجيش برئاسة العقيد عبد الهاشم، ووفد نقابة المحامين برئاسة النقيب جورج فيليبيدس.

لف نعش الفقيد بالعلم اللبناني، وحمله رجال إطفائية بيروت وأدت له التحية فصيلتان من الدرك والشرطة وعزفت موسيقى الدرك لحن الحزن.

الفقرة الثالثة ـ الرثاء

النبذة الأولى ـ المطران باسيليوس خوري

بعد تلاوة الإنجيل المقدس وتأبين الفقيد على يد المطران باسيليوس الخوري، مطران صيدا والشوف للروم الكاثوليك ووصفه بشهيد لبنان، بعد أن اغتالته يد الغدر

والخيانة مطالباً الحكومة الضرب بيد من حديد على الأيادي الأثيمة والمجرمة التي تهدد استقلال وسيادة هذا البلد، ألقى رئيس المجلس عادل عسيران كلمة قال فيها:

الخطب الذي نزل بساحتنا فادح جلل، والمصيبة التي رزئ بها المجلس بمصرعك جسيمة أليمة، ولبنان قد خسر بفقدك من أبرز أركانه، محامياً لامعاً ورجل إقدام نطقت سيرته بواسع تضحيته، وعرف بتفانيه وجرأته في الذود عن حياض الوطن واستقلاله.

لقد دعاه الجهاد إلى فلسطين، فما توانى عن تلبية النداء بحماسة واعتزاز، وانبرى في بشامون، يجود بنفسه ويقدمها على مذبح الفداء، ونهض مدافعاً عن حرمة المجلس النيابي يرد عنه اعتداء الغاشمين في فجر الاستقلال، ودخل الندوة البرلمانية نائباً فأثبت أنه برلماني حصيف وكان مثال المؤتمن الحريص على مصالح الشعب، وأقبل يشارك في إدارة الحكم فما تقاعس عن البذل بشغف مستمر.

كأني بالقدر الغاشم أراد بمصرعك أن يسوق إلى لبنان نكبة جديدة، ليبلو تحملنا للمكاره، ويبلو حلم عقلائنا في تدارك الفتنة، ويبلو صدق وحدتنا بعد كارثة الأمس البعيد. بل كأني بهذا الضرب تجربة قاسية نمتحن بها، لندلل على إيماننا بأننا نخبة هذا الكيان، وبقاء هذا المجتمع هو في نبذ العنف ووباله، وتبديل القوة والإساءة بالمسامحة، ونحن نتساءل بأسى ومرارة إما أن للبنان أن تستحيل فيه الخصومة الحمراء، خصومة عقائدية صرف، تقوم على المنطق والحجة وتعيش على الإقناع وحده، فلا يلطخها الإثم ولا تضرجها الدماء.

النبذة الثانية ـ نقيب المحامين: جورج فليبيدس

أما نقيب المحامين جورج فليبيدس، فكانت له كلمة مؤثرة خاصة وأن نعيم كان زميلاً محبوباً، ومما قاله:

يا نعيم،

يعز علي أن أقف بين يدي جثمانك العزيز والجراح التي حزت قلوب المحامين على وفاة زميلهم ونقيبهم المرحوم فريد قوزما لم تندمل بعد، فالطعنة النجلاء التي أصابتك قد أصابت أخوانك وزملائك... إن الجناية البشعة لم تقتصر على اغتيالك يا

نعيم بل نفذت جريمة المغتالين في جسدك وروحك إلى أسرة المحامين كلها وإلى قدسية القانون وسيادته، فطعنت الحرية، حرية الفرد وحرية الرأي وحرية الفكر في الصميم.

ونحن إذ نبكي صديقاً وزميلاً عزيزاً من نقابتنا ووطنياً ومجاهداً أبى أن يرفع علم أجنبي فوق سيادة الأمة، فنستنجد في محنتنا بقيادة الفكر والقلم، برجال الدين والسياسة وبسائر المسؤولين ليقفوا معنا صفاً واحداً في سبيل المحافظة على لبنان هذا الوطن الذي لم يقم يوماً على الحقد والضغينة ولا على الاحتكام إلى السلاح والأخذ بالثأر، بل بناه أبناؤه على الإخاء والمحبة والتسامح جاعلين من القانون المرجع الأوحد لمنازعاتهم وخلافاتهم كائنة ما كانت.

إن نقابة المحامين تستنكر مصرعك يا نعيم، أشد الاستنكار وتطالب السلطات بإنزال أقصى العقوبة بالجناة ليس حباً بالانتقام بل ضناً بمهابة القانون وسيادته، فيبقى لبنان بلد الرقي والعلم والنور وموطن الحرية لأبنائه جميعاً على اختلاف عقائدهم وميولهم ونزعاتهم وإلا رجع لبنان القهقرى ليس إلى ظلمات القرون الوسطى فحسب بل إلى التفرقة القتالة تصرع هذا الوطن في أقدس حرماته وأعز أسباب وجوده. ولئن كان والدك وزوجتك ونجلاك وسائر أنسبائك غائبين عن هذا المأتم إلا أننا معهم بالروح، نشاركهم في هذا المصاب، فدموعهم دموعنا، وجراحهم جراحنا، ونحن نشاطرهم حزنهم العميق على أمل أن نخرج جميعاً من هذه المحنة بما يدعم لبنان ويبعثه وطن الحرية لا الفوضى، إذ لا حرية إلا من عصمة القانون.

يا نعيم في هذه الساعة الأليمة، أنحني أمام جثمانك وأنثر عليه وداع زملائك وإخوتك الذين هالهم هذا الخطب المفاجئ وأثارهم هذا الاعتداء الأثيم يودي برجل كانت رجولته مثال البسالة والجرأة والإقدام، وألمعية وقَّادة جعلت منه، في قصر العدل وفي البرلمان ذلك المناضل الشجاع الذي فاض الغمرات واقتحم الساحات فخرج منها سليماً إلى أن صرعه الغدر في ليلة لم يخطر في بال أحد أن حواسيتها ستضرج دمك الغالي.

فقد عرفناك وبلوناك واختبرنا صفاتك ومزاياك فلم تحد يوماً عن النهج الذي أردته لنفسك، فكنت الوطني المقدام في مختلف ساحات النضال، وعلى سجيتك الكبرى التي رافقتك في شبابك وكهولتك، وأفضت بك إلى تلك الخاتمة المفجعة.

النبذة الثالثة ـ المشوار الأخير

سار الموكب باتجاه مدافن محلة الناصرة وأودع الجثمان في مدفن خاص، ثم تقبل رئيس المجلس النيابي والوزراء ونقيب المحامين التعازي. بعدها أمر وزير الداخلية ريمون اده وضع حراسة على المقبرة، بعدما تردد أن أهل الفقيد يريدون نبش الجثة ونقلها إلى بلدته عين زحلتا، لتدفن فيها.

النبذة الرابعة ـ رثاء مجلس النواب: من قبل أدوار حنين[1]

اجتمع مجلس النواب بدعوة من رئيسه، لبحث موضوع اغتيال مغبغب ومطالبة الحكومة بالكشف عن الجناة والمجرمين، تحت طائلة إسقاطها، فطلب الكلام إدوار حنين، ليرثي زميله حيث قال:

إلى دمعتك يا عطوفة الرئيس

إلى دموع زملائنا الأفاضل

إلى الدموع الغزيرة التي نزلت على جثمان زميلنا ورفيقنا نعيم مغبغب، أضيف اليوم دمعة حزن على العقل النير الذي انطفأ واللسان الزرب الذي سكت والقلب الكبير الذي هدأ إلى الأبد فقد كان مقدراً لنعيم مغبغب أن يموت في طريق البطولة بطلاً على يد أبطال. ولم يكن مقدراً له أن يموت في طريق الأمانة والسلام غدراً على يد الجبناء الرعاديد. ومهما يكن من أمر فإن مواطناً قد سقط فيما كان يقوم بواجب ولذلك وجب أن يكون القصاص سياسياً قاصماً الظهر، لا هوادة فيه ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب، لئلا يرشح في نفوس اللبنانيين أن بعضاً من المواطنين يموتون في بحرهم الهادئ جبائر عادية تشمخ على السلطة فلا يمكن أن يطولها القانون. إنني لا أطلب أن تمدوا أيديكم إلى من يظن أنهم القاتلون، فتنصبوا لهم المشانق قبل أن يكشف عن وجوههم التحقيق النزيه العادل ولكنني أطلب بإصرار أن تبدو النية الصادقة والعزم والحزم على دفع التحقيق في أسلم الطرق من أجل أن يطول القابعين جميعاً فاعلين ومشتركين ومحرضين إلى مثل هذا تطمئن نفوس اللبنانيين وإلى غيره لا تطمئن. قد أكون لا أضن

١ ـ الدور التشريعي التاسع، العقد الاستثنائي الأول، محضر الجلسة العاشرة ١٩٥٩.

أن تسقط شعرة من رأسي إكراماً لنعيم مغبغب ولكنني أقبل أن أموت من أجل أن يحيا نعيم مغبغب، وأمثال نعيم مغبغب، أحراراً على أرض لبنان وهذا أقل الإيمان.

وتابع حنين:

أيها السادة قد يكون الذي وقع للزميل الحبيب أمر أعاد فداحة الخسارة وعلى أن المصاب جسيم ذلك لأنه لا يخرج عن كونه اغتيالاً سياسياً وقع مثله على الأباطرة والملوك والرؤساء وعظماء الأرض؛ على أن وقوعه في بلد صغير مثل لبنان يدعو إلى المخاوف ويجر إلى أوخم العواقب وإلى أشر الشرور.

الفقرة الرابعة ـ المجلس النيابي

افتتح رئيس المجلس النيابي الجلسة قائلاً: فقد هذا المجلس ركناً من أركانه وفتى من أعز فتيانه وهو المرحوم الأستاذ نعيم مغبغب، فقدناه لأنه اغتيل بأيد أثيمة وواجبنا في هذا المجال أن نقف دقيقتي صمت حداداً على الفقيد الغالي، فوقف حضرات النواب دقيقتي صمت.

بعدها في المجلس النيابي تعالت أصوات النواب احتجاجاً على الحكومة محمليها مسؤولية ما جرى وما يجري، وركزت الانتقادات على الغياب الكامل لرجال الأمن الموجلين بحفظ الأمن وتأمين السير وفتح الطرقات، وطالبوا بحجب الثقة عن الحكومة وراح البعض يطالب بإعطائها فرصة للسيطرة على الوضع وجلب المطلوبين للعدالة.

الفقرة الخامسة ـ التأبين في مجلس النواب

اجتمع مجلس النواب بدعوة من رئيسه لبحث موضوع اغتيال مغبغب، وتأبين المغدور وتناوب على الرثاء عدد من النواب:

أولاً ـ كلمة النائب علي بزي

عطوفة الرئيس، حضرات الزملاء الكرام

لم أصدق النبأ، وقلت لعل الضحية أحد أنصارك، ولعل أناساً يريدون تعكير الصفو يشيعون ذلك.

بقيت وكثير من الاصدقاء نعلل النفس بهذا الحساب حتى - ويا للأسف والحسرة - تيقنا الخبر المشؤوم وكان أول ما ذكرناه يا نعيم موقفك المعروف أمام قبة هذا البرلمان تدافع عن علم لبنان وعز استقلاله بدمك وحياتك وذكرنا الوفاء النادر وكيف أنك تعرضت وتصديت مراراً للموت لم تعبأ به ولم تهن وكنت تسلم وتنجو منه وإذا بك في وقت لم يحسب أحد له حساباً تفاجأ ونفاجأ ولقد قضيت حياتك تناضل وتكافح . الذين يفتدونك بأرواحهم والخصوم الذين يتمنون زوالك وهلاكك، شأنك في ذلك شأن الرجال الشرفاء لا يدارون خصماً ولا يتهربون من تبعة صداقة .

كنت تنتصر على خصومك مرة وينتصرون عليك أخرى، حتى كانت حادثتك الاخيرة هذه فإذا أنت المنتصر الوحيد وإذا بالخصوم يحزنون كالاصدقاء ، ويتساوى الحزن والاسى والحسرة عليك من الجميع .

إذا حزنت يوماً ففاضت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

فعلينا رحمة الله ولك جنانه .

ثانياً - كلمة رئيس الحكومة

ان الحكومة تشاطر المجلس الكريم والشعب اللبناني لوعته وأسفه على فقيد البلاد النائب المرحوم نعيم مغبغب، وان الذي يزيد في أسفنا جميعاً الظروف التي أحاطت بهذه الحادثة فزادت من هولها في بلد كلبنان، يعيش في جو نريده مفعماً بالمحبة والاخاء حتى يشعر اللبنانيون بأنهم في هذا الوطن إنما تتساوى بينهم الواجبات والمسؤوليات . ولبنان الذي عرف كبلد للعلم وللمحبة ، كبلد للانسانية ، وللعقل وللمنطق، لا يمكن لاحد من أبنائه أن يقبل بمثل هذه الاساليب أو أن يسكت عنها ، لانه إذا ما سادت مثل هذه العقلية في وطن كلبنان فجميعنا نحس ونشعر بأن نتيجتنا جميعاً إلى زوال، لذلك فإني باسم الحكومة أتقدم من المجلس الكريم ومن الشعب اللبناني عامة بأصدق عواطف التعزية مستمطراً شآبيب الرحمة على الفقيد الغالي .

ثالثاً - كلمة النائب شفيق مرتضى

عطوفة الرئيس، زملائي الكرام، إنها فاجعة، حادثة الأمس فاجعة أدمت القلوب وقرحت الاجفان وأفقدت لبنان الهدوء في وقت هو أحوج ما يكون فيه إلى الهدوء ، وإنها فاجعة افقدت هذا المجلس زميلاً عزيزاً مأسوفاً عليه، وستبقى ذكراه خالدة في النفوس. لبنان جنة الله في أرضه، أترضون أن نحيله إلى الجحيم؟ إنه لعقوق للوطن، للقيم، لله، إنه كفر، لله ما أكرم الخالق، فكم أغدق على لبنان من هنيئة الحياة، لله ما أجحد المخلوق، فكم اقترف في هذه الجنة من موبقات! لبنان بلد المحبة والتسامح ، لبنان بلد الاخاء والحرية عبر العصور والدهور، ما أحوجه اليوم إلى التسامح بل ما أحوجنا اليوم نحن اللبنانيين إلى المحبة بالذات، فلولا النفس المليئة بالسوء لما أريق الدم اللبناني في السنة الماضية ولما وقعت فاجعة الامس. فلنعد إذن إلى الصفاء وإلى المحبة كما كنا جميعاً وكما ينبغي أن نكون ملتفين حول رجل لبنان الذي أحب الجميع فأحبه الجميع، والذي يتعطش اللبنانيون أن ينعموا بقيادته الرشيدة لتحقيق العدالة والمساواة، اننا أحوج ما نكون إلى المحبة فلنبشر بها رفقاً بوطنكم أيها اللبنانيون .

رابعاً - كلمة النائب نهاد بويز

نرثيك لا لأنك نزحت عنا اليوم، ولا لأنك نائب من صدر المكان في هذا المجلس، فالذي كان يصح في حياتك يصح القول فيك اليوم بعد مماتك، ان المرحوم نعيم مغبغب اسطورة من أساطير هذا البلد في الجرأة، في الوفاء ، في العلم، في الاندفاع ، نعيم مغبغب مواطن ما عرف ان يطأطىء رأسه تجاه أي رئيس، نعيم مغبغب نائب ونعم النائب، نعيم مغبغب وزير عرف ان لا يلصق الوزارة بالنيابة وكثيراً ما قال انني انتقلت من كرسي إلى كرسي في سبيل احقاق الحق. أما قتل نعيم مغبغب فلا يتفق مع رسالة لبنان التي نوه بها دولة رئيس الحكومة وهي رسالة المحبة والاخاء فنحن بفقد المرحوم نعيم مغبغب لا نفقد نائباً ووزيراً تمرس بالحكم بكل أمانة وحسب، بل نفقد المواطن الصالح ، وغدا عندما نتطلع إلى نعيم مغبغب فلا نجده نقول: وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر.

خامساً ـ كلمة النائب الدكتور ألبير مخيبر

عطوفة الرئيس، لو كان المرحوم نعيم مغبغب مات موت ربه لتمكنت من التأبين والاشادة بمناقبه، إنما نعيم مغبغب قتل قتلاً وقضى شهيداً وكنت أود عندما أعلنت الرئاسة الكريمة الوقوف دقيقتي صمت على الفقيد أن اتكلم فلم أتمكن لانني كنت أود أن استميح الرئاسة عذراً لاجلس حداداً على القانون في هذا البلد، فنعيم مغبغب مات شهيداً والشهداء لا يموتون، نعم كنت أود ان أبقى جالساً احتجاجاً على الحكومة لانها أهملت القانون ولم تجرؤ على تنفيذه، لهذا احتججت على طلب الحكومة الثقة لانني كما قلت في هذا المجلس أعتبر أن المراسيم الاشتراعية لم تمنع القتل وإنني أتحسس أن موت المرحوم مغبغب لم يكن قتلاً لنعيم مغبغب فحسب، بل قتلاً للشعب الذي انتخب نعيم مغبغب وقتلاً للحكومة وللثقة التي كان قد أعطاها اياها نعيم مغبغب. نحن كنا نطالب الحكومة بتطبيق القانون لا لاننا نريد أن نعارض هذه الحكومة للمعارضة فقط، لقد أردنا مرات عديدة أن نمد أيدينا إليها، وكنا نقول لها احكمي وطبقي القانون نحن نؤيدك، ولكن منذ أكثر من أربعة أشهر نرى الحكومة غير قادرة على تطبيق القانون، وفوق كل ذلك نراها قد خلقت شيئاً جديداً هو الطبقية القانونية، أي ان الحكومة تطبق القانون على فلان بالنسبة لطبقته ولا تطبقه على آخر بالنسبة لطبقته. هذه هي المدرسة الجديدة التي خلقتها هذه الحكومة. نحن بعد أن سمعنا كلام دولة رئيس الحكومة نوافق على كلامه، ولكن كما قلت منذ أكثر من أربعة أشهر نرى مخالفات عديدة للقانون والحكومة تقف مكتوفة الايدي تجاهها، وعندما نقول للحكومة أين القانون وأين تطبيق القانون تجيبنا: أرسلنا القوى ولم نجد أحداً. أنا لم أعجب لمقتل المرحوم نعيم مغبغب ولن أعجب لمقتل أي شخص من هذا المجلس لأن القتل أصبح في لبنان لا يعاقب عليه. ان لبنان يا سيدي، وسبب وجود لبنان، هو القانون، فإذا خسر لبنان القانون ولم يعد المواطن اللبناني يطمئن لوجود القانون، لم يعد من موجب لوجود لبنان، أما ردة الفعل عند الحكومة فكنت انتظر أن اقرأ في الصحف صبيحة يوم الحادثة استقالة الحكومة تبرئاً من هذه الجريمة وانتصاراً للقانون، انها لو فعلت، لكنت هنأت الحكومة على عملها نحن نريد يا سيدي أن نعيش بمعنى الحياة وكما يقول المثل الحياة وقفة عز.

ثم اخيراً اسأل معالي وزير الداخلية والعدلية بالوكالة، هل ان سلطة وزير الداخلية تشمل جميع الاراضي اللبنانية أم لا، ثانياً بصفته وزيراً للداخلية كان عليه أن يؤمن الطريق إلى بيت الدين أي ان يؤمن سلامة الطريق، فهل أمن معالي الوزير الطريق أم انه أعطى أمر تأمينها إلى فئة من الفئات وهي التي أخذت على مسؤوليتها تأمين سلامة الطريق؟ ثالثاً: إنني أسأل الحكومة إلى أين وصلت التحقيقات التي أجرتها في حادث مقتل المرحوم نعيم مغبغب خاصة وقد أصدرت البلاغ تلو البلاغ وأصبح هناك بلبلة لا يجوز لحكومة محترمة ولمجلس محترم أن يقعا فيها، ونحن نتحسس كل ذلك، وعندما نحجب الثقة نعلم إننا لا نشاركها المسؤولية في الحكم أي اننا نحن نتبرأ من هذا الحكم ومن مسؤولية الامن في هذا البلد.

سادساً ـ كلمة النائب جورج هراوي

حضرة الرئيس، كلمتي في الزميل الراحل نعيم مغبغب آخذها من والد نعيم مغبغب، لقد سمعت وسمع معالي وزير الداخلية عندما ذهبنا إلى بيت المرحوم ما قاله الرجل بكل هدوء ورزينة. أعتقد وأظن أنه هو الكلام الحق الذي علي أن اقوله في المرحوم نعيم مغبغب، لقد قال الوالد المفجوع الذي كنا ننتظر كلنا أن يثور في وجه الحكومة أو في وجه النواب، لقد قال: ليس نعيم مغبغب ضحية لهذا البلد فقط، بل أب نعيم مغبغب وأبناء نعيم مغبغب هم ضحايا لهذا البلد إذا كانت هي الأخيرة التي تؤمن لهذا البلد الاستقرار الدائم. هذا ما أقوله في المرحوم نعيم مغبغب، نحن لسنا في مجال مناقشة الحكومة عن الامن بل ان مناقشتنا محصورة في الراحل الكريم ولا يسعني في هذه المناسبة إلا أن أتذكر قول الشاعر:

والنفس من خيرها في خير عاقبة   والنفس من شرها في مرتع وخم

وأذكر في هذه المناسبة كلاماً قاله رئيس حكومة غربية في مجلس النواب في معرض مناقشة عامة، قال أريد أن أذكركم وأقول لكم: ما من حزب أو هيئة هو الدولة إلا الدولة نفسها.

سابعاً ـ كلمة النائب جان عزيز

حضرة الرئيس، لو جمعنا له نوح الحمام ودموع الآلهة، بل لو جمعنا له تفجع الايامى واليتامى منذ أبد الدهر لما وفيناه حقه. شاب من المع شباب هذا البلد قرن إلى

الشجاعة بصيره وعقله، وإلى الاقدام وفاء واخلاصاً واتزاناً، عصامي وان كان ينتمي إلى عائلة كريمة إلا أنه بكده واخلاصه واقدامه بنى لنفسه مركزاً كبيراً مرموقاً. في دقيقة تغلب فيها الطيش على الحكمة والاجرام على الحكمة إذا بنعيم مغبغب تراباً من تراب، النبأ الفاجع والمصيبة لا تعادلها مصيبة، ذلك لان موت نعيم مغبغب إنما هو موت شعب بكامله، لان الاغتيال السياسي معناه القضاء على جميع القيم الانسانية والقيم الوطنية في بلد كلبنان، ونعيم مغبغب أراد أن يموت، وحاول ان يموت مرات ومرات، أراد ان يموت في عهد الاستقلال عندما انبرى نحو الاجنبي يطلق عليه النار لانه رفع فوق قبة البرلمان علماً غير العلم اللبناني، وأراد أن يموت عندما دعاه داعي الوطنية إلى فلسطين فكان في مقدمة المجاهدين المخلصين، وكان في كل ساعة بل وفي كل دقيقة مستعداً أن يموت فداء لقيمة من القيم الكبرى في هذا البلد، ونحن لا يمكننا أن نقف عند ضريح نعيم مغبغب وان نذرف عليه دمعة جزافاً، إذ نكون قد خنا المغبغب في فترة ينبغي لنا أن نستخلص من وفائه عبرة نعتبر بها، وهذه العبرة هي أن هذا البلد لا يعيش على التطرف ولا يجوز فيه التطرف حتى في سبيل الحق والحقيقة. هذه هي العبرة التي أتوقف عندها كي لا يقول في خلوده إني مت هدراً وسدى، ولم ينتفع بلدي من دمي.

أيها السادة إنني أناشد اللبنانيين، جميع اللبنانيين، بأن يقفوا عند هذه الحقيقة كي يأخذوا عبرة لحاضرهم ولمستقبلهم، أتوجه من عائلة الفقيد ومن منطقته ومن إخوانه في الحزبية ومن خصومه، لانهم يتألمون كما تألم كل لبناني، أتقدم منهم جميعاً بواجب التعزية ولكن قبل أن أختم كلمتي أود أن أقف هنا في كلامي... أريد أن أعلنها كلمة صريحة، ان الحكومة التي حجبت ثقتي عنها في الجلسة الماضية واليوم، انسجاماً مع نفسي ومع المبادىء القانونية التي أعتقد أنها صحيحة، هذه الحكومة بالذات، أريد أن أرجع بكم في الذكرى إلى الاسباب التي أدت إلى وجودها في الحكم، هذه الاسباب التي أوشكت أن تزول انبعثت الآن وتجددت، ولذلك فإني أذهب إلى عكس ما ذهب إليه زملائي، بالرغم من اني حجبت الثقة لاعتبارات مبدئية، وأقول: إنني مع هذه الحكومة، ولكن إلى حين. وعندما يظهر جلياً ان الحكومة أمسكت بخيوط الجريمة ووضعت لها معالمها، ثم لأي اعتبار كان، تلكأت وتقاعست، فإني أحاكمها، إما أن أقول اليوم إنه كان على الحكومة أن تستقيل، فاسمح لي يا أخي ويا زميلي الدكتور

مخيبر أن أقول لك انك اخطأت، فالحكومة يجب أن تبقى، ولكن يجب عليها أن تضرب بيد من حديد حفاظاً على حرمة القانون. وإذا كنتم لا تغبطون الحكومة على مركزها، أو إذا كنتم تعتقدون أن وجود هؤلاء الاربعة في الحكم تضحية فلا أقل من أن تشدوا أزرهم حتى ينجلي وجه الحق وتتمكن من إلقاء القبض على الجناة.

أيها السادة: حكموا العقل قبل العاطفة، فالعاطفة شيء خطر في جو مثل هذا الجو الذي نعيشه اليوم. فلا سلطان إلا للحق الذي هو، قبل كل شيء، عقل وهدوء واتزان.

ثامناً ـ كلمة النائب أديب الفرزلي

في هذا الزميل (أي نعيم مغبغب) الذي فقدنا قيمتان يندر أن يتحلى بهما رجل. القيمة الأولى هي الرجولة الصافية التي يندفع فيها دون مواربة، وراء عقيدته وايمانه بمبادئه، والثانية هي وفاؤه واخلاصه لعقيدته، فيندفع إلى هدفه بكل ايمان واخلاص، وكلنا يعلم أنه كان يملأ كرسيه كنائب.

والمؤسف حقاً أن من قتله هم أناس لبنانيون وهنا تكمن الخطورة: أن يقتل اللبناني لبنانياً دون أن يقدر أو يحترم صفات من يقتل.

وأخطر من هذا أيضاً أن لا يعتبر اللبناني القتل من الأحداث الكبرى فيتجاوزها إلى ارتكاب جريمة الاغتيال. فالخطورة التي تجابه الدولة اليوم هي أن اللبناني بدأ لا يؤمن بالخصومة السياسية على صعيد المنطق، بل أصبح يؤمن أن فوزه السياسي يحتم عليه فتح قبر لخصمه.

خدم هذا الرجل وطنه كثيراً، وكنت أتمنى لو بقي حياً لنستفيد من مؤهلاته، لكنه مات وعلينا أن نتخذ من موته عبرة تنير طريقنا، فإذا جعلتم للقانون سيفاً مسلطاً ذا حدين فوق عنق كل لبناني يطاله التحقيق، عندئذ تكونون قد شققتم طريق الامان للبنان، واذا كان القانون لا سمح الله، يقف عند حد معين، نكون نحن وأنتم والجميع شركاء في الجريمة، وعندما يسير القانون بألسنة من نار فيحرق كل شيء نشترك جميعنا آنذاك باستئصال تلك الروح الشريرة التي بدأت تتغلغل في صدور اللبنانيين في خصوماتهم السياسية.

إنني أعلن أننا نشعر في أعماقنا بالاسف على الرجل الفذ، وأعلن أن أخصامه خسروه أكثر من أصدقائه لانه يندر أن يكون للمرء خصم شريف، وهذا ما جعل خصومه أكثر حزناً وأشد أسفاً على موته.

تاسعاً ـ كلمة النائب هنري طرابلسي

الشعب اللبناني، والرأي العام اللبناني، والعالم كله الذي يهتم بلبنان، يريدون التأكد من أن هذين النصين يطبقان فعلاً في لبنان، نصاً وروحاً، لا انهما حبراً على ورق، كسائر القوانين المكتوبة والمعمول بها في لبنان.

المادة السابعة من الدستور تقول: كل اللبنانيين سواسية أمام القانون وهم يتمتعون بالحقوق المدنية والسياسية نفسها ويتحملون الفرائض والواجبات العامة دون ما فرق بينهم.

والمادة الثامنة تقول: «الحرية الشخصية مصونة وفي حمى القانون لا يمكن أن يقبض على أحد أو يحبس أو يوقف إلا وفاقاً لأحكام القانون ولا يمكن تحديد جرم أو تعيين عقوبة إلا بمقتضى القانون».

فالشعب اللبناني يريد أن يعرف ما إذا كان هذان النصان مطبقان في لبنان أم مهملان كسائر القوانين.

هناك شخص يا سادة، يعرفه الجميع، منذ أن انتهت الحوادث إلى اليوم لم ينطق بكلمة إلا وملؤها التهديد والاستفزاز والتحريض، ولم يكتب أو ينشر مقالاً إلا وهو مملوء بالتحريض والاستفزاز والتهديد.

مضى على بدء الحوادث أشهر طوال، ولم يجلب هذا الشخص إلى التحقيق ولم يستجوب على جرائمه الاستفزازية.

هناك حادث جديد جرى قبل مقتل المرحوم نعيم مغبغب، حادث قطعت فيه الطرقات العامة من قبل رجال مسلحين وكان ذلك الشخص نفسه هو الذي جاء بأولئك الرجال وسلحهم ودفعهم إلى قطع الطرقات، ووقف معهم برهة من الزمن ليتأكد من ذلك.

عرفت الحكومة وأجهزة الدولة بذلك، وإذا كانت التقارير العلنية المفضوحة لم تذكر تفاصيل الحادث كما حصل فإن التقارير السرية كانت صادقة ولم يكن بامكانها ان تكذب، لانها ولو كذبت ولم تعلم رؤساءها بحقيقة ما حصل لنال أصحابها العقوبات وماذا كانت النتيجة؟ ان ذلك الشخص لم يستدع ولم يمثل أمام العدالة ولم يستجوب.

وبالامس كان برفقة ذلك الشخص قوم معلومون ومقربون منه اغتالوا نعيم مغبغب بالطريقة المعروفة، وعلى بعد عشرة أمتار من سيارة قائد المنطقة، فهل استدعي ذلك الشخص للتحقيق؟ كلا! هل إنه استجوب؟ كلا! والمادتان السابعة والثامنة من الدستور اللبناني لم تطبقا على هذا الشخص.

إذن، لهذا الشخص ميزات لا يمتلكها أحد في البلاد من أرفع مقام إلى أوضع مقام، لانه لو وقعت مسؤولية ما على شخص آخر، سواء كان زعيماً أو صاحب سلطة لاستجوب صاحب السلطة أو الزعيم.

ان الميزات الشخصية التي كانت للافراد نبذتها الشعوب منذ أجيال، لانها كانت سبب الثورات. إننا لم نعتبر أنفسنا أسياداً في بلدنا إلا بعد أن عطلنا كل الامتيازات الاجنبية وأصبحنا اسياداً تريدوننا ان نبقى عبيداً نقبل بامتيازات الافراد؟

ان لهذا الشخص على اتباعه سلطة هي أقوى من سلطة المخدوم على خادمه، وأقوى من سلطة الولي على القاصر، وأقوى من سلطة القائد على من يقودهم، فإذا ارتكب اتباعه جريمة نكراء مثل هذه الجريمة الاخيرة يجب أن يكون هو أول من يستجوب، وإلا فانكم تكونون قد عطلتم النصوص الدستورية.

لنرى ماذا حصل بعد الحادث. نجد قوى الجيش والدرك موزعة في الشوف ومنتشرة فقط في دير القمر وعين داره وعين زحلتا، وتنطلق من هذه القرى دوريات لا تجرؤ على تخطي مركز كرسي المطرانية، لان بين كرسي المطرانية وجزين منطقة يحرسها قوم مسلحون بالسلاح الظاهر.

أعطت الحكومة أوامرها باطلاق النار على كل من يحمل سلاحاً ظاهراً، هذا شيء حسن، ولكني أقول: ان بين بيت الدين وجزين قوماً مسلحين بسلاح ظاهر ولكن قوى الامن لا تجسر على دخول تلك المنطقة.

وزير الداخلية مقاطعاً ..... تعال معي غداً فأريك كيف أدخل تلك المنطقة.

هنري طرابلسي - بامكانك أن تدخلها وبامكاني أنا أيضاً أن أدخلها ولكن قوى الامن لا تجسر على دخولها.

الرئيس - أرجو من حضرة النائب المحترم هنري طرابلسي أن لا يجعل مجالاً للمهاترات.

هنري طرابلسي - أرجو من الرئاسة الكريمة ان تمنع وزير الداخلية من مقاطعتي وإذا كان لحضرته ما يقوله فليكن رده على كلامي حسب الأصول.

إذا كان دم نعيم مغبغب غير كاف لان يزيل من جبهة الحكم في لبنان الخدوش والجروح كالتي لحقت بجسم نعيم فاننا سنكون حتماً، قادمين على حوادث مثل حادثة مغبغب، وقد تكون نتائج هذه الحوادث اسوأ واشد هولاً على البلاد. فإذا كنتم حقاً تريدون غسل الجروح والخدوش العالقة بهيبة الحكم، فطبقوا نصوص القانون والدستور التي هي أساس الحكم، إننا لا نريدها أن تطبق في سبيل التشفي والانتقام بل في سبيل الحق والعدالة.

طبقوا القوانين حتى يشعر اللبنانيون أنهم جميعاً سواسية أمام القانون.

إذا أصدر القضاء حكمه بالبراءة فجميع اللبنانيين يخضعون لأحكامه، أما إن امتنع البعض من اللبنانيين عن المثول أمام القضاء فانه لعمري امتياز فردي قد تنتج عنه كوارث نسأل الله أن يحمي البلاد منها.

وكان جواب رئيس مجلس النواب: حضرات النواب المحترمين، ساد في هذه الجلسة العقل والمنطق وتمثلت فيها العاطفة الصادقة والروح الطيبة التي يجب أن تسود أقوال الاعضاء الكرام من معارضين ومؤيدين. كما نرجو أن نبقى في هذا الجو الرفيع وأن لا نفسح للتحدي مجالاً أو نأتي على ذكر الاشخاص أياً كانوا.

الفقرة السادسة - التأبين في الصحافة

أولاً - فؤاد كرم: مغبغب «نسر من لبنان»

كتب فؤاد كرم تحت عنوان نعيم مغبغب نسر من لبنان، قال فيه: نعيم أرثو إليك في وحشتك... أنت في عزلتك... سلطاناً تتدحرج عند قدميك التيجان، وتهون

كل كبرياء ... وهبت لبنان وشعب لبنان، أعطيته الجليل الجميل ومنحته دمك الذي أريق على مذبحه وأعطاك محبته وعاطفته وإخلاصه. أعطيته ساعة تسلمت مسؤولية الحكم وقبل تلك الساعة أسمى ما يمكن أن يعطيه حاكم لرعيته فأنعشت الشوف والجبل وامتد الرخاء إلى كل بقعة في لبنان فشرب اللبنانيون ونعموا بالطرقات والهاتف والكهرباء وأعطيتهم قبل كل شيء محبتك فكنت للجميع لا تفرق بين مناصر لك ومعارض ولا ترى في الانتخابات مقياساً لخدمات تؤديها بدون حساب فتجود على مؤيديك وتمسك يدك عن معارضيك فيبادلونك المحبة والعاطفة ويشيدون لك هياكل من إخلاص ما زالت تقوى وتشمخ على الزمن مهما تقادم الزمن.

دعتك الحكومة لتشارك لبنان أفراحه بمغتربيه فلبيت النداء وما اعتدت أن تتهاون في أمر يعود على لبنان بالخير والنفع، قصدت حمى الأمير، وحيداً بينما انطلق الآخرون في مواكب وكأنهم يخشون غضبة الشعب. فالشعب درعك وبه تتسلح وما حسبت أن بعض الكتبة سيؤلبون عليك «يوضاس» في تلك الساعة وعلى رمية حجر من الأمير الذي ينزل صرح الأمير.

نعم.

غداً عندما يسطر التاريخ حكاية البطولات يؤديها فريق من وطنيي لبنان سيرون أن واحداً آخر من المردة أسقطته رصاصات الغدر والخيانة عن أرزه الخالد وسيحكي قصة نسر آخر هبت إليه يد أثيمة نيران الحقل، وهو ينطلق في سماء لبنان فهوى يرش بدمه تراب لبنان وسيقولون هذا واحداً من أمراء الوطن انضم إلى قافلة الأبطال أمثال كرم وفخر الدين فاستحق مجد لبنان. وتابع قائلاً:

إهنأ في مثواك فالغرسة النبيلة التي تعهدتها يمناك نمت فكانت شجرة تزدري بالزعازع والأعاصير، والراية الحمراء التي رويتها بدمك تختال بأبهة وفخر واعتزاز وتزدري المؤامرات والخيارات. وهذا هو حلمك ما من أجله تفانيت في البذل، فتجسد حقيقة تصفع كل متطاول على المقدسات، وأضرع إلى باري الأكوان، أن يفيض على لبنان النعم والبركات فتتطهر النفوس والضمائر تستقيم ويبيت ادعاء الوطنية، وطنيين من لبنان يستوحون الأعمال والتصرفات من أجل خير لبنان ينشطون. واغفر لقاتليك

ولمن أخفق في اكتشاف قاتليك وردد فيهم قول الناصري، وهو يسلم الروح على الصليب، «اغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون».

ثانياً - ميشال أبو جودة «في حمى الأمير»

غداة مقتل نعيم مغبغب علق ميشال أبو جودة، أحد المحررين البارزين في جريدة «النهار» مقالاً عنوانه «في حمى الأمير» نشره في تلك الجريدة بتاريخ ١٩٥٩/٧/٢٨ وقد جاء فيه:

«منذ ستة أيام القتيل لم يقتل، قتل عشية الذكرى الأولى ليوم ٣١ تموز، يوم انتخاب اللواء فؤاد شهاب، على بعد أمتار من قصر جده الأمير الذي اشتهر في تاريخنا أن الناس كانت في حماه على بعد عشرات آلاف الأمتار.

الناس، كل الناس، كانوا أمس في حمى الأمير حتى نعيم مغبغب، لقد حمى نفسه بنفسه، ولم يطمئن حتى أصبح في حمى الأمير، قبل قتله بلحظات كان نعيم مغبغب أكثر اطمئناناً من أي يوم في حياته، كان في حمى الأمير، خطوات ونقل إلى حمى الشهابي، نحن في عهدته، أنوار القصر الكبير تصل إلينا، لم يصل نعيم مغبغب إلى قصر أبي سعدى، قتلته ثقته بالقصر.

مات الشاب الذي لم يقتله رصاص الاستقلال سنة ١٩٤٣، كان نعيم مغبغب يتمنطق بالرصاص ويصدر علامة الاستفهام الشهيرة، ويعرض صدره للنار ليساهم في إعادة أبطال بشامون، ولم يقتل.

ولم تقتله حوادث ١٩٥٨، قتله الهدوء، كان الهدوء شاملاً إلى درجة أن دماءه أحرقت على ثياب العقيد يوسف شميط رئيس الأركان إلى درجة أن اللواء عادل شهاب عاد إلى بيروت يتحسس يده الحارة قبل «العصي والرصاص»، كانت يد القائد تصافح يد القتيل صافحه عدة مرات وكأنه يطمئنه ويودعه.

قبل لحظات كانت الأيدي التي قتلت نعيم مغبغب تفعل شيئاً آخر، كانت تلوح لحفيد الأمير الكبير، بعضها كان يصافحه، لماذا لم تشرك هذه الأيدي نعيم مغبغب في المصافحة؟ لماذا لم تتركه يصل ليصافح حفيد باني القصر؟ لماذا لم تتركه ليشهد بنفسه

للحفيد أن الناس، وخاصة الخصوم يعيشون في حماه، كما عاش الناس، وحتى الخصوم في حمى جده؟ لماذا حكموا على قصر أبي سعدى بأن تطل نوافذه على الدم للمرة الأولى في تاريخه؟ لماذا حكموا على الحفيد بألا يعود إليهم.

المجد لنعيم مغبغب، إذ استطاع أن يكون خاتمة القتل، لا في جوار القصر فحسب، بل وعلى أميال وأميال منه».

لكن المؤسف أن كاتب هذا المقال نشره في جريدة «النهار» عشية الذكرى الأولى ليوم ٣١ تموز يوم انتخاب اللواء فؤاد شهاب، على بعد أمتار من قصر الأمير الذي اشتهر في تاريخنا أن الناس كانت في حماه، لكن بعد أشهر، في الأول من كانون الثاني ١٩٦٠، إذا بكاتب هذا المقال يتلقى ضربة موسى على وجهه تركت جرحاً دائماً، وقد اتهمت حينذاك قوى سرية بأنها وراء الاعتداء انتقاماً من الصحافي، لكن الأستاذ غسان التويني صاحب جريدة النهار، وبعد معرفته بالحادث، أصرَّ على نشر المقال في الجريدة لليوم التالي. ثم نشر المقال في ١٨ كانون الأول ١٩٥٨ تحت عنوان «وداعاً أيها الأمير»، أوقفوا التردي في حكم البلاد قائلاً: لبنان لم يعد مزرعة؟ أصبح تعاونية مزارعين، مساء الأربعاء توارثوه كابرا عن كابر... آل البيت، الأقرباء والأنسباء حتى الدرجة السابعة (...)[1].

الفقرة السابعة - ملاحقة المطلوبين ومقتل أحدهم

تحركت النيابة العامة على أثر الحادث، وباشرت بملاحقة المطلوبين والمشتركين وانطلق التحقيق لمعرفة الدوافع الأساسية للجريمة، وتم اعتقال ٤٩ شخصاً من البلدات المجاورة لعين زحلتا، والباروك وبريح، أما الأشخاص المشتبه بهم والذين تم توقيفهم من قبل السلطات القضائية اللبنانية، هم من آل أبو خزام، وغنام، وزين الدين، وأبو درغام وسليم، وطربيه ورامح والعطار والأشقر وخوري وحداد ورعد ومحاسن وعزام إلخ... وجرى التفتيش عن المطلوبين الفارين نحو الجبال المحيطة، حيث صادفت الدورية أحد الأشخاص ينقل بارودته، فأمرته بالتوقف، فلم يذعن للأمر، بل تمركز وراء أكمة وأخذ

١ - يراجع نقولا ناصيف، المرجع ذاته، ص ٢٧٤.

يطلق النار على أفرادها فردت عليه وأردته قتيلاً، تبين أنه يدعى حسن سليم محاسن، وكان من المشاركين الفعليين في مقتل نعيم مغبغب، وقد نقلت جثته إلى مستشفى أوتيل ديو في بيروت.

النبذة الأولى ـ وزير الداخلية يزور الجبل

قام وزير الداخلية، برفقة قائد الدرك جوزف سمعان ومدير الأمن العام توفيق جلبوط، بجولة زاروا خلالها عين زحلتا وبيت الدين والمختارة وعماطور وباتر وجزين وعادوا في ساعة متأخرة من الليل، وقد صرح على أثرها بأن الهدوء يسود المنطقة، وأن التحقيق القضائي جاء بصورة طبيعية، وأنه عرفت أسماء بعض المشتركين في ارتكاب الجريمة، لكنه تحفظ عن إفشائها، ضناً بسلامة التحقيق، ولعدم كشف هوية المجرمين.

النبذة الثانية ـ اجتماع قضائي رفيع المستوى

عقد مدعي عام التمييز إميل هنود، وقاضي التحقيق في جبل لبنان عاطف فياض، والمحقق العدلي جورج ملاط اجتماعاً استعرضوا فيه المراحل التي مرت بها هذه القضية، وكيفية القيام بالتحقيقات، خاصة وأن قاضي التحقيق كان قد استمع إلى بعض الشهود، كالشيخ بهيج تقي الدين والشيخ فايز مكارم مدير اليانصيب الوطني وآمر فصيلة جبل لبنان النقيب عبد المجيد الزين، وقد طلب من المحقق العدلي السير بهذه القضية ووضعت تحت تصرفه قوة كبيرة من رجال التحري، لتنفيذ مذكرات التوقيف، بالنظر لخطورة هذه القضية، وأخذ ملاط يتابع التحقيق من النقطة التي توصل إليها قاضي تحقيق جبل لبنان.

النبذة الثالثة ـ مذكرات توقيف ومداهمات

كشف القضاء بأن المشتركين بالجريمة كانوا اثنا عشر شخصاً، والقتلة ثلاثة، هم رفيق غانم وسليم محاسن وخليل نصر (عزام).

سلمت اللائحة إلى قوى الأمن لإجراء المقتضى، وبدأت المداهمات والملاحقات ومصادرة الأسلحة. حصلت اعتقالات في بعض القرى الشوفية. وقد كانت الممارسة قاسية أحياناً، مما أثار بعض الاستهجان في المختارة، فاعترض كمال جنبلاط، على قساوتها لاسيما عند تفتيش المنازل، وأن الأهالي تحملوا ذلك على مضض لأنهم يؤيدون العهد. كذلك صرح المير مجيد أرسلان أن حادث نعيم مغبغب فظيع وأياً كانت الأسباب والدوافع لا يجوز قتل شخص مثل نعيم مغبغب له ماضيه ومواقفه الوطنية في خدمة الشوف خاصة ولبنان عامة، وآمل أن تتوصل الحكومة إلى معرفة الفاعلين، لكي تضع حداً لغليان النفوس وتوتر الأعصاب، لكنه أبدى أسفه لتصرفات بعض ضباط الدرك في المنطقة لجهة استفزازهم الأهالي، في حين أن الواجب يقضي عليهم بنبذ الحزبية لكي يكونوا مثلاً صالحاً خاصة في هذا الموقف الدقيق.

انتقل قاضي التحقيق العدلي إلى سجن الرمل وأجرى التحقيقات مع بعض الموقوفين وأمر بإحضار شهود جدد. كما زار منطقة الشوف، للغرض ذاته وأصدر مذكرات توقيف جديدة، كما أطلق بعض الموقوفين الأبرياء، الذين ثبت عدم وجودهم في مكان الحادث إنما لأنهم محسوبين على نعيم مغبغب نفسه أو على حلفائه، من المير مجيد أرسلان وقحطان حمادة والحزب القومي.

أصدر قاضي التحقيق العدلي مذكرات توقيف بحق بعضهم بحجة كتم معلومات، أبرزهم فؤاد الزعر، سائق نعيم مغبغب، ومرافقه نسيب زين الدين، وأودعهما غرف منفردة، معتبراً أنهما كانا يعرفان أكثر من الأشخاص الذين اشتركوا في الجريمة، وأنهما شاهدا ذلك، واعتبر ملاط أن شيئاً ما قد عقد لسانهما عن التكلم رغم وجودهما في مسرح الجريمة، مما يعد بمثابة التكتم وكتم المعلومات عن المجرمين، وعدم إنارة التحقيق ومساعدته على كشف الجريمة والمجرمين، أما محمد الشامي، وهو من أنصار نعيم مغبغب، الذي كان موجوداً في معاصر بيت الدين أثناء الحادث، فقد جاء في إفادته بأنه لم يعرف القتلة لأنهم يعتمرون الكوفيات. فأجرى المحقق مقابلات مع المتهمين، مما قاده للاستنتاج بأن هناك محاولة لكتم معلومات، فأصدر مذكرة توقيف بحق الشامي، وأصر على وضعه في الانفراد، حتى يصار إلى استجوابه ثانية.

النبذة الرابعة ـ تقرير الطبيب الشرعي

أفاد الطبيب الشرعي هنري صعب، المكلف بمعاينة الجثة بأن المغدور أصيب بأكثر من مئة وخمسين ضربة عصا، كل واحدة منها كافية للقضاء عليه، كما أن هيئته شوهت بشكل مروع حتى إنه لم يتمكن من التعرف عليه إلا بعد مشقة كبيرة.

النبذة الخامسة ـ تناقض الإفادات

تبين لقاضي التحقيق العدلي بأن إفادات فؤاد الزعر وزين الدين، كانت أيضاً متناقضة لكنهما أطلعا وزير الداخلية على بعض الوقائع التي لم يذكراها أمام قاضي التحقيق، مفسرين ذلك، أنه من باب الخوف وليس سوء النية، مخافة الانتقام. توسع بالتحقيق معهما، والتزم بالسرية حفاظاً على سلامة التحقيق.

توصل التحقيق بصورة أكيدة إلى أن المتهمين كانوا ١٢ شخصاً والقتلة ثلاثة، شاركوا فعلياً في الجريمة، وإن أحدهم هجم على فؤاد الزعر، وكتف يديه، ومنعه من الخروج من السيارة أو الهرب، وكان من القتلة رفيق غانم من الورهانية الذي شاهده البعض مع عدد من الرجال يتهامسون قرب السيارة قبل وقوع الحادث بلحظات، وسليم محاسن من بريح وخليل نصر (عزام) من عين زحلتا، الذي أطلق الرصاص وهو من أصحاب السوابق.

تابع ملاط التحقيق في مكتبه في قصر العدل في بيروت، قبالة السراي في شهر تموز وأوائل آب من العام ١٩٥٩، يعاونه بالتحقيق داود شهيب رئيس غرفة التحري، وكان وزير الداخلية يتصل به لمعرفة ما استجد، وذلك بناء لإلحاح الرئيس فؤاد شهاب الذي كان همه الأكبر كشف القتلة وملاحقتهم لاحتواء الشائعات التي باتت تتعاظم في الشوف وفي كل لبنان.

النبذة السادسة ـ الادعاء الشخصي على جنبلاط

كلفت عائلة آل مغبغب، المحامي جوزف مغبغب بالادعاء الشخصي على كمال جنبلاط بجرم التحريض، وقد آزره في الادعاء المحامي عبد الله قبرصي المنتمي إلى

الحزب القومي، وكأنه بعمله هذا أراد أن يرد الجميل لنعيم مغبغب الذي جند نفسه للدفاع عن المتهمين من القوميين السوريين الذين أودعوا السجن بعد مقتل أنطون سعادة، ويقول ملاط «ما إن تسلمت الدعوى حتى زاد همي»، ونقل مخاوفه إلى الوزير اده، الذي كان يجتمع به كل يوم صباحاً قبل انتقاله إلى قصر العدل، وقد لاحظ مدى إدراكه بالجو الخطر والمتأزم الذي كان يقلقه. ذات يوم بادره الوزير قائلاً: كنت مجتمعاً بالرئيس شهاب وقد كلفني بأن أقول لك أنه يوليك كل ثقة وأنه واثق بأنك ستظهر الحقيقة كما أظهرتها في قضايا شائكة سابقاً.

الادعاء الشخصي يوجب أصولاً، في الشكل وفي الأساس، أهمها دعوة الادعاء والدفاع إلى جلسة علنية في قصر العدل، لكن ذلك بنظر ملاط ينطوي على خطورة كبيرة، بما قد يثير من نعرات في منطقة الشوف ومناطق أخرى، خاصة وأنه لم يمض بعد مدة طويلة على إخماد الفتنة في لبنان مما قاد ملاط إلى اتباع أسلوب جديد في التحقيق، فبدلا من جمع الفريقين بالوقت نفسه، أجرى التحقيق مع كل منهما على انفراد، ويقول إن الادعاء لم يقدم أي اثبات حسي ملموس، كما لم يقدم أي عنصر مادي من شأنه التوصل إلى معرفة القتلة، بالإضافة إلى أن مذكرات التوقيف والملاحقات التي كانت تصدر عن ملاط لم تذكر بأن القتلة التجأوا إلى دار المختارة.

استدعى ملاط كمال جنبلاط إلى قصر العدل لاستيضاحه بعض الوقوعات، واتخاذ الموقف المناسب، وعين موعداً للجلسة بعد الظهر، لكي تكون السراي خالية من الموظفين والمتقاضين وبعيداً عن الأضواء. وصل جنبلاط مع عدد من المرافقين حاولوا الدخول معه إلى باحة قصر العدل، وهو من الإنشاءات الموروثة من العهد العثماني، وكان إلى جانب الباب الكبير، باب صغير، فعلم ملاط بالأمر، فما كان منه إلا أن اتصل بجنبلاط وطلب إليه إبقاء مرافقيه خارج حرم قصر العدل، لأنه في الداخل هو بحماية القضاء، وهكذا توجها سوية إلى مكتب ملاط، حيث أعلمه بفحوى الدعوى عليه، فأجاب بكل بساطة، لم يكن له علم بأمر الجريمة عند وقوعها، كما أن ذلك ليس من شيمه. وبعدما تم تسجيل الاستجواب وتوقيعه حسب الأصول رافق جنبلاط إلى مدخل قصر العدل، كل من المحقق جورج ملاط، وقائد الشرطة، حيث كان مرافقوه بانتظاره.

أخذت الأمور تتعقد أمام ملاط، بالرغم من النشاط الذي قام به لأجل إجلاء الحقيقة، كما أن استجواب كمال جنبلاط لم يأت بجديد، لأن هذا الأخير كان ساعة وقوع الجريمة، في قصر بيت الدين مع الرئيس فؤاد شهاب، يرافقه ابنه وليد الذي كان له من العمر عشر سنوات، مما وضع ملاط أمام الحائط المسدود، كما أجرى تحقيقاً مع بعض رجال الأمن الذين وصلوا إلى مكان الجريمة بعد حصولها، وكما استمع إلى إفادة ضابط درك بيت الدين جورج أسمر، وأوقف عدداً من المتهمين من بينهم مجيد كرامة وأمين يوسف منذر (من عين زحلتا) وغيرهما.

سار ملاط في التحقيق حريصاً على كشف الحقيقة ولكن غفل فيه بأن القتلة لجأوا إلى المختارة، بعدما أكد أن عددهم ثلاثة والمشتركين ١٢، وأن التحقيق لم يكشف تدخل زعيم المختارة في هذه القضية.

صرح جنبلاط بأنه يجب التخلص من هذا الشانتاج الرخيص ومن محاولة استغلال واستثمار حادثة المرحوم نعيم مغبغب سياسياً وطائفياً، فلا يجوز أخلاقياً ولا ضميرياً استغلال الدم... وإني لا أظن أن عائلة الفقيد تريد ذلك وليس من مصلحتها ولا من مصلحة أحد مجاراة الصحف التي تحاول التهجم علينا شخصياً داعية إلى الثأر وهي لا تدرك مبلغ التهييج الخطر الذي تخلقه في نفوس الفئات التي تناصرنا في مختلف أنحاء لبنان وفي الخارج ولا التكتل الطائفي والتكتل الوطني الواسع الذي ما بدا يبرر نتيجته لهذه التهييجات غير المقبولة والتي تجاوزت كل حد. فإما أن تبقى القضية ضمن نطاق العدالة والعدالة فقط، فلا يتدخل أحد ولا المجلس النيابي ولا الحكومة ذاتها ولا هذا الصفير ولا هذا النفير في توضيح معالم حادثة فردية أدت إلى قتل المرحوم مغبغب.

ويضيف جنبلاط، أود أن يزورنا معالي وزير الداخلية ليعلمنا من هم هؤلاء المطلوبون ولم يطلب منا أحد أن نسلم أي مطلوب حتى الساعة أو لكي نرشده إلى مكان وجوده، وأغلب الظن أن السلطة التي أوقفت بشكل اعتباطي، وبدون مذكرات توقيف أو إفادة شبهة ما يقرب من مئة شخص في عمليات تفتيش واسعة لا يجيزها لا

الدستور ولا القانون ولا العرف ولا يجوز لها أن تفعل ذلك إلا بإذن المستنطق، فالسلطة ألقت القبض على الذين اشتركوا في مقتل المرحوم نعيم مغبغب.

ويزيد جنبلاط، أننا في كل حال مستعدون للتعاون مع السلطة لأجل كشف بعض معالم هذه الحادثة ولكن لا يكون هذا التعاون في هذا الجو من الهستيريا التي تثيرها بعض الأوساط وهذه المقالات التي تتحدى فيها بعض الصحف القضاء ذاته في أفظع مهاترة غوغائية تعرض لها الشعب وقضاؤه في لبنان.

تقدم كمال جنبلاط بواسطة وكيله المحامي اسكندر غبريل بالدعاوى على كل من الجرائد الآتية: الدستور، البيرق، البناء، صدى لبنان، وذلك بتهمة قدح وذم لأنها اتهمته بالتحريض على قتل النائب مغبغب وأحيلت هذه الصحف على قاضي تحقيق المطبوعات منيف عويدات.

النبذة السابعة ـ اده ينفي توفر معلومات عن لجوء القتلة إلى سوريا

بخلاف ما جاء في مطالعة النائب جوزيف مغبغب (وكيل الادعاء) إزاء الإشاعات التي سرت ومؤداها بأن القتلة فروا إلى المختارة ومنها إلى دار شبلي العريان في البقاع الغربي، وبعدها إلى سوريا، نفى وزير الداخلية ريمون اده علمه بذلك، وصرح بأنه لا يمتلك أية معلومات صريحة بهذا الخصوص، لذلك لم تطلب السلطات اللبنانية من السلطات السورية استرداد أي من المطلوبين للعدالة الذين لجأوا إليها بعد الجريمة. بالمقابل تؤكد الصحف لجوئهم إلى سوريا. لقد هرب ثلاثة متهمين أساسيين إلى سورية عبر دير العشائر وعاشوا فيها حتى أن اثنين منهم ماتا هناك.

النبذة الثامنة ـ مطالعة المحامي جوزيف مغبغب (وكيل الادعاء)

أما المحامي جوزيف مغبغب في مرافعته أمام المجلس العدلي بهذه القضية، فيقول إن المتهمين قضوا طوال المدة من ٢٧ تموز ١٩٥٩ لغاية ٢٨ أيلول ١٩٦١ في قرية (جرمقة) سوريا حيث عينوا من المكتب الثاني السوري وكانوا يعملون في أحد البساتين وعلى أثر انفصال سوريا هرع المتهمون إلى دير العشائر، ولجأوا لدى شبلي العريان وأخذوا يقومون بتعديات مستمرة على الحدود السورية.

وأضاف جوزف مغبغب قائلاً:

تابع المدعون أخبار المتهمين بصورة مستمرة بقصد مساعدة السلطة على إلقاء القبض عليهم، كما كانوا يزودون السلطة باستمرار بأخبار المتهمين وبتنقلاتهم. ولكن من المؤسف أن السلطة لم تسع جدياً للقبض عليهم، لا بل كانوا يلقون الحماية والرعاية من وزارة الداخلية ويأتي بعد ذلك من يقول أن المتهمين لم يفرّوا[١]. لكن المفارقة، إن ريمون اده في تصريح لاحق لتلك القضية قال «طبعاً الذين اغتالوا نعيم مغبغب قاموا بعملهم هذا وهربوا بنفس الوقت إلى سوريا وفيما بعد حوكموا ولكن حتى الآن لم نستطع أن ننفذ الحكم»[٢].

يتطرق المحامي جوزف مغبغب في مرافعته بوجود مقولة بأن بعض المتهمين سلّموا أنفسهم تلقائياً، ولو كانوا مذنبين لما أقدموا على ذلك، ففنّد تلك العمليات قائلاً: لقد درج بعض المتهمين إلى اتباع المراحل التالية:

أولاً - يصار إلى درس الملف.

ثانياً - يتم الاتفاق مع شخص موثوق به فيشهد أمام المجلس العدلي بأن المتهم كان مع الشاهد واقفين بعيداً لدى مشاهدتهم الحادث.

ثالثاً - يصدر بالنتيجة الحكم بالبراءة.

ونجحت الخطة بالنسبة إلى أمين الأشقر، فاستحضر الأستاذ بهيج تقي الدين، وهو من كبار المحامين الموثوق بهم فأدلى بعملومات مفادها أن أمين الأشقر كان بصحبته، وهكذا حكم على أمين الأشقر بالبراءة، وحاول المتهمون الحاليون اتباع الخطة ذاتها، فاستحضروا كمال العيد وكمال العماد وهذين الشاهدين لم يستمعا قبلاً فإذا بهما بعد مرور أكثر من أربع سنوات يدليان بأنهما بين جمعٍ من آلاف الناس التقيا صدفة بأحد المتهمين وألقيا السلام عليه.

١ - مذكرة المحامي جوزف مغبغب، المقدمة إلى المجلس العدلي في قضية اغتيال نعيم مغبغب (ملف القضية) ومرافعته بتاريخ ٢٦ كانون الأول ١٩٦٣.

٢- http://www.almustakbal.com/raymond/histoire_libanpolitique19html.

ويقول جوزف مغبغب حين تم الاعتداء على نعيم، كانت سيارته تبعد خمسة أمتار عن سيارة شميط، وليس خمسين متراً، كما روج لها القضاء أو بعض الصحف، لاستبعاد أية محاولة إلقاء المسؤولية، بينما إفادتي الجنرال عادل شهاب وشميط تفيدان أن مغبغب أجهز عليه على باب سيارة يوسف شميط[١].

يؤكد المحامي جوزف مغبغب، بأن نعيم قتل بينما كان واقفاً أمام سيارة شميط، وذلك بالاستناد إلى إفادتي رئيس الأركان وقائد الجيش[٢].

إفادتان تناقضان كل ما أورده التحقيق القضائي، ولكن كيف اختفت تلك المعلومة، ولماذا أسقطوها، فالله وحده العليم؟

أي أنه لم يقتل في سيارته، إنما كان قد تركها واتجه نحو سيارة رئيس الأركان وكان يتكلم معه في الوضع المريع والمأزق الذي وجد فيه، والذي كان شميط سبب مجيئه إلى تلك المحلة!.

الفقرة التاسعة - رسالة مجهولة تشرح تفاصيل الجريمة

كان ملاط يتابع التحقيق، ويتسلم يومياً رسائل موقعة من مواطن صادق، أو مواطن لبناني مخلص، يروي ما يعلمه حول القضية، وبينما انكب والضابط داود شهيب والكاتب، على قراءة بعض منها، لفتت نظرهم رسالة مكتوبة بخط عربي مقبول تشرح تفاصيل الجريمة، وقد أبقى ملاط هذه التفاصيل سرية جداً، ولم يفصح عنها في مجريات التحقيق ولم يدل بأي تفاصيل لأي مرجع صحافي أو إعلامي، حرصاً على سرية التحقيق وعدم لفت نظر أي مشتبه به بعلمه بتفاصيل الجريمة. فالوقائع التي تم كشفها جاءت تؤكد ما تم عرضه في الرسالة ويقول ملاط في هذا الصدد: فهذا الجزء من التحقيق تركته سرياً وهو يتطابق مع ما أكّده الأطباء الشرعيون عند الكشف الفني على جثة المجنى عليه، وطلب عدم الإفصاح عنها، وقد تبين بوضوح أن المجنى عليه قتل من قبل ثلاثة أشخاص:

١ - http://www.almustakbal.com/raymond/histoire_libanpolitique19html.

٢ - وردت في مذكرة المحامي جوزيف مغبغب إلى المجلس العدلي.

الأول ضربه بهراوة على رأسه بقوة مما أفقده الوعي.

والآخر طعنه في بطنه عدة طعنات قوية بخنجر حاد الأطراف.

والثالث، سدد نحوه عدة طلقات نارية في صدره من مسدس حربي.

ويقول ملاط، كم كانت دهشته كبيرة عندما استلم الرسالة السرية التي تفصل بدقة كيفية حصول الجريمة، وأسماء القتلة وأسماء قراهم ومحل وجود الأدوات الحربية في كل منزل يخصهم، «وما إن قرأنا الرسالة أنا وشهيب والكاتب حتى نظرنا إلى بعضنا البعض وأدركنا أن مرسل هذه الرسالة على اطلاع بالأمور، وهي تستحق أن تحمل على محمل الجد».

سؤال طرح ولا يزال دون جواب عن الشخص الذي بعث تلك الرسالة المجهولة، فهو بكل تأكيد ليس شخصاً عادياً ولا منزوياً ولا حتى موظفاً عاماً، إنه شخصية كبيرة وكبيرة جداً، بحيث منيت إليه تلك المعلومات، فاستفاق ضميره، وعمد إلى مساعدة التحقيق خوفاً من امتداد الفتنة إلى كل البلاد. فمن السذاجة أن يمر على تلك الرسالة بأنها رسالة مجهولة مرسلة من شخص مجهول، بل العكس إنه شخص معلوم ومرموق ويحتل مركزاً عالياً في شؤون البلاد، إنها مرجعية عالية حتماً تساعد على تضميد الجراح وتخفيف وطأة المصيبة التي نزلت بعائلة مغبغب وبالشوف، إنها بالفعل، تجسد كرم الأخلاق ونبل التعاطي وعرفان الجميل وما يمثله في الإنسان الضمير الحي!!

ـ خطة ملاط السرية

ويقول ملاط، بعدما اكتشف كل خيوط الجريمة بالتفاصيل، وخوفاً من علم الفاعلين أنهم أصبحوا مكشوفين، بادر في اليوم نفسه وبالسرعة القصوى وقد كانت الساعة العاشرة صباحاً تقريباً، فطلب من مدير الشرطة الحضور إلى مكتبه حالاً كما استدعى قائد شرطة مخفر قصر العدل فاطلع الحاضرين على فحوى الرسالة وعلى وجوب القيام بالمداهمات الفورية في آن واحد وفي اللحظة نفسها، في القرى الثلاث وفي المنازل الثلاثة المشبوهة، كي لا يتسرب أي خبر إلى الجناة، فأرسل ثلاث دوريات من الشرطة منفردة كل واحدة منها عن الأخرى، وأن تؤخذ بعين الاعتبار المسافة التي تفصل القرى

الثلاث عن بعضها البعض والوقت الزمني الذي يفصل بينها، وانطلقت ثلاث دوريات كل واحدة منها تلو الأخرى حسب الوقت الزمني للوصول إلى القرى الثلاث في اللحظة نفسها وأضاف ملاط، أنه فضل أن تكون الدورية الأولى بقيادة الكوميسير داود شهيب والثانية بقيادة قائد مخفر شرطة قصر العدل، والثالثة بقيادة من يختاره قائد الشرطة، وقد وافق الجميع دون تردد على هذه الخطة، وأعلم مدير الشرطة بأن الدورية الثالثة التي ترافقه ستكون بأمرة معاونه.

وأضاف ملاط إنه لم يطلع حصراً أياً من المسؤولين على هذه الخطوات التي كانت بمثابة مغامرة، ولا حتى وزير الداخلية ريمون اده، ولا النائب العام التمييزي إميل هنود، خوفاً من إفشاء أي معلومة غير مقصودة، من شأنها إفساد عملية المداهمة، ويتابع بأنه بقي في مكتبه يشرب القهوة والوقت يمر ببطئ. حلّت الساعة الرابعة بعد الظهر عندما قرع باب مكتبه بشدة، فإذا بداود شهيب حاملاً معه هراوة وصاح قائلاً أصبنا الهدف وهذه هي الهراوة المستعملة في الحادث وقد أوقف صاحبها وهو صاحب منزل ووضع منذ اللحظة في نظارة مخفر الشرطة في قصر العدل.

فرح ملاط لهذا النبأ، وانتظر الدوريتين الأخريين، وبعد فترة، وصلت الدورية المرافقة لمدير الشرطة، وقد صادرت الخنجر وحجزت صاحبه ووضعته في النظارة، ثم وصلت الدورية الثالثة وكانت قد عثرت على المسدس وصادرته، لكن لم تعثر على صاحب المنزل، لأنه كان صدفة خارج البيت، فصدرت مذكرة توقيف غيابية بحقه. بدأ ملاط باستجواب الموقوفين، اللذين طلبا حضور محامٍ لكل منهما، فوافق ملاط وأصدر مذكرتي توقيف بحقهما وفقاً للأصول. ثم اتصل بوزير الداخلية وأعلمه بما جرى فدهش من الطريقة وهنأه بحرارة، واتصل بالمدعي العام التمييزي، إميل هنود، فابتهج للخبر، وعزز الحراسة على الموقوفين خشية تعرضهما لأي مكروه وهنأ رؤساء الدوريات الثلاث على النجاح الذي أحرزوه.

الفقرة الثامنة ـ قرار المجلس العدلي

وبعد عدة سنوات، قضى المجلس العدلي، في قضية اغتيال نعيم المغبغب وهو في طريقه لحضور حفل تكريم المغتربين في بيت الدين بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٥٩، بإنزال

عقوبة الإعدام بثلاثة من المتهمين الفارين، وبإنزال عقوبة الأشغال الشاقة في حق خمسة من الموقوفين[١]. وثلاثة من المتهمين الأساسيين هربوا إلى سوريا عبر دير العشاير وعاشوا فيها حتى أن اثنين منهم ماتا هناك[٢].

الفقرة التاسعة ـ جريمة سياسية بامتياز

شكل مقتل نعيم مغبغب، جريمة سياسية بامتياز هزت لبنان بأسره، فسارت المظاهرات، وعمت الاضطرابات، وسار الخوف من إعادة أجواء الفتنة إلى لبنان، فارتفعت أصوات الصحف منذرة مستنكرة متهمة كمال جنبلاط باقتعالها، فالبعض أخذ يطالب بإعلان الأحكام العرفية في الشوف، خوفاً من ردات الفعل، وأخذ الجميع ينادي بضرورة كشف المجرمين والاقتصاص منهم. محذراً من التمادي بالجرائم السياسية، لأنه لا أحد فوق رأسه خيمة، ومن المؤسف بالفعل أخذت الجريمة السياسية تتربع في هذا البلد، بالطبع ضمن أهداف وأسباب ومقاصد لا تتعلق مطلقاً بما كان يجري عام ١٩٥٨، فالجريمة تطال النخبة من الرموز السياسية في لبنان. إنها لسلسلة تطرح أمام اللبنانيين، والمسؤولين منهم وقفة ضمير لمعالجة الحالة التي وصلت إليها الأوضاع في لبنان، لأنه من غير المقبول، رمي التهمة على الذين خارج الحدود، لكي يتربع المسؤولون داخل الدولة، وينامون بهناء فهم وحدهم مسؤولون عما يجري، فالجريمة تحصل بأيدي لبنانية، وبموافقة مسبقة من هذا أو ذاك، فمن العبث إكمال الطريق وكأن من يرتع في المسؤولية، يظل بمنأى عما يحدث، وإلا فالكارثة الأكيدة ستضلل هذا الوطن، أكثر مما ضللت لغاية الآن.

الفقرة العاشرة ـ فؤاد عوض: محاولة انقلاب القوميين الاجتماعيين بتاريخ ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ كانت رداً على مقتل نعيم مغبغب

صرح فؤاد عوض، إثر محاكمته في محاولة قلب الحكم في لبنان، أمام المحكمة العسكرية من أن الدوافع الرئيسية التي حملته على عمله هو مقتل المرحوم نعيم مغبغب

١ ـ http://www.mafhoum.com.press.4/kadaa1.htm.

٢ ـ حسين حمية، الأفكار، ص ٤٧.

الذي يمثل فئة من اللبنانيين وعدم إقدام السلطة على أي رد فعل ملموس يتناسب مع فظاعة الجريمة ومع خطورة الظروف التي تمت فيها.

الفقرة الحادية عشرة ـ محاولة تكريس يوم العلم باسم نعيم مغبغب

إذا كانت الحكومات المتتالية منذ عهد الاستقلال، لم تقم بتكريم نعيم مغبغب بما يليق وفاءً لما قدمه لهذا الوطن، من بشامون إلى رفع العلم، مروراً بمعركة فلسطين، عمد الرئيس فرنجية كما روى لنا في حينه النائب المرحوم جوزف المغبغب، إلى تكريس يوم العلم باسم نعيم مغبغب، لكنه عزف عن ذلك لأن العلم لا يجوز تكريسه إلاّ للجيش.

الفقرة الثانية عشرة ـ مغبغب دون سواه من رفع علم الاستقلال[١]

تعليقاً على دعوة رئيس اتحاد اللجان والروابط الاجتماعية وأعضائه لتكريم «رجال رفعوا العلم»، وقد عرفوهم بأنهم «أولئك الذين هبوا لرفع العلم اللبناني فوق مبنى المجلس النيابي إيذاناً بإنهاء الانتداب الفرنسي وإعلان دولة الاستقلال». وهم: النقيب زهير عسيران، المرحوم الشيخ كامل أبو حمدان، المختار إبراهيم مارديني والمرحوم نعيم مغبغب، ففي هذا الإطار نسمح لأنفسنا بإبداء بعض الملاحظات:

أولاً: إننا ننحني إجلالاً أمام الأسماء التي وردت والتي وجهت الدعوة لتكريمها، ولكن إذا كان لا بد من التكريم، فإنه يقتضي التوفيق بين التكريم وواقع الحال، وكان من الواجب توافق الدعوة في مضمونها وعنوانها مع الحالة التي كرست لأجلها. لأنه، ومنذ عهد الاستقلال، يتردد في ذاكرة الشعب والسلطات والجميع أن من «رفع علم الاستقلال فوق قبة البرلمان» إنما هو الشهيد المغفور له نعيم مغبغب دون سواه، وهذه الواقعة باتت معروفة لدى الجميع وتحظى منكم بكل احترام وتقدير.

إنه نعيم مغبغب وحده من ناله رصاص الجيش المحتل، حين رفع علم البلاد فوق قبة البرلمان، وقد توفي وأثر الرصاص لا يزال على جبينه وفي عنقه.

١ ـ مقالنا تحت عنوان نعيم مغبغب، بطل الاستقلال، الأنوار، الأربعاء في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٥.

إنه نعيم مغبغب من نجا من مكمن نصب له في طريقه إلى المديرج، وإذا كانت الرصاصات القاتلة قد أخطأته في المكمن الأول، فقد تمكن العملاء والخونة من رصده والنيل منه في المكمن الثاني.

إنه نعيم مغبغب من زج به في السجن فقضى فيه اثنا عشر شهراً دون أن يعرف مكانه أو عنوانه أو أي معلومة عن وجوده وبعد إطلاقه، لم تبادر الحكومة اللبنانية إلى إنصافه بعد إعلان الاستقلال الذي كان مغبغب من أبرز المناضلين في سبيله كما أوردت جريدة النهار.

ولا يزال بعض المواطنين يسألون عن تلك الجريمة وعن إنصاف الشهيد نعيم مغبغب حتى تاريخه، وفي مقابلة تلفزيونية في N.T.V بين النائب والوزير السابق مخايل الضاهر وجورج بشير الصحافي، بتاريخ ٤ نيسان ٢٠٠٥، اتصل السيد وليد عبد المسيح، في إطار الجرائم الإرهابية التي ارتكبت في لبنان لكي يسأل عن مسألة طمس اغتيال نعيم مغبغب الذي قضى بفعل الأعمال الإرهابية في هذا البلد.

لماذا لم يذكروا الشهيد نعيم مغبغب معهم؟

الفرع الثالث ـ الاغتيالات السياسية منذ فجر الاستقلال حتى تاريخه[١]

أولاً ـ من رجال الصحافة، أهمهم:

١ ـ نسيب المتني، صاحب جريدة التلغراف في ١٩٥٨/٥/٢٧. ولم يصدر حكم نهائي في هذه القضية رغم التحقيقات القضائية وكان معارضاً للرئيس شمعون.

٢ ـ كامل مروة صاحب جريدة الحياة في ١٩٦٦/٥/١٩، نفّذ الاغتيال عدنان سلطاني، الذي حكم عليه ١٠ سنوات، بسبب معارضة السياسة المصرية.

٣ ـ النائب نعيم مغبغب قرب قصر بيت الدين نهار الاثنين في ٢٧ تموز ١٩٥٩ وهو في طريقه إلى حفل تكريم للمغتربين.

١ ـ http://ucipliban.org/arabic/index.php?option=com_content&task=view8id=2478Itermid=55.

٤ ـ غسان كنفاني، كاتب فلسطيني في ١٩٧٢/٧/٨ في الحازمية على يد إسرائيل.

٥ ـ وييرنبفر، مراسل مجلة «شتيرن» الألمانية في بيروت في ١٩٧٩/٥/٢٤.

٦ ـ طوني عطالله صحافي ١٩٧٥ في شارع الحمراء.

٧ ـ نائب رئيس تحرير مجلة فلسطين الثورة في ١٩٧٩/٦/٢٠.

٨ ـ سليم اللوزي، صاحب مجلة الحوادث، في ١٩٨٠/٢/٤، واتهم الفلسطيني محمد حسن اليتيم وحكم عليه في العام ١٩٨٩ بالأشغال الشاقة لمدة ٥ سنوات.

٩ ـ رياض طه، نقيب الصحافة اللبنانية في ١٩٨٠/٧/٢٣ أصدر القضاء أحكاماً غيابية بحق أفراد وعزا البعض هذا الاغتيال إلى أسباب عشائرية محلية في بعلبك ـ الهرمل، والبعض الآخر إلى العلاقات العدائية بين النظامين السوري والعراقي.

١٠ ـ حزوري، الصحافي، في جريدة اللواء والعضو في حزب البعث العربي الاشتراكي. عزي الاغتيال إلى أسباب تعود إلى الصراع الإيراني والعراقي والسوري.

١١ ـ سمير عاصم الشيخ، رئيس تحرير الفيرست، في ١٩٨٥/٧/٩. وقضت معه زوجته. ولم يصدر القضاء حتى تاريخه حكماً في هذه القضية.

١٢ ـ ...فخر في ١٩٨٦/٦/١٥ ولم يتوصل القضاء إلى الكشف عن المجرمين.

١٣ ـ كامل مروة، كاتب ومفكر شيوعي في ١٩٨٧/٨/٧، وتعود أسباب الاغتيال إلى نزاعات فكرية ولم يتوصل القضاء إلى الكشف عن المجرمين.

١٤ ـ حسن بزعون، رئيس تحرير مجلة بيروت المساء، في ١٩٨٧/٢/٢٢ وهو عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، ولم يكشف عن المجرمين.

١٥ ـ سمير قصير، صحافي في جريدة النهار في ٢٠٠٥/٦/٢، ولا يزال التحقيق القضائي آخذاً مجراه.

ثانياً ـ من رجال الدين، أهمهم:

تم اغتيال العديد من رجال الدين من مذاهب مختلفة وتوزعت الأسباب بين دينية وسياسية:

١ ـ الخوري حبيب خشفة في الطيبة (جنوب لبنان) في العام ١٩٤٩ وألقي القبض على القاتل اسماعيل دلله، عقوبة الإعدام.

٢ ـ الخوري بولس سعد في مجدل بعنا (عاليه) في ١٤/٥/١٩٦٣ على يد سليم عبد الخالق.

٣ ـ الخوري اليسوعي اليان جرفانيون في ١٤/٢/١٩٧٦ ولم يعرف الفاعل.

٤ ـ الإمام حسن الشيرازي في ٥/٥/١٩٨٠ في بيروت ولم يعرف الفاعل، ورجح البعض أن السبب يعود للصراع الإيراني ـ العراقي الذي كان لبنان إحدى ساحاته.

٥ ـ السيِّد علي بدر الدين من بلدة حاروف (الجنوب) في ٥/٨/١٩٨٠ ولم تعرف الأسباب أو الفاعلون.

٦ ـ الشيخ أحمد عساف رئيس اتحاد الجمعيات الإسلامية في لبنان في بيروت في ٤٨/٤/١٩٨١ على يد بولين، وإن كانت وجهت التهمة إلى أحد الأحزاب اليسارية، وقد أحيلت الجريمة على المجلس العدلي ١٩٨٥، ولم يتقدم التحقيق في هذه الجريمة.

٧ ـ الخوري الشرتوني قتل في بيت مري ١٩٧٨.

٨ ـ الخوري فيليب أبو سليمان، داخل منزله في عاليه في ٣٠/٤/١٩٨٢ ولم يعرف المجرم.

٩ ـ الشيخ ملحم تقي الدين، قاضي المذهب الدرزي أمام منزله في بيروت في ١/١٢/١٩٨٣ ولم يعرف القاتل.

١٠ ـ الشيخ راغب حرب قرب منزله في بلدة جبشيت (النبطية) في ١٦/٢/١٩٨٤. يعتقد بأن القتلة هم عملاء لإسرائيل.

١١ ـ الأب بطرس أبي عقل، رئيس معهد قدموس في صور في ٢٣/٥/١٩٨٥، لم يعرف المجرم إنما ألبست الجريمة أسباباً طائفية.

١٢ ـ الأب بولس الساحلاني في باب مارع (البقاع الغربي) في ١٨/١١/١٩٨٥، لم يعرف المجرم إنما تعود الجريمة لأسباب طائفية.

١٣ ـ المونسنيور ألبير خريش في نيسان ١٩٨٨، وجدت جثته في شننعير - كسروان بعدما كان قد خطف في أيار.

١٤ ـ مفتي الجمهورية الشيخ حسن خلد في بيروت في ١٥/٥/١٩٨٩ بواسطة سيارة مفخخة وقتل معه ٢٧ شخصاً ولم يعرف الفاعلون ولا المحرضون.

١٥ ـ راهبان أبوان أنطونيان (شرفان وأبو خليل). اختفيا عن الأنظار في الهجوم على دير القلعة في بيت مري عام ١٩٩٠، لم تظهر جثتهما حتى تاريخه.

١٦ ـ الأب سمعان بطرس الخوري رئيس دير عجلتون في ٢١/٥/١٩٩٢، واتهم القضاء عناصر بتنفيذ العملية، من بينهم المدعو جان يوسف شاهين.

١٧ ـ الشيخ نزار الحلبي، رئيس جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، أمام منزله في بيروت في ٣١/٨/٩٣ وألقي القبض على المجرمين الذين ينتمون إلى عصبة الأنصار.

ثالثاً ـ من رجال السياسة، أهمهم

١ ـ محمود العبود، نائب ووزير سابق، أمام القصر الجمهوري في محلة القنطاري في العام ١٩٥٣ وكان القاتل أحمد الشيخ وحكم عليه بالإعدام.

٢ ـ نعيم مغبغب، في بيت الدين في ٢٧/٧/١٩٥٩ وحكم المجلس العدلي بالإعدام على المتهمين الفارين، وأتت هذه الجريمة على خلفية الصراع بين الرئيس كميل شمعون وجنبلاط، وكان مغبغب من مناصري شمعون.

٣ ـ ألبير الحاج، نائب عن عكار في ١٢/٤/١٩٦١.

٤ ـ عبد الله عسيران، نجل الرئيس عادل عسيران في صيدا في ٢٢/١٢/١٩٧١ وأصدر القضاء حكمه بحق المتهم سميح الزين، وأتت عملية الاغتيال على خلفية التنافس الانتخابي بين عائلتي الزين وعسيران.

٥ ـ معروف سعد، نائب صيدا في ١٩٧٥/٢/٢٢ وشكلت حادثة اغتياله الشرارة الأولى لاندلاع الثورة، أحيلت هذه الجريمة إلى المجلس العدلي الذي أصدر في ١٠ آذار ١٩٨٨ حكمه على مارون داود، من أفراد الجيش اللبناني، الذي لم يعثر عليه.

٦ ـ د. خليل سالم، المدير العام لوزارة المال.

٧ ـ كمال جنبلاط، رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وزير سابق ونائب عن الشوف، اغتيل في ١٩٧٦/٨/٢ أحيلت القضية على المجلس العدلي، ولم تتوصل التحقيقات إلى معرفة المجرمين، وإن كانت التهمة قد وجهت إلى دولة معينة.

٨ ـ طوني فرنجية، نائب ووزير سابق، في منزله في زغرتا، في ١٩٧٨/٦/١٣، قتل معه زوجته وابنته ومناصرين. أحيلت القضية على المجلس العدلي الذي أوقف عدداً من المتهمين من دون إصدار حكم في القضية.

٩ ـ بشير الجميل، رئيس الجمهورية المنتخب، اغتيل في ١٩٨٣/٩/١٤، قضى معه ٢٢ شخصاً. أحيلت القضية على المجلس العدلي، واتهم كل من حبيب الشرتوني ونبيل العلم الذين ينتميان إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي، بالتخطيط للجريمة وتنفيذها. ألقي القبض على الشرتوني فأودع الأسر مدة ٨ سنوات. فرّ من السجن في أحداث ١٩٩٠ ولا يزال متوارياً حتى تاريخه.

١٠ ـ محمد سليم، عميد الدفاع في الحزب السوري القومي الاجتماعي. اغتيل في ١٩٨٥/٦/٢.

١١ ـ رشيد كرامي، رئيس الحكومة. بتاريخ ١٩٨٧/٦/١ فجرت الطائرة المروحية التي كانت تقله من طرابلس إلى بيروت، وقد أصدر المجلس العدلي حكمه بالقضية.

١٢ ـ رينيه معوض، رئيس الجمهورية. بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٢ فجر موكبه في بيروت ولم يتوصل القضاء إلى الكشف عن الجناة.

١٣ ـ داني شمعون، رئيس حزب الوطنيين الأحرار. اغتيل مع زوجته وولديهما في ١٩٩١/١٠/٢١. أصدر القضاء حكمه بالقضية.

١٤ ـ عباس الموسوي، الأمين العام لحزب الله وزوجته وابنه وعدد من مرافقيه في ١٩٩٢/٢/١٦.

١٥ ـ إيلي حبيقة، نائب ووزير سابق في ٢٠٠٢/٢/١٤ وعلى الرغم من إحالة القضية إلى المجلس العدلي لم يتوصل إلى تحديد الجهة المنفذة.

١٦ ـ رفيق الحريري، رئيس وزراء سابق قضى بتفجير كبير قرب أوتيل السان جورج ومعه ٢٢ شخصاً بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٤ أحيلت قضيته إلى المحكمة الدولية.

١٧ ـ باسل فليحان، نائب سابق قضى مع الرئيس الحريري.

١٨ ـ جورج حاوي، الأمين العام السابق للحزب الشيوعي، في ٢٠٠٥/٦/٢١. أحيلت قضيته إلى المحكمة الدولية.

١٩ ـ جبران التويني، صحافي ونائب، و٢ من مرافقيه في ٢٠٠٥/١٢/١٢. أحيلت قضيته إلى المحكمة الدولية.

٢٠ ـ بيار الجميل، نائب ووزير، اغتيل مع مرافقه بتاريخ ٢٠٠٦/١١/١٣. أحيلت قضيته إلى المحكمة الدولية.

٢١ ـ وليد عيدو، نائب، أحيلت قضيته إلى المحكمة الدولية.

٢٢ ـ أنطوان غانم نائب في ١٧ أيلول ٢٠٠٧، أحيلت قضيته إلى المحكمة الدولية.

رابعاً ـ شهداء قوى الأمن بين عامي ١٩٥٧ و١٩٥٨[١]

١ ـ الرقيب محمد أحمد حمزة استشهد بتاريخ ١٩٥٧/٦/١٦ في بلدة مزيارة، زغرتا، أثناء الاشتباكات، من مواليد كفرمتي ـ الشوف ١٩١٧.

٢ ـ الدركي محمد إبراهيم شقير، استشهد بتاريخ ١٩٥٧/٩/١٣ في دير العشاير أثناء اشتباك مع مسلحين بقيادة شبلي العريان، من مواليد ميس الجبل، الجنوب ١٩١٤.

٣ ـ الدركي نجيب مخايل المعلوف، استشهد بتاريخ ١٩٥٧/٩/١٣ بمجابهة مع أشقياء، من مواليد زحلة ١٩٢٢.

١ ـ إن عدد شهداء قوى الأمن الداخلي من العام ١٩٢٦ إلى ٢٠٠٧، ٣٤ برتبة ضابط، و٥٥٣ برتب أخرى.

٤ ـ الدركي زكي ابراهيم أمين السيد، استشهد بتاريخ ١٩٥٧/٩/١٣ في بلدة دير العشاير، أثناء اشتباك مع مسلحين، من مواليد النبي إيليا ١٩٢٨.

٥ ـ الدركي الراجل فريد طانيوس خليل، استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٤/١٠ أثناء مطاردة عصابة، من مواليد ميروبا ١٩٢٠.

٦ ـ الدركي إبراهيم حبيب كرم، استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٥/١٢ أثناء هجوم مسلح على مخفر سير الضنية من قبل مسلحين، من مواليد عاية جزين ١٩٣١.

٧ ـ الرقيب أنطوان الياس الحداد، استشهد بتاريخ ١٩٥٦/٥/١٦ في سبيل الواجب، من مواليد الصالحية ١٩١٣.

٨ ـ الدركي الراجل معروف يوسف النابلسي، استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٥/١٨ في منطقة الشوف أثناء اشتباك مسلح مع الثوار، من مواليد شبعا الجنوب ١٩٢٢.

٩ ـ الدركي سلمان علي شروف، استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٦/٣ في راشيا أثناء مطاردة أحد الأشقياء، من مواليد حاصبيا ١٩٣٠.

١٠ ـ الدركي نجار جرجس مجيد حرب، استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٦/١٠ أثناء اشتباك مع مسلحين في خراج بلدة عين زحلتا، من مواليد المعمرية، صيدا ١٩٣٣/١٢/٢٢.

١١ ـ الرقيب الأول جواد صفي الدين، استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٧/١٤ في صيدا، أثناء اشتباك مع مسلحين من مواليد شمع صور ١٩١٠.

١٢ ـ الدركي الراجل جورج مخايل أبو زيدان، استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٨/٤ أثناء اشتباك مع مسلحين في الباروك من مواليد أبلح ١٩٣٤/٥/١٠.

١٣ ـ العريف كريم خالد عزام، استشهد بتاريخ ١٩٥٨/٨/٢٢ أثناء أداء الواجب، من مواليد مزرعة الشوف ١٩١٧.

١٤ ـ الدركي الراجل شوكت محمود المصري، استشهد بتاريخ ١٩٥٨/١٢/١٣ أثناء اشتباك مع مسلحين في عرسال، من مواليد حور تقلا ١٩٣٣.

١٥ ـ العريف مسعود شكري الشاعر، استشهد بتاريخ ١٩٥٩/٨/٢٩، في محلة الدورة، أثناء اشتباك مع مسلحين، من مواليد شاتين البترون ١٩٢٢.

الفصل العاشر

تراجع الموقف المسيحي

وكأن حوادث ١٩٥٨ شكّلت نذيراً بتغير المرتكزات الأساسية لهذا البلد. فإذا كان الميثاق الوطني وحّد اللبنانيين بلا أين أحدهما للشرق والآخر للغرب، فإن تصاعد الموجة الناصرية أخذت تخليه من مضامينه، فتوجّس الرئيس شمعون شراً وخاف من تداعياتها على الوضع المسيحي بصورة خاصة في لبنان وبصورة عامة في الشرق، فأوفد الدكتور فؤاد أفرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية آنذاك، إلى جامعات الولايات المتحدة الأميركية شارحاً وضع الأقليات المسيحية في الشرق.

وفي مقابلة معه في مطبعة الكريم جونيه عام ١٩٧٥ أخبرني أنه في زيارته لتلك الجامعات وكلما اجتمع برئيس إحداها، يراه مضطلعاً على ملفه الخاص بعمق.

وفي تجواله، زار أحدى الجبال المخصصة لتربية الحيوانات التي توشك على الانقراض وقد أعجب بها كثيراً. ولدى مقابلته رئيس جامعة نيويورك، سأله هذا الأخير عمّا استهواه في الولايات المتحدة أكثر من سواه، فأجابه بصراحة ودون تردد: «ذاك الجبل».

تفاجأ رئيس الجامعة لهذا الجواب الذي ينم عن معانٍ كثيرة، وتساءل عمّا إذا كنت أتوق إلى هذا الحد للمحافظة على الحيوانات التي على طريق الانقراض.

أما تبريري لهذا الإعجاب فبدأ بالنفي لتلميحه وقلت: «كلا. إنما أطلب تخصيص أمكنة مشابهة لاستجلاب بعض من أماكن العبادة المسيحية، لاسيما الكاتدرائيات، من الشرق، والتي هي على طريق الانقراض.

فانتصب رئيس الجامعة قائلاً بالفرنسية: "Oui, j'ai compris, demain chez Ei-senhower" «أجل، فهمت قصدك، غداً عند آيزنهاور» وبالفعل، أوردت الصحف النيويوركية في اليوم التالي خبر استقبال رئيس الجمهورية لرئيس الجامعة.

وما الإشارة إلى هذه الواقعة سوى تأكيد الهواجس في نفوس المسؤولين المسيحيين عن مستقبلهم في هذا الشرق.

عندما استلم الرئيس فؤاد شهاب سدة الرئاسة حاول وضع الأسس القويمة للدولة، ورفض قطعًا تجديد ولايته لمرة ثانية، وانكفأ إلى قصره المتواضع، وربما كان يائساً من الوضع اللبناني، وما أن استلم الرئيس حلو، حتى أخذت الانتفاضات الفلسطينية تتوالى، بدعم بعض الفئات اللبنانية، ففي عام ١٩٦٩ حصلت احتكاكات مع الجيش اللبناني، واعتكف دولة الرئيس رشيد كرامي، مدة ستة أشهر، إلى أن التزمت الدولة باتفاق القاهرة، وتخلت بموجبه عن سيادتها في الجنوب.

في عام ١٩٧٦، دخلت قوات الردع العربية، وانتهت بالقوات السورية فقط.

هذا الاتفاق زاد التفسخ بين اللبنانيين عمقاً وأخذت الأزمة تتعاظم إلى أن انفجرت عام ١٩٧٥، واستمرّت حتى عام ١٩٨٩، وكانت نتيجتها ١٥٠٠٠٠ قتيل، ومنهم من يقول ٢٠٠٠٠٠. يضاف إليهم ما يزيد عن ٢٠٠٠٠٠ جريح منهم ٥٠٠٠٠ معاق.

في عام ١٩٨٩، حصلت حرب الالغاء، وحصدت ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ قتيل، وآلاف المهجرين في المنطقة نفسها.

في عام ١٩٩٠، حرب التحرير، حصدت ٥٠٠ قتيل من الجيش وآلاف من المدنيين بين قتيل وجريح.

وفي عام ٢٠٠٥، انسحبت القوات السورية من لبنان.

بالإضافة إلى الحروب الداخلية بين أبناء الوطن الواحد ومع الفلسطينيين تشير إلى الاجتياحات الإسرائيلية المتتالية:

١ ـ ١٩٨٢، وصلت إسرائيل إلى بيروت، وحصلت مجزرة صبرا وشاتيلا.

٢ ـ ١٩٩٢، عناقيد الغضب.

٣ ـ ١٩٩٧، «الحساب» حصد ٦٠٠ إلى ٧٠٠ قتيل.

٤ ـ انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠.

٥ ـ الاجتياح الإسرائيلي عام ٢٠٠٦ (حرب تموز) تم تدمير جميع الجسور من الشمال إلى الجنوب والبقاع وسقط ١٢٠٠ قتيل، ومليون مهجر، من الجنوب إلى داخل لبنان، وهي أطول حرب استراتيجية، دامت ٣٣ يوماً.

وما خفي كان أعظم!

لكن بالرغم من وجود شتى التناقضات لدى شرائح هذا الوطن، فإذا قيض لهم وجود حكم عادل، يضمن الطمأنينة والسلام، فإن التاريخ يعلمنا، بأنهم يعيشون بأمان وطمأنينة متحابين متعاضدين في السراء والضراء.

الخاتمة

كنعيم مغبغب وأمثاله تبنى الأوطان، رجال أشبعتهم الطبيعة بنعمها الغزيرة، من شجاعة ومروءة وإقدام وكرم وإطلاع وثقافة وعمق التفكير وسعة المعرفة وشمولية النظرة إلى أخيهم الإنسان، مهما كان موقفه، بعيداً عن النزاعات السياسية والمحسوبيات والقوقعة الطائفية.

لفلسطين وللأرض السليبة وللشعب المجروح، قدم أسمى آيات الجهاد، فرمى قلمه الصحافي لتزويد الإعلام بالمعارك الدائرة، وانتزع بندقية أحد العسكريين، وسار في المقدمة عندما دعت الحاجة. منحه قائد الجيش شهادة تقدير تجاوزت شخصيته لتصل إلى حدود الوطن بأكمله. قدَّم دماءه فداء لوطنه، فإذا بها تمتزج باحمرار العلم.

كوزير ونائب في البرلمان تفانى في خدمة الوطن (١٩٥٢ ـ ١٩٥٩). انطلقت المشاريع العمرانية في كل الأرجاء من المطار إلى المرفأ إلى الأوتوسترادات إلى المياه والكهرباء، وازدهرت المناطق الشوفية، التي مثلها أفضل تمثيل، وعمت الطرق والمياه والكهرباء في أكثر من ثمانين مدينة، وقرية، فإذا بالألقاب تطلق عليه، منها: «نعيم الدنيا والآخرة»، و«عهد مغبغب عهد تعمير الشوف».

أما الوفاء في المواقف السياسية، فكان عنوان تعامله، ومن المؤسف أن لا نجد في الحكومات المتعاقبة من ١٩٤٣ حتى تاريخه من ينصفه.

توالت المقالات والمؤلفات مطالبة بتكريمه، معبرة عن سخطها ولومها وعدم رضاها عن المواقف السياسية المتخذة تجاهه، مما يوجب تصحيح التقصير بحقه، كونه إحدى الرايات العملاقة التي يُعتز بها.

أبى الشعب الشوفي، إلا رد التحية بالمثل، تحية التقدير والاحترام والإكبار، والدليل الساطع هو عدد الأصوات التي حازها في انتخابات عام ١٩٥٧ وهي ١٠١٥٢ صوتاً مقابل ما حصل عليه خصمه سالم عبد النور وهو ٦١٥٠ صوتاً. مما يظهر مدى تعلق هذا الشعب به والإصرار على تكريمه والوفاء لما قدمه له من أعمال تنموية لم ير الشوف مثيلاً لها.

كانت علاقاته مع محازبية متينة لا تقهر، ولم يتوقف عند المحازبين المسيحيين.

في أحداث ١٩٥٨ لم يبتعد المقاتلون الدروز عن نعيم مغبغب، ولم يتخلوا عنه، وحتى أنهم تجاوزوا المقاتلين المسيحيين عدداً، فالعلاقة التي جمعته مع الدروز اليزبكيين والجنبلاطيين كانت قوية مترسخة، انطلقت منذ عهد الاستقلال.

لم يكن التحقيق باغتياله عام ١٩٥٩ يصل إلى نتيجة معينة، لولا تلك الرسالة من مجهول، يشرح فيها تفاصيل المعركة، ومن مضمونها يتضح أنها صادرة عن مرجعية عالية عالمة بأسرار تلك الحادثة البشعة، فهالها ما حصل، فإذا بضميرها يقودها إلى كشف تفاصيلها.

وحتى تاريخ حديث لا تزال ذكراه على كل شفة ولسان، والتعبير عن الإعجاب بكل ما عمله طيلة الفترة الزمنية القصيرة التي أمضاها في الخدمة العامة وفي النضال الوطني.



DEPARTMENT OF STATE

ASSISTANT SECRETARY

October 16, 1952

To : ~~S - The Acting Secretary~~

Via : G - Mr. Matthews
S/S -

From : NEA - Mr. Byroade

Subject: Arms Aid for Lebanon

DISCUSSION

Among the Near East states, Saudi Arabia, Syria, Egypt, Israel and Iraq have been found eligible for reimbursable military assistance under the Mutual Defense Assistance Act. Lebanon now has expressed specific interest in securing limited arms from the United States, and our Embassy in Beirut has recommended the provision of reimbursable assistance. Moreover, the new President of Lebanon can be expected to emulate the cordial relations which his predecessor's government maintained with the United States. He has stated that in the event of a Western war with the Soviet Union, Lebanon would be "one hundred percent on the side of the West, with or without any treaty to that effect", and would be willing to give military base privileges to the United States. Therefore, it is desirable to accord Lebanon treatment at least equal to that given Israel and most of the other Arab states.

RECOMMENDATION

That you sign the attached letter to the Secretary of Defense, which requests his concurrence in a recommendation that the Director for Mutual Security find Lebanon eligible for reimbursable military aid.

CONCURRENCE

S/MSA

Attachment:

Letter to Secretary of Defense

DECLASSIFIED
Authority NND822900
By Kon/Mel NARA, Date 7/26/88

NEA:NE:DJWorcesser:eg

122990

المصدر: ارشيف وزارة الخارجية الاميركية DC/R Central Files 783A. 05-MSP/10-1652

كتاب سري من الرئيس شمعون الى بريطانيا واميركا يطالب بضمان استقلال لبنان انظر الدكتور د . عباس ابو صالح المرجع ذاته

DIARY
March 28, 1956.

Memorandum from the Secretary of State, dated March 28, 1956, entitled "Near Eastern Policies", was brought to the White House at 4:30 on March 28, 1956, shortly after the President's return from White Sulphur Springs. Accompanying Mr. Dulles were: Herbert Hoover, Jr., George V. Allen, William M. Rountree, Reuben Robertson, Secretary Wilson, Admiral Radford. Sitting in on appointment was Colonel Goodpaster, who will also prepare notes).

President dictated, after the meeting, as follows:

"This memorandum (attached) was brought to me by the Secretary of State in response to my request that he prepare a list of the things that might be done in the Middle East which could help stabilize the situation and give us a better atmosphere in which to work

"I have authorized the State Department to start work on all of the attached points. A fundamental factor in the problem is the growin ambition of Nasser, the sense of power he has gained out of his associa with the Soviets, his belief that he can emerge as a true leader of the entire Arab world -- and because of these beliefs, his rejection of ever proposition advanced as a measure of conciliation between the Arabs an Israel.

"Because of this, I suggested to the State Department that we begin to build up some other individual as a prospective leader of the Arab world -- in the thought that mutually antagonistic personal ambitio

DECLASSIFIED
E.O. 12065, Sec. 3-204
MR 78-193 #2
DJH Date 4/16/81

المصدر: اوراق ايزنهاور - مكتبة ايزنهاور الخاصة E.o. 12065, Sec. 3-204

الولايات المتحدة تتجه ضد عبد الناصر للتقربة من السوفيات ورفضه الصلح مع اسرائيل انظر د. عباس ابو صالح ص ٢٥٥



زواج نعيم وشمعون الاشبين



عائلة نعيم مغبغب

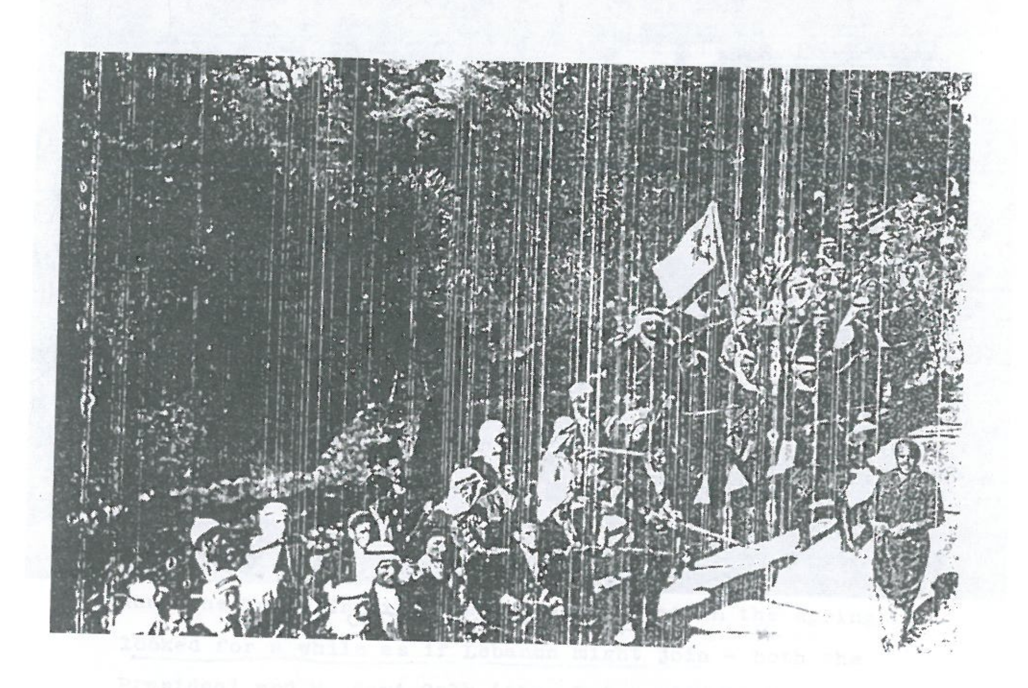
There was an immediate awareness by thinking people (such as the President and the Minister for Foreign Affairs) of the far-reaching implications of this move; and underneath the popular acclaim with which Egypt's decision was greeted there emerged a growing concern at the dangers latent in the situation. For some years previously the Lebanese had been playing their enforced rôle of trying to be all things to all men - friendly to the West, trading with the East, endlessly seeking to reconcile conflicting view-points among the Arab States and always anxious to appear not less Arab than the others where Israel was concerned. Now it was brought home to them that they were going to have to face up to some difficult decisions.

3. Earlier, there had been much debate on whether the time had really come to seek safety by joining the Bagdad Pact. When the Turco-Iraqi Agreement was signed in the spring, it looked for a while as if Lebanon might join - both the President and M. Sami Solh (then Prime Minister) were in favour of doing so. But latent distrust of the Turks, propaganda - principally by France and the French-language papers - against Lebanon joining the West via Ankara, and above all Saudi and Egyptian pressures, followed by the unfortunate anti-Greek outbursts in Turkey and finally a change of Ministry all combined to dissuade Lebanon from any such positive step. Neither the President's State visit to Turkey in March nor the Turkish President's return visit to Lebanon in June aroused much enthusiasm for a closer link with Turkey. Fundamentally, Lebanon was against joining the Pact: the time had not yet come for her to renounce the rôle to which she aspired, as friend to all the Arabs, in return for the doubtful advantage (as she saw it) of a Pact with the West.

/This

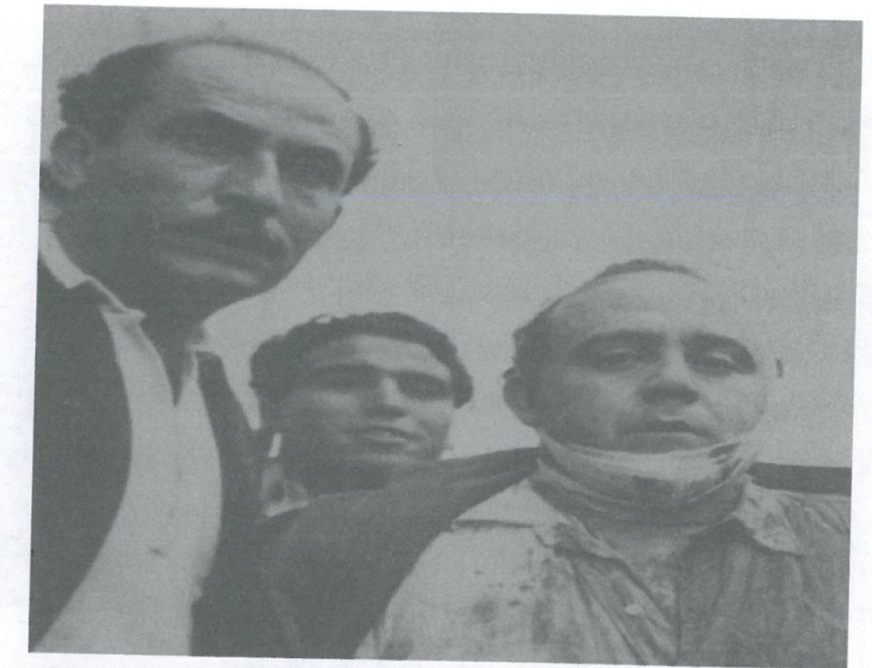
المصدر: ارشيف وزارة الخارجية البريطانية Fo 371/121605

تقرير سري يفصّل اسباب الرئيس شيمون ورئيس الحكومة من الانضمام الى حلف بغداد المرجع ابي صالح... ص ٢٥٤





نعيم مغبغب مع الامير مجيد والمجاهدون في بشامون



نعيم مغبغب في بشامون مع إنعام رعد



نعيم مغبغب مع الامير مجيد



نعيم مغبغب في بشامون مع الأمير مجيد



نعيم مغبغب المجاهد مع قوات جيش الإنقاذ في فلسطين

الجمهورية اللبنانية
وزارة الدفاع الوطني
قيادة الجيش اركان الحرب
الشعبة الثانية

بيروت في ٧-٣-١٩٥١

عدد ٣٥٧-٢

شهادة

ان اللواء فوأد شهاب قائد الجيش يثبت انه :

اثناء العمليات الحربية على الحدود اللبنانية - الفلسطينية عام ١٩٤٨ كلف الاستاذ نعيم مغبغب القيام ببعض مهمات خاصة لها علاقتها بمجرى الامور العسكرية، فاظهر رباطة جأش واندفاعا في العمل وروحا طيبة في تنفيذ المهمات الموكولة اليه حتى ضمن الاراضي التي يحتلها العدو معرضا حياته للخطر وان اعماله هذه كان لها اثرا نافعا في مجرى العمليات العسكرية الدائرة وقد قام بهذه الاعمال متطوعا ومتبرعا

ختم قيادة الجيش

الامضاء : اللوا فوأد شهاب

شهادة تقدير من قائد الجيش فؤاد شهاب



نعيم مغبغب مع الرئيس كميل شمعون والجنرال فؤاد شهاب والامير مجيد ارسلان وسواهم



نعيم مغبغب والأمير مجيد والرئيس عسيران



نعيم مغبغب ودولة الرئيس سامي الصلح والرئيس كميل شمعون



الرئيس شمعون نعيم نغبغب والمناصرين



نعيم مغبغب ودولة الرئيس عادل عسيران وجوزيف سكاف



نعيم مغبغب ودولة الرئيس صائب سلام



نعيم مغبغب مع جلالة الملك فيصل



نعيم مغبغب ودولة الرئيس رشيد كرامي في بروكسل



نعيم مغبغب والرئيس عادل عسيران



نعيم مغبغب والرئيس سامي الصلح يدشنان المشاريع





نعيم مغبغب والرئيس سامي الصلح يدشنان المشاريع



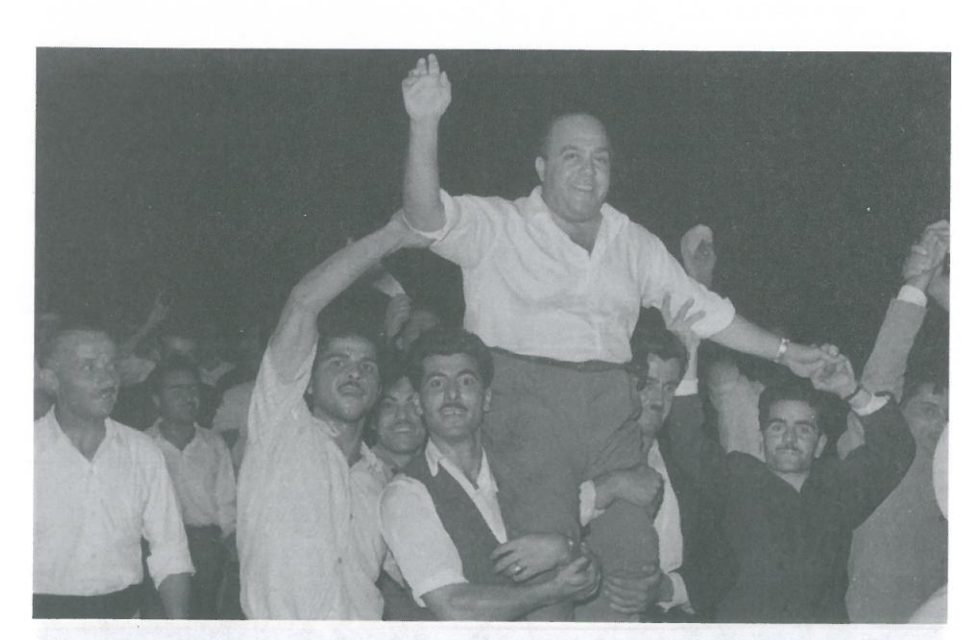
الرئيس شمعون يستقبل نعيم مغبغب



نعيم مغبغب والرئيس شمعون



نعيم مغبغب وقحطان جماده



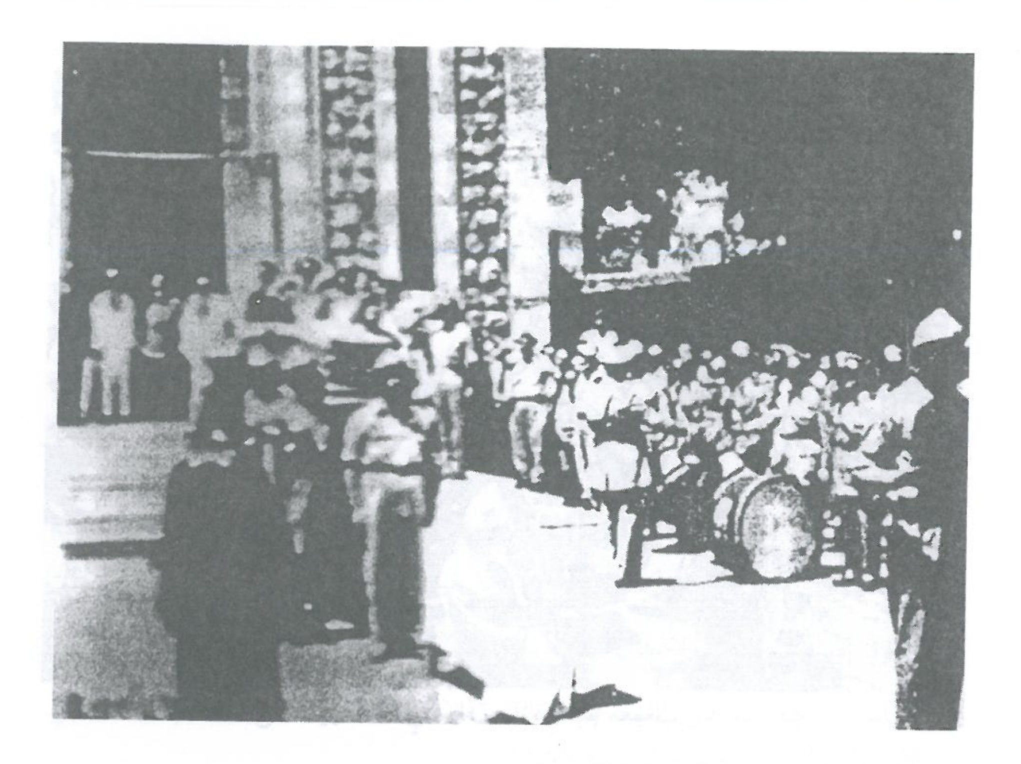
نعيم مغبغب وبعض مناصريه



نعيم مغبغب مع الرئيس شمعون وقرينته زلفا واهالي عين زحلتا



دولة الرئيس رشيد كرامي، ريمون اده، بيار الجميل، تقي الدين صلح والمطران باسيليوس خوري
يتقبلون التعازي بمأتم نعيم مغبغب





الرئيسان عارل عسيران ورشيد كرامي يتقدمان الموكب



الجموع الغفيرة تمشي وراء جنازة نعيم مغبغب



ابنه غسان مغبغب

المصادر

- أبو جودة د. جوزف، الرئيس بشارة الخوري والحزب الدستوري والاستقلالي، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- أبو جوده ميشال، في ٢٠٧ مقالات وتاريخها (النهار).
- أبو عماد عاطف، الأمير مجيد أرسلان، منشورات مؤسسة التراث الدرزي، لندن، الطبعة الأولى ٢٠٠٩.
- أبي فاضل د. وهيب، استغلال لبنان من خلال كتاب التاريخ المدرسي، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- إسماعيل د. منير، مجلس الإدارة الكبير في عهد المتصرفية، أول تجربة ديمقراطية في الشرق العربي، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان.
- أسود إبراهيم، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، دليل لبنان ١٩٠٦.
- الياس د. جوزف، دور الصحافة في الاستقلال (١٩٤١ ـ ١٩٤٦) اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦.
- أنطونيوس جورج، يقظة العرب، عن الإنكليزية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٦.
- بطرس فؤاد، المذكرات ٢٠٠٩.
- بولس جواد، لبنان والبلدان المجاورة، الطبعة الثانية ١٩٧٣.
- بو ملهب د. دعد عطاالله، المجال اللبناني في إعلان غورو إلى القرار ٤٢٥، قراءة جيوسياسية في دولة لبنان الكبير، الجامعة اللبنانية ١٩٩٩.
- تشرشل تشارلز، الدروز والموارنة تحت الحكم التركي من سنة ١٨٤٠ إلى ١٨٦٠.
- ترنون إيفا، من مآسي «المسألة الشرقية» المجازر التي دفعت بالأرمن، دراسة كليلة لإبادة عام ١٩١٥، دار نعمان للثقافة.
- تقي الدين رياض حامد، المقدم الركن، التجربة العسكرية الدرزية ومسارها التقدمي ١٩٨٧، مطابع دار الجبل.

- تقي الدين سعيد، أنا والتنين، الطبعة الرابعة ١٩٩٩، منشورات مطابع الجبل الأخضر.
- تقي الدين منير، ولادة استقلال، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٢.
- تقي الدين منير، الجلاء، الطبعة الثانية، دار النهار للنشر ١٩٩٧.
- تويني غسان، لبنان قرن في صور (١٩٠٠ ـ ٢٠٠٠) دار النهار للنشر.
- تويني غسان، ساسين فارس وسلام نواف، كتاب الاستقلال بالصور والوثائق ١٩٩٧، دار النهار للنشر.
- تويني جبران بعد ٢٥ سنة ١٩٧٣، دار النهار للنشر.
- الجميل د. برجس فارس، حزب الاتحاد اللبناني ولبنان الكبير، المركز الاستشاري للإعلام وللتوثيق المدرسي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.
- الحاج د. يوسف كمال، الطائفية البناءة أو فلسفة الميثاق الوطني، بيروت، مطبعة الرهبنة اللبنانية، ١٩٦١.
- حداد د. حكمت، لبنان الكبير، الطبعة الثانية ١٩٩٦، دار نظير عبود، بيروت ١٩٨٣.
- حريق إيليا، التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث، ١٩٨٢، الأهلية للنشر والتوزيع.
- الحكيم د. أنطوان، الإطار الدولي لولادة لبنان الكبير، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- الحكيم د. أنطوان، ولادة دستور لبنان عام ١٩٢٦، في دولة لبنان الكبير، الجامعة اللبنانية، مجموعة مؤلفين (١٩٢٠ ـ ١٩٩٦).
- الحكيم د. أنطوان، التمثيل الشعبي والانتخابات في لبنان، مجموعة باحثين، الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٥.
- حمادة مهيب، تاريخ علاقة البقاعيون بالسوريين واستراتيجية البقاع في المواجهة السورية الإسرائيلية، المجلد الأول.
- حوراني البرت، الفكر العربي في عصر النهضة (١٧٩٨ ـ ١٩٣٩)، دار النهار، ١٩٧٧.
- حوراني هلا سجعان، دور حميد فرنجية الرائد في الاستقلال، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.

- الخازن د. فريد، الميثاق الوطني في أبعاده الداخلية والخارجية وفي ميزان التفسير والتطبيق، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- خاطر لحد، عهد المتصرفية في لبنان ١٨٦١ ـ ١٩١٨، دار لحد خاطر ١٩٨٢.
- خاطر لحد، آل السعد في تاريخ لبنان، دار لحد خاطر، ١٩٦٩.
- خاطر لحد، مذكرات الخوراسقف أنطوان عقل، دار لحد خاطر ١٩٥٠.
- الخالدي وليد، خمسون عاماً على حرب ١٩٤٨، أولى الحروب الصهيونية ـ العربية، الطبعة الأولى ١٩٩٨، دار النهار.
- خليفة د. عصام مدخل حول دور الجنرال سبيرز في معركة الاستقلال، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦.
- الخوري بشارة، حقائق لبنانية، منشورات أوراق لبنانية، ١٩٦٠.
- الخوري بشارة ميشال، قراءة في عهد الشيخ بشارة الخوري في الرئاسة اللبنانية ماضياً ومستقبلاً، دروس وتحديات أعمال مؤتمر الجامعة الأنطونية، للعام ٢٠٠٩.
- رستم د. أسد والبستاني د. فؤاد أفرام، لبنان في عهد فخر الدين المعني الثاني، طبعة ثانية ١٩٨٥، منشورات المكتبة البولسية.
- زيدان د. نقولا، حول جذور الأحزاب السياسية في معركة الاستقلال، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦.
- الزين عمر، تقي الدين الصلح، سيرة حياة وكفاح.
- زين نور الدين زين، نشوء الأمة العربية، دار النهار، ١٩٦٨.
- زين نور الدين زين، الصراع الدولي وولادة دولتي سوريا ولبنان، ١٩٧١، دار النهار للنشر.
- ساسين فارس، تقلا سليم، من بناء الدولة إلى الاستقلال، ٢٠٠٦، دار النهار.
- سالم يوسف، ٥٠ سنة مع الناس، دار النهار.
- السمعاني يوسف، المكتبة الشرقية، المجلد الثاني ترجمة بطرس فهد، في نشرة كتاب الشرح المختصر في أصل الموارنة، ١٩٧٤، الجزء الأول.
- سلامة سامي، المطران عبد الله خوري يومياته إبان المفاوضات من أجل لبنان الكبير، باريس ١٩٢٠، منشورات جامعة سيدة اللويزة، ٢٠٠١.

- سلوم نزار، المسألة الشرقية، استراتيجية في المختبر، من الوثائق الفرنسية والأميركية، ١٩١٨ ـ ١٩٢٠، دار الفكر للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
- سنو عبد الرؤوف (مبدأ هالشتاين) والصراع بين الدولتين الألمانيتين، الساحة اللبنانية نموذجاً، ١٩٥٣ ـ ١٩٧٢، دولة لبنان الكبير، الجامعة اللبنانية ١٩٩٩.
- شرف جورج، التحول في مفهوم الدولة بين لبنان الكبير وميثاق ١٩٤٣، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- شعيب علي، تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء، ١٩١٨ ـ ١٩٤٦، دار الفارابي ١٩٧٤.
- شمعون الرئيس كميل ـ مذكراتي، الجزء الأول ١٩٨٨.
- شمعون الرئيس كميل، مراحل الاستقلال، طبعة ثانية، ١٩٩٧.
- صافي عزت، طريق المختارة زمن كمال جنبلاط، الطبعة الثانية ٢٠٠٧، دار النهار.
- صفير الأب د. بولس، دور البطريرك أنطوان عريضة في استقلال لبنان، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية ١٩٩٦.
- الصلح د. رغيد، عهد الرئيس شعون في الرئاسة اللبنانية، ماضياً ومستقبلاً، دروس وتحديات، أعمال مؤتمر الجامعة الأنطونية، عام ٢٠٠٠.
- الصلح سامي، لبنان العبث السياسي والمصير المجهول ٢٠٠٠، دار النهار.
- الصلح كاظم، الاتصال والانفصال.
- الصليبي كمال سليمان، تاريخ لبنان الحديث، الطبعة السابعة ١٩٩١، دار النهار للنشر.
- عازوري نجيب، يقظة الأمة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبد المسيح د. سيمون، التفسير العقائدي للاستقلال اللبناني، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- عسيران زهير، يتذكّر، ١٩٩٦.
- العلم د. فيفيان، البطريرك الياس الحويك، وإعلان دولة لبنان الكبير، عام ١٩٢٠، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.

- عيد رتيب عمون، الخوراسقف أنطوان عقل من خلال مجلة (رسالة السلام) ٢٠١٠.
- القطار د. الياس، دور الجنرال كاترو في استقلال لبنان، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- كبارة نزيه، التربية والتعليم في ظل الاستقلال، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- كبكب د. وسام، دور المطران كيرللس المغبغب في ولادة دولة لبنان الكبير، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- كرامي نواف، عين زحلتا، بلدتي ٢٠٠٧.
- كرم جورج أديب، قضية لبنان (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) دار المنهل للنشر، ١٩٨٥.
- كرم جورج أديب، أحزاب لبنان، دار النهار.
- لامنس الأب هنري، مختصر تاريخ سوريا، المجلد الأول.
- لبس د. أنطوان، توجهات الإكليروس الماروني السياسي في جبل لبنان، ١٨٤٢ ـ ١٨٦٧ (وثائق بكركي) بيروت ١٩٩١.
- مارون المونسنيور أغناطيوس un grand chapitre.
- محسن د. إبراهيم، الأحزاب اللبنانية بين الصحوة الوطنية والإيديولوجيا الطائفية، ١٩١٤ ـ ١٩٤٦، في دولة لبنان الكبير، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٩.
- مراد سعيد، الوحدوية في لبنان ١٩١٤ ـ ١٩٤٦، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٠.
- مزهر يوسف، تاريخ لبنان العام، بيروت ١٩٥٢.
- مسعود ضاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي، ١٩١٤ ـ ١٩٢١، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٤.
- معطي د. علي، العلاقات اللبنانية ـ التركية في عهد المتصرفية ١٨٦١ ـ ١٩١٨، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، دار المنهل اللبناني.
- معكرون د. إميل، الرئيس إده والاستقلال، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- مغبغب نعوم، تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي، ١٩٠٠ مصر والطبعة الثانية د. نعيم مغبغب، مع إضافة عشرة آلاف إحالة مواقع.

- مكي محمد علي، لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦، دار النهار.
- ناصيف نقولا، ريمون إده، جمهورية الضمير، الطبعة الثانية ٢٠٠٣، دار النهار.
- ناصيف نقولا، كميل شمعون آخر العمالقة ١٩٨٨، دار النهار.
- ناصيف نقولا، جمهورية فؤاد شهاب، الطبعة الأولى، دار النهار ٢٠٠٦.
- نجيم د. طانيوس فارس، مفهوم الاستقلال، ومضامينه في لبنان، اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦.
- نصار ناصيف، نحو مجتمع جديد، مقدمة أساسية في نقد المجتمع الطائفي، دار الطليعة ١٩٨١.
- الهاشم الأب ريمون، الانتداب الفرنسي على لبنان، ظروف إقراره، دولة لبنان الكبير وإعلان الدستور، منشورات الجامعة الأنطونية ٢٠٠٧.
- الهاشم المونسنيور لويس، تاريخ العاقورة، الطبعة الثانية ١٩٧٣، مطبعة العلم، بيت شباب.
- دواني المقطوف من تاريخ بني المعلوف.
- قوى الأمن الداخلي، شهداؤنا عبر التاريخ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
- أعمال المؤتمر الوطني في ١٧ و١٨ تشرين الثاني ١٩٩٩، محاضرات تحت عنوان استقلال الدولة اللبنانية ومفاوضات السلام المحتملة، منشورات الحركة الثقافية - أنطلياس، الطبعة الأولى، كانون الثاني ٢٠٠٠.

الصحف والمجلات والمقالات ومحاضر مجلس النواب

- صحيفة علامة (أو علامتي) الاستفهام، السنة الأولى تشرين الثاني ١٩٤٣ (وطيلة اثنا عشر يوماً)
- صحيفة الإقدام التي أصبحت (الاستفهام).
- النهار، «مقال في حمى الأمير» ميشال أبو جودة، ٢٨ تموز ١٩٥٩ وأول من اب.
- النهار، غسان تويني عن الشهيد نعيم مغبغب رافع علم الاستقلال ٢٢/١١/٢٠١١.
- النهار، نعيم مغبغب وحده رافع علم الاستقلال.

- مجلة الجيش، العدد ١١٧/١١٩ مقابلة مع العميد نخلة مغبغب، قائد الدرك.
- مجلة الأفكار عام ٢٠٠٧، نعيم مغبغب ثالث شهداء الاستقلال.
- السفير ٢٩ كانون الثاني و٢ و٣ شباط ٢٠٠٧، لماذا قرر بن غوريون اغتيال رياض الصلح؟
- البيرق والديار والهدف وصوت الأحرار وبيروت، في ٢٩ نيسان ١٩٤٤.
- تاريخ لبنان السياسي كما يرويه كبار السياسيين؛ فؤاد شهاب في الشوف لأول مرة، ومقتل نعيم مغبغب (ريمون إده).
- النهار، مقالنا حول تاريخ التعايش الدرزي - الماروني، تاريخ ١٦/١/٢٠١١.
- الديار، التعايش الدرزي الماروني يعود إلى ٩٠٠ سنة وليس إلى ٥٠٠ سنة فقط، الاثنين في ٢٤ كانون الثاني ٢٠١١.
- محاضر مجلس النواب ١٩٥٢ - ١٩٥٩ المتعلقة بنعيم مغبغب.
- مجلة الصياد، العدد ٤٢٤ تاريخ ١٢/١١/١٩٥٢ حديث مع هنري فرعون.
- مجلة الأسبوع العربي، يوسف إبراهيم يزبك، بيروت ١٩٥٨ ومجلة Magazine (١٩٥٨ بالفرنسية).
- الأسبوع العربي، حنا غصن، بيروت العدد الصادر في ٢/١١/١٩٧٤.
- جريدة العمل، تصريح كاظم الصلح، العدد الخاص الثلاثون لتأسيس الكتائب اللبنانية، ١٩٦٧.
- مجلة الشرق، السنة الخامسة ١٩٩١، د. ناصيف نصار من المتصرفية إلى لبنان الكبير، مدخل إلى دراسة اتجاهات الفكر السياسي عند الموارنة في المائة سنة الأخيرة.

المصادر (بالأجنبية):

- BARRON John, K.G.B. Le travail occulte des agents sovietiques, Elsevier, Paris, Bruxelles, 1975.
- CHIKHANI D. Rafic, Indépendance du Liban, les rivalités Franco-Britaniques.
- de GAULLE Charles, Mémoires de Gaulle (1944 - 1946) Plon 1969.

- ISMAIL MOUNIR, Le Regime de la Mutasarrifiya du Mont Liban 1861 - 1915, éd, des œuvres politiques et historiques, Beyrouth 2002.
- Khoury BÉCHARA, Réalités Libanaises, 1960.
- RICHARDS Denis, Modern Europe 1789 - 1945. Longman - Green and Co London, New York, Toronto 1951, London.
- TUEINI GHASSAN, Le Livre de l'Indépendance, Dar An-Nahar 2002.
- ZAMIR MEIA, The Formation of Modern Lebanon Cornell University Press Ithanca and London, 1985.

الفهارس

أولاً - فهرس الأماكن الجغرافية

ثانياً ـ فهرس أسماء العلم

ثالثاً ـ فهرس أسماء المؤسسات

الفهرس العام



المؤلف: نعيم توفيق مغبغب

- مواليد ١٩٤٠، عين زحلتا - الشوف، والده توفيق إبراهيم، والدته أسمى غريشي، شقيقه إميل وشقيقتاه نعمت ومي.

بدأ دراسته في مدرسة الضيعة في عين زحلتا، لراهبات القلبين الأقدسين ثم انتقل إلى مدرسة مار مارون مجدل المعوش، وإلى مدرسة مار أنطونيوس حمانا وإلى مدرسة دير المخلص جون، وإلى مدرسة فرن الشبّاك الرسمية حيث استحصل على الشهادة الثانوية في الرياضيات.

- بدأ يحضر إجازة في الفيزياء، وأكمل إجازته في الحقوق عام ١٩٦٥ (الجامعة اللبنانية).

- تابع دراساته العليا في الجامعة الكاثوليكية في لوفان لانوف بلجيكا واستحصل في نهايتها على دكتوراه دولة في السرية المصرفية.

- مارس التعليم في الجامعة اللبنانية وفي كليتي الهندسة وإدارة الأعمال (الفرع الثاني).

- صدر له ما يزيد عن ٢٢ مؤلفاً قانونياً، وعدداً وافراً من المقالات في مواضيع قانونية مستجدة. نال موافقة الجامعة اللبنانية في تقييمها الخمس الأول منها التي قدمها لها وهي الضامنة للحصول على لقب أستاذ (بروفسور).

- ساهم في إنشاء شركة مدنية في كلية الهندسة، الفرع الثاني لمساعدة الطلاب في التمارين العملية.

- بناء لاقتراحه تم تعديل المواضيع القانونية المدرّسة في كلية الهندسة، الجامعة اللبنانية واستعيض عن قانون الصناعة والضمان الاجتماعي بمادة عقود البناء والأشغال العامة والخاصة، وهو أول من تناول عقود البناء الخاصة في مؤلفاته.

بناء لطلبه تم فصل امتحان الدخول إلى كلية إدارة الأعمال والعلوم الاقتصادية بحيث كان اختصاص العلوم الاقتصادية يعتبر اختياراً ثانوياً فأصبح يوازي العلوم الإدارية.

- أجريت معه مقابلات عديدة في مواضيع قانونية على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة.

- شارك مراراً في دراسات قانونية حول المعلوماتية.

- يحاول الآن إصدار بعض الدراسات التاريخية بصورة موضوعية وقد أنجز حتى الآن مؤلفان وسيتم إنجاز البقية لاحقاً.